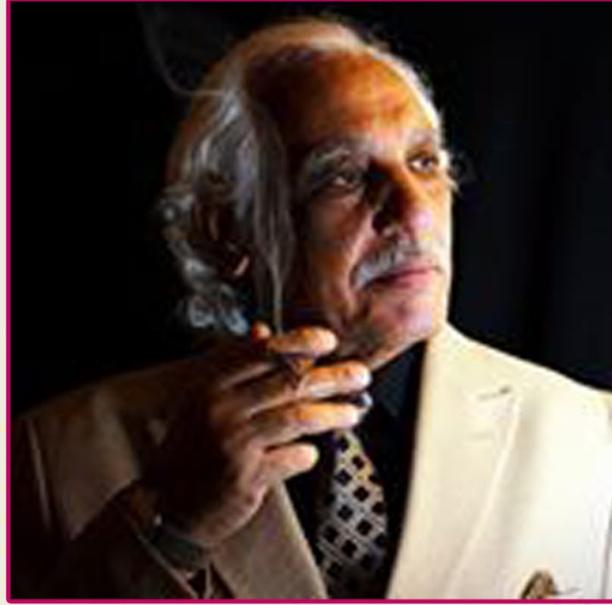


كشكول

الحريزي

دراسات ومقالات متنوعة



الأديب حميد الحريزي

كشكـول الحريزي

دراسات ومقالات متنوعة

حميد الحريزي

وسائل ترويض الشخصية العراقية من قبل الانظمة الاستبدادية

يتحدث الكثير من الكتاب وأخصائي علم النفس والأجتماع عن ظواهر السلوك للفرد العراقي دون محاولة الغوص للبحث عن الأسباب والظروف التي أدت إلى هذه الظاهرة سواء أكانت ايجابية أم سلبية وكأنها صفات وراثية جينية مغروسة في ذات الإنسان كما هو حال لون الشعر والعينين وسواد وبياض البشرة والطول والقصر وما إليه وليست هي عبارة عن صيرورة بيئة أجماعية مكتسبة من خلال البراكسيس الأجماعي ابتداءً من الطفولة والصبا والفتوة والشباب فالكهولة من خلال الأسرة والمدرسة والبيئة في الشارع وموقع العمل . وبالتأكيد هنا لا نغفل دور صحة ونضج الجهاز العصبي للإنسان وسلامته من الأمراض وعاهات النقص الجيني أو الولادي .

وفي هذا المجال توجد سلوكيات وممارسات أجماعية سائدة (كونفورميا أجماعية) وهي عبارة عن القيم والأعراف والتقاليد السائدة في مجتمع من المجتمعات المعينه وخلال فترة زمنية محدده وهي قابلة للتجديد والتغير والأختراق والتبدل حسب نوعية ومتطلبات الحراك الأجماعي سواء بالطرق والوسائل السلمية كما هو الحال في الممارسات

الديمقراطية السياسية والأجتماعية أو عن طريق الثورات والأنتفاضات العنيفة بسبب ما تلقاه هذه (الكونفورميا) الوليدة من مقاومة القديم على الرغم من كون هذا الجديد يمثل أغلبية ساحقة من أفراد المجتمع لكون القديم غالباً مايكون ممسكا بصولجان السلطة وأدوات القمع . .

لانريد أن نسهب في إيضاح هذه المسألة ولكن الذي يهمنا إنَّ كل المجتمعات الإنسانية تحمل (كونفورميا) أجتماعية أو رأس مال أجتماعي متراكم تم بناؤه وتكوينه على مدى تاريخ نشوء وتطور هذا المجتمع. وإنَّ هذا الرأس مال الأجتماعي يحمل الأيجابي المتطور القادرً على إستيعاب التحويلات التقدمية والعلمية للفرد والمجتمع نحو ما هو أفضل وأكمل أو نزوعه نحو الأمن والسلام والخير والعدالة ورفض الظلم والعنف والإرهاب بكافة إشكاله وأساليبه. ومنها ما يكرس التحجر والتكلس ورفض التغير والتحول لما هو أفضل وهنا يكون دور السلطة السياسية المهيمنة على زمام الحكم في دولة معينة بناء أو ترويض المجتمع في فترة تطور أو تشكيلة أجتماعية محددة.

فان كانت تمثل مصالح الغالبية الكبيرة لأفراد المجتمع فإنها تسعى من أجل ترسيخ وتطور وتبني القيم والأعراف والتقاليد الأيجابية الفاعلة وتعمل على سن قوانين وودساتير يمكن تقبلها من أغلب أفراد المجتمع لأنها تنسجم مع مصالحه وطموحاته وغالباً ما يحدث هذا من قبل السلطات المنتخبة بصورة ديمقراطية حقيقية كخيار إجتماعي طوعي وهنا تقترب

القوانين إلى حكم العرف الاجتماعي أو الكونفورميا الاجتماعية.

أما بالنسبة للحكومات التي تهيمن على السلطة بطريقة الانقلابات والمؤامرات وقوة الغدر والسلاح فإنها تعمل على اللجوء إلى أساليب القمع والقهر لإخضاع أفراد المجتمع لشرائعها وقوانينها وقيمها وأيدولوجياتها حيث إن الأيدولوجيا (ماهي إلا تصورات نظرية لإعادة صياغة العلاقات ومبادئ ضبط العلاقات الاجتماعية بما يؤمن مصالح حاملها قبل كل شيء) (1)

نظرا لوجود صراع قوي ومقاومة شرسة من قبل الكونفورميا الاجتماعية السائدة للأيدولوجيا المفروضة بالقوة والعنف لتكون هي البديل عن الكونفورميا الاجتماعية السائدة مهما أدعت هذه الكونفورميا المفروضة إنها تمثل طموح الشعب وسعادته وحتى وأن صدقت في إدعائها ..

ومن الملاحظ كما يصف ذلك الدروبي ، إن المجتمعات العربية (أنظمتها الكونفورمية من بين الأنظمة السائدة تضم في جنباتها ما هو سلبي وما هو ايجابي ومن أهم هذه العادات والتقاليد ما يتعلق بالحرية الشخصية وبناء الذات الفاعلة) (1) .

مما يميز شخصية الفرد العراقي لقاحيته وطبيعته التي غالباً ما تقف على نقيض مع سلطة الدولة الحاكمة وقوانينها وفروضها . بالإضافة إلى قيم الشهامة والنخوة ونصرة المظلوم ومقارعة الظالم وعدم السكوت على الباطل والثار للكرامة الشخصية وعدم قبول

سلوك الأهانة والأبتعاد عن ظاهرة التسول الأخلاقي والمجاملة والمداهنة والتملق للسلطات والحكام هذه السلوكيات المدانة من قبل القيم الاجتماعية السائدة والتي تنظر بعين السخط والنقمة لمن يمارسها حتى وان كان هذا السلوك مضمرا ومستترا ولكنه موجود ويتم التعبير عنه في الوقت المناسب ،ونحن لاندعي ان المجتمع العراقي بأكمله مطبوعا بالوصف الذي قدمناه بل هي الصفات السائدة في المجتمع قبل فترة الحكومات الديكتاتورية وخصوصا الديكتاتورية الصدامية فكتورية المجتمع أو ماسيته (.mass) ه و الأمر السلبى والذي تسعى إليه اغلب الأنظمة التوتارية والديكتاتورية من أجل أن تجعل من الأشخاص أحادا ضمن قطيع واحد موحد مقلد متعبد للقائد الأوحى والزعيم المخلد كما سعى إلى ذلك صدام حسين فوصل به الأمر إلى حد تعليم الناس كيف تأكل وكيف تشرب وكيف تغتسل كيف تلبس متحكما حتى بوزن الإنسان حيث يجب ان يكون كل شيء كما يريد ويشاء المعلم الإله.

وهذا ماسعت إليه السلطات والحكومات الدكتاتورية التي حكمت العراق خلال عقود طويلة ومنها الجمهوريات منذ 1958 ولحد الآن وبالأخص سلطة البعث التي أصبحت على رأس السلطة في انقلاب 17-30 تموز 1968 بقيادة صدام حسين كما أسلفنا ، وكما يقول محمد المدروبي) ان الأنظمة السياسية والحقوقية الدستورية والاقتصادية، والمؤسسات التابعة لهذه الأنظمة وغيرها من المؤسسات السائدة في البلدان العربية ، لم تكن وليدة أحكام كونفورمية أبدا وإنما وليدة ايولوجيا ضيقة أو

وليده تطلعات نخبوية أو إحكام أسرة مالكة أو نتيجة إرادة فرد منفرد بالقرار وبالناس وأحوالهم. لقد أتت بمعظمها نتيجة اعتداء على حق المجتمع وإفراجه في ممارسة وإنتاج وتنمية الكونفورميا الخاصة بالمسائل الحيوية العامة ، لهذا كان لابد من تطوير أساليب القهر الاجتماعي ، واسر الحرية واستعباد الأفراد . هذه الأساليب بلغت في بعض البلدان العربية حدا مقبها بما في ذلك التصفية الحسدية بطريقة مؤلمة جدا وذلك بسبب موقف أو رأي أو نشاط سياسي (2).

فمن أولى ما أقدم عليه هو زرع حالة الخوف داخل الذات العراقية وإيجاد سبل شرعنة إجراءات السلطات التعسفية ضد الأفراد ومراقبتهم خوفا من عدو خارجي يوصف بالمتحفز بشكل دائم للانقضاض على الشعب والوطن مؤكدا ان هناك شبكات تجسسية متغلغلة بين صفوف الشعب هي ذراع هذا العدو وأداة تنفيذه لمخططاته المعادية (للحرية والتقدم والوحدة والاشتراكية) حلم الشعب والموطن العراقي فأقدم على إجراء محاكمات شكلية بطريقة المحاكم الخاصة لإصدار الإعدام بحق مجموعة من التجار والأفراد ومن ديانات مختلفة بتهمة التجسس لصالح (إسرائيل) وصلت لحد سماع إذاعة إسرائيل تعتبر تهمة تستحق الشنق وعلقت جثث المشنوقين في ساحة (التحرير) للفرجة العامة !!! . وان جل ما يهدف إليه النظام من ذلك بغض النظر عن صدق ادعائه أو عدمه إلى:-

• زرع حالة الخوف والتحسب داخل ذات العراقي وإمكانية توجيه هذه التهمة إليه

وسهولة تصديقها وإعلانها على عموم الناس ان هو معارض (السلطة الثورية) الحاكمة وانتقد بعض إجراءاتها وقراراتها أو الاستماع إلى رأي معارضها حتى بالراديو . مما جعل العراقيين بين متوجس خائف وبين مصفق هاتف وبين مساند منافق زائف وهي الخطوة الأولى في طريق ترسيخ سلطة الحزب الحاكم وقرنة الذات الإنسانية بحيث ارتأى الكثير من العناصر ذوي الشخصيات التابعة والضعيفة إلى الانتماء إلى حزب السلطة وأجهزتها القمعية كأسلم طريق للابتعاد عن الشبهات .

• والخطوة الخطرة الأخرى التي أقدم عليها النظام تقمص دور وشعارات القوى ذات الوجود الشعبي الواسع المناصرة لقضية الفقراء والمعدمين لإبل المزايدة عليها في سعيها للأشترابية ومحاربتها للرأسمالية والإقطاع والأستغلال وتقربها من الأحزاب الشيوعية والأشترابية في الوطن العربي والمعسكر الاشتراكي والعالم. وحتى رشوة بعض قادة القوى والأحزاب الشيوعية والأشترابية الحاكمة في المعسكر الشرقي مما جعله يخطف بريق وهيبة ومشروعية القوى والأحزاب الاشتراكية والشيوعية ويزرع البلبه بين صفوفها في عدم جدوى لابل خطل قرارها في الانتماء لهذه الأحزاب (اليمينية) لازال حزب السلطة يسعى وبهذا الحماس والاندفاع (الثوري) لتحقيق الوحدة والحرية والأشترابية . وقد اكتمل هذا الهدف بانضمام الحزب الشيوعي العراقي للتحالف مع حزب البعث واعترافه بقيادة السلطة السياسية على عكس كل مبادئه وتنظيراته في كونه حزب الطليعة القائدة معطيا الشرعية والثورية (والطليلية) لحزب

السلطة. وبذلك يمكن من إظهار السلطة وحزبها بمعسكر التقدم والاشتراكية والسلام خادمه مصالح الجماهير ومحققه سعادتها والمقاومة للرأسمال العالمي الامبريالي الاستغلالي معززا ذلك بقرار تأمين النفط في 1972 وقد فعل الشيء نفسه في المزايدة على كل القوى والتنظيمات والحركات القومية العربية فهو فارس الأمة ومخلصها وموحدتها وبذلك فان من يعارض السلطة إنما يقف في المعسكر المعادي ويتوجب تصفيته وقمعه بكافة الوسائل وهنا هو يعمل من اجل المزيد من تآكل قيم وتقاليد مقاومة التعسف والظلم لدى الفرد العراقي وانسحاب هذه القيم للداخل وعمله لتجسير الرأسمال الايجابي المتراكم لهذه العناوين والقوى السياسية والاجتماعية لصالحه وإظهار هذه القوى كأنها عناوين وحركات وأحزاب زائدة وفائضة بوجود حزب السلطة القومي الوحدوي الاشتراكي اليساري العروبي والذي يضم تحت خيمته القوميات الأخرى كالكرد والتركمان وغيرهم ليناضلوا من اجل وحدة الأمة العربية!!! .

· حرم النظام ومنع ذكر الألقاب العشائرية ليفك السند الاجتماعي والحماية المتوارثة التي توفرها القبيلة للفرد وإحساسه بقوته وأمانه من خلال ارتباطه بأحدى هذه القبائل والعشائر محاولا استبدالها بالحزب والانتماء للسلطة وأجهزتها لتكون الملاذ الأخير للفرد العراقي وبذلك يحكم تسلطه ويسحب قسطا من استقلاله وضمأن حمايته وقد أقدم على إعدام عدد من أكثر شيوخ العراق شهرة وهيبة وخصوصا في الفرات الأوسط ممن لم يركبوا مركب السلطة ومن أشهرهم راهي الحاج عبد

الواحد السكر وهو الابن الأكبر لأبرز ثوار ثورة العشرين في العراق وهي رسالة دموية إلى كل عشائر وشيوخ العراق لتدخل تحت خيمة وسلطة الحزب وإلا سيكون مصيرها الموت .

رافق ذلك اقتصار المؤسسات التنفيذية للسلطة كالجيش والشرطة والمخابرات والأمن لأفراد الحزب الحاكم فقط وألغى أغلب الضوابط المهنية الواجب توفرها بضباط ومراتب الجيش وسلط على قاداته عناصر المخابرات والحزبين وحتى من غير العسكريين المحترفين وأذل الرتب العسكرية بان اخذ يوزع هذه الرتب وبأعلى المراتب على أزماله وان لم يخدموا في الجيش يوم واحدا والغي الضوابط التي تحرم وجود العناصر الشاذة جنسيا في الجيش أقدم كذلك على تجنيس (العجر) بالجنسية العراقية وزجهم في أجهزته القمعية وخضوعهم للخدمة العسكرية الإلزامية على الرغم من قلة عددهم لانتصارا لمظلوميتهم وتخليصهم من النظرة الاجتماعية الدونية إليهم أو انتصارا لإنسانيتهم بل من اجل إغلاق كل منافذ الخلاص للمواطن العراقي من تعسفه ومحارق حروبه القذرة، وخصوصا بعد ان لاحظت أجهزته الأمنية ازدياد ظاهرة العجرفة والاتصاف بوصفهم من قبل فئات اجتماعية ليست منهم ارتضت العجرفة خلاصها من ملاحقة السلطة الديكتا تورية وأجهزتها القمعية .

ثم توغل ابعد من ذلك حيث ضرب العمود الفقري لقيم ومعارف ومبادئ الفرد العراقي وذلك باعتبار وزارة التربية والتعليم العالي مغلقة لحزب البعث وإخضاعها لايدولوجيته طاردا المئات من الاساتذة والمدرسين

والمعلمين ممن لم ينتم للحزب من هذه المؤسسات محاولا بذلك غلق الطريق أمام أية فرصة للعقل الناقد والمقاوم لنظام حكمه بالاطافه إلى تدجين وتربية الأجيال الشابة وفق مبادئ الحزب والقائد الضرورة وبذلك فقد افلح بتخريج أعداد كبيرة من (المثقفين الاسفنجين) سلط كافة أجهزته القمعية في الشارع والمدرسة والجامعة لاحتواء الشباب انطلاقا من مقولته الشهيرة(نكسب الشباب نضمن المستقبل) يقصد بذلك ضمان مستقبل سلطته ودوام حكمه ، تم تكريس منهج التلقين في العملية التربوية والتعليمية المتبع في المناهج الدراسية في العراق وفي مختلف أنظمة الحكم ، ومن الملاحظ أيضا الابتعاد كليا عن إدخال الفلسفة في المناهج لكون الفلسفة تفتح عيون الأجيال وتزرع في عقولهم بذرة التساؤل والتشكيك والنقد والبحث عن جذور ومعاني وأهداف الظواهر على اختلافها وهذا ما لا تريده السلطات الديكتاتورية والاستبدادية لأنه يودع الإنسان شرارة التمرد ورفض الخضوع والخنوع الغير مشروط ومن غير قناعة أو تفكير وهذا الأمر مازال ساريا في مناهجنا التعليمية والتدريسية في الوقت الحاضر أيضا .

• تحت ذريعة المتطلبات الأمنية أقدم على تجفيف الأهوار وهي إحدى الملاذات وحيز الحرية المفتوح أمام الفرد العراقي لرفض سيطرت السلطة الاستبدادية سواء العشائرية أو الإقطاعية أو سلطة الدولة وأجهزتها القمعية .

• عسكرة المجتمع العراقي فمن لم تشمله قوانين الخدمة العسكرية تتم عسكرته ضمن

قطاعات الجيش الشعبي وجيش النخوة وجيش القدس وفدائي صدام وأشباهه عدا أجهزة الأمن والمخابرات. و . و . و ... واضعا الفرد العراقي وراء الأسلاك الشائكة وتحت الرقابة العسكرية الصارمة لقمع وصد أية محاولة لاستعادة أنفاسه ومراجعة قراراته ومواقفه من السلطة ومعلوم ان عقوبة الإعدام هي مصير كل من يهرب أو يتمرد داخل هذه الوحدات العسكرية أو الهروب منها مع دفعه لثمن طلاقات موته إمعانا في تعذيب ذويه كمن يشعرهم أنهم قاتليه لتكون المعسكرات الإجبارية للكحول والشباب والصبيان وحتى النساء عبارة عن سرير بروكست لتصب الشخصية العراقية بقالب واحد هو قالب واحد هو قالب السلطة والحزب الحكم ولتكون فلترا وحاجز نار سيحترق بلهيبه كل من يحاول التملص والتمرد أو المراوغة والمراوغة وبذلك يمكن ان يستفز الرفض المضممر للفرد ليظهر بشكل عمل وفعل ظاهر ومعلن وعنهما يقع الرافضون للسلطة وحكمها في فخاخ المخابرات والاستخبارات والرفاق البارزين والمستترين ليتم بذلك فرزهم وتصفيتهم بطريقة وحشية وأمام أنظار الجمع المتفرج من رفاق السلاح. ومن تهون عليه كرامة وحياة الآخرين يجرّد من إنسانيته ويدخل في قطيع العبودية الخاضعة. .

• تنمية روح التكسب الدنيء وغلبة روح كسب ود السلطة ومكرماتها ومغانمها بأي طريقة أو وسيلة مما دفع ببعض الآباء لقتل أولادهم أو تسليمهم للسلطات الأمنية بسبب هروبهم من جيش الموت الصدامي في معاركه ومحارقه ضد دول الجوار وتشجيع النساء للوشاية بأزواجهن وتجنيدهن بأجهزة الأمن

والمخابرات. وبذلك يحطم أكثر الروابط الإنسانية قوة بين بني البشر من خلال تحطيم قيم الأسرة العراقية وتضحياتها ببناءها المرأة بزوجها مقابل هبات ومكارم ومغانم الديكتاتورية وبذلك يحقق هدفا مزدوجا بتصفية المتمرد المعرض ومسح وقتل روح الإنسان عند المتعاون القابض وغالبا ماتلجا أجهزة النظام إلى نصب الفخاخ والشباك المموه لاصطياد أكبر عدد ممكن من المواطنين الأبرياء والبعيدين عن خط السلطة وبالتالي مساومتهم ليكونوا أدوات طيعة بيد أجهزة السلطة القمعية لتحقيق أهدافها.

وقد تدرج النظام في بث الرعب من عموم المجتمع إلى القبيلة ثم الأسرة وانتقل بعد ذلك إلى حزبه حيث تم فبركة تهمة التآمر بالتعاون مع النظام السوري ليعدم وبشكل مباشر عناصر قيادية بارزة من كوادر الحزب ودون محاكمة أصولية علنية وقد شارك في عملية الإعدام الجماعية عناصر مختارة من كل فرقة حزبية على نطاق عموم العراق للمساهمة والتورط في جريمة إعدام الرفاق بدعوى الخيانة والتآمر على الشعب والحزب والوطن و ليس محاولة إيقافه عند حده والخلص من استبداده و بأساليب حزبية ديمقراطية وحسب النظام الداخلي للحزب. وبذلك تمكن من زرع الخوف والشك والريبة داخل صفوف حزبه ورفاقه سادا إمامهم أي طريق أو وسيلة لتنظيم قوى المعارضة داخل الحزب ضد النهج الدكتاتوري للقائد الضرورة و القائد المختار ثم انتقل إلى أبناء عشيرته وأسرته فأقدم على إعدام العديد منهم وبدون محاكمات وتحت أعدار

وتهم مختلفة ومنهم مدله وزوج ابنته حسين كامل.

• تدرج في شعاراته من (كل مواطن مخلص أو شريف هو بعثي وان لم ينتمي) وبذلك فرض صفة البعثية كصفة تحمل في ذاتها قيم الإخلاص والوطنية والقومية والحريّة والاشتراكية و لايمكن ان تكون نابعة من ذات الفرد وطباعة وقناعاته وإنما لايمكن ان يحملها أو يدعيها أو يعمل بها إلا ان يكون بعثيا بالوصف وبذلك فتح صفحة جديدة في سلب الذات العراقية حرية الخيار والتصرف فإما ان تكون بعثيا صداميا وإلا فأنت لايمكن ان تكون مواطنا شريفا ولا مواطنا مخلصا ولاحتي إنسانا وقد حصر الصفات في البعثي فقط .

• ثم عزز دور القائد الفرد على ركام هذه الإجراءات والقرارات الماسخة للذات العراقية لتكون كل قيم القوة والرجولة والوطنية والكفاحية والقومية والعدالة والكرم والشجاعة مجسدة بشخصه فقط كآلهة جبارة يجب أن يخضع لها الجميع ويقدمون أرواحهم وأرواح أبناءهم وبناتهم وأموالهم قربانا لرضائه وكسب عطفه وامثال أوامره... الخ كل القيم الإنسانية الايجابية والخرافة مجسدة في القائد الرمز دون غيره والقائد ضرورة بقدر ضرورة الشمس للحياة حيث رفع شعار (لاحياء بلا شمس ولا كرامة بلا صدام) مفرنا كرامة شعب كامل بوجود شخص الدكتاتور ونظر المثقفون المقاولون وسطروا آلاف الصفحات ومئات المجلدات لوصف ذكاء ودهاء وعبقريّة وتفرد القائد ليس هناك من يدانيه في العلم والمعرفة والدهاء وقوة الحدس وإمكانية النفاذ

في دواخل كل من يراه لتكشف أمام عينيه السحريتين النوايا المطمورة هذه هذا الإله الذي إذا قال قال العراق هذا الذي يحرق سنا عظمته وجبروته ورهبة عرشه كل من يحاول أن يقترب منه أو يدانيه أو يناهضه وبذلك خلق حوله قطيع من المصنفين والعبيد المبهورين بعظمة وقدره وعصمة وحكمة معبدوهم الجبار وسيدهم المختار.. جعل من نفسه الإله المخلص والكريم المنعم من يلقاه يلقي السعد والرفاه والثروة حث غالباً ما كانت تفبرك العديد من الصدق ليكون فيها القائد حاضراً ليفك أزمة محتاج ويسد لهفة ملهوف لينتقل بقدره القائد من مفلس بئس فقير إلى ثري ذو جاه ومال عزيز ليجعل الملايين من البؤساء يحلمون بلقائه فلقائه يعني لقاء السعد والرفاه وكأنه يوزع أموال أبيه وليس أموال الشعب وخيراته. كما حدث في احد المحافظات الجنوبية إذ اصطنعت مفاجأة السيد الرئيس (المخلص) الموعود شاباً وعروسته في سيارة التاكسي فيوقفهم (المخلص) ليهبهم إحدى سياراته التي كان صندوقها يحوي على ملايين الدنانير العراقية فأمر المانح (المخلص) الحماية بترك الأموال والسيارة للعريسين وتركهم التاكسي البرازيلي القديمة، وقد ظل هذا العريس المحظوظ يجوب الشوارع بسيارته عدة أيام واضعاً في مقدمتها لافتة تقول ان السيارة هدية الرئيس القائد. وهناك من هذه القصص الكثير مما يزرع في نفوس الناس التشبث بالقدر والتمني والاستجداء وجنة المصادفة والحظ كمن يقامر في أوراق اليانصيب.

• العمل على تفتيت العمل التضامني والعقل الجمعي العراقي الذي قد يؤدي إلى بلورة

حالة من الرفض والمقاومة حينما تنظم مظلوميتها ومطالبها كطبقة أو فئة أو شريحة اجتماعية معينة فاصدر قراره المعروف بتحويل العمال إلى موظفين ساعيا إلى قتل روح التضامن الطبقي العمالي وعموم الكادحين وبقية لمهن والشرائح الاجتماعية يخلق مكاتب الحزب المهنية والتي كانت لايمكن وصفها بأقل من دوائر أمن مختصة بمراقبة ومحاسبة ورصد أي حالة نضوج أو مقاومة لنهج السلطة وحالة نمو عمل منظم من اجل مطالب مهنية أو اجتماعية أو سياسية وهذا ما حصل لاتحاد نقابات العمال والمرأة والطلبة والشباب والمحامين والأطباء والجمعيات الفلاحية حتى انه عمل على تشتيت المؤسسات التعليمية والكليات ونشرها على بقع متباعدة تفاديا لأي حشد أو تجمع بشري كبير تصعب مراقبته أو السيطرة عليه وخصوصا الفئة الشابة من الطلبة والأساتذة حملة العلم والحماس والثقافة مما ساعد على قتل روح التضامن الطبقي والمهني للفرد العراقي وربطه بمصلحة الحزب فلا جمع ولا تجمع غير جمع الحزب والقائد فقط ساعيا كذلك إلى طمس حالة وضوح الفرز الطبقي بكبح قيام ونشوء المعامل والمصانع والمزارع التي تعزز بالضرورة كم هائل من الشغيلة أو العمال اللذين لا يمكن ضمان حقوقهم إلا بظل منظمات فاعلة وسلطة ديمقراطية حقيقية تمثل طموح وتطلعات الشعب وهذا يتعارض تماما مع نهج الاستبداد والاستغلال .

• وإمعانا في بسط سيطرت الدكتاتورية وهو ديدنها في كل البلدان والأزمان افتعال الحروب وخلق عدو وهمي توجه اهتمامات الناس باتجاه

وإعطاء المبررات لحالات الطوارئ والقوانين الاستثنائية للتحكم بمصائر الناس وحريرتهم. وبالفعل تم سوق مئات الآلاف من الشباب إلى سوح القتال مع الجارة إيران والكويت وحل محلهم العماله المستوردة والوافدة من الدول العربية والأجنبية وعسكرة المؤسسات الصناعية الباقية خدمة للمجهود الحربي تحت رحمة أصحاب الزي الزيتوني من أزالامه وجلاديه . وليس هناك من دليل بالغ الوضوح على ما ذكر من تحويل الدكتاتورية هزيمتها وبنادقها إلى صدور الشعب المنتفض واصفا إياه بالغادر والغوغائي ليتحول النظام من مدان ومجرم إلى جلاذ وقاضي وتتحول جماهير الشعب الغاضبة والمنتفضة إلى غوغاء ومخربين وغادرين تم قتلهم ودفنهم في مقابر جماعية في طول وعرض البلاد ودون أية رحمة وهذا مما يجعل المواطن العراقي مدانا ومحاسب ومعاقب على طول الخط ان اندفع وأقدم مدان وان تراجع وانسحب مدان فما عليه إلا ان يسلم زمام حياته وقياد ذاته إلى الأقدار فلا حول ولا قوة له في ما يخص حياته ومستقبله ..

• إشاعة البطالة في المدينة والريف العراقي مما خلق جيشا من البرولتاريا الرثة الذي تنمو في داخلها وبين جنباتها أكثر نماذج القتل والمجرمين ومتصيدي الفرص مجندين أنفسهم لخدمة أية جهة أو هدف مقابل الحصول على لقمة العيش وبعض الضمانات المالية الرخيصة نتيجة البؤس والفقر حيث يولد حثالة البرولتاريا التي وصفها ماركس (حثالة البرولتاريا الموجودة في جميع المدن الكبيرة والتي تختلف اختلافا بينا عن البرولتاريا الصناعية . فان هذه الفئة التي تقدم اللصوص والمجرمين

من كل نوع تتألف من عناصر تعيش من فئات مائدة المجتمع من أناس ليست لديهم مهنة معينة من أفاقين - وهم يتميزون عن بعضهم البعض تبعاً للمستوى الثقافي للأمة التي ينتسبون إليها. ولكنهم يحتفظون في كل مكان وزمان بسمات اللاتساروني المميزة (كنية عناصر متفسخة طبقياً ،من حالة البرولتاريا في إيطاليا غير مرة استخدمت الأوساط الملكية الرجعية اللاتساروني في النضال ضد الحركة البرالية الديمقراطية) ماركس النضال الطبقي في فرنسا من 1848 إلى 1850 دار التقدم موسكو ترجمة الياس شاهين.

وتردى الوعي بين صفوفها وطول فترة الظلم والقهر والبؤس التي عاشت ولا زالت تعيشه هذه الفئات في ظل الأنظمة الاستبدادية المتعاقبة مما وفر للسلطة خزناً لا ينضب من الجلادين والجواسيس والقتلة وبأخس الإثمان وأخس الوسائل. التخطيط المدبر لغلق باب الوعي نتيجة إشاعة روح العمل الفردي غير المنتج كصباغي الأحذية وباعة المفرد وسماسرة صغار التجار لخدمة تجار السوق السوداء والطفيليين والمهربين وملاكي العقارات وشبكات الدعارة وتجارة الرقيق الأبيض والمخدرات وغيرها وعمل على خنق واستحالة نمو طبقة برجوازية صناعية منتجة التي تقع على عاتقها في مجرى التطور والضرورة التاريخية للمجتمعات مهمة هدم وكسح وتفكيك القيم والتقاليد والأعراف العشائرية والإقطاعية في المجتمع والتي تقف حائلاً دون تطور العلم والعمل وحرية الإبداع والابتكار وهي من أسس التطور الصناعي للبرجوازية الناهضة وهي بذلك تفتح

الطريق واسعا أمام ولادة وصيرورة طبقة عاملة منتجة قوية تتقدمها نخبة برولتارية كطبقة لذاتها تسعى لردم المجتمع الطبقي وبناء الدولة الاشتراكية ونشر العدل والمساواة وكمما ذكر ماركس (ان تطوّر البرولتاريا الصناعية مشروط على العموم بتطور البرجوازية الصناعية وفي ظل سيادتها فقط تكتسب البرولتاريا الصناعية وجودا قوميا واسعا قادرا على رفع ثورتها إلى مستوى ثورة وطنية وفي ظل سيادتها فقط تصنع البرولتاريا الصناعية وسائل الإنتاج العصرية التي تشكل في الوقت نفسه وسائل تحررها الثوري) (4)

، ومما ساعده على ذلك هو ومن يماثله من أنظمة كونها أنظمة ودول ذات بنية اقتصادية ريعية تعتمد في دخلها القومي وتدبير مصروفات جيوشها وجلاوزتها من واردات النفط الضخمة التي تستحوذ عليها ولتكون في خدمة بقاء وتأييد وحماية أنظمتها ومن بين ذلك تدمير وعرقلة نهوض اقتصادي صناعي زراعي منتج يمكن ان يخلق طبقة عاملة واسعة وطلية برولتارية مناضلة تواجه اظلم والاستغلال

ومن الشائع كثيرا ان يرتبط مفهوم (الثوري) بالعنف والتدمير والسلاح وهو ليس المعنى الحقيقي والجوهري للثوري الذي يعني التغيير الجريء والشامل والفوري المقدم الغير متردد لبناء جديد ونبذ كل ما هو قديم وبالي ومعرقل نمو وسيادة قيم أو قوانين وأنظمة جديدة تناسب تطور البنى التحتية والحراك الاجتماعي في فته معينة من تاريخه وفي

المجتمع مفهوم الثورية نبذ وتنحية القيم المعيقة للتقدم الاجتماعي والتي أصبحت متخلفة ومعيقة لتطور قوى الإنتاج وكما ذكر أنجلس ساخرا ممن يرشقون القوى الثورية بتهمة حب العنف من اجل العنف حيث يقول (ان من سخرية التاريخ العالمي تقلب كل شيء رأسا على عقب فنحن ((الثوريين)) ، ((الانقلابيين)) نحرز من النجاحات بالأساليب الشرعية أكثر مما نحرز بالأساليب غير الشرعية أو بالانقلاب ، إما الأحزاب التي تسمى نفسها بأحزاب النظام ، فإنها تهلك من الوضع الشرعي الذي خلقته بنفسها إننا نكسب في ظل هذه الشرعية عضلات مرنة وخدودا حمراء ، ونزهر كالحياة الأبدية . وإذا ما انزلقنا نحن في لجة الحمافة إلى حد ان ننجر إلى نضال الشوارع لما فيه صالح هذه الأحزاب ، فلا يبقى لهذه الأحزاب في آخر المطاف غير أمر واحد ، هو ان تنتهك بنفسها هذه الشرعية المشئومة) (5)

فمن يتأمل شابا واقفا وراء عربة بيع الطماطة مثلا وسط سوق الخضرة بين العشرات من أمثاله ليرى عملية الغش في المعروض فالوجهة من الدرجة الأولى والخلفية من النوع الرديء والتالف ثم عملية الغش في الميزان ان هذا الفرد سوف يتميز لاوعيتها لسلوك التالي:-:-

ظاهر تقي نقي ومستتر مزيف ملوث ليكون هناك تناقض كبير بين المظهر والجوهر فغالبا ما يظهر بمظهر المتدين الورع والعفيف الطاهر التضرع حيث الجبهة المختومة من اثر السجود والأصابع المزينة بالخواتم والمسبحة

السوداء واللحية المنمنمة ولا بأس بصورة لأحد (السماحات) للبركة فوق العربة ،فهو يتزيا يزي المهيمن السائد حزبا أو ديننا أو طائفة أو قومية أو قبيلة ..

· لايمكن ان يقبل الاعتراض لا على الكم ولا على النوع من أفكاره وهي بضاعته ومن يعترض على وزنه وجودة ورفعة أفكاره ليواجه إلا بالعنف والرفض والاستهجان فهو ولا غيره من يتحلى بأكمل الأفكار وأحسن البضائع في السوق والمجتمع على حد سواء.

· يتمنى ان يتم تدمير كل ماعداه ممن يحملون نفس البضاعة

· (الفكر) منافسة لفكره اوبضاعته حتى وان كانوا من المقربين.

· لايعرف سببا مقنعا للمتبضعين للتبضع منه أو من منافسه عدى قوة خفيه مستترة وراءها مدبر مجهول تتحكم في تصريف بضاعته أو كسادها مما تجعله يتمسك بالغيب والقدر والخرافة كمنهج في الحياة مفتشا عن حبل إنقاذ يخلصه من الوهم والقدر المخبوء والواقع الموبوء فلا ثقة بالنفس ولاقدرة على الفعل والمقاومة وهذا هو الهروب من المسؤولية والتعلق بقيود العبودية ، فهل لنا ان نسال بعد هذا عن بواعث وأسباب وكوامن الإرهاب والجريمة في عراق اليوم.

· وقد عبر الدكتاتور عن ذلك بعقلية إجرامية جهنمية سبقت الأحداث بإطلاقه سراح الآلاف من المجرمين والسفاحين والقتلة والسراق والمهربين من سجونهم قبيل انهياره وسقوطه

لتشكل سرايا من كلاب وذئاب مسعورة لسرقة الدوائر والبنوك والمصانع والمخازن والمستشفيات ودور العبادة والمزارع لتشل البنية التحتية وتحيل دوائر الدولة ومؤسساتها إلى ركام وخراب وبتشجيع وإسناد وتحريض من قوى خارجية وافدة مع قوات الاحتلال وبرضاها ، مما ساعد على استمرار حالة الانفلات الأمني وفقدان الأمان وعدم ترسيخ نظام القانون لأنه لا يصب في مصلحة مثل هذه النماذج التي أصبحت من القوى ذات السطوة والنفوذ بتغلغلها في مؤسسات السلطة الأمنية والعسكرية والسيطرة على عمليات التصدير والاستيراد في البلاد والعمل على عدم نضوج واكتمال بناء مؤسسات القانون والدستور ، كل ذلك ساعد أيضا على ان تقدم السلطات إلى دوام فرضها حالة الطوارئ وقمع كافة المحاولات للمطالبة بالحقوق والعمل ونقد الممارسات التعسفية وخرق حقوق الإنسان من قبل الأجهزة المخترقة من قبل المجرمين والقتلة و من بقايا أجهزة النظام السابق الإجرامية . المواطن حاليا يجد نفسه في قفص الاتهام والشك والريبة وهو يمر عبر نقاط التفتيش والسيطرات الحكومية العديدة لإعادة تدجينه وخضوعه لكل ما تقدم عليه السلطات تمهيدا لقيام دكتاتورية جديدة تحت حجج الطوارئ وتردي الظروف الأمنية ملتزمة كل وعود الحرية والديمقراطية ليعود الإنسان العراقي للخضوع لكابوس الخوف هذه المرة من قبل قوى الاحتلال وقوى السلطة ومؤسساتها الأمنية وقوى الميليشيات و الإرهاب المسيطر في أكثر محافظات العراق

وضع برنامجاً يبدو عفويا وتلقائيا وغير مقصود في خلق الأزمات المختلفة لتشمل مختلف نواحي الحياة وخصوصا ما يخص الحياة اليومية للمواطن العراقي فمرة أزمة الطحين أو التمن أو المعجون والغاز وصولا إلى الشخاط والملح بالإضافة إلى أزمات النقل... الخ ما يدفع الفرد العراقي للاصطفاف في طوابير انتظار طويلة وما يرافق ذلك من التدافع والحيل وبروز الأنانية الضيقة لحصوله على ما يريد مفضلا نفسه على ماعداه دون الاهتمام بالعمر والوضع الصحي وحاجة الآخر... حتى في الصعود للسيارة وحجز مقعد الجلوس خصوصا بالنسبة للعسكريين عند التحاقهم لوحداتهم حيث ينتظرهم الانتقام والويل والثبور ان هم تأخروا عن الموعد المحدد أو ما يسمى بالغاية... وليس خافيا ما يترك هذا التكرار ولسنين عديدة لهذا الفعل في اللاوعي للإنسان وتطبعه بروح الانوية الضيقة على حساب تجريف القيم الايجابية المتراكمة لديه كاحترام كبير السن والمريض والمرأة والطفل بحيث تؤدي به أنويته للتصرف وفق غريزة الفعل ورد الفعل المباشر فيكون فعل الاضطراب المؤقت فعل خيار دائم في اللاشعور. ومن الطريف في هذا المجال ان نرى التدافع وسحق الغير وإبعاده بشكل حيواني غريزي مبتذل أثناء الولايم العامة ومنها مايقام في المناسبات الدينية تقديسا واستذكارا للشهداء والمضحين وخصوصا من أهل البيت عليهم السلام متناسيا تماما الأهداف السامية والتضحية بالنفس التي قدمها الشهيد من اجل ان يغرر قيم الإيثار والتكافل الاجتماعي والبذل في سبيل الغير فينسى المتدافعون كل ذلك من اجل ان يسبق غيره

في الحصول على (معاون قيمة) أو (لغة كباب) غير مدركين ان فعلهم هذا هو قتل جديد للشهيد وقيمه السامية وابتعادهم عن القيم والمبادئ والأمر من كل ذلك إننا لم نزل نعيش بما هو اشد من الأزمات والطوابير والاختناقات في كل ما هو ضروري للحياة اليومية واستمرارها.!!؟؟!

• تناغم وتخدام الخطاب الديني (خطاب وعاطف السلاطين) والخطاب السلطوي لمسكنة الشخصية وإلباسها لباس المذلة والتبعية وجلد الذات بشكل جماعي عبر طقوس الصراح والنحيب والعيول وكان هذه الجماهير البائسة هي سبب كل ما حصل من إجرام وقتل وطغيان في التاريخ وليس كونها هي الضحية الأساسية في كل عصور الظلم والطغيان وبدل ان توجه نبالتها وسياطها لجلاديتها أخذت تجلد ذاتها وسط مباركة ودعم وارتياح الجلاد المتمثل بقوى التغيلل والتجهيل والاستغلال في مختلف العصور للوصول للهدف المشترك وهو إحكام السيطرة على سلوك الفرد والجماعة وانقياد الجمهور للسلطة الدينية والحكومية في ان واحد وكما ذكر ذلك خليل احمد خليل (المشترك بين السياسي ورجل الدين ليس هذا الجمهور المتدين المنقاد الذي يبوس يد الشيخ رمز الطاعة فلا يعود يتردد في بوس يد الحاكم (طاعته بلا شرط) وحسب بل ليضع وخصوصا استخدام كل الأجهزة ، كل المعلومات المتوفرة وحتى العلوم والفلسفات والتقنيات ... لتسويغ خطابها المشترك غالباً، المختلف أحياناً المنطوي دائماً على مشروع سيطرة وهمية في أن على الجمهور من فوق ومن داخله) (6)

• وقد لاحظنا هذا السلوك لكثير من الأفراد ومن مختلف المستويات والمواقع الاجتماعية دينية ومدنية وعشائرية وغيرها وهي تنكب على أيادي صدام حسين لتقبلها وخصوصا في أواخر أيامه عندما أصبح (عبد الله المؤمن) وبدت الحالة مقبولة وشبه شائعة كماهي بالنسبة للآيات والسماحات (الدينية) التي غالبا ماتوسط أيديها ليس للعطاء بل للتقبل والتبجيل من قبل الجمهور وسط الصلوات والتبريكات . ولاباس من بصفه من فم (المقدس) يتبرك بها الجمهور المعدم البائس للشفاء والرزق والدواء!!!.

• نخلص من كل ذلك وغيره مما لا يسع له المدرس والمقال من طرق اختراق الذات العراقية وتحويلها إلى مسخ ضيق وبيعاء مصفق مردد شعارات السلطة ومقولاتها وإلى متسول أخلاقي ومدعي كاذب لا يشعر بأي حرج في لبس وتبديل وتنوع الأقنعة حسب المطلوب في ساحة المزایدات السياسية والاجتماعية كنتيجة طبيعة هيمنة على اللاوعي من خلال تنقله بين أكثر من مهنة وعنوان خلال العام الواحد وحسب طلب سوق العمل الراكد وخضوعه إلى آليات غير مفهومة سائرا مع القطيع دون ان يعرف الهدف يشير إلى ذلك الدروبي قائلا (الشخص بخضوعه المتوالي بغض النظر عن الظروف الاخضاعية لمبادئ وإرادة الجماعة يتحول إلى مدافع عنيد عن تلك المبادئ وعن نهك الإرادة التي تجذرت تاريخيا في جملة مواقفه النائية بسبب هذا الخضوع حتى أصبح من غير الممكن له تحديد أو فصل إسهاماته في المجتمع في تحديد حيوية مواقفه وأرائه) (7). مما يجعل

الشخص يسلك مثل هذا السلوك عدة عوامل ومن بينها:-

الانتماء الديني :- فانه أكثر تعقيدا واشد باسا من إيه من الانتماءات الأخرى (مثل الانتماء الايدولوجي) فهذا الانتماء لا يمر عبر المرشح العقلاني إلا نادرا . ثم حين يمر منه يمر مدعوما بقوة العاطفة وبعض فضائل القدسية فالانتماء الديني يورث تورثا وليس لدى الفرد إلا احتمالات قليلة جدا لإعادة صياغة موقفه وانتماءه الديني)

فالانتماء الديني على مر العصور وفي وقتنا الحاضر، يجعل الفرد على استعداد لدفع حياته إلى النهاية وذلك ليس في سبيل الحفاظ على هذه الدائرة الانتمائية فقط بل وبغية توسيعها من حيث الكم الانتمائي ايضا كما نلاحظ ان الانسان يزداد تعصبا وتمسكا بانتماءه الديني بازدياد سيطرة هذا على شعوره الانتمائي وبازدياد تلبية هذا الانتماء لحاجاته المادية والروحية وانسجاما مع هذا، ينخفض استعداده للدخول في أي نقاش أو لاكتساب أية معلومات لها ان تثير أدنى شك بسلامة انتماءاته الدينية، وهذا يعود، إلى محدودية الأطر الانتمائية المتوفرة له والتي كان يمكن لها ان تشبع الحاجات الانتمائية الروحية والتحقيقية الوجودية (8) وهذا ما يفسر لنا ظاهرة الاحتراب والافتتال الطائفي الديني في عراق اليوم . مثل حالة الوصف السابق الذي أوردناه في الدراسة وسيادة كونفورميا اجتماعية متكلسه ومتخلفة ومتصلبة مما يشجع إلى سعة انتشار وإشاعة احد أنماط السلوك الاجتماعي الخطيرة إلا وهو :-

النمط التآقلمي الابدترازي (الفرد من هذا النموذج يستوحي نشاطه من أهدافه الحقيقية الوجودية المباشرة ويقتصر في ذلك على غاياته النفعية فهو لا يهتم بما يتوصل إليه من حقائق حول سلامة الدور الوظيفي الاجتماعي للعلاقات والمبادئ ولا يقف عند توعيتها وإنما يحدد علاقته معها بناء على ما تقدم له هذه العلاقة من خدمات شخصية مباشرة . ويتفسير عالم النفس فرويد فان هذا الإنسان يرمي إلى الحياة الاجتماعية كونها وسيلة وهي لا تمثل له غاية أبدا وعليه لا يهتم بها إلا من الجانب الواسيلي . فان هذا الشخص لا يتوانى عن الانسياق كما يريد النظام الكونفورمية لا يدخر جهدا من إعلان قرار التزامه الكونفورمية وكثيرا ما يظهر بمظهر المدافع الحريص على ما اقتضاه النظام الكونفورمي . وبعبارة أخرى فهو لا يعول كثيرا على قناعاته ومعارفه المجردة في تحديد نشاطه . وينطلق بحثا عن الأوجه في هذه المبادئ التي يمكن استخدامها في تحقيق أهدافه المادية والروحية.... ففي حين يرمي الهدمي السلبي (من أنماط المناضلين) بذل الجهد في حدود الممكن لتفسير علاقات كونفورمية (مريضة) يرمي التآقلمي الابدترازي إلى المتابعة الحريصة للتحويلات الجارية في المفاهيم الكونفورمية بغية الاستثمار إلا مثل لما يمكن لها ان تقدم له من إمكانيات لتحقيق مأربه الغالب في توجهاته الوجودية الاجتماعية . مستبعدا من نشاطه أية إجراءات تنطوي على تضحية دون مردود مباشر ومضاعف (وللحسنة عشرة أمثالها) (وللدينار عشرة أمثاله) (9) . ولنا في كثير من النماذج التي خلعت مظاهر الطاعة للنظام الملكي ولبست الأربطة حمراء وتطرفت بطرح الشعارات الشيوعية في أيام

المد الأحمر بعد ثورة تموز 1958 والتي سرعان ما غيرته وارتدت بدلة الحرس القومي (الفاشي) بعد انقلاب 1963 الأسود وركبت موجة التصحيح الذي قاده عبد السلام عارف ضد البعث وتصدرت حملة مطاردة البعثيين والحرس القومي ثم تزييت بالزى الزيتوني وادعت التصحيحات من اجل ثورة 17 تموز 1968 وكيف أصبحت من عبيد الطاغية ومسبحة بحمده ونعمته وشعاراته ليل نهار واقترحت وضع تمثاله الذهبي في مدار خالد حول الفضاء وانتخابه مدى الحياة وها نحن نراها الآن وقد ارتدت العمامة وتختمت بالخواتم وكوت جباهها لتبدو سيماهم في وجوههم من اثر السجود وهي تغير جلودها وألوانها وأصواتها أسرع من أية حرباء وابرع من أي قرد أو مهرج وبالتأكيد سنرى مثل هؤلاء أول من يلبس وجوه أي تغير مرتقب سواء كان محرماً أو مكروهاً أو واجباً أو مستحباً!!!!

تسعى الأنظمة الديكتاتورية والفاشية في كل مكان ان تلبس لباس الدين بشكل مباشر كآله والإمبراطور وال خليفة وأمير المؤمنين فإنها تسعى لخلق طبقة من (وعاظ السلاطين) الذين يرتدون عمائم وجلابيب وخواتم المتدينين لإسناد حكمهم وشرعنة مظالمهم واغتصابهم للسلطة وكبح لتطلعات وطموحات الجمهور نحو الحرية والرفاه والديمقراطية والأمن وفي هذا يقول خليل احمد خليل (الجمهور هو قيمة استعماله تبادلية يتبادلها السياسي ورجل الدين ويستلبان طاقات القوى المنتجة) كل الشعب العامل ماعدا القوى التي تستغله هذا الواقع الاجتماعي للجماهير هو الذي يفسر كونها الظرفي واستسلامها الراهن والعابر

ايضا ، إزاء التحديات المتواصلة كما يفسره ايضا بعد القمع السياسي الديني للعلمانيين والديمقراطيين والبراليين في العالم العربي ، الذي وصل إلى أقصى اليمين ، غياب الطبقة الثقافية أو الطليعة السياسية ، المفصولة عن الجماهير بقوة الديكتاتورية السياسية -الدينية العامة ، وهكذا وسط انحدار الثقافة العلمية السياسية وفصل ماتبقى منها نابضا عن الجمهور العربي ، أمكن تسلل الاصوليات ((الظلامية)) إلى داخل الجمهور حيث قدمت نفسها كثقافة سياسية بديلة وكحل ((جديد) للقضايا القديمة)) (10)

ولا يفوت الدارس والمراقب للظواهر التي أعقبت اختفاء رمز الدكتاتور السابق كيف التف الجمهور حول الرمز ومشروع الدكتاتور اللاحق الذي وظف بعلم أو دون علم أو كونه بالنتيجة مشبع بفكرة التقديس وعبادة الفرد وثقافة الرمز الأوحد والقائد الممجد ليعوض للجمهور ما افتقده وأدمن عليه من مظاهر التقديس وعبادة القائد الضرورة والمخلص مضيفا اليه هذه المرة القدسية الدينية والموروث الجهادي للشهداء والمناضلين وضحايا الدكتاتورية الصدامية ليضيفه إلى رأسماله الاجتماعي وإتباع نفس الأساليب والوسائل الديماغوجية والهستيرية القطيعية ومعالجة عقدة النقص والاهانة والدونية التي يحس بها عدد غير قليل من الجمهور الشاب خصوصا في عهد الدكتاتورية فيثار لنفسه عند امتلاكه السلاح والتخويل من قبل الرمز لإذلال الناس وكبت الحريات تحت مختلف الحجج والذرائع والظهور بمظهر المتسلط الحاكم المقتدر وليس ذلك المنبوذ المهان المستلب

الذي يجب ان يهابه الجميع مقلدا في ذلك مامورس ضده من قبل ألام الدكتاتورية ولكن ضد أبناء وطنه المسالمين المظلومين الذي يدعي انه جاء لتحريرهم من الظلم والطغيان

إننا إذ نسهب بالتعريف والوصف لطرق ووسائل مسح الإنسان العراقي واستعراض النماذج الناتجة عن هذا التفكيك وإعادة التركيب وفق هوى الديكتاتورية وقوى الظلام والجريمة لانعني أبدا ان هذه القوى تمكنت من ترويض وتدجين وتعفين وقرذنة كل أبناء الشعب العراقي ذو التاريخ الكفاحي المجيد لابل رأينا آيات من البطولة والصمود والمقاومة وهي كنجوم زاهرة في ليل الظلم والظلام وشموسا يمكن للأجيال الاهتداء بنورها واحتفاظها بمبادئها وإنسانيتها ووطنيتها وحبها للخير والسلام والعدالة والرفاه وقدم الشعب آلاف الشهداء على طريق الحرية والسيادة والازدهار ومن مختلف الألوان والأطياف والعقائد والأديان والمذاهب والأحزاب السياسية دينية كانت ام علمانية وإنما أردنا ان نضع أيدينا وأيدي كافة العراقيين المخلصين وحسب اجتهادنا المتواضع جدا على بعض مواطن الخلل التي انتابت الشخصية العراقية وأفرزت الكثير مما نشهده ونعاني منه في عراقنا اليوم من الفساد والجريمة والتخلف والعمل على اجتثاث أسبابها ومسبباتها والعمل الجاد والمثابر لإيجاد الأرضية الخصبة والأساس المتين لبناء الذات العراقية الفاعلة لتخليصها مما علق بها من الأدران والسلوكيات السلبية واستئصال كافة العوامل والممارسات الباعثة والمولدة للأناية وضيق الأفق ونبذ الآخر وتهيئة الظروف العمل والتعليم والثقافة لزرع القيم الإنسانية

الايجابية الطاردة لمسوخ عهد الظلام
والاستبداد والديكتاتورية ومخلفات وإفرازات
الحروب الخارجية والداخلية القذرة.

المصادر

1- محمد الدروبي-وعي السلوك-الكونفورميا
وأنظمة الوعي ص 2004 دار كنعان الطبعة
الأولى.

2- المصدر نفسه ص 2208

8- المصدر نفسه ص 196

9- المصدر نفسه ص 200-201

3- من (النضال الطبقي في فرنسا من 1848-
1850) دار التقدم موسكو.

4- ص 44 من المصدر نفسه

5- ص 28 من المصدر نفسه

6- خليل احمد خليل سوسيولوجيا الجمهور
السياسي الديني في الشرق الأوسط
المعاصر ص 334 -المؤسسة العربية للدراسات
والنشر الطبعة الأولى 2005.

7- ص 188 من المصدر نفسه

**الملائففة إءى منءءاء الأءلف الاقءصاءى
والفءرى؁ وسلب الأرىاء للأنظمة
الءىءاءورىة ...**

الظاهرة الطائفية وإشكالية بناء الدولة المدنية

بدور الحديث عن الطائفية والطوائف في أوساط الناس من ذوي الثقافة وغيرهم، وغالباً ما يتم التركيز على توصيف الظاهرة وعدم التعريف بها، وهذا نهج متأت عن جهل لجوهر

ومضمون الظاهرة وجذورها التاريخية. هذا ما يحدث فعلاً وخصوصاً في ظل هيمنة ثقافة التغالب والادعاء وحب التظاهر والارتقاء التي غالباً ما تكون سائدة خلال فترات التحولات الهامة إن لم نقل الكبرى والتي يصاحبها حالة فك عقدة اللسان للإنسان المقهور والمهمش من قبل الأنظمة السلطوية والأعراف الاجتماعية الاستبدادية، وإن كان هذا نابع عن جهل أو قلة معرفة فإن هناك من يسعى ويبذل جهداً فكرياً كبيراً من أجل أن يظل سر نشوء وترعرع الظاهرة الطائفية مستورا موارى خلف ستائر القدسية والأغطية الأيديولوجية التي تسعى لتأييد حالة الجهل والعمى الفكري لجمهور مضلل معطل مكبل بقيود أيديولوجيا قوى ترى في الظاهرة الطائفية وتأييدها خدمة كبرى لدوام سيطرتها، سواء في سدة السلطة الحاكمة أو على وسادة ومنبر المجتمع عبر جمهور مقهور ومبهور ومضلل يقاد بسلاسل وهمية ترسم عليها رموز مقدسة، يوحى للمقاد من خلال استحضار أشباحها أنها تعطي دعمها وتدعم هؤلاء باعتبارهم وكلاء وأمناء ومستودع سر هذا المقدس.

وهنا لابد من سؤال:

هل الظاهرة الطائفية هي ظاهرة تخص الدين الإسلامي دون غيره؟



طبعاً إن الجواب سيكون بالنفي حتماً حيث إن هذه الظاهرة موجودة في كافة الأديان سواء السماوية منها أو (الوضعية) كما هو حال التشطي والانشقاق في كافة الحركات والأحزاب السياسية العقائدية، وهذا هو حال المسيحية واليهودية والبوذية وغيرها، وهذا مما يجب أن يوفر للعقل دليلاً قوياً كون هذه الظاهرة ليست وليدة عقل خارق مفارق أو نتاج مفكر متأمل، إنما هي حالة نابعة ومولدة من رحم حراك اجتماعي دائم التغير والتبدل والتجدد باعتباره صراع مصالح قوى وطبقات وفئات اجتماعية مختلفة ذات بنية تحتية معينة، وفي مستوى من التطور أو مستوى معين من الصيرورة تستدعي أن يكون لها غطاءاً أيديولوجياً في البنية الفوقية يدعم وجودها ويؤمن لها الركائز الفكرية للديمومة والبقاء في حلبة الصراع الدائر بينها وبين نقيضها الطبقي.

لكن الذي يهمننا هنا ضمن هذه الدراسة هي الظاهرة الطائفية كما تمظهرت في الطوائف الإسلامية وبالخصوص ما أطلق عليه (الطائفة السنية) و(الطائفة الشيعية) باعتبارهما محور الصراع الطائفي على امتداد التاريخ العربي الإسلامي ودوله المختلفة منذ عصر صدر الإسلام ولحين التاريخ.

إن من يتفكر جذر نشوء الظاهرة الطائفية يستطيع أن يستنتج أنها ليست مشكلة إيديولوجية وإنما هي مشكلة سياسية في الأصل، أو تمظهرت وترعرعت في رحم الصراع بين طبقة التجار ومواليهم وبين جمهرة فقراء المسلمين، عرب وغير عرب، لتسلم منصب وصولجان السلطة والحكم، وقد تم تغطية وجه الصراع الحقيقي بين المصالح بغطاء من النصوص والطقوس وانتعش سوق رواة الآيات والحديث والذي يبدو انه واقع حال خالي الغرض لو تم تفكره أفقياً كصراع بين صحابة رسول الله (ص) بغض النظر عن انتماءاتهم الطبقية، ولكن لو يتم تفكره عمودياً لتوضحت معالمه الطبقية في ذلك العصر، فبعد أن تمكن- تجار قريش من إقصاء كل ما عداهم من المهاجرين والأنصار ممن بذلوا المال والدماء والتضحيات الجسام في نصرة وثبات الإسلام، استبعدوا من الخلافة نظراً لعدم وجود صلة قرابة دم تربطهم برسول الله (ص) كون الرسول من قريش، بمعنى إن حق القبيلة أولى بالخلافة حسب ما زعموا وكانهم نسوا أو تناسوا حديث النبي (لا فرق بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى) فاختزلوا التقوى في صلة الرحم والدم، ولعل قصة مقتل سعد بن عبادة الأنصاري الذي دخل المنافسة مع أبي بكر لخلافة الرسول كمثل للأنصار من

قبل الجن معروفة في هذا المجال فتم اغتياله والتخلص منه، انتقل الصراع بعد ذلك من قريش وغيرها من قبائل العرب إلى مَنْ مِنْ قريش هو الأحق بالخلافة؟؟

نرى أن قريشاً وتجارها تنكرت لمبادئها التي أقصت بموجبها بقية المسلمين من حق الخلافة ألا وهي علاقة قرابة الدم والذي يستوجب أن يكون الإمام علي(ع) أو فلنقل بني هاشم هم الأولى في الخلافة وفق مبدأ القرب من رسول الله(ص).

وقد كان هذا الإقصاء مبنياً على أساس المصالح الطبقية، وقد أتى متخفياً ومستتراً خلف حزمة كبيرة من النصوص والروايات المتصارعة، واستطاع أن يكسب المعركة السياسية متخلياً عن قاعدة المبادئ التي تمسك بها الإمام علي وأنصاره ومشايعوه. فارتأت ارسنقراطية قريش أن تختار أبو بكر الصديق(رض)، الصديق والنسيب للرسول ليكون مقبولاً من قبلها لتسئم الخلافة، والغير مرفوض بقوة من قبل عامة المسلمين وفقرائهم رغم ميلهم للإمام علي وأنصاره كمالك الأشتر وأبي ذر الغفاري وسواهما، أي حصل ما يشبه الهدنة والتوافق الطبقي آنذاك وإن كان قلقاً، وقد انعكس على خيار أبي بكر الصديق لعمر بن الخطاب الذي لقب بالفاروق حيث كان أكثر ميلاً للمبادئ الإسلامية وللفقراء والتمسك بالقيم التي جاء بها الإسلام وعدم المجاملة في قول الحق وتحققه، كما كان مجلسه مفتوحاً أمام الإمام علي(ع)، أي إن صوت المبادئ وصوت فقراء المسلمين كان مسموعاً بشكل واضح في ديوان خلافة عمر وقد جسدتها المقولة المشهورة (لولا علي لهلك عمر) والتاريخ يتحدث بالكثير

من الشواهد المؤكدة حول هذا الأمر وقد ذهب عمر ضحية توجهه هذا، فإن كانت يد الاغتيال فارسية الانتماء فإن العقل المدبر عربي أموي قرشي النسب ارستقراطي الانتماء الطبقي، أراد بهذه الفعلة أن يتدارك هيمنة أنصار كفة فقراء المسلمين بقيادة الإمام علي والغفاري وأنصارهما فالتقى بقتل عمر دافع الثأر القومي الفارسي والحقد الطبقي الارستقراطي العربي الأموي خصوصاً الذي عبر عن حقيقة خيانة أهل الثروة والمال لمبادئهم مهما كانت تدعي الرفعة والسمو حينما تتهدد مصالحهم الطبقيّة الممثلة في انحياز عمر لصالح الفقراء والحد من ثراء الأغنياء، فقد روي عن عمر في آخر أيامه قوله: (لئن عشت إلى هذه الليلة من قابل لألحقن أخرى الناس بأولاهم حتى يكونوا في العطاء سواء). كما ذكر عنه (لو استقبلت من أمري ما استدبرت لأخذت فضول أموال الأغنياء فرددتها على الفقراء) [134]

فباغتيال عمر عجلوا وصول الخليفة الثالث عثمان بن عفان (رض) لتولي الخلافة باعتباره النموذج الأمثل لتحقيق طموحات تجار وارستقراطية قريش بقيادة معاوية بن أبي سفيان لتحقيق مقاصدهم لحيازة الثروة من الغنائم التي بدأت تتدفق بكميات هائلة على بيت مال المسلمين نتيجة التوسع في الفتوحات الإسلامية في عهد الخليفة الثاني (رض).

وقد كان ما كان في عهد الخليفة عثمان بن عثمان (رض) حيث أصبح بيت مال المسلمين حكراً على بني أمية وأشراف قريش فتملكوا أطيافنا وضياعاً وكنزوا سبائك الذهب والفضة وملك أيمانهم الجواري والعبيد وقطعان من

الإبل والمواشي تبهر الأبصار، في الوقت الذي كان يعاني فيه عامة المسلمين من الفقر والفاقة والعوز. (لقد بالغ عثمان في إسناد هذه الطبقة فوضع بيت المال تحت تصرفها وأطلق للصحابة وغيرهم اقتناء الأموال وتملك العقارات والتنقل بين الأمصار دون أي قيد)[135]

وأدناه نموذج لمدى كنز المال والغلال لعثمان وبعض مناصريه في ذلك العهد:

(عثمان بن عفان/ من النقد: 150 ألف دينار ومليون درهم، قيمة الأراضي والعقارات 100 ألف دينار.

الزبير بن العوام: من النقد 50 ألف دينار/ أموال مختلفة: 1000 فرس و 1000 عبد)[136]

وللتاريخ قول كثير في هذا الوقت من وصف حركات المعارضة والرفض والتمرد على ما آلت إليه الحال وطريقة صرف وتوزيع الأموال، وقد كان أبو ذر الغفاري صوتاً هادراً لا يهادن في كشف هذا الظلم والحيث دائم التحريض على الرفض والثورة من أجل العدل والمساواة بين المسلمين، فنبذ منغياً ومات وحيداً في الريدة بأمر من عثمان وبتحريض من معاوية، وقد كان نفيه وموته أحد أقوى أسباب تراكم الغضب لعامة المسلمين ضد عثمان، وكان ما كان من أمره تحت فورة وغضب مناصري العدل والمبادئ الذي تتوج بقتل عثمان ومبايعة الإمام علي من قبل جمع فقراء المسلمين الثائرين باعتباره إمام الفقراء والمقهورين وميزان الحق والعدل، وطبعاً لم تستكن أرسقراطية قريش وعقلها المدبر معاوية بن أبي سفيان حيث البس النزاع قميص عثمان والمطالبة بشأره، فكان مظهراً واضحاً من مظاهر قوى الاستئثار

الطريقي لينتقل الصراع من ساحة الأفكار والروايات إلى ساحة السيوف والرماح والصراع الدامي الطاحن بين مختلف الأطراف الذي حاولت العديد من الأقلام والدراسات ذات النظر الأفقي أن تصوره عداءاً شخصياً بين أفراد وروايات ووصايا، وليس صراعاً بين مصالح فئات وطبقات مستأثرة وطبقات محرومة ومهمشة. انه صراع بقيادة أهل الإيثار بزعامة الإمام علي وأهل الاستئثار بقيادة معاوية ورهطه.

فهل كان خلاف طلحة و الزبير وأعوانهما مع الإمام علي(ع) وصحبه خلافاً شخصياً أم خلافاً على كمية ونوع العطاء من الغنائم وإعطائهم المناصب، فكان باعثاً لمعركة (الجميل) بزعامة عائشة أم المؤمنين رمزاً شخصياً ومشخصنا للصراع للتجمع حول ناقتها الجموع المؤملة والمضللة، ومن المعلوم إن استمرار الصراع والمعارك الدامية بين معاوية ابن أبي سفيان نقيب بني أمية وأهل الثروة والجاه ضد الإمام علي نقيب بني هاشم ورمز المستضعفين والفقراء، وخصوصاً معركة صفين وما نجم عنها وما تلاها من أحداث وانقسام صفوف المسلمين، حتى انتهت باغتيال الإمام علي(ع) في محراب صلواته في الجامع من قبل ابن ملجم، فلم يستطع إمام الفقراء أن يتفرغ ولم تكن له الوسادة خلال خلافته لتركيز مبادئه وخططه ومساعيه لنشر قيم الإسلام الجوهرية في العدل والمساواة ورفع الظلم ومحاربة الاستكبار، وقد وصف هادي العلوي فترة حكم الإمام علي بالحدث العابر نتيجة لقصر المدة والانشغال في المعارك والحروب فـ(...حكم علي بن أبي طالب كان أشبه بحدث عابر في خضم الأحداث، وانقضت سنواته الأربع في

مكافحة التمردات التي أثارها عليه أشرف العرب وأدت في النهاية إلى انهيار الخلافة واستيلاء الأمويين كممثلين للطبقة العليا على السلطة، ليفتحوا صفحة جديدة في حكم الاستغلال[137].

وبغض النظر عن ظاهر من يقف وراء جريمة مقتل الإمام علي(ع) إنما كانت بتدبير ارسنقراطية قريش وبرزعامة معاوية وأنصاره، مما قلب موازين كفة الصراع لصالح قوى الثراء والمال والسلطة، كل هذه الممارك التطبيقية الدموية الطاحنة بين الأثرياء ورموزهم، وبين الفقراء ورموزهم من المسلمين دارت تحت يافطة من هو الأحق بالخلافة؟؟؟

متخفية تحت حجج ونصوص وروايات منقولة ومنحولة ومفبركة مخفية حقيقة هذا الصراع والذي امتد كما هو معروف قرونًا من الزمان طوال الحكم الأموي والعباسي والعثماني وما بعدهما ولحين التاريخ، تحت ما يسمى الصراع الطائفي بين السنة بمختلف أطيافهم وأوصافهم وبين الشيعة بمختلف أطيافهم وفرقهم (بدأ الشيعة حزباً سياسياً تحول بالتدريج إلى حركة معارضة سرية، وفي النهاية تطور إلى طائفة دينية بارزة ... ولكن زعماء الشيعة فشلوا في انتزاع الخلافة من السنة فإنهم عانوا من بطش السلطة الحاكمة، هذا البطش الذي بات دوماً مصير هذه الحركات، لقد اكتسب الشيعة الكثير من مميزات أقلية مضطهدة)[138].

وهنا يتبادر للذهن سؤال يقول: ما هو سبب الإخفاقات المزمنة لحركات الفقراء ومن يندرون أنفسهم للدفاع عن جوهر الرسائل

الإنسانية على امتداد التاريخ العربي الإسلامي؟؟؟

نرى إن السبب الرئيسي لذلك كامن في بنية هذه التشكيلة الاقتصادية الاجتماعية وطبيعة الدولة الريعية الخراجية مما حال دون بلورة طبقة برجوازية ناهضة منتجة، بل كتلة هلامية من التجار المرابين والعييد والأقتان والحرفيين والصناع الصغار جندت ووضبت بمجموعها لخدمة متطلبات قصر السلاطين من وسائل الراحة والترف والكماليات لهم ولحاشيتهم ونسائهم وجواريهم وغلمانهم، وكانت تعتمد على توفير مستلزمات جندها وعساكرها عن طريق الاستيراد والمتاجرة المبنية على مبدأ وأسلوب المقايضة، أو طبقة التجار المستوردين وليس المنتجين وبالاعتماد على جلب أعداد كبيرة من العبيد والجواري للعمل في قصور وضياع الأمراء والسلاطين وأمراء الجيش.

كانت هناك إرهابات لنواة طبقة برجوازية منتجة في بدايات العصر العباسي، رافقتها حركة فكرية فلسفية صاعدة عرفت باسم المعتزلة أو الفكر المعتزلي وخصوصاً في البصرة والكوفة وبغداد باعتبار هذه المدن من أكبر حواضر المدن العباسية، وقد تبنى بعض خلفاء بني العباس وخصوصاً المأمون هذه الحركة، فقطعت السلطة طريق تطورها الطبيعي وهي لم تزل تحبو كحال مولدتها البرجوازية الناشئة، فقد كانت هذه الحركة تدعو إلى عقلنة أساليب وآليات الحكم وبناء الدولة، واعتمدت التفكير والتدبر العقلي المتسائل بعيداً عن التقليد والجمود النصي المتبع في إصدار الأحكام والقرارات والافتراءات، متأثرة في كثير من أطروحتها بالفلسفة اليونانية والفارسية

التي برع العديد من (أهل الذمة) في ترجمتها إلى اللغة العربية، ومن بين هذه الحركات والدعوات حركة أخوان الصفا وغيرها من حركات المتصوفة ومن تم اتهامهم بالزندقة والارتداد، حيث كانت حركة فكرية تمور بالحياة والتساؤل والحركة بين معتزل متفلسف ورافع سيف محارب أو مرتدي خرقه متصوف أو لا مبال ماجن أو موال للحكم والسلطان، إنها إرهاصات عصر تنوير لم يكتب لها الحياة والتطور بسبب انسدادها الموضوعي الكامن في البنية الاجتماعية الاقتصادية القاصرة. لم تطل فترة ازدهار هذه الفلسفة ونفوذ هذه الطليعة التطبيقية الداعية للتثوير والتنوير التي لم تكن متوائمة مع طبيعة الدولة الخراجية ونظام توريث السلطة والخلافة غير المنسجمة مع الفكر المتسائل المتجاوز، ولا تتفق مع الآلية الثيوقراطية التوريثية في الحكم، فأدار لها خلفاء بني العباس بعد المأمون ظهر المجن وحورب أنصارها ومتبعوها والداعون إليها كما حورب رافضوها في بداية الأمر، بالعكس مما حدث في الغرب حيث كان للبروتستانتية دور كبير في دعم نضال البرجوازية الصاعدة وتقديمها في هدم سلطة الاستبداد الإقطاعي وتطور الصناعة والتجارة حيث يذكر ماكس فيبر

((من المعروف جيدا إن البروتستانتية كانت احد أهم العوامل في تطور الرأسمالية والصناعة في فرنسا)[139].

لاشك إن التاريخ يحدثنا عن انتفاضات وحركات وثورات دامت سنينا طوال تقارع السلطات الثيوقراطية الوراثية، ومن هذه الثورات والانتفاضات ثورة الزنج

((كانت ثورة الزنج حركة ضيقة لا تنطوي على برنامج دقيق ونظرية تضمن لها البقاء والانتشار الواسع)[140])

وعموم جمهرة الفلاحين والداعين للعدل والمساواة وحركة البابكية وثورة القرامطة والإسماعيلية، بالإضافة للمعارضة العلوية المستمرة طوال الحكم الأموي والعباسي وما بعده تحت حجة أحقيتهم بالخلافة والحكم باعتبارهم أهل بيت الرسول، هذا الحق المهذور الذي غالباً ما يكون ستراً للكثير من الطامحين للسلطة والثورة أن يتستر به وباباً عن طريقه يدخل قلوب المتذمرين والناقمين على السلطان في مختلف العصور، ولكن سرعان ما يعادون وينكلون برموز العلويين (أهل الحق) عند وصولهم سدة الحكم كما فعل العباسيون عندما استتب لهم الأمر بعد إسقاطهم للخلافة الأموية.

لم تستطع هذه الزعامات لهذه الانتفاضات والثورات أن تتجاوز عجزها الموضوعي بإنتاج أيديولوجيتها الخاصة بها المعبرة عن مصالح القوى المنضوية تحت لوائها من الفلاحين الفقراء أو العبيد أو من أبناء القوميات المضطهدة والمحرومة، بل ظلت متلغفة برداء الأيديولوجية الدينية السائدة لتنتج ركائز نقيض طبقي واضح المعالم والأهداف، بل غالباً ما تستند إلى خطاب أخلاقي والعودة إلى المثل والمبادئ التي تدعيها الطبقة الثيوقراطية النقيض، مما جعلها تدور في نفس الفضاء الفكري والثقافي لنقيضها دون أن تستند إلى نظرية أو منهج فكري يفكر وينظر لأسباب استغلالها وينير لها طريق ووسيلة وأداة الخلاص والانعقاد من نفس التشكيلة والبنية المحددة والكابحة والمعيقة لتطورها وهيمنتها، فالتاريخ

يتحدث عن الكثير من انتفاضات العبيد (سبارتاكوس) وما قبله وما بعده وكذلك انتفاضات الفلاحين وعموم المقهورين، ولكنها كانت تحصد الفشل والانكسار ومنها ثورة (1920) ضد الاحتلال البريطاني للعراق، بسبب عدم وجود قيادة فلاحية للانتفاضة، وإنما كان قادتها من قوى إقطاعية وعشائرية حيث يذكر ل.ن.كوتلوف

(كان للمواقف السياسية لقيادة الثورة أثر كبير في تقرير مصيرها. وكان تكوين القيادة بالأساس من رجال الدين وشيوخ القبائل، وكان للفئات الانهزامية نفوذ كبير في قيادة الثورة)[141].

وكان مفاتيح النصر والتحول الجذري في تاريخ الشعوب وضعت في يد وعقل الطبقة البرجوازية التي استطاعت أن تعي ذاتها وتعمل لذاتها وتنتج فكرها ونظريتها في المكان والزمان المناسبين لتحرز الانتصارات الكبرى في التاريخ على نقيضها الطبقي الإقطاع والحكم الاستبدادي الثيوقراطية والملوكي المطلق بمختلف أطيافه وتمثله بما فيه عزل الدين السياسي وعزل الكنيسة وممثليها عن السلطة والدولة، وبذلك تمكنت من عزل سلطة وتحكم رجال الدين على رجال السياسة والحكم بعد أن كان لا دين بلا سياسة ولا سياسة بلا دين كما هو الحال ما قبل فترة النهضة والتنوير وما قبل الثورة الصناعية، فعمدت البرجوازية الغربية إلى وضع أناجيلها وقوانينها وثقافتها العملية الإنسانية الأرضية على شكل دساتير خاصة بها تسند بناء دولة ديمقراطية حديثة في العديد من البلدان المتطورة كبريطانيا وفرنسا وغيره من البلدان الأوربية وكما ورد في البيان الشيوعي:

(تجر البرجوازية إلى تيار المدنية كل الأمم، حتى أشدها همجية، تبعا لسرعة تحسين جميع أدوات الإنتاج وتسهيل وسائل المواصلات إلى ما لا حد له.... وتجبر البرجوازية كل الأمم، تحت طائلة الموت، أن تقبل الأسلوب البرجوازي في الإنتاج وأن تدخل إليها المدنية المزعومة... فهي باختصار تخلق علما على صورتها ومثالها)[142]

، ولكن هذا الحراك لم يحصل في البلدان الخراجية المتخلفة نظرا لبقاء رحمها قاصرا عن حمل وولادة طبقة برجوازية منتجة لتكون النقيض الفاعل للطبقة الثيوقراطية الإقطاعية في الماضي وشللها كطبقة قوطاوية - اشتقاق من قبل الكاتب مركب من الإقطاع والبرجوازية باعتبار الأخيرة مرتبطة برحم الأولى ولم تنزل في البلدان التابعة - في العصر الراهن وتبنيها وتسترها بالأيدولوجية الطائفية وليس بأيدولوجية الطبقة البرجوازية الوطنية المنتجة بانية دولة الحداثة في العالم المتحضر كما يذكر ذلك مهدي عامل

((إن ما يميز الأيدولوجية "الطائفية" من حيث أيدولوجية البرجوازية الكولونيالية هو بالتحديد، علاقة الضرورة التي تربطها، في تكوينها التاريخي، وفي حركة تجدها أو إعادة إنتاجها، بالنظام السياسي للسيطرة الطبقية، وبالذولة، أداة هذه البرجوازية الكولونيالية، هو بالضبط كونها أيدولوجية سياسية لا أيدولوجية دينية، وفي هذا يكمن طابعها الطبقي البرجوازي الذي تتميز الأيدولوجية الدينية)[143].

ومن ميزات البرجوازية أنها تحقق ذاتها وكذلك تمهد الطريق وتقدم الأدوات والوسائل لحفار قبرها ونقيضها الطبقي لطمرها، الطبقة

**العاملة وأنصارها بعد أن تعي ذاتها وتعمل
لذاتها، وهذا ما لم يحصل ولم يتوج بالانتصار
لحين التاريخ!!!**

**إن الذي يهمننا من العرض الموجز أعلاه بيان
حقيقة ما يسمى بالصراع الطائفي والجذر
التاريخي للطوائف، هذا الستار الأيديولوجي
الذي تتخفى خلفه القوى الطامحة للسلطة
السياسية بعد أن موهت وغطت وطمست
جوهره كصراع بين فئاته وطبقاته الاجتماعية.**

**((إن العنف الطائفي في كل مكان من العالم لا
يقبل اليوم فجاجة، ولا يقل اختزالية، عما كان
قبل ستين عاما. فورااء دعم الوحشية الفظة،
يوجد أيضا اضطراب مفاهيمي حول هويات
الناس، يحول البشر متعددي الأبعاد إلى
مخلوقات ذات بعد أحادي))[144].**

الظاهرة الطائفية في العراق المعاصر

وبعد أن عرضنا للجذر التاريخي للطائفية وطبيعة القوى المستفيدة من تأييده وتكريسه يجدر بنا الإجابة على السؤال التالي: ماذا تمثل الطائفية في العراق المعاصر؟

ومن هي القوى المستفيدة من ترسيخ الطائفية في المجتمع العراقي؟ وما هو السبب الكامن وراء هيمنة الفكر والسلوك الطائفي في عصرنا الراهن وللإجابة عن السؤال الأول نقول: إن الطائفية في عراقنا المعاصر تتمثلها وتتخفى تحت قناعها الطبقة البرجوازية العراقية التابعة والمعاقبة وبالتحالف والتخادم مع الإقطاع المولد والشريك معها والذي وجد استمرار وجوده ونفوذه في ظل هذه البنية النيوكولنيالية في عصر الامبريالية، وبالخصوص في طورها الفاشي المسلح الحالي كعولمة رأسمالية مسلحة، بعد أن دخلت عصر أزمتهما الخانقة وتخليها عن قيمها ومبادئها وقت نهوضها وغنقوانها في مرحلة الرأسمالية التنافسية وصراعها ضد قوى الملكية الإقطاعية الدينية الاستبدادية، حيث فصلت الدين عن الدولة وأنهت الصراع الدامي بين الطوائف المسيحية خصوصاً كالصراع بين الكاثوليكية المعيقة للهيمنة البرجوازية الصاعدة وبين البروتستانتية المساندة لهذه الطبقة الناهضة الداعية إلى الحكم الديمقراطي الدستوري وما إليه من شعارات الحدائث الأوربية، وليس خافياً سر الإمبراطورية العثمانية بالسير على نهج

الإمبراطوريات الإسلامية السالفة وتبنيها للطائفة (السنية) في الحكم والعمل على استبعاد وتهميش الطائفة (الشيعية) التي أصبحت مرجعية للقوى المعارضة المستبعدة والمهمشة والمستغلة طبقياً من أبناء القومية العربية، ومن مختلف القوميات والأديان والطوائف الأخرى غير الإسلامية وغير العربية، وقد عمل سلاطين عثمان على سد الطريق أمام قوى الشعب المنتج من عمال وفلاحين ووطنيين أحرار ونواتات البرجوازية الوطنية لتكون مدركة وواعية لذاتها وتخوض معاركها الوطنية والقومية والطبقية ضد مستغليها، فأججت نيران الطائفية والعشائرية لكسر شوكة القوى الوطنية المستنيرة والحوول دون تجذر الوعي الوطني والطبقي في المجتمع العراقي، واستمرار تبعيته للسلطنة العثمانية كدولة خراج ريعي إقطاعي استبدادي كاجحاً أي تطلع لقواه ونواتاته التقدمية بالنهوض باعتبارها حاملة لواء بناء دولة الحدأة الذي تبناه فيما بعد كمال أتاتورك باني ومؤسس تركيا الحديثة، وإن كان لازال يحمل بذور هشاشته وعجزه الموضوعي.

في العراق واصل الاستعمار الانكليزي عمل العثمانيين ولكن بأكثر واشد جهنمية وحنكة وعلمية في تأصيل وتأييد هذه الظاهرة في المجتمع العراقي، بعد الاحتلال الانكليزي للعراق

(انشأ الانتداب البريطاني الكيان العراقي عام 1921 كدولة تحكمها نخبة أقلية سنية)[145]

، ومن يقرأ الوثائق والدراسات والمذكرات الصادرة عن رموز ومسئولي الاستعمار البريطاني النافذة آنذاك يضع يده على هذا

المسعى المحموم في التعامل مع الشعب العراقي على أساس عشائري وطائفي والعمل على تقريب وترغيب بعضها وترهيب واستبعاد الأخرى وحسب درجة الولاء للاستعمار ومخططاته، هذا مما يثير النزاع والصراع والفرقة بين طبقات وفئات المجتمع العراقي وإطالة فترة غياب الوعي الوطني والطبقي وبالتالي إطالة عمر الاحتلال والاستغلال ونهب الثروات. وقد كان الإبعاد والشك والريبة من (الطائفة الشيعية) العراقية برموزها المعروفة آنذاك بسبب تزعمها للمقاومة الوطنية العراقية ضد الاستعمار الانكليزي على الرغم من حصولها على ولاء من (المستبدة) وبعض المشايخ العشائرية الإقطاعية والعقارية ذات المنافع الشخصية الضيقة، فمن يقرأ مذكرات المس بيل العقل المدبر والمفكر والمهندس للاحتلال البريطاني للعراق في وصفها لفئات المجتمع العراقي لا يراها تحيد عن الوصف العشائري والطائفي والعرقي عندما تتحدث عن تركيبة المجتمع العراقي آنذاك، مبتعدة تماماً عن ذكر طبقاته وفئاته على أساس اجتماعي وعلاقتها بعلاقات الإنتاج القائم حينها، حيث نجد أوصاف عربي، كردي، آشوري، تركماني، صابئي، أزيدي، سني، شيعي... الخ هي السائدة في خطاب المحتل البريطاني ورموزه.

وقد عمل قادة الاحتلال البريطاني على حرف الأيديولوجية الدينية المقاومة والمحرضة ضد الانكليز واحتلالهم للعراق لتكون أيديولوجية طائفية عرقية، وبذلك تحول الشعب العراقي إلى شعب طوائف وعشائر وأعراف وليس شعباً من الطبقات والفئات الاجتماعية التي تخوض

صراعها على الأرض وليس تحتها في قبور
مدرسة أو فوقها في سماء مفارقة.

وقد استطاع الاستعمار البريطاني أن يحقق
بعض النجاح في هذا المضمار عن طريق خيانة
طبقة الاقطوازية العراقية للقيم الوطنية
وتبعيتها موضوعيا لقوى الاحتلال والاستغلال
تماشيا مع مصالحها الأنانية الضيقة كطبقة مسخ
مكونة من إقطاع مستبد معيق للتطور والحدثة
وبرجوازية ضعيفة مشلولة ومجهضة من قبل
قوى الرأسمال الاستعماري المحتل ارتبطت
موضوعيا بقوى الرأسمال العالمي في علاقة
صيرورة لا يمكن أن تنفصم عراها لا بموت
واندحار إحداها عن طريق نقيضها الوطني
والطبقي المتمثل بقوى الشعب المكافحة
المحرومة من عمال وفلاحين وكسبة ومثقفين
ووطنيين أحرار حينما يخوضون صراعهم على
أسس اجتماعية وطبقية وطنية واضحة كاشفين
زيف التضليل والتجهيل الذي تمارسه طبقة
الاقطوازية وأسيادها لإظهار هذا الصراع بمظهر
الطائفية والعرقية، وكما يذكر حنا بطاطو

((فإن هذه الزمر وحدث صفوفها وأدركت
مصالحها المشتركة في القضايا الحاسمة، من
قبل إعفاء طبقتهم "طبقة ملاك الأرض" من
الضرائب، والإقصاء العملي للطبقات الأخرى من
المناصب الهامة في الدولة، ثم وهذا الأهم،
الدفاع عن النظام الاجتماعي الذي كان ينفعهم
جميعا)[146])

إن الانحدار نحو الأيديولوجية الطائفية التي
تحاول أن تخفي وجهها السياسي وسعيها
للهيمنة الطبقية على السلطة السياسية في
البلدان التابعة ومنها العراق إنما هو خصيصة

تميزت بها هذه الطبقة وتفردت بها عن البرجوازية في البلدان الرأسمالية المتطورة بقدر ما ارتبطت بها ارتباطا بنويا غير قابل للانفصام في عهد الامبريالية وطورها الرأسمالي المعولم المسلح في عصرنا الراهن حيث إن

الإرهابية هي أعلى مراحل الامبريالية والذي يبدو انه آخر مراحلها الذي سيقود حتما إلى نهاية العالم على الكرة الأرضية أو نهايتها على يد نقيضها الذي يأخذ بالاتساع باستمرار، فليس العمال وحدهم ولا أنصار البيئة ولا العلماء ولا عشاق الحرية والديمقراطية الحقيقية ولا شعوب العالم الراضحة تحت الاستغلال الرأسمالي بل هم جميعا الآن في مواجهة موت أو حياة مع الامبريالية في طورها الإرهابي المسلح. فمن اجل أن يكرس الاستعمار البريطاني وجوده ويديمه سلك مختلف الطرق والوسائل لتصنيع طبقة سياسية ذات صفة عشائرية وطائفية قادرة على الإمساك بالسلطة وفق الأجندة الاستعمارية البريطانية بشكل يموه حقيقة الصراع الوطني والطبقي بين الشعب العراقي والاستعمار البريطاني باعتباره مستغلا ومحتلا لأرض وشعب العراق بكافة طبقاته وفئاته وأعراقه وأجناسه وطوائفه والذي يفترض أن يكون عدو الجميع وطنيا وطبقيا في آن واحد، وجد التاج البريطاني أن خير طبقة تمثل مصالحه هي طبقة الاقطوازية العشائرية الطائفية يقف على رأسها ملك مستورد ذو نسب علوي ولكنه ليس شيعيا ولا سنيا خالصا، إنما جلبته غريزة الحكم وليس دافع حب الشعب أو الأمة وهو محمول على أكتاف المستعمرين حيث

((وصل فيصل إلى العراق في الثالث والعشرين من حزيران عام 1921... وبالرغم من تلك الظروف التي هيأها المستعمرون الانكليز إلا أن عميلهم استقبل ببرود عند قدومه إلى العراق)) [147].

ففي الوقت الذي كانت هذه السلطات الاستعمارية تواجه بالحديد والنار المطالب المشروعة للعمال والفلاحين والفقراء في المدينة والريف وتمنعهم من حقهم في التنظيم المهني والنقابي والسياسي وخصوصاً انتفاضات فلاحي الوسط والجنوب وعمال السكك والنفط وبعض رؤساء العشائر والقبائل المهمشين من قبل قوى الاحتلال، وتحارب نخبة الطليعية المستنيرة كما يذكر خليل احمد خليل:

((تتلاقى الثقافة العادية والسياسة العادية عند جامع مشترك: العدا للخبذة المعرفية والعلمية الحديثة وإرهاب هذه الخبذة بالذات، بدءاً من استبعادها وصولاً إلى تكفيرها وتهجيرها... وتكون ذروة العدا مخصصة للعلماء اليساريين عموماً والماركسيين خصوصاً، لا بوصفهم معارضين اشتراكيين وديمقراطيين للرأسمالية كما هو حالهم الفعلي، بل بتوصيفهم الأيديولوجي المصطنع بأنهم "مرتدون" و"كافرون"... وباسم هذه التوصيفات يهيج الجمهور، وتصدر له فتاوى الاغتيال والإرهاب، التي يعول مطلقوها على "متطوعين" من هذا الجمهور بالذات)) [148].

نراها تقدم مختلف أنواع الدعم لزعماء العشائر والطوائف الموالين لها

(إن 1,7% من الملاك استحوذوا على 63% من الأراضي) [149].

وتسعى لاقتسام السلطة فيما بينهم ومن المعروف المغزى من تشريع قانون العشائر وقوانين حظر الأحزاب الديمقراطية واليسارية منها على الخصوص، وبذلك داس المستعمرون بجزماتهم على أفواه رموزهم التي ادعت أنهم

(جاؤوا محررين لا فاتحين). وليس خافياً ما أثير آنذاك من فتن طائفية وعرقية بهندسة ودعم ومساندة قوى الاستعمار والطبقة الاقطوازية العراقية لغرض إلهائها عن قضاياها الأساسية في معارك جانبية في الوقت الذي مارست قمعاً وحشياً على كل الانتفاضات والاحتجاجات الشعبية والوطنية العراقية كانتفاضات الفلاحين في 1935 و 1936 وانتفاضة 1948 و 1952 و 1956 وإقدامها على جرائم إعدام ونفي وشنق العديد من رموز الحركة الوطنية والعمالية في العراق ومنهم قيادة الحزب الشيوعي العراقي في شباط 1949.

هل الطائفية في العراق بضاعة بريطانية؟؟؟

إن من يدعي ذلك يقع في وهم كبير فالظاهرة الطائفية سابقة على الاستعمار البريطاني المسلح على العراق وهي ولادة طبيعية من رحم الطبقة الاقطوازية في عصر الامبريالية الاحتكارية الاستعمارية عبر فعلها القهري في قطع مسار التطور الرأسمالي الطبيعي لهذه البلدان على يد برجوازية وطنية منتجة كما حصل في الغرب الرأسمالي. وإن قوى الاستعمار لم تكن حيادية من هذه الظاهرة، بل سعت من اجل تنميتها وتأييدها وازدهارها والعمل على كونها

الثقافة السائدة في المجتمع العراقي، رغم ذلك فقد سجلت القوى الديمقراطية واليسارية العراقية أمثلة رائعة في مقاومة وكشف زيف وخطورة ومرامي هذه الثقافة الاستعمارية وخدماتها وقد أحرزت انتصارات متميزة في الحفاظ على الروح الوطنية العراقية المناهضة للاحتلال والاستغلال. وقد تتوج هذا الكفاح المرير بالحدث الهام في 14 تموز 1958 بقيادة نخبة من الضباط الأحرار المدفوعين بدوافع مختلفة منها وطنية وقومية وطبقية ودينية بالإضافة إلى بعض دوافع السلطة والجاه والشهرة.

كانت السلطة بقيادة الزعيم الوطني عبد الكريم قاسم هذا القائد الذي أقدم على العديد من القرارات والقوانين والانجازات لصالح الشعب العراقي والحد من استغلال الشركات الاحتكارية البترولية العالمية وضرب بعض مصالح الطبقة الإقطاعية، حاول أن يمسك صولجان السلطة من الوسط ويوازن بين مصالح الطبقات الاجتماعية المختلفة عبر قرارات ومواقف فردية مع الانحياز الأكبر لصالح فقراء الفلاحين والعمال والكسبة من خلال قانون الإصلاح الزراعي الأعرج وقانون رقم (80) في التأميم الجزئي لحقوق النفط بالإضافة إلى قانون الأحوال الشخصية لإنصاف المرأة، وإعطاء فسحة كبيرة للعمل النقابي والمهني والسياسي والديمقراطي للقوى اليسارية والديمقراطية العراقية بمعنى إعطاء حيز من الحرية القانونية لنشوء منظمات مجتمع مدني في العراق. مما أثار حفيظة وخوف الطبقة الاقطاعية المتخادمة مع بعض الرموز الدينية مما حدا بها إلى تناسي صراعاتها الطائفية

والعرقية وتتحد سنة وشيعة عرباً وأكراداً وتركماناً خلف مصالحهم الطبقية التي أصبحت مهددة بفعل مد يساري عارم في الشارع العراقي الذي بدا وكأنه يمر في حالة من صحوة وطنية وطبقية هائجة ليتوحد وينتظم في أحزاب ونقابات وجمعيات وروابط لتدافع عن مصالحها الوطنية والطبقية التي حرم منها طيلة قرون من زمن الاضطهاد والاستغلال:-

((هذا الواقع أخاف القوميين... وفي شهر آذار 1959 بعد شهر واحد من إلقاء القبض على (عارف) بادر العقيد الشواف إلى إعلان ثورة في الموصل، لكنها لم تكن محكمة التنظيم فما لبثت أن قضي عليها بعد سفك دماء غزيرة)[150].

وما شهدته بغداد في عيد العمال العالمي في الأول من أيار 1959 من مسيرة مليونية بقيادة الحزب الشيوعي العراقي ومنظماته المهنية والديمقراطية، فكان مشهداً لم يشهد له العراق مثيلاً من قبل، مما أفرغ قوى الظلم والظلام بكافة توصيفاتها ومشاربها وانتماءاتها لتسفر عن وجهها الفاشي وهي تعيش أزمتهما ولحظة احتضارها في معركة موت أو حياة في الدفاع عن مصالحها الطبقية الاستغلالية فسعت إلى تشغيل كل معامل ومختبرات ومولدات وأوهامها الأيديولوجية لحرف الصراع عن مساره السياسي كصراع مصالح اجتماعية ووطنية ليغلف بالأوهام القومانية الشوفينية والتعصب العرقي والطائفي لتقذف به في وجه نقيضها وعدوها الطبقي الشارع العراقي اليساري لاختراق المناطق الرخوة في منظومته المناعية لمقاومة حملات التضليل والتجهيل العرقي والعشائري والطائفي، بالإضافة إلى توظيفها المبالغ فيه لسلوكيات وأفعال بعض الأفراد

المندسين واليساريين المتطرفين والغوغاء تحت يافطة الشيوعية والشيوعيين. هنا بالضبط حدث إجماع الطبقة الاقطوازية لتمزق بأنها ومخالبتها الحاقدة المعبأة بحقد طبقي لا يوصف شعار اليسار العراقي في كون الاشتراكية طريقاً للحرية والسعادة للأغلبية الساحقة من أبناء الشعب العراقي، وقد سعت إلى تضليل العقل الجمعي القطيعي للجمهور لتحقيق أهدافها، ومما يجدر الإشارة إليه أن خليل احمد خليل يعرف الجمهور

بـ(مجموعة الشغيلة ومستضعفي رأس المال، وأكثرهم اضطهاداً، اقلهم تنظيماً وتربية واستعداداً للتنظيم)[151].

فقد تخلت الاقطوازية عن كل شعاراتها الوطنية ومحاربة الاستعمار وعن قيمها العشائرية الايجابية وعن كل مبادئها الدينية التسامحية بطلب العون والتعاون المباشر المفضوح من دول عربية وأجنبية وخصوصاً ممثلي الاحتكارات النفطية والمخابرات الأمريكية لإجهاض (ثورة) الرابع عشر من تموز في الثامن من شباط الأسود 1963. حيث أسفرت هذه الطبقة عن وجهها الفاشي في ممارسة السلطة ضد أعدائها المطبقين تحت شعارات معاداة الشيوعية والدكتاتورية الفردية والشعبوية!! فظهرت بأبشع وأقسى أنواع الدكتاتورية الفاشية، وأساء أشكال الشوفينية القومية، ولسنا بحاجة إلى سرد أحداث هذه الفترة المظلمة من تاريخ العراق على يد عصابات البعث ومؤازريه الذين أغرقوا البلاد والعباد من كل الطوائف والقوميات والأجناس ببحر من الدماء.

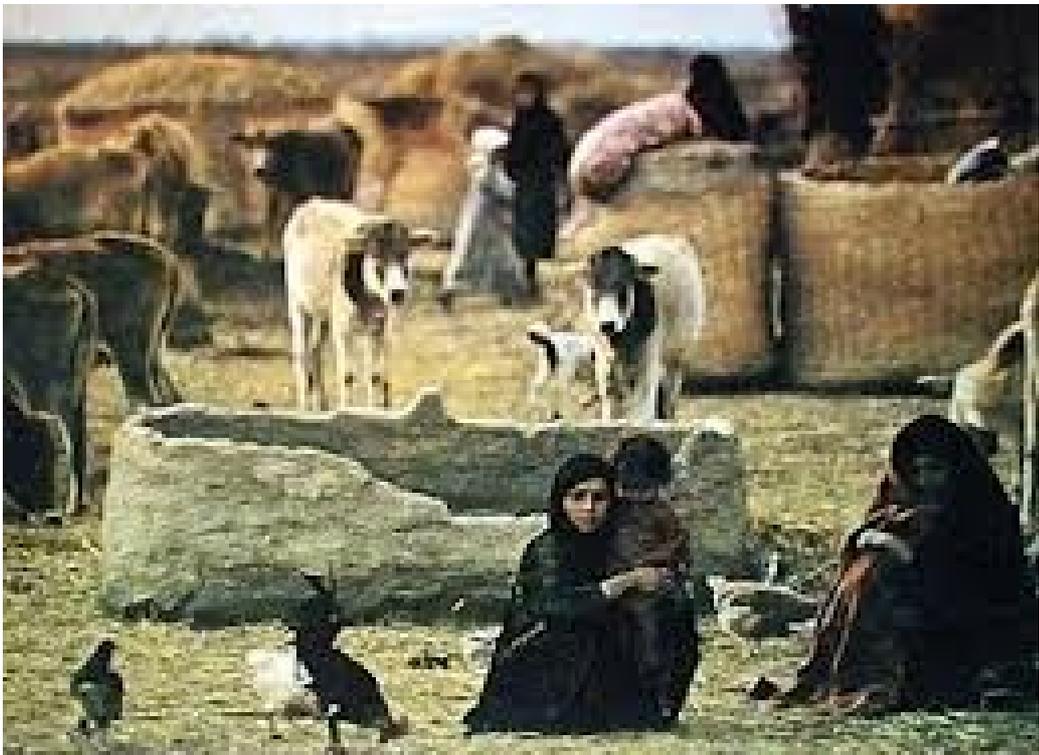
ومن اجل تدارك ضياع السلطة هيمن عارف القوماني الطائفي على السلطة السياسية والذي حاول تجميل وجهه البشع باعتباره المخلص من فاشية البعث وحرسه اللا قومي بعد أن خلس الشعب من (ديكتاتورية قاسم والخطر الشيوعي الهدام والملحد) معتمداً جمهوراً حائراً مغلوباً على أمره

((جمهور عمالي فلاح، كدحي، يجري التلاعب به بوصفه جمهوراً دينياً لإبعاده المظهري عن لعبة السياسة، ولإدماجه العضوي في آلة السلطة وهي آلة حرب طبقية، وأول هذه الحرب، لعبة (تلاحم) السياسي والديني بالجمهور أو بعامة الشعب، تحت شعار (من الشعب وإلى الشعب)[152].

ولكنه قد أسفر عن طائفته في أكثر من موقف

((كان تكاتف الزمر الحاكمة المتعاقبة منذ تشرين الثاني 1963 على الأقل قد عبر عن نفسه بصورة متكررة وإن تكن غير حصرية - في أشكال محلية، طائفية، قبلية أو شبه قبلية)[153].

(علاقة الإنسان والحيوان في الريف العراقي)



كثيرا مانسمع ؟. ونحن ننصت لقصص آبائنا وأمهاتنا في سهرات ليل الشتاء الطويل في القرية العراقية قبل إن يحل بيننا التلفزيون والستلايت فيسرق منا ليالي السمر وحكايات جداتنا الجميلة. نسمع ا صوت الحيوانات وهي تتكلم مصدقين غير مستغربين لما نسمع فغالبا ما كنا نكلم حيواناتنا من الكلاب والحمير والقطط أثناء حياتنا اليومية في الدار وفي المراعي فما الغرابة إذا كان الراوي يذكر عبارة

(لمن تحجي الدوارج) وهي إشارة حنين إلى ماضي الإنسان وعلاقته الحميمة مع نظرائه من الحيوانات حينما كانت الحياة في غاية البساطة والبدائية وحين كان الإنسان يحيى حياة القطيع وحتى قبل أن تكون له لغة واضحة مميزة في المراحل اللاحقة من التطور. وقد عبر عن ذلك الكثير من الأدباء والفلاسفة والحكماء ان مختلف الشعوب والقوميات والحضارات حين استنطق الإنسان الحيوان صيغ بعضها على لسان الحيوان لغرض التورية والإسقاط غير المباشر لحياة الإنسان ومعاناته في زمن الحكام الطغاة والمستبدين ومن هؤلاء ابن المقفع وكتابه المشهور (كليلة ودمنة) والذي رغم توريته وحذره فيما يكتب ،تم قتله حرقا بتهمة الزندقة.....

فالقرية العراقية امتداد لهذا التراث الطويل، ائتلف الإنسان والحيوان بشكل حميمي كبير، فالقطط والكلاب والأغنام والدجاج والحمام تشارك الإنسان حتى فراش منامه دون أن ينزعج منها ويطردها فغالبا ماكانت القطط تشاركنا منامنا ونحن أطفال وخصوصا في أيام الشتاء الباردة هربا من البرد القارس. وقد

أطلق ابن الريف أسماء على حيواناته كما سمي أولاده وبناته فغالبا فلكل كلب من كلاب العائلة اسما خاصا نناديه به وغالبا مايفهم كلامنا وماذا نريد منه نتيجة تكرار القول والفعل حسب نظرية بافلوف في الفعل ورد الفعل وتكون المنعكس الشرطي واللاشرطي . هام العرب بخيولهم وجمالهم ولحين التاريخ ولها أسماء وأوصاف مشهورة في التاريخ كالبراق وداحس والغبراء وغيرها. وكلنا يعرف الحصاة من دموعنا التي حاز عليها مهر الإمام الحسين عليه السلام في تعازي الذكر نظرا لأصالته ووفائه لغارسه.....

وكلنا يعرف مدى هيام ابن المدينة (المطيرجي) وتعلقه الذي تحكى وتروى عنه الأساطير بالحمام وتربيته والعناية به وعدم قدرته على فراقه رغم كثرة مايسببه ذلك من المشاكل الاجتماعية ويحط من سمعة ممارسي هذه الهواية .

وكم شهدنا العديد من المراسيم الجميلة للعائلة الريفية وخصوصا أمهاتنا الفلاحات في تعاملهن الرقيق والحميم مع الحيوانات كما يتعاملن مع البشر أو أكثر حنوا ومحبة.

من هذا أتذكر إنني عندما اصطدت ولأول مرة في حياتي سمكة صغيرة من النهر وانا لم أزل طفلا صغيرا وذهبت مهرولا بها إلى الدار وهي تنط بين أصابعي استقبلتني والدتي بفرح غامر والصلاة على النبي وقبلتني ثم أخذت مني السمكة وقامت بطلبي فمها بأحمر الشفاه وكحلت عينها من كحلها الخاص وأمرتني بإعادتها إلى الماء فورا حيث كانت هذه

الممارسة طقسا معتادا يمارس في مثل هذه الحالات والتي كانت تعبيرا عن دوام علاقة الود والصدقة والتكافل بين الإنسان والحياة ودعوة

للخصب من خلال إعادة السمكة العروس للنهر مما يساعد على وفرة الأسماك في النهر ويرسم مستقبلا مباركا للطفل وتعميدا له وإعطائه درسا في احترام الكائنات الحية وربطه بعلاقة حسن النوايا والتعامل عبر الرسالة التي ستصل لعالم الحيوانات المائية من خلال السمكة العروس المحررة المكرمة من قبل الصياد الصغير حيث إن كليهما من رحم واحد وأم واحدة هي الطبيعة وكيف إن الأسماك قد اختفت من احد الأنهار لان احد الجاحدين والمتهورين والمستهترين بعلاقة الرحم التي تربط الأسماك بلانسان قد تبول في فم أحد الأسماك ورمها في النهر ومنذ ذلك التاريخ لم تعد الأسماك تظهر في مياه هذا النهر جزاء لهذه الفعلة الشنيعة.

شاهدت أمي وهي تسرع لتضع كفا من الطحين على ظهر أية سلحفاة تدخل دارنا وهي قادمة من النهر والسواقي المحيطة بالدار مفسرة قدومها لدارنا طلبا للطعام لإطعام صغارها الجياع في النهر. وكيف كانت تعمل (العصيدة) لإطعام الكلبة عند ولادتها لأنها بحاجة للطعام وهي بمثل هذا الحال شأنها شأن أي أنثى أخرى من بني الإنسان والحيوان بحاجة للعناية والرعاية في أيام ولادتها الأولى. وكم كنا نرقب بلهفة كبيرة طيور السنونو المهاجرة عند عودتها لدارنا في الربيع ووضعها لبيضها في عشها في سقف كوخنا ولسنوات متوالية وكيف كنا نكن لها الرهبة والهيبة والقدسية والاحترام حيث كان إباؤنا يسمونها ب((العلوية)).

عزفت مرارا عن شراء الطيور الحرة التي تكثر في العراق في الخريف والشتاء فلايمكنني أن أقدم على ذبحها وهي تبدو بهذا الجمال الأخاذ

والألوان الزاهية. وكيف عزفت العائلة جميعا عن
 طبخ واكل فحل من البط الصيني تمت تربيته
 في الدار عندما قررنا ذبحه على يد احد الجيران
 وقد تم إهداء (مارتو) إلى عائلة صديقة مشيعيه
 بعيون دامعة كأنه احد أفراد العائلة.

ومن الملاحظ إن الإنسان وابن الريف العراقي
 خصوصا كان ولازال يسقط الكثير من صفاته
 وتقاليده على الحيوان فيصفه بالأصالة والوفاء
 أو الغدر والخيانة ويتعامل مع الحيوانات ضمن
 هذه الصفات فالثعلب ماكر والذئب قاس والضبع
 غدار والأسد مقدم والكلب وفي والقرد وضيع
 والحمار غبي .. وهكذا.. دون أن تعرف الحيوانات
 معنى لهذه الصفات بل هي تعيش حسب
 فطرتها منذ ملايين السنين.

وقد روى احدهم قصة تصلح إن تكون من
 الحكم : حيث إن احد الصيادين استطاع إن يدجن
 طيرا وحشيا (خضيري) من طيور الماء بعد
 اصطياده وقد لاحظ هذا الصياد إن هذا الطير
 اخذ يطير صوب الهور المجاور وبعد فترة يعود
 ومعه سرب من أبناء جنسه من طيور الماء لتقع
 فريسة وصيدا سهلا بيد سيده الصياد وهكذا
 استمر الحال حتى سمع بالأمر احد حكماء
 وشيوخ القرية بقصة هذا الطير الغريب مما
 حدى به أن يدفع مبلغا مغريا من المال إلى
 الصياد مقابل اخذ الطير وتحت نظر جمع من
 أهل القرية قام الشيخ بذبحه ورميه للكلاب
 وسط استغراب ودهشة الجميع من فعلة الشيخ
 الذي أجابهم على دهشتهم واستغرابهم إن مثل
 هذا الفعل الدنيء والخيانة الكبرى التي يقوم
 بها هذا الطائر وجليه أبناء جنسه للسقوط في
 شباك الصياد قاتل أبناء جنسه لايمكن إن تعالج
 إلا بهذه الطريقة وحرم أكل لحمه لئلا ينقل طبع
 خيانتة لمن يأكله من الحيوان والإنسان!!!؟؟؟

دراسة في السلوك

المغامر-الانتهازي-البطل

المناضل

ار نستو تشي جيفارا نموذجاً

ولد ار نست تشي غيفارا في الرابع عشر من أغسطس عام 1928 بمدينة بوينس آيرس عاصمة الأرجنتين في عائلة ميسورة الحال. استشهد بتاريخ 9/أكتوبر/ 1967 العاشرة مساءً.

في تاريخ البشرية عموماً ومنذ ان ركبت مركب الحضارة والتقدم يروي التاريخ القديم والحديث الكثير عن شخصيات لامعة ومضحية قدمت الكثير بما فيه التضحية بالنفس من اجل هدف محدد تؤمن به وترى ان من خلاله يمكن خلاص البشرية والشعب والأمة والقرية والعائلة من الشرور وتشيد حياة سعيدة آمنة . وان لنا في تاريخ الرسل والأنبياء اكبر شاهد على ذلك حيث تعرض اغلبهم الى أقسى أنواع التعذيب والنفي والأقصاء والايذاء الى حد الصلب والحرق والقتل.

في العصر الحديث حيث انصرم عصر الأنبياء والرسل فقد أعلن الرسول محمد (ص) ان لانبي من بعده.

سلك طريق الدعوة والخلاص والإنقاذ عدد من الدعاة والمبشرين والزعماء السياسيين والثوار من مختلف الاتجاهات والتوجهات وبمختلف الوسائل والطرق.

وهنا يتبادر الى الذهن سؤال مهم . ما معنى وما هي مادة التغيير ودعوى الإصلاح لمثل

هؤلاء الأشخاص ؟ ولماذا يريدون نقض واستبدال الوضع القائم؟ ولماذا تميز هذا النفر من الناس في مختلف العصور ليكونوا على رأس مثل هذه الدعوات دون غيرهم وماهي الآليات التي تتحكم في صنع الشخصية الثائرة وماهي ظروف صيرورتها وما يميزها عن غيرها؟

وهل ان جميع هذه الرموز والشواخص تدعوا للنفع العام أم هي تسعى لمجد شخصي؟ وهناك الكثير والكثير من الأسئلة التي تدور حول هذا الأمر، من المعروف والمسلم به منذ ان انتظم الناس في مجتمع تحت عوامل وظروف موضوعية وحاجات حياتية وعلاقات عمل جماعية وخرجت من دور القطيع وخصوصا بعد ان تطور مخ الإنسان أصبح يستوعب المنظومة الاشارية الثانية -اللغة - حسب مفهوم بافلوف ونوري جعفر ومن اجل الحفاظ على تماسك وديمومة وترابط العلاقات الاجتماعية بين الأفراد سواء على نطاق الأسرة أو القبيلة أو القرية صعودا الى المدينة والوطن فلا بد ان تكون هناك ضوابط وأعراف وقيم وتقاليد تحكم هذه العلاقات وتلزم الفرد الالتزام والتقييد بها طواعية حفاظا على قبول عضويته في هذه المجموعة أوى لكتلة البشرية حيث يعتبر خرقها مدعاة للعقوبة والنبد مما يجعل حياة الفرد مهددة بالفناء والضياع وفقدان غطاء وخيمة التبني والحماية في ظل الجماعة، ونتيجة لتراكم الزمن الذي أدى إلى اختفاء وضمور وشحوب الأسباب الحقيقية الكامنة وراء نشوء مثل هذه العادات والتقاليد والأعراف والمعروفة بالكونفورميا وهي بهذا التحديد وبهذا المفهوم (انعكاس لدرجة معينة

من الوعي الجماعي في صيرورته التاريخية ومكانه المحدد حول كيفية التعايش الاجتماعي ومناهج السلوك التعايشي الممكنة والذي يفرض سيادته على أفراد المجتمع تحت ضغط التهديد بالعزل الاجتماعي للذين يخرجون بعيدا عن الإطار الألتزامي المقبول) ص 61

وقد عرف غرا مشي الكونفورميا(الكونفورميا لا تعنى اى شيء سوى الاجتماعية...وهي اى الكونفورميا أو الاجتماعية تنتج عن الصراع الثقافي(بين الأجيال) كما أنها مسائل عامة وموضوعية مثلها مثل الضرورة التي ترتع عليها هامة الحرية) 1

إما حين العودة الى اللغة اللاتينية حيث أصل التعبير نجد ان كلمة كونفورميا conformar تعني البناء المشترك' القيام المشترك التشكيل المشترك، البناء الذاتي والتكيف. وربما هذا هو المصدر الحقيقي لاستخدام هذا التعبير في وقت لاحق)

الكونفورميا يمكن ان تكون منفتحة ومتسعة لاستيعاب نماذج متعددة جدا من أنواع السلوك ومن المبادرات والاجتهادات.ويمكن ان تكون مغلقة. وهناك أنواع من الكونفورميا منها الخاص وهو ما يخص سلوك الفرد أو الأسرة وتنظيم حياتهم وتقاليدهم الداخلية وعام وهو ما يخص عموم المجتمع.

ومن كل ذلك نفهم ان الكونفورميا سلطة ديكتاتورية ملزمة خارج نطاق سلطة الدولة وقوانينها تتقارب معها او تبتعد عنها وتتعارض بقدر متمثل سلطة الدولة المشتركة الكونفورمية السائد في المجتمع في فترة زمنية محددة.

وما يهمننا هنا إيضاح المفهوم العام للكونفورميا وما يشته من قيم ورتب وامتيازات في المجتمعات التطبيقية التي هي لم تكن في بادئ أمرها سوى تكليف فرد ومجموعة أفراد الغرض منه تنظيم الدفاع عن الجماعة أو تنظيم وقيادة الغزوات وأدامة التماسك الاجتماعي وهو غالبا ما يكون امتيازاً مؤقتاً ممنوحاً وليس مخلوقاً من قبل الفرد أو منزلاً من قوى مجهولة. لكن الذي يحصل ان هذا التكليف أو التعريف تجري عملية تجريه ومحاولة تاييده كأمر خارج الحراك الاجتماعي أو الجماعي لما ينتج عنه من ميزات مادية ومعنوية للمكلف تستدعيه الى مقاومة أي تفسير يتضمن سلب هذا الامتياز او حذفه من حياة الجماعة والمجتمع الذي تتطلبه مستجدات الحراك الاجتماعي وطبيعة تطور العمل والإنتاج وعلاقاته بين الناس.

ان عملية كبح مساعي وأفعال وأقوال الفئة المقاومة للتغيير ستكون متناسبة طردياً مع قوة اضعف وتفكك اوصلابة الكونفورميا الاجتماعية السائدة فكلما أصبح جدار الكونفورميا السائدة واطناً وركيكاً أمكن تجاوزه وهدمه من قبل قوى التغيير وهذا يستدعي عملاً متواصلاً ومثابراً قد يصل الى حد التضحية بالمال والنفوس والوقت حتى يتحقق وهنا بالذات ندخل الى جوهر موضوعنا حيث علمنا ان الناس هم صناع حياتهم وتاريخهم وهنا يبرز دور الشخصيات والإفراد للقيام بهذا الدور حيث ان علم الاجتماع يقسم الناس الى الفئات التالية ارتباطاً الكونفورميا الاجتماعية :-

أ- النمط القبولي الايجابي / يشمل هذا النمط على اكبر عدد من أبناء المجتمع في

فترة زمنية محددة وهم يتسّمون بالخضوع والاستجابة والالتزام بالنمط السائد (ونظام التفكير لديهم أو " اللعبة السوداء للتفكير" على حد الاستفادة من علم السبيرناطيقا مغلقة في وجه الأفكار الجديدة)

(يمثل جموع الكونفورمين الايجابيين مايسمى جماهير mass بتعبير السوسولوجيا والجماهير تتصف بالركود والسكون وبالحياد إزاء ما يواجه المجتمع وبالتالي ما يواجه المصير المباشر من مشاكل ومن حلول)2

وغالبا ماتربط مثل هذه الكتلة مصيرها بمصير فرد منقذ ومخلص يقودها ويحركها حيث يشاء وحسب أهوائه وقدرته وإمكانياته ودرجة إيمانه بما يريد الوصول إليه وطبيعته.

ب- النمط التاقلمي الابتزازي وهو عموما الفرد أو نمط التفكير والسلوك البراغماتي المجرد من القيم الإنسانية العامة والتشبع بالانوية الخائفة ويمكن ان يكون نموذجا جيدا وممثلا لقيم الرأسمالية المعولمة في العصر الراهن.

ويعرفه فرويد (هذا الإنسان يرمي الى الحياة الاجتماعية من كونها وسيلة وهي لا تمثل له غاية أبدا وعليه لايهتم بها الامن الجانب السلبي) 3

يتصف هذا الفرد بالخضوع الدائم والذليل والمنافق للقيم والمفاهيم والتقاليد السائدة الغير مبنية على ما يملكه من معارف ويقره من مبادئ وتقاليد وأعراف إذ تنزوي كل مثله الإنسانية الناقدة خلف منفعتة الشخصية الصرفة (ولان الخضوع لها هو الأكثر ضمانة ومنظورا لتحقيق الأهداف فانه لايصنع لنفسه أية تحفظات في مثل خضوعه هذا)4

ويخضع تحت طائلة هؤلاء الجواسيس والخونة والمرترقة في كل المجتمعات والأمم اللذين يجندون أنفسهم في خدمة إغراض السلطة للحصول على المغانم والمكارم والمكافئات حتى وان ذهب ضحية ذلك أبناء الوطن أو الرفاق أو حتى أفراد العائلة ومعلوم لدينا كيف أقدم بعض الآباء على قتل أبناءهم المتمردين على السلطة الدكتاتورية أو الفارين من الخدمة العسكرية وكيف سلمت بعض النساء رؤوس أزواجهن إلى مقصلة السلطة مقابل الحصول على المكارم والمغانم.

ج- النمط الانعزالي (هو ذاك الشخص الذي من بين أشياء أخرى يريد أقلمة العالم من حوله وفقا لمواقفه وتصوراته بدلا من ان يحاول هو التأقلم مع المعطيات الاجتماعية الموضوعية ومع المحيط) 5

وليست هؤلاء الأفراد على درجة واحدة من العزلة والتي بالتأكيد تتناسب شدتها طرديا بمقدار ما يؤمن به الفرد من قيم ومثل ليس لها مكان أافي مخيلته وقد يصل الأمر الى وصف حالته بالحالة المرضية حيث يضرب الشخص على نفسه طوقا حديدا من العزلة الاجتماعية يصعب اختراقه .

وغالبا ماتكون هذه الحالات في أوقات الانحدار والتفكك الاجتماعي وتآكل قيمه المفترضة بمقاييس مثالية وكردات فعل لخييات أمل سياسية أو وجدانية وعاطفية مما تشكل صدمه عنيفة تؤدي إلى حالة مرضية من الكف حسب تعبير بافلوف.

فقد لايرى مثل هذا الشخص الافسحة محدودة تضيق باستمرار لتزيد من عزلته وانعزاله واغترابه.

النمط الهدمي السلبي

(هذه المجموعة تمتلك مدخلا تحكيمياً للظواهر أو مدخلا ينطلق من البناء العقلاني التشكيلي بما أحيطت به الظاهرة من ظروف، وتقديرات أفاق الأفراد من هذا النمط يبذلون الجهد الكبير المتواصل في محاولة جادة لاستنباط واستقراء المضامين استناداً إلى ما ألموا به من المعارف وحقائق علمية حول معظم جوانب الظاهرة)

وان الفرد الذي يبني علاقة هدمية سلبية مع النظام الكونفورمي يصوغ لنفسه طريقة تفكير تستقطب معظم عناصر الظاهرة في قالب نقدي تحليلي بغية بلوغ الحقيقة العلمية وتعميمها (7)

وبذلك يبدو واضحاً وجلياً ان هذا النموذج هو النموذج الفاعل في المجتمع على مختلف درجات تطوره وحراكه لما يملكه من القدرة على تلمس سلبيات ولا معقولية الواقع المعاش لأغلب أبناء عصره محللاً للظواهر من فوارق طبقية وتراثية وقيم اجتماعية فيضيق بها ذعراً حيث ينكشف أمامه المستور وتتعرى أمامه الحقائق وهو يتحرى تاريخ وجودها وصوريتها مما يسقط كل الادعاءات وتتمزق أردية الدجل والتزييف حول قدسية وثبات قيم الظلم والتعسف وبذلك فهو يسعى جاهداً من أجل تسفيهه وتحطيم هذه المنظومة الكونفورمية ساعياً إلى إبدالها أو جزاءاً منها بقيم جديدة ترفع وقع المظالم والمحارم المفروضة .

وما يميز هذه النماذج إنها تدرك مدى عناد وشراسة وعمق رسوخ الكونفورميا الاجتماعية في أذهان الناس وان أول عمل يجب القيام به هو هدم وتفكيك الأساس الذي شيد عليه ومعرفة الطبقة والفئة الاجتماعية التي تقف حارسا شرسا لدوام هذه الكونفورميا دفاعا عن امتيازاتها ومصالحها مصورة أي مساس بهذه القيم والعادات والتقاليد والقوانين إنما يمثل خرابا واعتداء على حق مكتسب منحه إياها آله مجهول وكما يقول الدروبي(يتحلى هذا النموذج الهدمي السلبي بمكونات نفسية وباستعداد لتقديم التضحيات المادية والمعنوية في سبيل إرضاء ميوله المعرفية والتي شقها الآخر يعني تعميم تلك المعارف والحقائق ونشرها والتي بذل الجهد الكبير من اجل التوصل إليها.والتي أيضا يرى فيها فائدة مااجتماعية وإنسانية عامة.

إذ انه شخص يميل الى العطاء ويحقق ذاته من خلال العطاء .انه يحقق كينونته من خلال عمله الطوعي والذاتي. مسؤولية البحث المتواصل عن أفضل الظروف وعن أحسن العلاقات التي تساهم في تحقيق سعادة الجميع وبهذا يحقق وجوده على حد تعبير فروم في معرض حديثه عن الشخص الكينوني)8

في مثل هذا الوصف نستطيع أن نرى بوضوح معالم وطبيعة وشخصية المناضل الكبير رمز الكفاح والتضحية والفداء من اجل غد الإنسانية المشرق حسب مايراه ويعتقد به.

حين طلق جيفارا حياة الترف والدعة والعيش الهائئ المستقر في كنف عائلته الميسورة الحال.بالإضافة الى إمكانية ان توفره له مهنته كطبيب طموح وناجح من مردودات مادية

وتلبسه إكليل رأسمالها الرمزي باعتبارها من المهن النبيلة في المجتمع الطبقي. انه لأمر يجب أن نقف عنده طويلا عندما نستعرض مثل هذه الرموز النضالية الخالدة ودافعها الى حد التضحية بالنفس من اجل خير وسعادة الإنسانية لاسيما إن اغلبهم ينتمون إلى الطبقات الراقية والمتوسطة في المجتمع مما يظهر ان وقع القيم وتقاليد وسوط الظلم والاستغلال الذي يسلط على ظهر الطبقات الكادحة في المجتمع يفجر بركاننا من الغضب داخل أدمغة مثل هؤلاء المناضلين هذه الأدمغة ذات البناء السيكولوجي الخاص الحساس بإفراط لكل مايمس كرامة وسعادة ورفاه الإنسان والذين استطاعوا لما يملكونه من قدرة على التحليل والتركيب والاستنتاج والغوص في عمق وتاريخ الظواهر والإحداث إلى فهم الصيرورة التاريخية لها مما يدفعهم إلى الكفاح المستميت للدفاع عن إنسانيتهم المهدورة والمجروحة في ظل أنظمة ظالمة ومتعسفة وهي تديم حالة البؤس والشقاء والمرض والجهل ضد الأغلبية الساحقة من أبناء جلدتهم من المضطهدين من العمال والفلاحين وعموم الكادحين؛ وإلا مالذي يدفع طبيب لان يحمل السلاح ليدافع عن شعب مظلوم هو ليس شعبه وفي وطن هوليس وطنه...هو يلاحق الظلم والاستغلال ليقضي عليه وليس العكس كما في حالة العامل والفلاح والكادح حيث الظلم والتعسف والاستغلال يلاحقه للقضاء عليه فلا غرابة في أن يدافع عن حياته ومستقبله بل الغرابة أن يستكين ويرضخ للظلم المسلط عليه.مالذي يدفع طبيباً ووزيراً مكللاً بكل أكاليل الفخار

والاحترام بعد انتصار الثورة الكوبية ليجوب العالم كمصباح يبدد بؤر الظلم والظلام في كل زاوية من زوايا العالم إيماناً منه بأنه لا يستطيع أن يمتلك ذاته ويكن لها الاحترام مادام هناك مظلوم واحد في عموم الكرة الأرضية وهكذا كان جيفارا حيث يقول (لاتهمني أين ومتى سأموت بقدر ما يهتمني ان يملأ النور العالم ضجيجا كي لا ينام العالم على أجساد الفقراء وقوله .. لن يكون هناك مانعش من اجله ان لم تكن على استعداد ان تموت من اجله)

وهكذا مات جيفارا من اجل هدف سامي يجسد صدق إيمانه بانتصاره وتحقيقه حتى بعد موته .. بهذا الإيمان وهذه العقيدة..... فهد يعتلي المشنقة وهو يهتف الشيوعية أقوى من الموت وأعلى من أعواد المشانق).. وهكذا ولهذا السبب ضحى المهندس المتألق الذي يعيش في بحبوبة العيش في ظل النظام الرأسمالي في لندن المناضل خالد احمد زكي مختارا طريق النضال بأسلوب الكفاح المسلح لإسقاط رموز الظلم والظلام والديكتاتورية لأعشقا للموت في اهور الجنوب النائية التي تصعب العيشة في كنفها حتى على من ولدوا هم وإبائهم وأجدادهم فوق (جباشاتها) حصل ذلك بعد إن سدت كافة طرق النضال السلمي لكسر الكونفورميا الاجتماعية المهيمنة والمحمية بقوة سلاح الطغاة وجهل الأغلبية العظمى ممن يسلط الظلم والعسف عليهم .

من ذلك نخلص ان ليس الواقع الطبقي للفرد هو الدافع الأول والوحيد لكي يكون ثوريا ولكن الإحساس بالظلم الطبقي ومصادرة كرامة الإنسان وحرية وابطس ضروريات حياته

كالمأكل والملبس والعلاج والسكن والتعليم هو ما يخلق شعلة التمرد والثورة ضد القيم والمفاهيم في الواقع السائد والسعي لتطهيره حتى ولو بقوة السلاح من قبل من يقع عليهم ومن قبل من يحسونه ويستشعرونه وإلا هل من عذر لمن لا يسعى لتخليص إنسان من أياب وحش كاسر يفترسه.

والتاريخ الإنساني أكبر شاهد على حقيقة ان قاتلي ومعذبي رجال الثورة والإصلاح والعدالة هم ممن يسعى هؤلاء الى إنقاذهم وتخليصهم من الظلم والعسف الذي يعيشون في كنفه. ولكن لكون الطبقة العاملة هي النقيض الرئيسي للرأسمالية وهي من يقع عليه القسط الأكبر من الاستغلال الطبقي وان الطبقة العاملة بتحررها تلغي نفسها وتلغي كافة الطبقات الأخرى وهي الطبقة الوحيدة التي ليس لها أية مصلحة في دوام التمايز الطبقي للمجتمع ولذا يفترض أن تكون موضوعيا في طليعة القوى المناهضة للرأسمالية وعلى كافة المناضلين الحقيقيين من اجل الحرية والرفاه أن يتمثلوا أهدافها.

المغامر...البطل...المناضل:-

نظرا لما تمتلكه الحركات الثورية في مختلف العصور من الهيبة والجادية تمت صناعتها وبنائها وتراكمها نتيجة تضحيات الآلاف من أكثر الناس نبلا وبذلا وعطاء ونكران ذات في سبل قضية سامية وهدف نبيل يحقق السعادة

للجميع ولا يبني أمجاداً شخصية. لذلك غالباً ما تبثلى هذه الحركات وعلى طول تاريخها بالعواقب والطفيليات والهوام التي لا تريد أن تكون جزءاً من زيتها الغير منظور الذي ينير طريق الإنسان بدون ضجيج نحو العدالة والمساواة والحرية ومن خلال مشكاة الحركة أو الحزب الثوري ككل، يعكس هذه العواقب مشاريع البطولة التي تروم الاحتراق في لهيبه مورثة دخاناً اسوداً ورائحة كريهة وضجيجا وسط طبول التهريج ليكون انتحارها انتحاراً مشهوداً يعبر عن خواء دواخلها المهزومة التي لا تمت بصلة لقيم ووصف المناضلين الذي يرون إن استمرار وجودهم مضمون بتحقيق أهداف امنوا بانتصارها.... ان من يحيى الخيبة والآنكسار والخذلان في داخله يسعى من اجل إتلاف كل شيء على ان يعود عليه بمردود ظاهر واضعاً إياه في ذرى المجد والفخار فهو على استعداد ان يكون مشروع استشهاد وهو محمولا على الأكتاف وضجيج الهتاف وسط جموع الآلاف فيظهر بمظهر الصنديد الشهيد الذي لا يقهر في حين يتحول الى فأر خائف مهزوم عندما يكون وحيداً حيث سيظهر على حقيقته ويكون أمام مرآة ذاته المنكسرة الخاوية لأنه لا يؤمن بقضية ترافقه في وحدته وتشد من عزمته فهو يسعى للتعطر من شذى عرق وعذاب وتسامي دم المناضلين الحقيقيين ليبدد عفونته وخساسته... وعندها يبدع في أساليب النذالة والاستجداء من اجل ان يضم من ديمومة حياته' لذلك نرى خبث أجهزة التعذيب والقمع عندما تعمد على وضع السجن السياسي في سجن انفرادي ليكون أمام حقيقته حيث تنهار مشاريع البطولة عند المزيفين وتتفولذ قيم

النضال عند المناضلين ويتحدث التاريخ بإعجاب شديد على مناضلين اجتر حوا المعجزات في السجون الانفرادية مثل الفاروكونهاال ومانديلا وناظم حكمت والعشرات من المناضلين العراقيين وغيرهم اللذين لايمكن ان تحجبهم الجدران والحواجز عن أهدافهم وعن ناسهم وعن إيمانهم بقضية يرون أنها ستنتصر حتى بدونهم وان حياتهم ستمتد وستزدهر في ظل عظمة انتصار قضيتهم التي يؤمنون به إيمانا مطلقا وكما يقول سارتر مميذا المغامر عن المناضلين (عمل المغامر يتأرجح من غير ان يتوقف أبدا بين أكثر أنواع الانتحار أنانية . انه يتطلب إيمانا ويهدم كل إيمان . ان المغامر يصبح مضللا إذا آمن بما يفعله ودجالا ان لم يؤمن به) 9

إن المغامر طالب المجد والبطولة يركب مركب الثوار والمناضلين لامن اجل ان تنتصر قضيتهم فانتصارها يعني موته وموت خياله المريض بحب الظهور وتحقيق الهدف كارثة تحل به حيث يقول سارتر(ان التحقق إذا ما جاء سيكون خيبة كبيرة ووهما متبدا فالمطلوب ان لايجيء أبدا. المطلوب الاتجيء أبدا جنة عدن المستقبلية تلك العديمة الشفقة بالنسبة للمغامرين وحدهم) 10

ويتساءل سارتر عن مايريد المغامر من الرفاق والإخوة(فماذا يريد منهم؟ الإخوة والرفقة الصداقة؟ اجل لكن هذا يعني على الأخص يطالبهم بان يكونوا شهود موته. ان رفاق المغامر هم نائحات مستقبلات وامناء مستودع مصيره يقول مالرو(لاوجود لبطل بلا نظارة)) 11 0

وعلى من يقرأ النص التالي من المناضلين بمختلف عقائدهم وقضاياهم وخصوصا من اليساريين والشيوعيين وكل من ذاق طعم العذاب والسجن والحرمان واكتوى بنار الخيانة والاستسلام وليقارن مثلا بين شهادة خالد احمد زكي في الاهوار وهو يقاتل الدكتاتورية وبين استسلام وانهزام عزيز الحاج ومن سلك سلوكه ليدرك الفرق بين المناضل ومشروع البطل حيث يقول سارتر واصفا مستجدي البطولة (كان موظفا مطمئنا محدود المباديات ومعتادا على اكتشاف وجهه الأليف في عين رفاقه واثقا من ذاته واثقا من انه يجد في أعماق ذاته إرادة الحزب الحازمة كصخرة، وهاهو يجد نفسه مهجورا في عزلة الهزيمة التي لا كفارة عنها والحزب قد غلب على أمره والأمل قد سحق ويكشف في عيون العدو المنتصر وجهها وحشيا ومجهولا هو وجهه وتنهيار أناه التي كان يدعمها بالكثير من الأوامر والخطابات والرسائل وتظهر أنا أخرى، تفرد بئس يذكره على نحو غريب بالوحدات البرجوازية وموته الذي موهه طوال حياته بتظاهره انه سيموت من اجل القضية يرتد نحوه على حين غرة لان القضية قد تمزقت ولأنه يموت من اجل لاشيء، فهل خسر حياته وهل ربحها الآخر؟؟)

وكم يبدو هنا الفرق واضحا بين فهد المناضل وبين مالك سيف الفرق بين المناضل وطالب البطولة والأمثلة والشواهد كثيرة، ان المناضلين الحقيقيين ليسوا إبطالا بالمرّة وهم (لا يفكرون إلا بواسطة العقل الكفاحي الذي منحهم إياه الحزب، لكن لما كان فكرهم يرفض كل قيد فإنهم يدفعون بهذا العقل

المكون (بتشديد وفتح الواو) الى أقصى مداه ويحلونه الى عقل مكون (بتشديد وكسر الواو) وعند ذلك سيكونون مناضلين منتجين ومجددين مبدعين وليس مجرد تابعين ومنفذين طيعين.

وبهذا الوصف فان جيفارا ومن مثله ليسوا أبطالا بل هم مناضلون متميزون في اسلوب وطريقة خيارهم وثباتهم وتضحياتهم فهم من نمط ألهدمي السلبي في الوصف الكونفورمي الاجتماعي من اللذين امتازوا بالبذل والعطاء من اجل سعادة الآخرين عكس ما يتميز به النمط ألقبولي الايجابي الراضخ ونقيض النمط التاقلمي الابتزازي الساعي لمنفعته الشخصية فقط ممثلا بمجموعة الانتهازيين والوصوليين والخونة والجواسيس في الحركات الثورية وبذا فان جيفارا وفهد وخالد احمد زكي وسلفادور اللندي ورفاقهم وأمثالهم من ذوي المبادئ وروح التضحية والإيثار قد ماتوا ميتة المناضلين المؤمنين بقضيتهم .

أما كيف أستشهد جيفارا؟

فقد كانت الخيانة ومازالت الدرن الخطير في جسم الحركات والأحزاب المقاومة للظلم والاضطهاد فكما أسلفنا فان الإنسان من نمط التاقلمي الابتزازي وهو الإنسان النموذج الذي تسعى الى تكوينه وتعميمه الرأسمالية المعولمة كأقدر نمط من البراغمية

مثال ومنهج الإنسان البرجوازي الناجح. ان هذا النموذج هوخطر حقيقي من الصعوبة بمكان عزله ودفع شروره لإمكانياته العالية في النفاذ من أكثر فلاتر الوقاية والاحتراز الذي تضعها الحركات الثورية لوقاية نفسها وذلك بسبب تمتع هذا النمط من القدرة على تقمص الأدوار والسلوكيات واكتساب الألوان والصفات وتقليد حتى المظاهر والحركات للوصول الي غايته في الكسب وحياسة الجوائز والمكافآت ولنا في ذوي الأربطة والقمصان الحمراء والقبعات اللينينة والشوارب الستالينية والسفاري الزيتوني والعباءة والكوفية العربية واللحي والمحابس والعمائم السوداء والبيضاء.....و.. لكل زمان قروده.

وفيما يخص جيفارا فقد كان أيضا ضحية الخيانة كما كان المناضل جيفارا الاهوار خالد احمد زكي (فقد قام احد رجال جيفارا يدعى(رودريجز) ممن كانوا يحاربون معه في جولته الأخيرة في بوليفيا 10-1967,بتسليم نفسه إلى جنود الحكومة وعرض عليهم مقابل سلامته أن يدلهم على مكان الزعيم. وقد حصل ذلك بالفعل

وبعد قتال عنيف لجيفارا ورفاقه تمكنت قوات الحكومة من جرحه وأسره وعند وصول الجنود إليه بعدما هده التعب من القتال وبعد نفاذ ذخيرته كليا تمكن الجنود من أسره وهنا قال لهم معلنا: أنا التشي...أنا تشي غيفارا!!و في الثامن من أكتوبر عام 1967 وفي العاشرة مساءا تم تنفيذ الحكم الصوري بلاعدام على جيفارا المناضل.

وبعد ثلاثين عاما وتحديدا في العام 1997 تم العثور على هيكل عظمي مبتور اليدين اثبت

عائد يته لجيفارا عن طريق تحليل الحمض النووي ولأجل ان يطمأن أجداد وإباء قوى السلطة والاستغلال والديكتاتورية ويامنوا من تهديد جيفارا بنزع ملكيتهم وسلطاتهم في الحياة الأخرى فقد بتروا يديه , و دفن جثمانه أخيرا في ارض الثورة كوبا في سانت كلارا. ورغم التعقيم والتضليل الضخم لماكينة الرأسمال العالمي العملاقة لم تستطع ان تحجب وهج فعل وفكر جيفارا الثائر عن شعوب الأرض المضطهدة .

سيظل المناضلون شموعا لانتظفا ،تستمد زيت ديمومة اشتهالها من صدق الإنسان وكفاحه من اجل الحرية والعدالة والسلام.

وفي حضرة وحسرة وعظمة الذكرى نسال مالسر الذي يكمن وراء اختفاء مثل هذه الرموز النضالية اليسارية في العالم ولم تعد تحمل ذلك البريق ولاذاك الاتساع والجاذبية كما كان حاصلًا في الأربعينات والخمسينات وحتى نهاي القرن العشرين.

حلاقة لحيه ماركس وتنمية لحيه بن لادن!!!؟؟؟

كيف استطاعت الرأسمالية العالمية ان تحلق لحيه ماركس وانجلس لترعى وتنمي وتسوق لحيه بن لادن والظواهرى والزرقاوي وإضرابهم.

وأين ولماذا اختفت قبعة لينين وجيفارا لتظهر عمامة بن لادن والزرقاوي والقرضاوي وأمثالهم كمرجعية للفكر رموزا للمقاومة المرتدة على أسيادها

وأولياء نعمتها بعد ان أدركوا إنهم مجرد
مكنسة بيد الرأسمال العالمي سرعان ما
ميت في أربال وأوجال الرأس مالية المسلحة.
وهنا سؤال موجه الى قوى اليسار لعراقي
خصوصا عن من اسدل الستار على الملحمة
البطولية لخالد احمد زكي ورفاقه اللذين
لا يقلون بذلا وعطاءا وفداء وسمو هدف عن
جيفارا ورفاقه.

هل تم تجفيف وخنق أفكاره بتجفيف الاهوار
على يد الدكتاتورية؟؟؟
أم انه عقابا الرفاق لأنه كسر جمودهم
وتقليديتهم وانتهازيتهم المجسدة في اليسار
التقليدي العراقي؟؟؟؟.

إنها دعوة صادقة لكل يسار العراق من اجل
استذكار جيفارا الاهوار العراقي الذي
استطاع ان يسترد إكسير الخلود المسروق
من كالكامش وهو يسعى ولازال لبعث جنات
عدن للمحرومين والفقراء في ارض سومر
فما أحوجا الى مثل هذه النماذج والأقمار
المنيرة وعراقنا يغط في ليل الرأسمال
والاستغلال والاحتلال والإرهاب
فألف تحية لجيفارا الأشجار وجيفارا الأهوار .

المصادر:-

وعبي السلوك(الكونفورميا وأنظمة
الوعي)...د.محمد الدروبي
1-ص 60 _ 8 ص 61-2 ص 144-3 و 4 ص 200-5 ص
205-6 ص 197-7 ص 199
سارتر قضايا ماركسية
9 ص 14-10 و 11 ص 15-12 ص 16-13 ص 18

المال وتأثيره على سلوك النساء والرجال (سيكولوجية المال)

سلوك النصب والاحتيال على المال

في ظل تفكك المنظومة القيمية لمجتمع من المجتمعات تظهر سلوكيات وشخصيات تمتاز بالفهولة والضحك على ذقون الآخرين تسعى بكل وسيلة لجمع المال بطريقة اللطف المزيف والخطف المستتر بمناكش حريرية أو مطارق حديدية بوجه ملاك أو مظهر وحش ، وخصوصا في عصر العولمة الرأس مالية وهيمنة قيمها

وسيادة ثقافتها في العالم حيث تعمل مؤسسات ضخمة وعقول كونية من اجل جمع المال من الشعوب والأفراد ، من أبناء الوطن أو من خارجه ، من الأشقاء أو الغرباء فذلك لا يهم ما زال يدر مالا !!!

وكما يذكر كارل ماركس:-

((إن الرأسمال ينفر من الصخب والمنازعات، وهو بطبعه، هذا صحيح جدا، ورغم ذلك فليست هذه الحقيقة كلها. إن الرأسمال يكره فقدان الكسب كما يكره الكسب الضئيل، وكما تكره الطبيعة الفراغ، وليكن مضمونا 10%، عند إذ يمكن استخدام الرأسمال في كل مكان. إما إذا كان 20% مضمونا، فإنه يتحمس ويحمى، وإذا كان 50% كان جسورا جنوني التهور، وعند 100% يدوس بقدميه جميع الشرائع البشرية، وعند 200% لا يكون ثمة جريمة لايجرؤ على ارتكابها، حتى لو تعرض للمشنقة. وهكذا يكون الفوضى والشقاق ملائمين للربح فإنه يشجعهما كليهما)) (1)

وان ما يحصل في عراقنا اليوم خير نموذج ومثال على نهج وسلوكية الفرد حيث أحرز عراق اليوم درجات متقدمة في هذا المجال حيث النهب والسلب والاختلاس والفوضى والشقاق بكافة أنواعه الطائفية والعرقية نظرا للظروف الاستثنائية التي يمر بها البلد في عهد الدكتاتورية والاحتلال وحقيقة الدافع الحقيقي للرأسمال الأمريكي المسلح في احتلال العراق

ومقدار أرباحه التي تزيد على 200% واندفاعه في ارتكاب اشد الجرائم وحشية في التاريخ البشري ورعايته لكل الفتن والقلاقل والاضطرابات لأنهما أكثر الأوضاع ملائمة للسلب والنهب بمستوى دولي عبر ما أسماه ب((الفوضى الخلاقة))!!!! لتخلق المال لأصحاب رؤوس الأموال والموت والعذاب للناس الأبرياء افرادا وشعوب.

ومن أهم هذه الأساليب للحصول على المال على مستوى الأفراد وهو ما يهمننا هنا سلوك النصب والاحتيال والذي يعرفه د. أكرم زيدان :-

((استخدام التضليل (falsification)))) من اجل الحصول على أموال الآخرين أو الامتلاك بالباطل لأشياء ذات قيمة مادية عن طريق الغش والخداع والمراوغة والنزيف واختلاق الأكاذيب والمعاذير وتبديل الواقع والمبالغة والتهويل ، بجاذبية مصطنعة تشد أنظار وإسماع الآخرين بما يضمن استثارة دوافعهم وانفعالاتهم وعواطفهم ((2)).

إن لهذه السلوكية أنواعاً وأشكالاً وأساليب مختلفة ينتجها المحتال ويسلكها تبعاً لإمكاناته وقدراته الذاتية وخصائصه النفسية حيث يرى انه بارعٌ ومتمكّنٌ في أساليب الاحتيال أكثر من غيره ، وطبعاً تتحكم في الأسلوب المحتال الظروف المحيطة به ، ومنها طبيعة النظام القائم ومتانة أو هشاشة القيم الاجتماعية وسهولة أو صعوبة اختراقها وتجاوزها ، وطبيعة

الثقافة السائدة وطبيعة شخصية المنصوب عليه أو الضحية . والذي غالباً ما يسعى برجله نحو النصاب أو المحتال وكما يقول د. أكرم زيدان

((المحتالون على المال لا يطاردون ضحاياهم وإنما الضحايا الطامعون هم الذين يطاردونهم .. فالمصيصة لا تطارد الفأر)) (3) ،

تميز النصاب بكونه يعرف كيف يتخفى وبأي وجه يظهر للضحية حسب ظروفها وحاجاتها وطلبها لما تريد ، فهم الانقياء الأتقياء والوعاظ البلغاء ، والحكماء وفاعلي الخير ، والعارفين ببواطن الأمور وما تخفي الصدور ، من أصحاب المعارف والحظوظ والتقدير و... و... وكل ما يمهد الطريق لتقع الفريسة في القفص باختيارها ، ويروى إن حذيفة بن اليمان :-

((إن قوماً يجيئون يوم القيامة ، ولهم من الحسنات الجبال ، فيجعلها الله هباءً منثوراً ، ثم يؤمر بهم إلى النار . فقيل لهم لنا يارسول الله قال: أنهم كانوا يصلون ويصومون ويأخذون أهبة من الليل، ولكنهم كانوا إذا عرض عليهم الحرام وثبوا عليه)) (4)

إن سلوك النصب والاحتيال يقسم إلى:-

سلوك النصب والاحتيال المباشر.

وسلوك النصب والاحتيال غير المباشر.

الاختلاس. من النوعين السابقين إلى النصب والاحتيال على الأفراد أو المؤسسات، وإلى: النصب والاحتيال على المؤسسات يقسم إلى:

- أ- **النصب والاحتيايل الداخلي:**
- **الاختلاس وقروض غير مشروعة وغير مضمونه .**
 - **الاختلاس .**
- ب- **أسلوب النصب والاحتيايل الخارجي .**

أسلوب النصب والاحتيايل الداخلي :-

ولاشك إن هذا المرض من الإمراض الخطيرة المتفشية حاليا في دوائرنا ومؤسساتنا وبمختلف أسمائها ودرجاتها حيث تعتبر مؤسسات الدولة العراقية، من أكثر الدول فسادا ماليا وإداريا حسب التقارير الدولية الموثوقة والرصينة ، ويكون هذا الاختلاس وهو احد وسائل النصب والاحتيايل الداخلي في مؤسسات الدولة أو القطاع الخاص، عن طريق إعطاء قروض بدون ضمانات ، أو إرساء مناقصات بعطاءات عالية ومواصفات متدنية مقابل عمولة أو رشوة معينة ، عقد صفقات بيع أو شراء مع أفراد أو جماعات أو شركات محلية أو أجنبية دون المواصفات المطلوبة وعدم اختيار أفضل العروض مقابل مبالغ تودع في حساب الموظف المعين وهناك الكثير من الأمثلة المذهلة في هذا المجال وخصوصا في العراق ما بعد الاحتلال لظروف داخلية وخارجية ذاتية وموضوعية

ومن هذه الأسباب والدوافع :

الشعور بالمظلومية :

حيث يشعر الموظف بأنه لن يتقاضى الأجر والمخصصات التي يستحقها جزاء ما يقدمه من

خدمات وجراء ما يدر عمله للدولة أو المؤسسة من كسب مالي كبير مما يدفعه إلى سلوك الاختلاس بمختلف أشكاله لرفع هذا الظلم عنه .

وقد اخذ موضوع الشعور بالمظلومية في بلدنا خصوصية خاصة ، حيث إن اغلب من اعتلى كراسي المسؤولية في عراق ما بعد التغيير يشعر بأنه تعرض إلى ظلم فاضح طوال سنوات نفيه، أو سجنه، أو معارضته للنظام السابق، وان الدولة والمجتمع مدينة له في كل شيء ، مما يبرر له الاستحواذ على المال بمختلف الطرق المشروعة وغير المشروعة لتعويض ما فاته ، ومما يزيد هؤلاء اندفاعا هو شعورهم بالقلق وعدم الثبات والاستقرار في ظل وضع مرتبك وهو عرضه للتغير والاستبدال وترك المنصب مجبرا أو مختارا مما يتوجب عليه الحصول على اكبر كمية من المال والأموال والحيازات في الداخل والخارج كضمانة لحياة مرضية له ولا بناءه في قادم الأيام فقد تضطره الظروف إلى مغادرة البلاد ثانية والعودة إلى بلاد المهجر خصوصا وان اغلبهم مزدوجي الجنسية ، وليست بحاجة إلى ذكر الأسماء والأمثال لمثل هذه النماذج والشخصيات وهي تستغل ارفع المناصب في الدولة ومؤسساتها ممن كشف النقاب عنهم وبالتأكيد إن المستور اكبر من ذلك بكثير .

كذلك فان من أسباب هذا السلوك هو قلة المراتب والحوافز المادية المخصصة للموظف أو المسؤول فيجعله يعيش حالة من شظف العيش والضحك المادي، مما يدفع العديد منهم ممن

لا يملك الحصانة الذاتية ولا يمتلك من قوة الردع الذاتي الذي يحول بينه وبين ارتكاب جريمة اختلاس المال العام أو المال المؤتمن عليه في المؤسسات الأخرى . ويجب إن لا يغيب عن البال إن هذا المبرر أصبح ضيقا إن لم يكن متواريا تماما خصوصا في المراتب العليا من السلم الوظيفي في العراق بسبب ارتفاع المرتبات بشكل كبير، ولكن رغم ذلك نرى استمرار واستفحال عمليات الاختلاس من قبل هؤلاء الأشخاص للحصول على المزيد من المال والثروة، ونزاهة الكثير من الموظفين الصغار ذوي المرتبات المتدنية، مما يوجب البحث عن أسباب هذه الظاهرة في الوضع والتنشئة النفسية والاجتماعية للفرد وفي الخلل والثغرات الكبيرة في قوانين الدولة وضوابطها مما يفسح المجال أمام هؤلاء المختلسين للإقدام على مثل هذه الجرائم الخطيرة التي تلحق ضررا بالغاً بالصالح العام وسمعة وهيبة الدولة.

كذلك ضعف أو فساد الأجهزة الرقابية للدول بل وتغاضيها عن مثل هذه الجرائم حتى في أعلى مؤسسة رقابية في الدولة العراقية - البرلمان - بسبب حالة المحاصصة ونهج ((شيلني وشيلك)) و((سترلي وسترك)) لتورط الكثير من أفراد ومنتسبي وقيادي هذه الكتل السياسية في جرائم نهب واختلاس للمال العام هذا ما نعلمه من خلال النزر اليسير الذي يتسرب للرأي العام العراقي والذي ينضح من إناء القوى

الحاكمة عند الاختلاف فيما بينهم وصراعاتهم حول المكاسب والامتيازات فنجد التواني عن فساد فلان أو عدم نزاهة علان ضمن صفقات متبادلة بين القوى المتحاصصة!!!؟؟ والأمر من هذا لم نشهد معاقبة، أو محاسبة، أو على الأقل استرداد المبالغ المختلسة والمسروقة والمنهوبة من قبلهم إلى خزينة الدولة باعتبارها أموال الشعب الجريح والمحروم ولا يمكن التنازل عنها لأي سبب من الأسباب ولا يملك أياً كان الحق في إهدارها.

سلوك النصب والاحتيال الخارجي على المؤسسات :-

وهي الأساليب المتنوعة والمتفرعة التي يسلكها أفراد أو مؤسسات من مؤسسات دولة أو مؤسسات قطاع خاص للحصول على أموال منقولة أو غير منقولة باعتبارها حقوقاً مستحقة لهم بذمة المؤسسات المنصوب عليها وهؤلاء النصابون من خارج المؤسسات، وربما يحققون عمليات النصب والاحتيال هذه بالتواطؤ مع بعض العاملين داخل هذه المؤسسات أو ممن يستغلون ثغرات النظام وآلية عمل هذه المؤسسات وغالباً ما يقوم بهذا النوع من النصب والاحتيال أفراد ذوي خبرة كبيرة في النصب والاحتيال والتزوير والتأويل ، ومن الأمثلة التي يذكرها الدكتور أكرم زيدان _ ما يتم

استحصله من شركات التأمين مقابل أحداث وحوادث وهمية مفتعلة لأساس لها من الصحة .

ثانيا : أسلوب النصب والاحتيال المباشر .

وهو أسلوب نصادفه ونسمعه أو نتعرض له خلال الحياة اليومية للأفراد ضمن علاقات الشراء والبيع خصوصا ، ومن ذلك خداع المشتري بمواصفات وعينات مختلفة عن البضاعة الأصلية ، كذلك عن طريق النقود والعملات المزورة التي أصبحت واسعة الانتشار في عملتنا العراقية - الطبعة المحلية - بعد السويسري في العهد السابق ومازالت مستمرة لحين التاريخ ، وقد تفنن الأشخاص والجماعات في تقليد العملات وتزوير الماركات الأصلية وترويج المزورة في الأسواق العراقية بحيث أصبح من الصعوبة بمكان الإفلات من شرك هذه المنتجات والماركات والعملية المزورة ، على الرغم من علامات ((الخط ، والنخلة، والفسفورة)) كعلامات تميز الفرق بين العملة المزورة والعملية الأصلية، ولا نطن إن هناك مجتمعا كما المجتمع العراقي تعرض لمثل هذه الوسيلة من النصب والاحتيال الذي مورس حتى من قبل السلطات وخصوصا في زمن الحصار المفروض على العراق ولسنوات طوال وتدهور الاقتصاد العراقي بشكل مريع . ولسنا بحاجة للأمثلة والشواهد في هذا المجال لأنها

أكثر من أن تعد وتحصى وأثارت من المشاكل والنزاعات لايزال قسما منها قائما إلى الآن.

ثالثا : سلوك النصب والاحتيال غير المباشر :

وهذا الصنف من الاحتيال لا يتم وجها لوجه ، وإنما يتم عن بعد ، وقد أصبح شائعا وواسع الانتشار الآن بسبب تطور وسائل الإعلام والاتصالات المتعددة وخصوصا الانترنت ، ومن هذه الأساليب المسابقات الوهمية والوعود بإرباح خيالية ، عملية التسوق والعمالة الالكترونية والتي تغزو عراقنا اليوم حيث تنهمر مليارات الدولارات خارج البلاد وشركات وهمية أو شبه وهمية من دون أي ضمانات تذكر عبر شبكة كبيرة وخطيرة من وكلاء وسماسرة هذه الشركات لاصطياد الضحايا ونهب أموالهم وتهريبها ، عملية الغش والترويج الكاذب لسلعة أو دواء أو ما شابه يحملونه صفات ومفعول سحري لا يكشف زيفه إلا بعد حين ، الوعود الكاذبة واستدراج طالبي فرص العمل أو فرص الدراسة وحتى فرص الصداقة والزواج و الخ غالبا ما تكون لا صحة لها وإنما تروج من قبل أشخاص وشركات وهمية تنشر شباكها في كل أنحاء العالم لاصطياد الضحايا والباحثين عن المتعة والكسب السهل والربح السريع الغير مشروع. وكذلك ذوي النوايا الطيبة وكما قال الإمام علي عليه السلام ((إلى الله أشكو بلادة الأمين ويقظة الخائن)).(5)

الدوافع النفسية لسلوك النصب والاحتيال المالي

من المسلم في المجتمعات التطبيقية وخصوصا التي تتميز بالتمايز الطبقي الحاد والفارق الكبير في امتلاك الثروة والمال وواقع وجود أعداد غير هينة من العاطلين عن العمل وكما وصف الحال الإمام علي (ع) قائلا ((اضرب بطرفك حيث شئت من الناس، فهل تبصر إلا فقيرا يكابد الفقر أو غنيا بدل نعمة الله كفرا، أو بخيلا اتخذ البخل بحق الله وفرا، أو متمردا كأن بإذنه عن سمع الموعظ وقر)) (6) لاشك إن مانشهده في عالمنا اليوم لأشد وقعا واقسي أثرا بما لا يقاس مع عهد الإمام عليه لسلام لذلك فان عصرنا يعج بالمصابين بالخلل النفسي و الانحراف في السلوك الاجتماعي السوي كنتيجة لهذا الواقع الذي شح فيه السوي وساد الموسوي، و تخفى أسبابه ومسبباته بفعل بنية فوقية مضلله تميل إلى التعمية والتضليل وليس إلى التفسير والتنوير والتعليل . ومن هذه السلوكيات سلوك النصب والاحتيال المالي والحصول على الثروة والمال بأسهل الطرق واقلها كلفة وهو دافع قوي للنصب والاحتيال والاختلاس في مثل هذه المجتمعات وان بدرجات متفاوتة، فان ما يشجع عمل النصب ،والاحتيال عوامل عديدة من أهمها كما ذكرها الدكتور أكرم زيدان وهي :-

أولا / سلوك الضحية

أن ما يشجع على ارتكاب جريمة النصب والاحتيال هو مدى سهولة اقتناص الضحية وما تحمله من عوامل تسهل وتشجع وتحفز نزعة النصب والاحتيال لدى المجرم , فهناك من الضحايا من يظهر حرصا كبيرا وتحريزا. الدفاع عن أمواله والسعي لاسترداد حقوقه , ولكن دافع كسب الثروة والتصرف غير السليم لكسب المال يوقعهم في شرك النصابين والمحتالين والذي يدعى ((الضحية الحريص)) ويكون بعكسه ما يسمى ((بالضحية السهل)). إما الضحية ((الداعي)) فهو الشخص الذي يضع نفسه وأمواله وسط شباك المحتالين والنصابين عن طريق اندماجهم وعلاقاتهم مع هذه النماذج وتسهيل عملية إقراضهم دون ضمانات, وهو من الصنف عالي الطموح محدود القدرات . إما ((الضحية المستفز)) هذا الضحية الذي يعرفه ادم زيدان

(فهو في نظر ذاته أذكى المخلوقات وأكثرها دقة ومهارة، وما عداه من البشر أغبياء وحمقى ينقصهم الفهم والإدراك) (7).

كذلك فان هذا النموذج على الرغم من يقظته واستهائه بالآخرين مما يدفع بالنصابين إلى أن ينصبوا له الفخاخ والمكائد والمحفزات لإيقاعه في شباكهم والضحك عليه . وهناك بعض العوامل الأخرى ما يشجع على النصب والاحتيال كعامل العمر والجنس حيث يستهدف الشباب

لقلة تجربتهم ،وضحاياهم من الشيوخ والمرضى
لضعفهم ،وتستهدف النساء لعدم قدرتها
الجسمانية للدفاع عن نفسها وقلة خبرتها
الاجتماعية وخصوصا في البلدان المحافظة , كما
يتعرض لفعل النصب والاحتيال ،أفراد الأقليات
في بلدان المهجر لجعلهم في أساليب حياة
وتقاليد وقوانين دول المهجر . وهناك العديد من
الروايات والمشاهدات والابتكارات والقصص
شبه خيالية التي تحكى عن طرق النصب
واصطياد الضحايا. كما إن من دوافع النصب
والاحتيال هو (نسق الحياة) الذي يجد المرء
نفسه أو يضع هو نفسه ضمنه لأسباب المختلفة
كالزواج أو السكن أو المعاشرة مما يدعو إلى
مسايرته إلى طلب المال ليكون في المستوى
الاجتماعي المطلوب ضمن هذا النسق المعاش .
كما يعزى البعض السبب إلى الرغبة في الهيمنة
والسيطرة عن طريق سلب المرء وإفقاره
وإذلاله ففي المال عزة وفي الفقر والحاجة
مذلة مما يدفعهم إلى احتقار من يضمرون له
الكراهية والعداء لغرض السيطرة عليه وإذلاله.
كما إن هناك دافعا مرضيا للاحتيال والنصب
يتعلق بالإحساس بالسعادة والنشوة في ممارسة
هذا السلوك وليس بدافع الحاجة الماسة وقلة
الثروة والذي غالبا ما يمارس من قبل مشاهير
الأغنياء والأثرياء لغرض المتعة , ساعين إلى
تكديس المزيد من الثروة مقابل بؤس وشقاء
الآخرين مما يشعرهم بالنشوة والسعادة.

الصفات والسمات التي يتصف بها المحتالون والنصابون

اصطلاح (الشخصية) personality مشتق من كلمة persona الإغريقي التي تعني ((القناع)) والقناع في تلك الفترة من الزمن كان يضعه بضعة المحتالين على وجوههم في أثناء تمثيلهم المسرحيات المختلفة باعتبار إن كل قناع يدل على دور الممثل وشخصيته (8).

ومن الواضح إن الإنسان البدائي أو إنسان ما قبل العولمة الرأسمالي عموماً لم يكن قادراً أو لم يكن يمتلك المرونة الأخلاقية القيمة بحيث يتمكن من التحكم بانفعالاته وتقاسيم وجهه وحركات جسمه لمحاكاة تصرفات الشخصية أو حتى الحيوان الذي يريد تقمص سلوكه وتصرفه أي (شخصيته) مما ألباه وبذكاء إلى ابتكار الأقنعة ليخفي وراءها ملامحه وشخصيته الحقيقية المعتادة في سلوكه داخل المجتمع , إما في ظل ثقافة الاستهلاك السائدة حالياً بقيادة الرأسمال العالمي الأمريكي المعولم فقد تم تدجين الإنسان وتمت عملية سيولة و (مرونة) وليونة الشخصية ومطاطيتها بحيث من الممكن تشكيلها وتعديلها وتركيبها حسب ما يشاء الفرد ويرضى وخصوصاً شخصية النصابين والمحتالين من فئة طالبى المال والثروة والجاه وقد كان لنا وصف بهذا الشأن لهؤلاء الأشخاص في مقالات بعنوان (قرود العولمة) و (هتا فو عصر العولمة) وكما وصفهم الشاعر الكبير محمد مهدي الجواهري في قصيدته الشهيرة

طرطرا. هؤلاء المسوخ والحرباوات نراهم في كل عصر وزمان يغيرون جلودهم ولبسهم وسلوكياتهم وأفكارهم وحتى أسمائهم وأسماء أبنائهم- حيث شهدنا أسماء أبو صباح وأبو عبد الكريم وأبو عبد السلام وأبو صدام وأبو أسراء و...و... وكل ما يقربهم من مصدر السلطة والجاه و مايدر عليهم المال والجاه والثروة مقتدين بمقولة ((الغاية تبرر الوسيلة)) باعتبار إن غايتهم الأولى والأسمى في الحياة هي كسب المال فلا مانع من سلوك أي طريق أو أي شكل وإتباع أية وسيلة في الحصول عليه وخصوصا عندما يكون الحاكم مستبدا وغير عادل ولا يتسم بالحكمة والشفافية والمساواة بين أبناء شعبه وعدم وضع الشخص المناسب بالمكان المناسب، فيجتمع حوله الانتهازيون والمرءون والنصابون والمنافقون من كل شكل ولون.

وقد قال الإمام علي (ع) ((يأتي زمان لا يقرب فيه إلا الماجل، ولا يظرف فيه إلا الفاجر ولا يضعف فيه إلا المنصف، يعدون الصدقة فيه غرما، وصلة الرحم منا والعبادة استطالة على الناس، فعند ذلك يكون السلطان بمشورة الإماء وإمارة الصبيان وتدبير الخصيان)) (9).

وجل مانخشاه أن نكون من أهل هذا الزمان في عراق اليوم؟؟!!

ومن ميزات النصاب انه لا يؤمن بالعطاء بل بالأخذ والأخذ باستمرار كما لا يؤمن بالواجبات بل بالحقوق فقط. ومن طباعه فقدان

مقياس ((الكم والكيف)) في الحصول على المال. فلا يحول دون سعيه إليه قلة مقداره أو طريقة الحصول عليه.

ومن ميزاته أيضا تعظيم وتضخيم قدراته وإمكانياته أمام الناس سعيا منه لسد خواء دواخله وإحساسه بالدناءة والحقارة والخواء.

يتميز الأغلبية الساحقة من النصابين والمحتالين بالترجسية وان لم يكن كل النرجسيين هم من النصابين والمحتالين، وبما إن المال يعتبر أهم أعمدة حب الذات النرجسية لذلك يتوجه النصاب بدافع نرجسيته إلى النصب والاحتيال على الناس من اجل تكديس الثروة وإفقار الآخرين ومنة عليهم بإعطائهم الهبات والمكرمات ومن الملاحظ إن اغلب الزعماء والرؤساء في حكومات العراق المتعاقبة يتميزون بهذا الوصف من النرجسية فهم لا يعطون المواطنين المال باعتباره حقا من حقوقهم تضمنه القوانين ودستور الدولة لابل يختارون من يعطوهم على شكل هبات ومكرمات وهدايا من صاحب السلطة والجاه سعيا للإذلال واستعباد وكسب رضا ومديح الآخرين لهم. فكما يرى د. أكرم زيدان ((إن نسبة الاضطرابات النرجسية بين عامة الناس هي تقريبا 1% إما بين النصابين والمحتالين فقد تصل إلى 84%)) (10)

كذلك فان ما يتمتع به النصاب تميزه بصفة العداة ومعاندة المجتمع وعدم حبه للمحيطين به وهو لا يقوم بأي فعل أو علاقة مع الآخرين إلا

بدافع المتعة الشخصية فلا يمكنه إن يبني أية علاقات مع الآخرين مهما كانت درجة قربهم منه إذا كانت تحمله شيئاً ولو بسيطاً من المسؤولية المعنوية أو المادية وكما يصفهم د.أكرم زيدان((ليس ثمة ولاء للمجتمع أو الأسرة أو الأصدقاء ويبدو ذلك في عدم استجابتهم انفعاليا للمواقف التي يستجيب لها أغلبية الناس خصوصا تلك التي تتصف بالضغط والقلق وتحمل المسؤولية نظرا إلى أنهم شخصيات لاتقوى على تحمل أدنى مسؤولية)) (11)

وانه لمن المؤسف حقا أن نرى إن الأغلبية الفعلية لمثل هؤلاء في عموم السلوك العملي والفعلية للفرد العراقي أوفي اقل تقدير لطبقته السياسية ورموزها وتبدل ولاءاتهم بين المواقع والعناوين والدواوين الأكثر ربحا والأقل مسؤولية وضررا. ((وتقدر نسبة المحتالين بين المحتالين والنصابين في المجتمع حوالي 100% بينما لاتقدر نسبتهم بما بين 1% و3% بين عامة الناس)) (12)

لذلك نرى إن هؤلاء لاتفصلهم فواصل كبيرة عن قوى الإرهاب والجريمة المنظمة وعصابات السطو والقتل المتعمد فيما لوسدت عليهم طرق النصب والاحتيال المعتادة،وهنا يبطل استغرابنا فيما نشهد أو نسمع بحادث سلب لسيارة أو بيت أو متجر وقتل أصحابه على الرغم من عدم مقاومتهم للمجرم وعدم معرفتهم له وهنا تكمن خاصية النصب مقترنة بمعادة وكراهية الناس لمثل هؤلاء المجرمين

والنصابين القتل. حيث كان المتعارف عن طباع اللصوص والسراق بأنهم لا يقتلون ولا يضربون ضحاياهم إلا دفاعاً عن النفس وعندما تسد بوجوههم طرق الهرب والنفاذ بجلودهم عند اكتشاف أمرهم.

ومن صفات هؤلاء النصابين أنهم لا يحسون بأي خجل أو حرج من وصفهم بالكذابين والمحتالين والنصابين وإنما يشعرون بالنشوة والفخر والسعادة لأنهم استطاعوا إن ينتزعوا من الناس هذه الصفات الذميمة، لأنهم لا يستطيعون أن يحصلوا على الصفات الحميدة نتيجة إصابتهم بهذا الانحراف السلوكي الخطير، ويرى الدكتور أكرم زيدان:-

((إن الأسرة هي المنظمة الأولى الخاصة بالتطبيع الاجتماعي، يمكننا إن نقول إن الأسرة تؤدي دوراً لا يستهان به في تكوين شخصية النصابين والمحتالين فكثيراً منهم جاءوا من أسر مفككة متهدمة فقدت أحد الوالدين أو كليهما سواء عن طريق الموت أو الطلاق أو الانفصال العاطفي، مما أسفر عن الحرمان العاطفي وضعف في استدماج العديد من القيم والمعايير الاجتماعية التي يحصل عليها الطفل من الوالدين خصوصاً إذا كان أحد الوالدين من المحتالين النصابين أيضاً)) (13)

في ظل هذا الاستنتاج وهذه الرؤية ماذا يمكننا أن نقول عن واقع ومستقبل العراق في ظل ماتعانيه الأسرة العراقية على امتداد عقود من

الحروب والتشريد والقتل وملايين الأرامل والأيتام والمطلقات في عهد الديكتاتوريات المتعاقبة و في عهد (الديمقراطية)) الأمريكية المسلحة وإشاعة ظاهرة الإرهاب والعنف الطائفي الذي يظهر بكونه نتيجة وسببا في وقت واحد لماسي وويلات وآلام ومعاناة العراقيين المزمنة.

هذا الواقع يتطلب بذل جهودا جبارة مثابرة وسريعة ورصينة في مختلف الاتجاهات التربوية والنفسية والاقتصادية والثقافية لإعادة ترميم القيم المنهارة وإعادة بناء قيم جديدة تستند إلى المحبة وتكافؤ الفرص والأمان ونبذ كل مظاهر التمايز الطبقي الحاد في المجتمع ورعاية الأسرة والطفل وإعطاء المرأة مكانتها اللائقة في المجتمع كفرد فاعل منتج وليس أداة تفريخ ومتعة فقط. والعمل على تقليص الهوة في الملكية بين مختلف طبقات الشعب ((حيث أصبح زوالها حلما بعيد المنال)) وعدم ترك الحبل على الغارب لقوى الاستغلال ومالكي رأس المال الجشع بطبيعته ليفتك بحياة الناس ويفكك عرى المجتمع مما يدفع للفساد والانحلال والخراب.

وكما قال المفكر المرحوم هادي العلوي:-

((حمل القرآن طبقة الأشراف وحدها مسؤولية الفساد والدمار الذي يصيب المجتمعات وذلك في قوله)) (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا

مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول
فدمرناها تدميرا)) (14)

كذلك يستدعي العلاج¹ بناء مؤسسات عيادات
علاج نفسي كبيرة بإشراف أخصائيين أكفاء
في علم النفس والاجتماع من اجل علاج الإعداد
الغفيرة من العراقيين اللذين تعرضوا للهزات
والاضطرابات النفسي والعاطفية وخصوصا جيل
الشباب والأطفال والمرأة.

- 1- د.أكرم زيدان- سيكولوجية المال- عالم
المعرفة- ص 79.
- 2- المصدر نفسه ص 79.
- 3- ابن أبي الحديد- شرح نهج البلاغة- دار
الكتاب العربي- الطبعة الأولى-ص 252.
- 4- المصدر نفسه السابق.
- 5- المصدر نفسه ص 187 خطبه 129 ج 8.
- 6- أكرم زيدان- سيكولوجية المال- ص 87.
- 7- المصدر نفسه ص 96.
- 8- نهج البلاغة ج 18 خطبه 98 ص 98.
- 9- أكرم زيدان-سيكولوجية المال-ص 100.
- 10- المصدر نفسه ص 101.
- 11- المصدر نفسه ص 108
- 12- المصدر نفسه ص 102.
- 13- هادي العلوي- أضواء على معضلة الكنز- ص
17
- 14- كارل ماركس-رأس المال- ص 175.

الرشوة.....(2)

((لا شيء كالمال استثار بين الناس سننا سيئة وعادات قبيحة، انه هو الذي يزرع الشقاق في المدن ويطرد السكان من بيوتهم، انه هو الذي يصرف أجمل النفوس عن جميع ما هناك من عار وشؤم على الإنسان ويعلمها أن تستخرج الشر والكفر من كل شيء)) (15)

من الأمراض الخطيرة التي أصبحت مستفحلة وشائعة في مجتمعات العالم الثالث التي تتميز بسيطرة وهيمنة حكومات استبدادية وعدم وجود آليات رقابية فاعلة على مؤسسات ودوائر الدولة فيها بالإضافة إلى التفاوت الطبقي الحاد بين مختلف شرائح وطبقات المجتمع وبين مختلف المراتب في السلم الوظيفي في مثل هذه الدول ،وتأتي في مقدمة الدول التي ينتشر فيها

هذا الوباء الدول العربية عموما والعراق خصوصا ،على الرغم من وجود قوانين وأحكام قانونية مشددة تصل إلى حد الأحكام الشاقة المؤبدة في بعض الدول العربية ضد من ثبت إدانته بالرشوة وحتى ضد من ارتضى الرشوة ولم يمارسها وهذه العقوبات تطال الراشي والمرتشي والوسيط الرائش ولكننا نرى رغم ذلك دوام واستمرار لابل تصاعد هذه الممارسة لاسبب التساهل القانوني ولكن يمكن يكمن السبب الأكبر في الخلل والانحراف الذي أصاب النظام القيمي والعرفي لهذه المجتمعات من الأفراد و لم يعد فعلا معييا ومستنكرا اجتماعيا نتيجة اختراق بنى هذه المجتمعات لأسباب مختلفة اقتصادية واجتماعية وثقافية وتربوية وسياسية.

الرشوة في اللغة:-

(من) ارتشى) أي اخذ الرشوة أو (استرشى) أي طلب الرشوة , استرشى في الفرع , أي أخرجه , واسترشى الفصيل (والد الناقة) أي مد عنفه بين فخذي أمه يطلع الرضاع , وارتشى فلانا , أي أطاعه وتابع مسيرته , وارتشاه أي حابه أو ظاهره أو لايته أو صانعه والرشوة أي وصله إلى الحاجة بالمصانعة , والرشوة ما يعطى لإحقاق باطل أو لإبطال حق , وما يعطى للتخلف , والرشى لفلان المطيع له التابع

لمسيرته والرشو ما يعطى للحكام لأكل أموال الناس (16). ومن ذلك نستطيع الاستنتاج إن ظاهرة الرشوة تنتشر في المجتمعات التي يعم فيها سلوك اللاتكافىء في فرص العلم والعمل من قبل أصحاب القرار وانتفاء العدل في توزيع الثروة والمناصب والحقوق والتكليف بالواجبات , مما يزرع ثقة الناس في مصداقية وعدالة موظفي الدولة ومسئوليتها فيدفع صاحب الحق لارشاء ذوي الشأن والأمر لإحقاق الحق , أو ما يدفع أهل الباطل لسلب حقوق غيرهم وإحقاقهم للباطل , وان عملية الرشوة غالبا ما تتم بين طرفين (الراشي) و (المرششي) أو يدخل شخص ثالث كوسيط بينهما يروج الرشوة بين الناس أهل الحاجة والموظفين ويسمى (الرائش) ,

وتقسم أسباب الرشوة إلى:-

أولاً:- العوامل والأسباب الاقتصادية:-

. ومنها حالة الفقر والاحتياج الذي يعيشه المسؤول المكلف بواجب عام , حيث ستكون هذه الحاجة دافعا قويا بالإضافة إلى عوامل أخرى لارشاء ألأنا العليا للإنسان وكابحا لضميره عند معارضته لهذا الفعل الذي غالبا ما يكون مرفوض اجتماعيا . ولنا في الوضع المتردي للموظف في عهد الديكتاتورية الصدامية خصوصا في ظل أحكام الحصار الاقتصادي الذي مر به المجتمع العراقي مما أشاع ظاهرة الرشوة في مختلف مفاصل الدولة ومؤسساتها مفتتا المعيار

القيمي الاجتماعي الرفض لمثل هذه الظاهرة بحيث كاد أن يكون هذا السلوك عرفاً شائعاً .

ولكننا لا نستطيع أن نجعل من حالة الفقر أو الحاجة السبب الوحيد للرشوة كما يذكر ذلك آدم زيدان لا تستطيع إن تقول إن سلوك الرشوة يصدر عن أناس فقراء أو أغنياء أو يصدر من الطبقات الدنيا أو العليا في المجتمع , من دون أن ننظر إلى العوامل النفسية والاجتماعية إلى تؤثر في تكوين شخصية المرئشي ففي واقعنا العراقي هناك نماذج كانت ومازالت تشغل مناصب حكومية في المؤسسة العسكرية والأمنية ودوائر الدولة ومؤسساتها المدنية ارتضت عيشة الكفاف والضعف أو اضطرت للعمل بعد الدوام الرسمي في أعمال لا تمت لاختصاصها ولا إلى مكانتها الاجتماعية بصله دون أن تنحدر إلى هاوية الرذيلة وقبول الرشوة على الرغم من كونها قادرة على العيش عيشه مرفهة لو ارتضت سلوك الرشوة . كما إننا نشهد أفراداً في أمس الحاجة إلى فرص العلم والعمل ولكنها لم ترتض أسلوب الرشوة للحصول عليها. ومن الأسباب الاقتصادية للرشوة , ظاهرة غلاء الأسعار ، وشيوع ظاهرة الاستهلاك والامتلاك وعلو مقياس الثروة والمال في المجتمع لتبز ماعداها من القيم والأعراف الاجتماعية الايجابية حيث يذكر د . أكرم زيدان (إن هناك علاقة بين سلوك الرشوة وبين إعلاء القيم المادية والاستهلاكية - كأن المال هو القيمة الأعلى في أذهان كثير من الناس) (17).

وقد ورد هذا المعنى في العديد من أقوال الشعراء والكتاب والأمثال العراقية الشعبية مثل ((ألما يملك فلس ما يسوه فلس)) مهما امتلك من رفعة النسب أو درجة العلم والمهارة أو من سمو الخلق والأخلاق . حيث يرينا واقع الحال إن الناس تتملق وتتوسل وتصانع الثري مهما كانت وضاعته وعدم مشروعية حصوله على المال على الرغم من نواهي الأديان عن مثل هذه السلوكيات والأفعال حيث يروى عن الإمام جعفر الصادق (ع) قال :-

((من أتى غنيا فتصنع له لينال من دنياه ذهب ثلثا دينه)) (18).

وبناء على هذا فان اغلبنا سيكون سعيدا إن امتلك ثلث دينه.!!؟؟

ثانيا / الأسباب النفسية والاجتماعية لسلوك الرشوة .

(نقص فرص الاختيار والوسائل المشروعة لتحقيق الأهداف) (19)

. ومنها فرص العلم والعمل ,و لا شك إن هذا الأمر أصبح شبه سائد في النظام السابق وأصبح شبه شائع في ظل الديمقراطية الحالية فلا عمل ولا منصب رفيع ولا عمل ولا منصب وضيع يتم الحصول عليه من قبل المواطن العادي إلا عن طريق الرشوة , فمن أراد الظفر بفرصة عمل أو منصب عليه أن يبحث أولا عن (رائش) يكون وسيطا بينه وبين صاحب الأمر والشأن , حيث يعج عراق اليوم بالمرتشين والفاستين

مما أشاع ظاهرة الرشوة وأصبح الفرد خارج حلقة (الراشي) وال (مرتشي) و(الرائش) فردا غريبا مغلوبا على أمره وغير مرغوب في دوائر الدولة ومؤسساتها بما فيها القضائية والتربوية وهنا تقع الطامة الكبرى في كيان المجتمع وهدم أكثر قيمة الايجابية قداسة وخطورة بحيث امتد الفساد والرشوة إلى ما يسمى (هيئة النزاهة) و(الهلل الأحمر)!!!

. وتأسيسا على ذلك وبسبب عقود من الاستبداد والجور والحرمان وعدم تكافؤ الفرص التي عاشها العراقيون مما أصاب نسق القيم والمعايير الأخلاقية بالانهيار واستبدال الأبيض بالأسود والصحيح بالخطأ والوضع بالسامي وأصبح الفرد المرتشي والراشي مقبولا لابل مرحبا به في الوسط الاجتماعي خلاف ما يجب إن يكون مرفوضا محتقرا ومنبوذا . ومن الأسباب الهامة أيضا في هذا المجال احتقار المرتشي للضمير المهني الذي يوجب عليه الاستقامة والنزاهة والسلوك القويم المعبر عن ضوابط المهنة وأعرافها وقوانينها الذي غالبا ما يؤدي العرف المهني المهيم على عدم خيانتها أو احترامها وتجاوزها . ومن هذه (عدم فهم الدلالة الأخلاقية للعمل) (20) باعتباره حالة أغناء للذات وخدمة للشعب والوطن وللإنسان بما يسير أمره ويساهم في استقراره الأمني والاقتصادي والنفسي والعلمي لا إن يتعامل مع مهنته كبضاعة وسلعة للبيع والحصول على المال والثروة ساعيا لاغناء مهنته بكل

مزاياه الإنسانية والوطنية والأخلاقية الإيجابية ,
 بما يعين النفس والروح ويثري الذات باعتبارها
 تساهم بفعالية في خدمة المجتمع . وكما يشير
 د . اكرم زيدان :-

((قد ينبع سلوك الرشوة من مفهوم ((الانومي
 ((anomi أو اللامعيارية , بعكس المشكلات
 المرتبطة بضعف أو انعدام القواعد الأخلاقية
 العامة التي تنتج من تضارب القيم الاجتماعية
 بحي لا يوجد تصور واضح محدد حول ما هو
 صواب وما هو خطأ , وهي تماما الحالة التي
 يعيشها المرتشي حيث الانعزال والاستغراق في
 أنشطة خاصة تفتقر إلى الاشتراك في ضمير
 جمعي واحد , وحتى إن وجد هذا الضمير الجمعي
 فان إحساس المرتشي به ضعيف لان درجة
 وضوحه اضعف))(21).

ومن الملاحظ أنَّ القيم الأخلاقية في مثل هذه
 المجتمعات لا تضع اولوياتها سوى ما يتعلق
 بالعفة الجنسية وما يتعلق بالشرف الجنسي
 فقط , فان أي سلوك يتعلق بالاعتداء على
 حقوق وكرامة الآخرين أو المساس بالمال العام
 والصالح الوطني لم ينظر إليه بالرفض
 والامتهان والاحتقار الذي يصل لحد الثورة والرد
 العنيف عندما يتعلق الأمر بالعرض والشرف
 وكما يذكر الدكتور اكرم زيدان :-

((القيم والأخلاق في نظرهم (المرتشين)
 مقصورة على مسائل العرض والعفاف والوفاء
 الزوجي , مما يعني إن الضمير لديهم هو الضمير

الجنسي ، بينما تنعدم كل أنواع القيم الأخرى ،
وان وجدت فتكون ضعيفة وباهته ، خصوصا
القيم المهنية وشرف المهنة والعمل ((39)).

ومن صفات المرتشي انه يتميز بالكسل والملل
والتبرم من بذل الجهد الفكري والجسدي
والإبداع والابتكار في طريقة التفكير والعمل
من اجل بلوغ أهدافه في الترقى والتدرج في
السلم الوظيفي والعلمي والعملية مما يجعله
يؤمن بان الوسيلة التي يتبعها مهما كانت رذيلة
وحقيرة فهي مقبولة ما زالت تؤدي له غرضه
بالوصول إلى هدفه بأقصر وأسهل وأيسر
الطرق للوصول إلى المال الوفير والمنصب
الرفيع مما يجعله يغوص في مستنقع الانتهازية
والميكافيلية والنفعية الضيقة والكسل أيضا عن
العمل الجاد والمخطط للوصول للهدف
بموجب القدرة والكفاءة والمنافسة المشروعة
مع أقرانه،، وتكمن الخطورة في هذه
السلوكيات إن من يسلكها يعتادها ويتكلس ضمن
مضامينها ومظاهرها وأساليبها بحيث يتعذر عليه
تصحيحها أو تغييرها ونبذها كمن يدمن على
التدخين والمشروبات الكحولية أو القمار فيكون
من الصعوبة معالجته ليسلك السلوك القويم.

وهنا نرى إن الكثير ممن موظفي الدولة
الديكتاتورية المنهارة من مدنيين وعسكريين لم
يستطيعوا التخلص من سلوك ((الرشوة))
استمرارا لعاداتهم القديمة على الرغم من انتفاء
في اقل تقدير أهم أسبابها وحوافزها الا هو
الحاجة والعوز الاقتصادي ، حيث بلغت المرتبات

عشرات لابل مئات أضعاف ما كانت عليه آنذاك،
وبما يكفل عيشة رضية هنية للموظف وخصوصا
من ذوي المراتب العليا دون الحاجة للرشوة
وكسب المال بطريق غير مشروع.

وبعد إن استعرضنا الأسباب الاقتصادية
والاجتماعية للرشوة نحاول الآن إن نلقي الضوء
على الأسباب النفسية المؤدية إلى تدعيم
سلوك الرشوة والمرتشي والرائش.

الأسباب النفسية للرشوة:-

يعتقد اغلب علماء النفس والاجتماع إن البناء
النفسي لسلوك الفرد يبدأ من طفولته الأولى
وخصوصا منهج وفلسفة التربية التي ينتهجها
الوالدان داخل الأسرة وبعد ذلك في المدرسة
ومن ثم أقرانه ومجا يليه، وقد لاحظ الباحثون
والعلماء إن بعض الأسر تحاول أن توجه
سلوكيات الأطفال حسب ماتريد وترغب سواء
في الكبت المطلق أو كبت بعض تصرفات
وسلوكيات الأطفال بناء على مبدأ المكافآت
المالية النقدية في حالات الرضا أو حجب هذه
المكافآت في حالات التمرد وعدم الالتزام مما
يعظم عندهم أهمية المال ودوره وارتباطه بكل
عمل يقومون به حتى وان كان واجبا يفرضه
عليهم موقعهم باعتبارهم أعضاء في الأسرة أو
طلابا في المدرسة أو أعضاء في المجتمع أو
مواطنين عليهم واجبات محددة تجاه وطنهم
وشعبهم ،وكما يقول الدكتور أكرم زيدان:-

((اخطر مايقوم به الوالدان هو تقديم المكافأة للطفل بمجرد إن ينتهي من نشاط مرغوب به، فيتعلم الطفل بعد ذلك إن السلوكيات والأنشطة السيئة المنفرة هي التي تؤدي إلى المكافآت، فلا ينمو لديه سلوك حل المشكلات بل الذي ينمو لديه هو سلوك الرشوة)) (40).

إن حالة تدعيم النفعية لتكون الدافع الأساسي للفرد لأداء أو عدم أداء فعل تؤدي إلى خضوع ذات الفرد إلى المؤثرات الخارجية قياسا للفائدة المادية وخصوصا المالية منها وكسب الثروة بمختلف إشكالها وليس دافعا أو رادعا نابعا من داخل الذات نحو عمل ما هو خير والامتناع ومقاومة ورفض ما هو شر ويحضرنا في هذا المجال القيمة الكبرى لمقولة الإمام علي(ع) المشهورة ليوضح سبب إيمانه وعبادته للخالق سبحانه حيث يقول:-

((ماعبدتك خوفا من نارك ولاطمعا في جنتك ولكن عرفتك أهلا للعبادة فعبدتك)).

وهنا تتضح معاني أن يحترم الفرد ذاته ومدى ارتباطه بقناعاته وربط مصالحه بمصالح الجماعة فقد يصل الأمر عند البعض حد التضحية ليس فقط بالمكاسب المادية وحياسة الثروة لابل التضحية بالنفس من اجل مبادئ سامية من اجل خير وسعادة الآخرين وهذا ما يتميز به الأنبياء والمصلحون والدعاة ولنا في تاريخ الأديان والحركات السياسية والاجتماعية الكثير من الأمثلة.

في مجتمعنا العراقي استغل الحكام وأصحاب الثروة والمال هذه الخاصية عند ضعف النفوس الشره ماليا الميول لتدعيم مراكزهم وديمومة سلطانتهم ليضربوا بذلك عصفورين بحجر واحد الاوهوكسب ود ورضا وولاء المنحرفين من محبي المال وترسيخ سلطانتهم

الانتقاص من جرف ومقاومة الأفراد ذوي النزعات الإنسانية من المضحين والايثارين أصحاب العزة والكرامة واحترام الذات، فعمدوا الى إعطاء مواليتهم وأنصارهم منحاً وهباتاً مالية كثرمن لولائهم وكسب مودتهم وان غلفوها بإشارات وأنواط وباجات تعلق على الصدور أو قلائد تعلق في الرقاب وهي لاتعني شيئاً بذاتها لولا ماتضمرة من كسب مالي وفير كأنواط الشجاعة وشارات الحزب حتى وصل الأمر إن كلمة ((العفية)) تترجم إلى مبلغ مالي تقدر كميته بعدد تردادها من قبل القائد؟؟؟ وهذا هو ما يصبو إليه المرتشي ممن هو أعلى منه في الموقع الوظيفي في حين يتحول هذا السلوك إلى ابتزاز مالي ورشوة ممن هم أدنى منه مقابل تمشية أعمالهم واستحقاقاتهم المشروعة وغير المشروعة منها بدافع الحصول على المال.

سيكولوجية الراشي والمرتشي الرائش:-

ماهي صفات وسمات الراشي السيكولوجية؟؟

يرى علماء النفس والاجتماع إن الراشي يتميز بضعف الشخصية ومحدودية قدرتها على التكيف والتأقلم مع القيود والحدود والضوابط الاجتماعية والحكومية ، فهو لا يملك القدرة على فك هذه القيود وتجاوز هذه الحدود بقدراته وجهده الخاص وضمن الضوابط العامة لانجاز معاملة رسمية تخصه أو للحصول على حق مشروع أو رفع ضرر قد يلحق به لسوء تقدير أو تقصير فهو لا يثق بعموم المجتمع وخصوصا بمؤسسات الدولة ومسئولياتها ويرى من الصعوبة عليه التعامل مع أجهزتها البيروقراطية والفاسدة خصوصا في ظل ظاهرة الطوابير المتكدسة دائما على أبواب مدراء وموظفي الدوائر الرسمية حيث تمتهن كرامة الإنسان وبسلب وقته وينهك جسده وهو يسعى لانجاز معاملة بسيطة كتسجيل أو بيع عقار أو الحصول على هوية الأحوال المدنية أو جواز سفر أو شهادة الجنسية أو انجاز معاملة تعيين وتقاعد أو تطوع في الشرطة والجيش.... الخ، مما يدفع الفرد إلى الألتجاء إلى العصا السحرية إلا وهو المال ((الرشوة)) ليكف عن نفسه كل هذه المتاعب ويسهل عليه هذا الأمر وفرة ((الرائشين)) من السماسرة والوسطاء و((فاعلي الخير)) للقيام بهذه المهمة.

ونتيجة لهذه المعاناة التي تواجه المواطن العراقي في انجاز معاملاته في الدوائر الرسمية أصبح داء ((الرشوة)) مرضا مزمنا لابل وباءا واسع الانتشار وبالغ الأضرار(بحيث أصبح

اغلب العراقيين لايراجع أية دائرة إلا عن طريق الواسطة أو عن طريق ((الرائش)) وهو الغالب فلم تعد المحسوبية والمنسوبية تفعل الكثير بجانب ضررتها ومنافستها الأقوى الرشوة((المال)).

هذا موجز لوصف شخصية الراشي فما هو وصف المرتشي؟

فالمرتشي لايرى أمام عينيه غير المال وتعاضم الثروة فهي الهدف وهي الوسيلة لفرض هيمنته وإعلاء شأنه بين الناس وكما يقول د.أكرم زيدان((حب الآخر والشعور بالانتماء وتحقيق الحياة الاجتماعية الايجابية كل هذه الأمور بعيدة عن حسابات المرتشي لما لديه من استبصار مشوه وإدراك مضطرب وضعيف دائما مايوظفه في إطار سلبي يحقق له أهدافه المرضية التي تنحصر في شيء واحد فقط هو المال)) (41).

ومما يميز المرتشي أن له رغبات لا تتوقف عند حد في امتلاك الأشياء والحصول على المال والسلع ذات القيم الرمزية وليس القيم الاستعمالية فغالبا مايلهث وراء آخر الماركات والموديلات من الملابس والسيارات والدور محاكيا في ذلك سلوك الطبقات الراقية الباذخة ليظهر بمظهر القوي المقتدر ومحسوبا على الطبقات الاجتماعية العليا في المجتمع.

ومن صفات المرتشي الخطيرة إحساسه بأنه مهما حصل على مال وثروة فهو لم يأخذ حقه بعد فهو يستحق المزيد لما له من ميزات

وصفات يتوهمها ولما قدمه من خدمات يظن
إنها لاتقدر بثمن وان الآخرين لا يستحقون حتى
جزءاً ضئيلاً منها.

ففي عراقنا اليوم سيطر إحساس وشعور
بالمظلومية مما تعرض له البعض من النظام
السابق وخصوصاً من أفراد الطبقة السياسية
الجديدة التي احتلت كراسي المسؤولية بعد
انهيار الديكتاتورية، لذلك فهم الأولي بالمال
والضياع والغلال من أبناء وطنهم وشعبهم
الذين كانوا ينادون بإنصافهم من ظلم
السلطات وإنهم إنما يضحون من اجلهم
لا يريدون من ذلك جزاء ولا شكوراً، هذا
الإحساس أوهمهم بأنهم الأحق والأفضل في
حصولهم على حصة الأسد من الثروة الوطنية
كضريبة مظلومية وليست ((رشوة)) لاسامح الله
وان أخذت مقابل خدمات وتسهيل معاملات
ومقابل وظائف، وقد بلغ الأمر مبلغاً ليس له
مثيل في تاريخ العراق القديم والجديد فقد
حصل في عراق ((الديمقراطية والشفافية))!!؟؟!

ومن الحيل والأعطية الزائفة التي يحاول
المرتشون أن يتقنعوا بها ليكون عملهم مقبولاً
من قبل الفرد والمجتمع ((نجد إن لفظ
((الرشوة)) وقد اخذ معاني أخرى تتمثل في
((العمولة)) ((النسبة)) وهو مانجده على السنة
المرتشين من رجال الأعمال الجدد أو ما يعرف
بالرأسمالية الجديدة، إما المرتشون من الشرائح
الدنيا فنجدهم يقبلون لفظ الرشوة ويبدلونه
إلى ((إكرامية)) وسمسرة وحلاوة)) ص 78 دون

**أيّ إحساس بإحراج أو مهانة وكما يقول الإمام
علي معرفا هؤلاء**

**((ثلاثة يؤثرون المال على أنفسهم:- تاجر
البحر، وصاحب السلطان، والمرتشى في الحكم)
(22)**

**وهذا ماتشده وتعاني منه اغلب دوائر الدولة
العراقية الآن على مختلف عناوينها حتى وصل
الأمر إن وظائف عليا تباع بالمزاد وفق مبدأ
المحاصصة المتبع في نظام الحكم اليوم فلكل
منصب تسعيرة خاصة تدفع بالمعجل أم المؤجل
لمسئولي الكتل السياسية المحاصصة فيكون
الاختيار بعيدا عن القدرة والكفاءة العلمية
والعملية أو التاريخ النضالي للفرد ضمن المكون
العرقى أو الطائفي نفسه.**

**والأمر الخطير في الرشوة هو إن المرتشى
لاتشبع حاجاته المتجددة دوما وبلا انقطاع مما
يجعله لايقف عند مستوى أو حد معين .**

**ومشكلتنا ليس في اكتشاف الفساد والإشارة
إليه فهو أجلى وأوضح من أن يشار إليه حيث
تجده في طريقك أينما ذهبت وتوجهت ولكن
الأهم من كل ذلك هي إدانته والحد منه ومعاقبة
مرتكبيه عقوبة عرفية اجتماعية وقانونية، حيث
نسمع ونقرا في وسائل الإعلام بأسماء كبيرة
متلبسة في عمل الرشوة بشكل مفضوح ومتكرر
ولكنهم لايعاقبون، حيث يتصدى للدفاع عنهم
فطاحل رجال القانون من المحامين وخبراء
ثغراته وهفواته وتأويل نصوصه لتخليص هؤلاء**

المرتشين من العقوبة كتخليص)) (الشعرة من العجين)) كما يقولون، وان هذا ممكن مازال المرتشي قادرا على دفع المال ولازال القضاء ومؤسسات الدولة تغص بالكثير من أمثاله!! ومازال الفساد والرشوة يطغي على تصرفات وسلوكيات العديد من الأفراد أو الكتل المختلفة والقوى السياسية المهيمنة على السلطة القضائية والتنفيذية والرقابية.

كما مر بنا تحدثنا عن سيكولوجية الراشي والمرتشي ولنتقل للحديث حول الرائش.

الرئاش

في المجتمعات الاستهلاكية غير المنتجة والبيروقراطية والمجتمعات الرأسمالية المترهلة والأنظمة التولتارية الاستبدادية. تتكاثر الشخصيات الهامشية فاقدة الوصف والصفة المهنية كما تتكاثر الطحالب في الماء الآسن والحشائش في الحقل المهجور والتي قد تطغى على الزرع والشجر المثمر فتهلكه لتكون هي السائدة فالسمسار الرائش شخص يعتر على الهامش وليس له أية صفة في الأعمال التي يتوسطها ويتكسب من ربط الأشخاص الحقيقيين أو المعنويين بعضهم ببعض بغض النظر عن كنههما ومن يكونان وهل ينتج عن ارتباطهما من نفع أو ضرر لبعضهما أو لكليهما أو لعموم المجتمع

وهل هذا العمل منسجمٌ مع العرف والقانون أو احدهما أو لا؟؟؟ كل هذه الأسئلة لاتهم الرائش ،إنما الهم الأساسي للرائش حصوله على العمولة من الطرفين المشتري والبائع العارض والطالب وتكاد تشبه مهنته هذه مهنة (القواد)) إلى حد بعيد حيث غالبا ماتكون خالية من كل قيم والأخلاق والمثل الإنسانية الايجابية واتصافه بتجميل صفة ومواصفات الطرفين وتغطية نقائصهما،ومن صفاته انه يجمل ويضفي من الصفات ويبالغ في الوصف والمدح من عنديته خلاف مايكون عليه معروضة ويمتلك قابلية كبيرة في اصطياد الفرائس حينما يظهر بمظهر الشهم صاحب الحمية والغيرة وحب المساعدة (لوجه الله)) لا يطلب من وراء ذلك جزاء ولا شكورا الاماجادت به أيديهم ولكن عندما تقع الفريسة في شباكه وتملكه الحيرة والحاجة والقلق يتمر الرائش في فرض شروطه وطلباته مدعيا إنها طلبات ذوي الشأن طلبات الأستاذ والسيد الفلاني والمسؤول الفلاني ولا يمتنع عن ذمهم واستنكار طمعهم واستغلالهم لحاجات الناس وكيف إن الدنيا أصبحت بأخر الزمان فلا خوف ولا وجل من الله ولا من عباده.

،فيسلك سلوك أكثر المنافقين حقارة وفجاجة،تتصف شخصية الرائش بالتوفيقية والمهادنة والمصانعة والملاينة والتسول الأخلاقي ،لامقياس له سوى النفع والكسب فقط وقد يكون قد تطبع بطبع والديه أو احدهما

وأسرته أو أستاذه وزملاءه وأصدقائه والرئيس
لايختلف من حيث الطبع والوضع عن السماسرة
والدلالين في مختلف المهن كالبيع والشراء في
العقارات ودور البغاء واللاهثين وراء السلطان
وحواشي المسؤولين والهتافين والمروحين
للساسة والسياسيين الفاسدين
والمفسدين.!!؟؟

وكان الرئيس والمرتشي والراشي يخاطبون
المال كما خاطبه بطل شكسبير((أيها الذهب
التمين، أيها البراق أهذا ذهب يكفي ليجعل
الأسود ابيضاً،والقبيح جميلاً؛ والظالم عادلاً
واللئيم نبيلاً،والعجوز فتياً، والجبان باسلاً..ماهذا
أيتها الالهة الخالدون،هذا مايشغل الكهنة
وخدمهم عن هذا يحكم... هذا النقد الأصفر
يبنى ويهدم أديانكم،ويبارك الملاعين،ويجعل
الأبرص الأبيض معبوداً انه هو الذي يضع
للصوص على مقاعد الشيوخ ويمنحهم ألقابهم
وما يحيط بهم من احترام وخنوع انه هو الذي
يجعل من الأرملة العجوز البالية..عروساً
صبية..هيا أيها الصلصال الملعون..ياقوادة
الجنس البشري)) (23)

ووفق ما عرضناه أنفا ماهي الأساليب والوسائل
الفعالة التي يجب إتباعها لاجتثاث هذا المرض
الخطير أو للحد منه على أقل تقدير،؟؟؟

حيث نرى إن الإجراءات التالية يمكن إن تكون
نافعة في هذا المجال:-

1- العمل على حث العوائل والأسر خصوصا الوالدين لأتباع طريقة تربوية تتسم بتحفيز المدوافع المعنوية والبواعث الداخلية كالشعور بالفرح والسعادة وامتلاء الذات والإحساس بالأهمية والرفعة وروح المسؤولية الواجبة في انجاز الواجبات تجاه نفسه والآخرين، والتشجيع بروح الانسجام والالتحام بالجماعة وحب فعل الخير والإحساس بالمهانة والنفور والضعة تجاه الأفعال والإعمال والسلوكيات المنحرفة والضارة بالفرد والمجتمع.

2- إعادة النظر بالمناهج التربوية في الروضة والمدرسة بمختلف مراحلها على تنمية رصيد الفعل الايجابي والايثاري لدى النشأ الجديد، واختزال قيم الانوية الضيقة ونزعة حب المال كونه هدفا وليس وسيلة لتحقيق مطالب الإنسان المشروعة، وعدم اعتماد الحوافز والجوائز المالية لحالات التفوق والاجتهاد في الدراسة والابتكار.

3- تتبنى المؤسسات الثقافية والإعلامية ومنظمات المجتمع المدني ورجال الدين والسياسة حملة تثقيفية واسعة للحد من سلوكيات الرشوة والارتشاء ونبذ المتعاملين بها، لتكون ثقافة عامة وعرفاً اجتماعياً قبل أن تكون قانون دولة لتكون مثل هذه الأفعال عملاً مخلاً بالشرف الاجتماعي للفرد يداني في أثره أساس المس بالعرض والمساس بسمعة الفرد المنحرف جنسياً.

4-بالإضافة إلى أولا وثانيا التي تسعى أن تقترب الأعراف الاجتماعية من القانون والقواعد القانونية الصادرة من الدولة مما يكسبها فاعلية كبيرة في التنفيذ والردع بقدر قربها من العرف الاجتماعي السائد.

5- إن تتضمن الأنظمة الداخلية ولوائح وضوابط الأحزاب والحركات السياسية ومنظمات المجتمع المدني والمنظمات المهنية والديمقراطية شرطا بعدم قبول وطرد ونبذ الرائش والراشي والمرتشي من صفوفها وان يمنع من يحمل هذه الصفات من تبوء أية مسؤولية وظيفية وخدمة ذات شان عام في مختلف مؤسسات الدولة وبمختلف مستوياتها وأوصافه القضائية والتشريعية والتنفيذية والخدمية.

حيث لا تكفي المواعظ الدينية والأخلاقية والشعارات لمحاربة والحد من مثل هذه الظواهر في مجتمع يعيش حالة من تفكك وتدهور بناه القيمة والمعيارية الايجابية بفعل ظروف قاهرة فحتى الوعد بالنار لم تمنع من الرشوة وكما يقول الرسول الكريم(ص) (الراشي والمرتشي في النار) و(كل لحم ثبت من حرام مأواه النار) ولكن دون جدوى.

6- كذلك يفترض أن نعمل على بناء الشخصية الفاعلة والذات العزيزة المنتجة وتوفير فرص العمل المنتج للقضاء على العناصر الهامشية الطفيلية المروجة لكل بضاعة رديئة وفعل دنيء

وكسب لامشروع تحت ضغط الحاجة وبدافع ثقافة الاستهلاك والامتلاك،

7- العمل على بناء وتشكيل ثقافة النزاهة وليس مؤسسة النزاهة لتكون النزاهة التي يجب أن تكون قيمة عليا من ضمن المجتمع المنبثقة من ذاته لا تكون مؤسسة منعزلة عنه ووصية عليه مشرعة فساد وخراب قيمه.

ومن الممارسات الغريبة التي تحصل إن الكثير من الأغنياء ومالكي الثروة بشكل غير مشروع يأتون إلى المراجع الدينية وكل حسب ديانته ومعتقدده ليبيض رأسماله الوسخ بإعطاء نزر يسير مما يملك مقابل مباركة ثروته الطائلة وإذا احتكنا لقول سيد الحكماء الإمام علي عليه السلام حيث يقول ((ماجمعت ثروة إلا من بخل أو حرام)) ومن المعروف لكل عاقل اليوم إنَّ البخل لايمكن أن يجمع ثروة طائلة مهما بلغ مورده من العمل والكسب الحلال في وقتنا الحاضر فلا يمكننا أن نستنتج غير إن سبب الفائض الكبير من الثروة من الحرام وهنا كيف يحل لأي كائن من كان أن يباركه ويعفيه من مسؤوليته الانسانية والشرعية؟؟؟.

البخل والبلاء

البخل / ((هي صفة نطلق على من يملك المال ولا ينفق منه حين يستوجب الإنفاق نفسه أو أسرته أو أصدقائه وأقربائه ، وصفت البخل اطلقت على الأغنياء لامتلاكهم المال ولا تنفق على الفقراء ، وصفة البخل تطلق على الرجال

والنساء على حد سواء ، وتمتد ظاهرة البخل لتجاوز البخل بالمال إلى البخل بالانفعالات العاطفية والوجدانية وقد عرف ادم زيدان البخيل (هو من يملك المال وسيلة قدرة على الإنفاق لكنه يعطل عن عمد وقصد تلك القدرة يمتنع عن الإنفاق))(1).

وفي مقولة للإمام علي (ع) في وصف البخل ((عجت للبخيل يستعجل الفقر الذي منه هرب ، ويفوته الغنى الذي أتاه طلب ، فيعيش في الدنيا عيش الفقراء ، ويحاسب في الآخرة حساب الأغنياء))(2)

حيث يصبح الحصول على المال واحتباسه هم الأول الذي لا يعلوه هم آخر فيغرق في هوس الثراء ، فيصبح المال غاية وليست وسيلة ، وبذلك يتحكم فيه المال ويستعبده وليس العكس .

وقد أشار الدكتور أكرم زيدان إلى أنواع عديدة من البخل والبخلاء فهناك بخل الحرص والتدبير _ والذي غالبا ما غير سلوك صاحبه بالحرص الفريد على المال خارج أسرته فيما هو ينفقه بشكل جيد على أسرته .

بخل الوهم والخداع ، هذا البخل هو من لا يشعر الفرد به ويظنه تصرفاً طبيعياً ولا يخرج عن المألوف .

بخل الحسد:-

البخيل الحاسد يعتمد الظهور بمظهر البائس
 الفقير بعدم امتلاكه للمال تحاشيا لحسد
 الآخرين ، نظرا لإيمانه بالحسد والخوف من
 ترصد الآخرين له ولثروته وحجبها عن العيون ،
 فهو لا يثق بالناس مهما كانت علاقته بهم ولا
 يرى فيهم غير متربصين به وبثروته .

بخل المحافظــــــــــــة :-

وهذا النوع من البخل من ينظر إلى امتلاك
 الآخرين لمال وثروة تزيد على ثروته غير
 مشروع فمن يمتلك أكثر منه إنما هو حق
 مغتصب من حقوقه لا بد من استرجاعه فهمه
 التفوق على الجميع من حيث امتلاك الثروة
 والمال ((أن نمتلك شيئا فهذا حقك ، إما أن
 يكون أكثر مني فذاك حقي))(10)

ويمتاز هذا النوع في الدقة في المواعيد
 والالتزام بالاتفاقات وخصوصا المالية ، ومن
 خواصه الطريفة شغفه بامتلاك وتخزين المواد
 والسلع التافهة التي يزهد بها الآخرون ويكدسها
 ظلما منه إنها تخزن في ذاتها قيمة كبيرة ستعود
 إليها في يوم من الأيام القادمة .

يعزى هذا السلوك لهذا النوع من البخلاء كنتيجة
 لحرمانهم ما يتمنوه في طفولتهم لأي سبب من
 الأسباب ، فيرون في هذا الاكتناز تعويضا لما
 فات.

البخيل الانفعالي :

ويرى علماء النفس والاجتماع إن ظاهرة البخل لا تتوقف عند البخل بالمال وإنما ما هو اخطر من ذلك امتدادا إلى حيز المشاعر والعاطفة والوجدانية حيث يقول الدكتور أكرم زيدان ((قلما نجد بخيلا انفعاليا يتألم مع المتألمين أو يبكي مع الباكين أو حتى يبتهج مع المبتهجين ، فالبخل الانفعالي أناني الطبع ، نرجسي الشخصية ولاستطيع أن يشارك الآخرين كذاتهم ونادرا ما يشعر بالشفقة نحو الآخرين ... وبذلك تكون الشفقة المرغوبة من قبل البخل انفعاليا هي ضرب من ضروب الإذلال والمهانة للآخر، لأنه لا يتعاطف مع الآخرين إلا لكي يتوهم بأنه الأقوى وهم الأضعف والأدنى والأقل (3).

وكم تبدو العلاقات بين الناس جافة وباردة وكريهة حينما يكثر هذا النوع من البخلاء في المجتمع ، أو يتلى شخص بهذا النوع من الناس في علاقاته ومحيطه الاجتماعي ، حيث يضاعف تصرفهم هم المهموم ومصيبة المصاب وألم المتألم بدل أن يهبوا لنصرتة وتخفيف آلامه وجزعه ومصابه .

هذه النماذج لا تحسن غير توجيه اللوم والتقصير وقلة التدبير وخطل التفكير لمن يتعرض لكارثة أو أذى وخسارة مالية ضارين المثل بأنفسهم وكيف يملكون من القدرة والحكمة ومن التدبير ما يحصنهم ويجنبهم التعرض إلى المصائب والمحن والكوارث . وهم يجيدون لغة المؤانسة

والمجالسة الا فيما يعلي من شانهم ويحط من قيمته وكرامة غيرهم فهم بخلاء في الكلمة الطيبة ناهيك عن الفعل الخير ، بخلاء في المعلومة والنصيحة فلكل ذلك عندهم ثمن لا يمكن التفريط به دون استلام المقابل المالي له ففراقهم نعمة وجفائهم رحمة ومعرفتهم نعمة.

الخصائص النفسية للبخلاء :

يوصف البخلاء بأنهم

((شديدا الذكاء والمكر والخداع والكتمان ، يتظاهرون بالفقر والحاجة حاسدون حاسدون) (4).

وقد يصف البعض البخلاء بأنهم من يتناولون الطعام بشراهة وبكثرة في الولائم والعزائم وعندما يقدم إليهم بينما يشحون به ويكفون عن تقديمه للآخرين ويوصفون بذي الوجوه الصفراء القبيحة والملابس الرثة والسكن الوضيع لا زهدا وتواضعا ولكن حرصا على المال ، فهو يعد على منخريه أنفاسها وبعد على عينه نظراتها وبعد على قدميه خطواتها إن لم تكن جالبة للمال والمنفعة المادية ، لإمكان عنده للجمال والكمال وأي فعل ذو شان ووصف معنوي فلا معنى لديه للتضامن والتعاون ناهيك عن التضحية والإيثار .

ومما يجب الالتفات إليه هو محاولة الثقافة الرأسمالية في عصر العولمة غرس هذه القيم

والسلوكيات عند الأفراد تحت دعاوي البراغمية الفجة وعزل الفرد عن مجتمعه ومحيطه غير تبذير الذات الانسانية ونذير المجتمعات والكيانات في العالم مضطرب تهيمن عليه النفعية واللهاث وراء المال والمال فقط .

ولنا من مثال (الموبايل) الهاتف المحمول مثلا إذ أصبح يعد عليك الثواني والدقائق وأنت تتحدث أو تستمع ليعطيك فاتورة وثمان استفسارك عن صديق أو الاطمئنان على حال أو تلقي جواب السؤال.

فلكل شئ ثمن _ مال _ وبدون المال يتعطل كل شيء ، فمهما بلغت رفعتك وعلا شأنك العلمي والمعرفي والاجتماعي لا يستجيب لك ((الموبايل)) حتى وان كان حديثك سينقذ الكرة الأرضية من الهلاك دون إن تعبئه برصيد مالي يغطي ثمنها لمكالمة مما أشاع ظاهرة ((الترميش)) كعلاقة تواصل بين الناس بعضهم بعض عندما لا تكون ذات مردود مالي عوضا عن الحديث الحميم.

وفي هذا المجال يذكر أبو عبد الرحمن الثوري :-
 (إنما صار تأويل الدرهم ((دار الهم)) ، وتأويل الدينار ((يدني إلى النار)) إن الدرهم إن خرج إلى غير خلف وإلى غير بدل صار دارا للهم، وكذلك الدينار فانه إذا انفق من غير خلف فانه يكون اقرب إلى النار)) (5)

خامسا:- يتميز البخيل بعدم تحمل المسؤولية في أي شان من شؤون الحياة العامة والخاصة

ما عدا مايو فر له المال والكسب المالي ،فهو يهرب ويتهرب من أية مسؤولية قد ينتج عنها تبعات مالية).

وعلينا أن ندرك مدى خطورة الأمر لو شاع هذا السلوك بين أفراد المجتمع الذي يتطلب من أفراد العفة والتضحية والإيثار دفعا لعدوان خارجي أو استبداد داخلي قد يصل حد التضحية بالمال والملك والنفوس ومن إفرازات الواقع نرى ضعف وعدم جماهيرية الحركات السياسية والاجتماعية في عراق اليوم التي تترفع على الهبات والمكارم والعطايا المشروطة من دول وحكومات تحاول أن تفرض سيادتها على الشعب وتنهب ثرواته وخيراته وتكريس هيمنتها وسيادتها عليه، ومن الأمثلة المؤلمة في هذا المجال إن تحول منظمات المجتمع المدني الذي يفترض أن تكون منظمات ينتمي إليها الأفراد بشكل طوعي ويساهمون في ماليتها ونفقاتها من دخلهم الخاص لخدمة هدف عام ومبادئ يؤمنون بها، تحولت إلى منظمات نفعية ووسائل كسب وارتزاق تحت يافطة هدف أنساني عام. وهذا أشاع قيم الفساد والرشوة والأنانية على القيم الاجتماعية الايجابية .

سادسا؛- السلوك ألاجتنابي:- وهو بالتأكيد احد نتائج البخل وحب المال وتجنب كل مايؤدي إلى إنفاقه؟،وبالتالي تدفع الفرد إلى التجنب والابتعاد عن إقامة العلاقات الاجتماعية العامة ويؤدي إلى الشك والريبة والاجتناب والى

العدوانية أحيانا تجنبنا لأي اثر مالي وان كان ثمن ذلك قطيعة مع الآخر

((فأصبح اللاشعور لديهم هو حديث المال والرغبة هي اجتناب الآخر)) (6).

وكما يقول ماركس:-

(للاحتفاظ بالمعدن الثمين، وحفظه في حالة النقد، وبالتالي حفظه للتكنيز لايجب منعه من الزواج أو من ينحل، كوسيلة للشراء، إلى وسائل للمتعة، فالكثر -يضحي- إذن- لهذا الوثن الفيتشي، بجميع ميول جسده) (7).

ولو فتشنا عن الأسباب الكامنة وراء البخل لوجدنا إن سلوك احد الوالدين أو كليهما واتصافه بأحد صنوف البخل والتقتير سينعكس بشكل سلبي على عموم الأسرة وبالأخص الأبناء ويطبعهم بطابع البخل والتقتير ويورثهم هذا السلوك المذموم الذي قد يؤدي في حالات كثيرة إلى تفكك الأسرة وفتور العلاقات الأسرية بين أفرادها لأنها ستكون مبنية على النفع والكسب المادي والمشاعر والأحاسيس والعواطف الانسانية التي تبنى عليها الأسرة، وقد يؤدي هذا السلوك إلى انحرافات خطيرة من قبل احد الوالدين أو كليهما وخصوصا زوجة الرجل البخيل وأولاده وبناته ولم يتطبعوا بطباعه ويقف بخل رب الأسرة دون تحقيق طلباتهم وحاجاتهم الضرورية .

من كل ماتقدم نستطيع أن نخلص إلى إن البخل ينعكس سلبا على نفسية البخلاء وأسره

ومجتمعهم ويتنافى مع قيم ومفاهيم المجتمع
السليم.

إما البخلاء أنفسهم فيبررون نهجهم وبخلهم
بمبررات وادعاءات زائفة لاتصمد أمام المناقشة
وقوة البرهان الذي يثبت خطئها وزيفها ومن
تصورات البخلاء:-

*أنهم يرون في المال القوة القاهرة التي يمكن
إن تصنع المستحيلات مما يبرر البخل والتقتير.

*ومنهم من يرى انه إنما يسلك سلوك "الزهاد
والأتقياء" وتمثل خصائصهم وهو ادعاء باطل
شكلا ومضمونا فالزهاد والأتقياء لايمسكون على
مال ولايخزنون على مال ولايخزنون ذهباً ولا
غلال كما هو حال البخلاء-حيث تمكنوا من
السيطرة على غرائزهم في حب المال والملبس
والمسكن والأكل خدمة للصالح العام وزهدا في
المال لأجمعه وكنزه.وكما يقول عمر بن عبد
العزير :-

(إن هذه الأمة لم تختلف في ربها ولا في نبيها
ولا في كتابها وإنما اختلفت في الدينار
والدرهم) (8).

*ويبرر البعض فعل البخل من اجل أبناءه
ومستقبلهم في الوقت الذي حرمهم من ابسط
الحقوق والاحتياجات الضرورية؟؟!! ويتساوى
في هذا الفعل والسلوك من له أبناء ومن ليس
له أبناء مما يبطل ويدحض هذه الحجة.

وقد يسوقون لك العشرات من المذرائع والحجج لإقناع أنفسهم المريضة وإقناع منتقديهم بصواب تصرفاتهم وسلوكياتهم.

من طرائف البخل والبخلاء:-

هناك مثل اطمع من أشعب وحكايته

(رأى سلا لا يصنع سلة فقال له:-

أوسعها.

قال:-مالك وذاك؟

قال:- لعل صاحبها يهدي لي فيها شيئاً!!!)(9)

ويروى أنّ بخيلا سأل الناس هل يوجد من هو أكثر منه بخلا فأجابته الناس بنعم وادلوه على اسم وسكن هذا البخيل.

فقصده ووقف عند بابه وعندما طرقت الباب خرج إليه الشخص المقصود بعد أن أغلق الباب خلفه وقد كانت إحدى عينيه معصوبة وعندما سأله متأسفاً على ما حصل لعينه من الأذى رد عليه:-

إن عينه معافاة ولكنه اثر أن لا يستخدم كلتا عينيه إلا في عد المال وجمع الغلال والتهام طعام الولايم؟؟!!

عندها قفل الرجل عائداً إلى داره معترفاً بعلو منزلة زميله متوجاً على رؤوس البخلاء؟؟؟

وهناك الكثير من القصص والحكايات والطرائف عن البخل والبخلاء حفل بها كتاب الجاحظ وغيره.

- 1- اكرم زيدان - سايكولوجيا المال - ص 101.
- 2- المصدر نفسه ص 108.
- 3- المصدر نفسه - ص 102.
- 4- هادي العلوي- أضواء على معضلة الكنز- ص 17
- 5- كارل ماركس- رأس المال- ص 175.
- 6- أكرم زيدان- سيكولوجية المال- ص 66.
- 7- المصدر نفسه ص 66.
- 8- هادي العلوي-المستطرف - منشورات دار المدى- الطبعة الثالثة - ص 307.
- 9- أكرم زيدان- سيكولوجية المال- ص 21.
- 10- أكرم زيدان- سيكولوجية المال- ص 177
- 11- المصدر نفسه - ص 76

الدين

((قاتلك يقتلك مرة واحدة في العمر، وديونك تقتلك ألف مرة في اليوم الواحد)) (1).

إن ظاهرة الدين أخذت شكلها الراهن المعروف مع ظهور النقد واتساع هوة الفوارق الطبقيّة وخصوصاً مع نشوء وتطور الرأسمالية، وقد مرت هذه الظاهرة بمراحل تطور مختلفة واتخذت أشكال واليات مختلفة ومتباينة، وارتبطت النظرة إلى الدين باختلاف القيم الاجتماعية والثقافية وطبيعة التشكيلة الاقتصادية الاجتماعية السائدة في مرحلة من مراحل التطور، حيث إن بعض المجتمعات تنظر بعين

الدونية وعدم التقدير للدائن والمدين وبعضها تأقلمت مع هذه الظاهرة مع نمو الرأسمال التجاري والربوي ورأس المال المالي في الرأسمالية المتطورة بحيث أصبح الدين يستعبد شعوبا ودولا وليس أفرادا كما هو في عصر العبيد ، وأصبحت له مؤسساته الضخمة التي تدير أعمال أصحاب رؤوس الأموال في كل العالم مثل صندوق النقد الدولي والبنك الدولي وغيرها وأصبح أمرا متعارفا عليه ومقبولا لابل سائدا بين مختلف بلدان العالم كدول وجماعات وإفراد في ظل العولمة الرأسمالية بقيادة الرأسمالية الأمريكية سيدة الرأسمال العالمي وصاحبة أضخم وأقوى اقتصاد في العالم حيث ترتبط بمدىونية داخلية وخارجية ضخمة ولاشك إن اسباب الديون مختلفة ومنها الكوارث والحروب والبذخ وسوء الإدارة المالي على المستوى الدولي أو الفردي وان مايعانيه العراق من ديون ملياريه كمخلفات للنهج الديكتاتوري وحروبه وبذخه وسوء إدارته مما جعل العراق وطنا وشعبا مرتها لصندوق النقد الدولي وهو الراعي والوسيط الذي يتولى تسوية الأمور المالية للدول والحكومات وكأنه ((تمنى))* الذي يمتص الثروات الشعب ويخضعها لهيمنته وسلطته مقابل تخليصها من براثن الديون والدائنين وهو طبعاً يرعى ويحرص ويدافع عن مصالح أصحاب رؤوس الأموال من الدائنين وليس مصالح الدول والشعوب المدينة.

إما على الجانب الفردي لسلوك الدين كما قسمه د. أكرم زيدان، فهناك الاتجاه الايجابي نحو الدين فمنه المدين العادي وهو الفرد المضطر بسبب البطالة والضيقة الاقتصادية لسد بعض الاحتياجات والضرورات الحياتية ليستدين المال مضطرا مع أساسه بالحرص والخل والضعف ولكن مباليد حيلة. وغالبا ما يستتر مثل هذا النموذج على كونه مدينا.

وهنا يسمى (المدين الماكر) وهذا النوع لا يستدين المال طلبا لحاجة مالية أو اقتصادية وإنما لسد حاجة نفسية ونقص في ذاته وغالبا ما يعلن للناس بمناسبة وغير مناسبة انه مدين وبحاجة للمال دفعا لحسد الحاسدين وطمع الطامعين اللذين بعضهم يعدون عليه ماله ويرقبون حاله.

ومن دوافع الدين بعض المشاعر للأشخاص المحبطين ((الأجتنايين)) اللذين يعجزون عن مواجهة الظروف الصعبة والمحيطه بهم مما يدفعهم إلى الدين كحل وهروب من واقع صعب وعجز في المواصلة.

وهناك من يسعى للصرف والبذخ وتبذير المال باعتباره مصدر الشرور والويلات وما جمعه شخص إلا تعرض للمصائب والنوائب مما يجعله يفقد ماله رغم وفرته ويسلك سلوك الدين وطلب المال كوسيلة للوقاية من شرور المال وهذا ما يسمى بمرض ((فوبيا المال)).

ومنهم من يبتلى بهوس الشراء باعتبار شراء السلع هدفا وليس غاية تحت ضغط نزعة استهلاكية طاغية وخصوصا في الواقع العالمي الراهن وتعدد وسائل وحبائل الشركات المصنعة للسلع في اصطلياد المستهلكين وإغرائهم بالشراء وخصوصا بوجود أساليب الدعاية السحرية. وقد يكون بعض هؤلاء يشتري السلع والأدوات والملابس والأثاث لاسبب الحاجة وعدم الكفاية وإنما لغرض المباهاة ومسايرة الطبقات العليا وأصحاب الدخول المالية العالية القادرة على صرف المبالغ الضخمة على احتياجات كمالية وملاحقة الموضة ومسايرة الموديلات المتجددة والمتغيرة دوما، مما يضع هذا الفرد في حلقة مهلكة من الديون والصرف اللامبرر والذي غالبا ما يقتدي ويستشهد بالمقولة الشائعة ((أصرف مافي الجيب يأتيك ما في الغيب)).

الخصائص الشخصية لسلوك الدائن والمدين

غالبا ماتسود علاقة الحسد والضغينة بين الدائن والمدين في دواخلهم وان بدا الود والتعاون هو السائد بينهم. على الرغم من كون هذا الأمر لم يكن يمثل هذه الحدة في المجتمعات التقليدية ذات الأعراف والقيم الايجابية المبنية على التعاون والتكافل والذي سعت العولمة

الرأسمالية إلى تسليعها وإدخالها في حسابات الربح والخسارة والتحاسد والتباغض.

ومن أشكال شخصيات الدائنين :-

الدائن الصائد حيث تدفع نفسية وسلوكية هذا الشخص مالك المال إلى التفتيش ونصب الشباك وإغراء فرائسه للوقوع في شباكه واستدانتهم منه لاحقاً في مساعدتهم وإنما سعياً لإذلالهم وإشعارهم بالدونية وشعوره بالمتعة والسعادة والعلو مازال محاطاً بمثل هذه النماذج الذي تحتاج إلى معونته ومساعدته ومنته وفضله وهو طبعاً يسعى بشتى الوسائل لأبقاء هذه العلاقة ودوامها إمعاناً في إطالة إذلال المدين وامتتهان كرامته بفعل الشعور بالدونية والحاجة للمال، بشرط عدم وصول المدين للعجز عن السداد وإيفاء الديون، وكما ذكر الإمام علي عليه السلام

((من ملك استأثر)) (2)

وهناك من الأشخاص اللذين يسعون لكسب المال والادخار والربح عن طريق استدانة المال المفترض دون فائدة أو ربح والعمل على استثماره أو إيداعه في المصارف والبنوك للحصول على أرباحه بدعوى ما يدعيه من الحاجة وطلب المساعدة لفك ضائقة موهومة ليحصل على قرض دون فوائد من الأهل والأصدقاء والأقرباء والمصارف.

وهناك من يكون مدفوعاً للاستدانة بعامل قهري لا يفقه أسبابه ولا دوافعه إنما يستدين من أجل

الدين فقط لأسباب خارجة عن إرادته وتحكمه
وقراره وإنما لخلل نفسي

((الطمع رق مؤبد)) (3)

كذلك يخص العلماء وجود ((المدين الماكر)) وهذا
النوع إنما يسعى للحصول على المال بالمكر
والحيلة واستغلال الآخرين واستدراج عواطفهم
الإنسانية ليستغله في الربا والادخار والاحتيال.

ويكثر مثل هؤلاء في المجتمعات الاستهلاكية
والطفيلية غير المنتجة وذات القيم المختلة
والمتدهورة والعوائل المفككة وهو غالباً مترافق
الأزمات المالية الحادة والضعف الاقتصادي
والكوارث والحروب.

قال الحسن (ع):-

(لو وجدت رغيفا من حلال لأحرقته ثم سحقته
ثم جعلته ذرورا، ثم داويت به المرضى) (4)

هذا ما كان زمان الإمام الحسن عليه اللام فما
عسانا أن نقول الآن في زمن طغيان هيمنة
رأس المال المتوحش وسيادة نزعة الربح ثم
الربح ثم الربح وزمن المغريات الكبيرة
والاحتياجات المتجددة دوماً للمال لتغطية نزعة
الاستهلاك المهيمنة على الإنسان في عصر
العولمة الراسماليه.

ونختم بقول ماركس في هذا لباب حيث يقول:-

((إذا كانت النقود حسب قول أوجيبه)) قد
ظهرت إلى الوجود وعلى احد وجهيها بقع

طبيعية من الدماء. فان الرأس مالي يأتي إلى الوجود وهو يتصعب دماءً ووحلاً من جميع مسامه)) (5).

- 1- ابن أبي الحديد- شرح نهج البلاغة - ص 114.
- 2- أكرم زيدان -سيكولوجية المال- ص 118.
- 3- المصدر نفسه ص 120.
- 4- المصدر نفسه - .
- 5- هادي العلوي- المستطرف ص 122.

*((تمنى)) هو نوتي مركب الآلهة، ويقوم بمهمة عبورها من شاطئ نهر النيل إلى آخر وخلال تأديته لهذه الوظيفة قد يطالب بثمن مقابل لبعض خدماته.انه يرحب بما يقدم له من هدايا، وعلى استعداد تام لقبول أية رشوة)).

المراجع:-

.....

نود أن نشير إلى الجهد الفكري الكبير المبذول من قبل الأستاذ الدكتور أكرم زيدان في كتابه القيم (سيكولوجية المال) * هوس الثراء وأمراض الثروة. باعتباره بحثاً فريداً من نوعه وموضوعه مما يجعله يحتل أهمية كبيرة لإشغاله فراغاً هاماً في المكتبة العربية حسب علمنا المتواضع. وقد كان لمضمون الكتاب اثر كبير في إنضاج وإخراج هذا البحث مرتدياً حلة عراقية.

كارل ماركس - رأس المال - مكتبة المعارف
بيروت-الطبعة الثانية-ص 1134.

6- د.أكرم زيدان- سيكولوجية المال- عالم
المعرفة- ص 79.

7- المصدر نفسه ص 79.

8- ابن أبي الحديد- شرح نهج البلاغة- دار
الكتاب العربي- الطبعة الأولى-ص 252.

9- المصدر نفسه السابق.

10- المصدر نفسه ص 187 خطبه 129 ج 8.

11- أكرم زيدان- سيكولوجية المال- ص 87.

12- المصدر نفسه ص 96.

13- نهج البلاغة ج 18 خطبه 98 ص 98.

14- أكرم زيدان- سيكولوجية المال-ص 100.

15- نفس المصدر ص 101.

16- المصدر نفسه ص 108.

17- المصدر نفسه -ص 102.

18- هادي العلوي- أضواء على معضلة الكنز- ص

17

19- كارل ماركس- رأس المال- ص 175.

20- أكرم زيدان- سيكولوجية المال-ص 66.

21- نفس المصدر نفسه ص 66.

22- هادي العلوي-المستطرف -منشورات دار

المدى- الطبعة الثالثة -ص 307.

23- أكرم زيدان- سيكولوجية المال-ص 21.

24- المصدر نفسه - ص 76.

25- المصدر نفسه -ص 76.

26- ابن أبي الحديد-نهج البلاغة- ص 993.

27- كارل ماركس- رأس المال- ص 1175.

28- أكرم زيدان -سيكولوجية المال- ص 114.

29- ابن أبي الحديد- شرح نهج البلاغة - ص

114.

- 30- أكرم زيدان -سيكولوجية المال- ص 118.
- 31- المصدر نفسه ص 120.
- 32- المصدر نفسه - .
- 33- هادي العلوي- المستطرف ص 122.
- 34- أكرم زيدان-سيكولوجية المال- ص 129.
- 35- كارل ماركس -رأس المال - ص 177.
- 36- هادي العلوي - المستطرف -ص 25.
- 37- ابن أبي الحديد - نهج البلاغة - ص 331.
- 38- أكرم زيدان-سيكولوجية المال-ص 177.
- 39- ابن أبي الحديد- نهج البلاغة - ج 16 خ 162.
- 40- المصدر نفسه ج 16 ص 133 خ 182.
- 41- المصدر نفسه ص 202.
- 42- المصدر نفسه ص 202.
- 43- كارل ماركس -رأس المال-ص 1134.
- 44- أكرم زيدان - سيكولوجية المال-ص 70.
- 45- المصدر نفسه -ص 72.
- 46- المصدر نفسه - ص 76.
- 47- المصدر نفسه - ص 122.

واقع المرأة العراقية في الماضي والحاضر

تسود في عراق اليوم نزوات ودعوات وأفعال
ظالمة ضد المرأة تمس بكرامتها وإنسانيتها
وعظمة دورها كأم وأخت وحبيبة، فقد ذكرت

جريدة (طريق الشعب) في العدد 2978 تشرين الثاني 2007 تحت عنوان (البرابرة يتصيدون النساء في البصرة) وقالت الناشطة (ل.م) في منظمة رابطة المرأة العراقية في البصرة :-

سجلت منظمتنا كمعدل (20 جريمة) قتل تطلال النساء شهريا ووضحت ان المبررات التي يشيعها المجرمون هي ان النساء اللواتي يتعرضن للقتل إما سيئات السمعة أو لا يلتزمين بالحجاب الإسلامي وحتى عدم ارتداء العباءة أو التبرج وأشارت إلى ان الجهات التي تقوم بهذه العمليات هي جهات متعددة وهي عصابات منظمة تتستر بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)

هذه المرأة المخلوق العظيم والجميل والذي يروى ان الإنسان اليوناني كان ينحني خشوعا واحتراما ان صادفته امرأة حامل

ومن يتحرى تاريخ وأسباب وبواعث مثل هذه السلوكيات الشائنة التي تسيء كثيرا للدين والشرع المقدس وكذلك للعرف والتقاليد والقيم السامية التي يحملها المواطن العربي والعراقي على مدى تاريخه الطويل فالمرأة دائما محل احترام وتقدير وإجلال وليس هناك أدل من ما يذكره التاريخ القديم والحديث عن الشخصيات النسائية العربية والعراقية التي سجل لها التاريخ أجمل وأروع الصور في العلم والقيادة والحكمة .

فما هي الأسباب المستترة وراء مثل هذه الظاهرة التي تبدو غريبة على المجتمع العراقي خصوصا .

هذا ما سنحاول ان نلقي الضوء على بعض ما نراه من الأسباب سواء السياسية أو الاجتماعية والثقافية في العصر السابق أو في عصرنا الراهن.

أولا :- في التاريخ العربي الإسلامي

استطاع بنو أمية الاستحواذ على الخلافة واخذ السلطة بعد صراع مرير مع العلويين دار بين الإمام علي (ع) ومعاوية بن أبي سفيان من بني أمية انتهى إلى اغتيال الإمام علي (ع) وسيادة معاوية وجعل أمر الخلافة ميراثا لابناء ورهطه من بعده بعد ان كانت بالشورى.

فلم تهدأ حرارة المقاومة عند أهل بيت الرسول (ص) لهذا التعدي الفاضح على حقهم في الخلافة نظرا لقرابتهم من الرسول (ص) وكونهم من سلالة واهل بيته من علي وفاطمة(ع) واستمر الخلاف السياسي في الاسلام وتمخض عن اتجاهين:-.

الأول:- يدعو إلى الأحقية في الخلافة لمن كان من نسل فاطمة ابنة الرسول (ص) وابن عمه علي ابن أبي طالب زوجها باعتبارهما من صلب الرسول وهم من اشتهروا على طول التاريخ

بالعلويين وهم الأئمة المعصومين (ع) وأبنائهم وخلفائهم.

إما العباسيون أبناء العباس عم الرسول فيرون ان العباس عم النبي اقرب إلى الرسول من ابن عمه ولا يعتد العرب بنسب المرأة بما معروف بالعائلة الأبوية فلا يعني الانتماء إلى فاطمة بنت الرسول ان أبنائها من علي هم الأقرب للرسول وهم الأحق بالخلافة.

وفي الوقت الذي تمسك فيه العلويون بنسبهم إلى فاطمة الزهراء (ع) ابنة الرسول الكريم (ص) واجتهدوا في رفع شان المرأة وقدرها وشرف الانتساب إليها سعيًا منهم لإسناد أحقيتهم بالخلافة من بعد رسول الله ووصيته المشهورة في بيعة الغدير بالخلافة للإمام علي (ع) وهي قوله (من كنت مولاه فهذا علي مولاه) فهم بذلك ليسوا أبناء ابن عم الرسول وإنما هم أبناء بنته.

وعلى الرغم من ان العباسيين قد رفعوا مظلمة العلويين عندما كانوا في المعارضة واستفادوا من كسب ودهم وود مناصريهم وخصوصا في العراق ضد الحكم الأموي إلا إنهم سرعان ماتنكروا لهم بعد ان استلموا مقاليد الحكم واعتلوا عرش الخلافة. واخذوا ينكلون بالعلويين وبذريتهم وإتباعهم وشيعتهم اشد تنكيل.

عمل العباسيون بمختلف الطرق والوسائل على ابتذال المرأة والتقليل من شأنها وإظهارها

كدمية وبيت متعة ولهو ورقص غناء وليست
 موضع حكم ونسب رفيع فعمدوا إلى إخفاء
 أسماء أمهاتهم وأخواتهم وبناتهم على عكس
 ما كان يفعل الأمويون والعلويون قبلهم فلا
 حرج ان يدعى معاوية بابن هند والحسن
 والحسين بأبناء فاطمة(ع) وقد اخذ الشعراء
 والأدباء العباسيين إما بذكر المؤنث أو إيجاد
 كنية أو لقب يخفون أسماء النساء خلفه وبذلك
 فأنهم عملوا على تقوية السيادة المطلقة
 للرجال على النساء.

اقبلوا على الزواج من الجواري والإماء
 وقربوهن من مجالسهم الخليفة في الأماكن
 العامة ونحوا الحرائر من النساء ولهم في هذا
 الأمر كلام يطول ذكره. بحيث أصبحت بعض
 الجواري تتحكم في شؤون السلطة والسلطان.
 وانتشر في عهدهم وبتشجيع وقبول ورضا
 منهم ممارسة الفجور والبغاء والدعارة
 والتهتك والخط من قدر المرأة إلى الحضيض كل
 ذلك كان باعته الأول وليس الاخير إسقاط حق
 المرأة في أولوية النسب وعدم أهليتها لذلك
 وبالتالي عدم أحقية من ينتسب إليها ليكون
 وريث سلطة أو خلفه..

وعن مدى القسوة التي مارسها العباسيون ضد
 أبناء عمومتهم من العلويين يذكر الطبري في
 تاريخه (ذكر أبو يعقوب بن سليمان قال حدثني
 حميدة العطار - عطارة أبي جعفر - قالت لما
 عزم أبو جعفر المنصور على الحج دعا ريطة
 بنت أبي العباس امرأة المهدي وكان المهدي

بالري قبل شخوص أبي جعفر فأوصاها بما أراد
وعهد إليها ودفع إليها مفاتيح الخزائن وتقدم
إليها واحلفها وأكد عليها الإيمان ان لا تفتح
بعض تلك الخزائن ولا تطلع عليها أحدا إلا
المهدي ولا تطلع هي الا أن يصح عندها موته فإذا
صح ذلك اجتمعت هي والمهدي وليس معهما
ثالث حتى يفتحا الخزانة فلما قدم المهدي من
الري إلى مدينة السلام دفعت إليه مفاتيح
وأخبرته عن المنصور انه تقدم إليها فيه ألا
يفتحه ولا يطلع عليها أحدا حتى يصح موته.
فلما انتهى إلى المهدي موت المنصور وولى
الخلافة فتح الباب ومعه ريطا فإذا أزج كبير فيه
جماعة من قتلى الطالبين وفي إذنههم رقاع منها
أنسابهم وإذا فيهم أطفال ورجال وشباب
ومشايخ عدة كثيرة فلما رأى ذلك المهدي ارتاع
لما رأى وأمر فحفرت لهم حفيرة ودفنوا فيها)
(1)

إنما أوردنا هذا الشاهد لنوضح طبيعة وخطورة
هذا الصراع بين أبناء العم وهم جميعا من قريش
والذي سبق لقريش ان ارتأت ان الحكم لها
وليس لغيرها من قبائل العرب لان رسول الله
منهم

. ولم يدخر الفرقاء جهدا ولا طريقة ولا حيلة
إلا وأقدموا عليها لإثبات أحقيتهم بكرسي الحكم
مما يستوجب ان نكون يقظين تجاه الخطاب
السياسي للقوى المتصارعة وكشف المستور
وراءه في وقتنا الحاضر مستفيدين من شواهد
العصر الغابر حيث يقول نصر حامد أبو زيد (علينا

في اشتباكنا مع الخطاب السياسي ان تكشف عن نتاج ايدولوجية التزييف التي يمارسها عن قصد أو غير قصد وذلك بالكشف عن حقيقة التوجهات التي تسعى إلى قمع الإنسان كلية وان كانت تبدأ بما تتصوره الحلقة الضعيفة في الإنسان ، أي المرأة(2)

(وقد كان الإمامان محمد بن الحسن وأبو جعفر المنصور يتساجلان الرسائل ويناظران بالكتب ليكسب كل منهما عطف جمهور المسلمين وانحيازهم إليه، وفي هذه الكتب يطاول كلاهما صاحبة بماله من فضل السيف وكرم العرق وقوة القرابة من رسول الله وكان مما فخر به محمد أمومته سيدة نساء العالمين فاطمة بنت رسول الله وخديجة أم المؤمنين فكان مااجاب أبو جعفر(إما بعد فقد أتاني كتابك وبلغني كلامك فإذا جل فخرك بالنساء لتضل به الجفافة والغوغاء ،؟ ولم يجعل الله النساء كالعوممة ولا الآباء كالعصبة والأولياء)(3)

ومن ثم اخذ العباسيون ينالون أمر المرأة بالتهوين وقرابتها بالوهن وعقدتها بانحلال كلما سنحت سانحة أوجدت داعية واخذ شعراءهم وعلمائهم وذوو آرائهم يبعدون مدى ما بين الرجل والمرأة كأن الله تعالى لم يجمع بينهما في كل موطن من كتابه العزيز ولما قال مروان بن أبي حفصة شاعر بني العباس يخاطب العلويين ويمدح العباسين:-

خلو الطريق لمعشر عاداتهم حطم
المناكب كل يوم زحام

ارضوا بما قسم الإله لكم به ودعوا وراثة
كل أصيد حام

أنى يكون وليس ذاك بكائن لبني البنات
وراثة الأعمام

بذل له الرشيد مائة ألف وعشرة آلاف درهم.
ولقد رد عليهم محمد بن يحيى التغلبي قائلاً
بحق المرأة وعلو شأنها:

لم لا يكون وان ذاك لكائن لبني البنات
وراثة الأعمام

للبنات نصف كامل من ماله والعم متروك
بغير سهام

ما للطلق وللثراث وإنما صلى الطليق
فخامة الصمصام

ومعروف اعتراض الخليفة المستنصر العباسي
حين علم بولاية شجرة الدر أمر مصر فانه على
الرغم من رضا شعبها واطمئنانه لحكمها كتب
إلى أمراء المماليك يقول لهم :-

(أعلمونا ان كان ما بقي عندكم في مصر من
الرجال من يصلح للسلطنة فنحن نرسل لكم من
يصلح لها . ثم ختم رسالته بإنكار شديد ووعيد
وتهديد وتمثل بعد ذلك يقول من قال :-

النساء ناقصات عقل ودين ما رأينا لهن
رأيا سنيا

ولأجل الكمال لم يجعل الله النساء نبيا تعالى من

ومن كل ذلك نعلم ان بني العباس كان ينظرون
إلى المرأة بمؤخرة عيونهم حتى لا ينازعهم
بنوعهم زمام الملك باسمها ولا يسلموهم
بسموها وإما تركهم الإمام يصرفن قياد الملك
ويقبلن زمام الرعية فما كان ذلك إكبار للمرأة
ولا تنويها بشأنها وإنما استضعافا لنزوات
النفوس وانقلابا لحكم الهوى (4)

وكان على المرأة ان تستقبل الصدمة بعد
الصدمة وتستعد للطمعة بعد اللطمعة في ظل هذا
العهد وكان أو ما ابتدعوه لها من العنت
والمكروه بيمين البيعة الذي يفرضون فيه على
الرجل والسيف وصلت على عنقه ان يحلف
بطلاق امرأته على ان يبقى على بيعتهم ولا
يخيد عن دولتهم ولا يحول عن نصرتهم ولا يتابع
أحداً سواهم واللذين يقسمون هذه اليمين هم
ذوو الرأي والجاه من الساسة الكفاة والقادة
الحماة والأئمة الهواة وقد يكون الرجل منصرفا
بقلبه عنهم ميلا لسواهم فما عسى ان تكون
امرأته؟؟

ولكن صوتا دوى من مدينة رسول الله (ص)
فانتظم دويه الشرق والغرب ((بان طلاق
المكره ويمينه لا غية)) ومصدر ذلك الصوت إمام
المسلمين وحجة الإسلام مالك ابن انس صدع به
بين سطوة السيف وصولة السيف ولم يخش
في الحق إلا ولا ذمة ولم يرع في الله لومة

لائم , ودعم هذا الرأي الصارخ بآراء أئمة المسلمين علي بن أبي طالب وعمر بن الخطاب وعبد الله بن عمر بن مسعود وعبد الله ابن عباس وابن الزبير ومن إليهم من أشياخ العمامة والسلام والإسلام . ولقد راع الخليفة الجبار أبا جعفر المنصور موقف الإمام الأعظم مالك ابن انس فأمر بان يضرب بالسياط عاري الجسد فشدت يده وضرب على جسده وعليها بالسياط حتى خلعت كتفه فما ناله عزم ولا وهن له رأي ولا حلت له عقده ولا زاغت منه عقيدة بل خرج من المحنة اثبت جنانا وأمضى لسانا واشد يماما وأقوى برهاننا) (5).

فما عسانا ان نقول لمن ما زال يحلف بالطلاقات الثلاث في ابسط المواقف وأكثرها تفاهة ليهد بيته ويهدم بناء أسرة ويفكك أكرم وأقدس علاقة إنسانية بين الرجل والمرأة أفلا يتفكرون؟؟ وكما ذكر المفكر نصر حامد ابوزيد:-

(ان ترك الطلاق لمجرد اليمين يتفوه به الرجل في حالة نزاع مؤقت أو خلاف عارض مسالة تؤكد بدائية العلاقات الاجتماعية على مستوى الأسرة وهي العلاقات التي يتحدد دور الزوجة فيها في استرضاء الرجل بكل الوسائل المهددة لإنسانيتها وذلك خشية الغضب المؤدي إلى الطلاق) (6)

فماهي الأسباب الخفية والمستترة وراء مثل هذه الممارسات والعادات التي ورثناها دون ان نتفكر أصول نشأتها ومدى ملائمتها للشرع

والعقل . وقد سدر بنو العباس ومواليهم في
الاستهانة بالمرأة وعم الفساد بين صفوف
نساءهم إذ تصرفوا في عهد رفاه باذخ وعجت
حواضرهم بالجواري الحسان والغلمان من كل
جنس ولون

نورد هنا شاهدا بسيطا لما يذكره العفيفي حول
كثرة الجواري وتعدد إشكالهن وقوميتهن في
العهد العباسي:-

(وقد خلس للمسلمين من وراء ذلك عدد لا يحده
الإدراك من النساء على اختلاف أسنانهن
وأجناسهن وأقطارهن ،ومنهن الفارسيات
والتركيات والارمنيات والجرجيات والشركسيات
والروميات والبربريات والحبشييات، وفيهن بنات
الأكاسرة والقياصرة والاساورة والبطارقة من
كل قاصرة الطرف ناعمة الكف لم تبتذلهن
المهن ولم تمتهنها المحن

لم تلق بؤسا ولم يضرر بها عوز ولم
ترتجف مع الصالى إلى النار

وكان قواد الدولة وولاة الأمصار يجمعون من
أولئك أنضرهن وأنداهن صوتا وأمثلهن أدبا
ويرسلونهن إلى الخليفة وهو يصطفي منهن
من يشاء ويثيب وزراءه وندماءه وخلصاءه بمن
يشاء.

ولقد ينبئك بما تجمع للخلفاء من الجواري
ماروى ابن الأثير ان المتوكل أهدى إليه في يوم
واحد ، عشرون ألف جارية، ولهن ولأشباههن

بنى قصر الجعفري حين ضاقت بهن مقاصير
الخلافة في بغداد) ص 10 ج 3

. فهجروا نساءهم لينغمسوا في شهواتهم
وغرائزهم الحيوانية.. وقد شاع القول التالي
في زمنهم (من أراد قلة المؤمنه وخفة النفقة
وارتفاع الحشمة مطلبه بالإماء دون الحرائر
واستشهد من يقول :-

(عجت لمن تمتع بالسراري كيف يتزوج المهائر
وأول من جرؤ بهذا الصوت من المفاضلة الشاعر
المبيح بشار بن برد) (7).

هذا نزر يسير من الأمثلة في ما تعرضت له
المرأة سواء الحرة أم له الجارية والأئمة في
مثل هذه العهود من عصرنا (الذهبي) من
امتهان الكرامة وانتزاع القيم الإنسانية وكل ذلك
يجري تحت غطاء ديني مزيف وحديث ومقال
محرف ولكن ما هو أنكى من ذلك ان توضع على
عيوننا عصائب التعقيم والتجهيل لحين التاريخ
ينزلق شبابنا في مثل هذه الممارسات الخسيصة
وتسلط سيوف رجولتنا وفحولتنا ضد المرأة وان
ما تشيعة وكالات الإنباء ونشرات منظمات
حقوق الإنسان والمنظمات النسوية لما تتعرض
المرأة العراقية من الالهانة والإذلال والإرهاب
والتعسف إنما يجرح كل ذات إنسانية حرة في
ظل الاحتراب الطائفي المهيمن على الساحة
العراقية بعد الغزو الامريكى وسقوط
الدكتاتورية وفي هذا الشأن يقول أبو زيد:-

(ان الطائفية تشطر الإنسان نصفين ، قوتين متقاتلتين كنتيحتين تبادلا للسيطرة والعنف في علاقة يهيمن فيها الذكر على الأنثى هيمنة تامة مطلقة) (8). وقد برعوا في رواية الأحاديث والأقوال الملفقة والمحدثة مما يتناسب مع خطهم السياسي وتوجههم الفكري بما يدعم سلطانهم وتسلطهم على رقاب الناس فكثروا الرواة والغواة والمتكسبين من أهل العلم والشراء من دواوين الملوك والسلاطين والأمراء من بني العباس (وقد زور الرجال أحاديث نحلوها عن رسول الله وفيها ان المرأة قرارة اللؤم ودارته ومنبت الشر ونبعته كان لم يكن من أمه ولا زوجه ولا ابنته التي عدها عديل نفسه وادخر الله منها سلالة نبيه أو نسبوا إلى فلاسفة اليونان والهند تشبههم المرأة بالصائد الخاتل أو الحية الرقشاء ؟ وما زوروا الحديث :- أوقف سلاح بليس النساء - النساء حباتل الشيطان - شاوروهن وخالفوهن ، إياك ومشاورة النساء فأن رأيهن إلى افن وعزمهن إلى وهن . النساء شر كله، وشر ما فيهن كله استغناء عنهن) الخير ويحفظن الشر ، يتهافتن ويتمادين في الطغيان للشيطان) ... وزعموا ان من الاقدمين من قال (لا تدع المرأة تضرب صبيا فانه أعقل منها ... وان سقراط رأى امرأة تحمل نارا فقال : نار تحمل نار والحامل شر من المحمول) المرأة في جاهليتها واسلامها 3 عبدا لله عفيفي.

وإننا في يومنا هذا نسمع الكثير من هذه الأقوال أو بما هو بمعناها أو أكثر منها امتهاناً للمرأة والخط من كرامتها وقدرها إلى ما هو أدنى من قدر الحيوان وبالأخص في بعض الأرياف المشبعة بروح الثقافة الإقطاعية المتخلفة.

(وقد تمادى العباسيون وشعراؤهم في امتهان كرامة المرأة والخط من قيمتها ومن أسوء ما قيل في ذلك العهد :-

تمتع بما ساعفتك ولا تكن جزوعاً إذا
بانت فسوف تبين

وان هي أعطتك اللبان فإنها لغيرك من
خلال ستلين

وخنها وان كانت تفي لك أنها على مدد
الأيام سوف تخون

وان حلفت لا ينقض النأي عهدها فليس
لمخضوب البنان يمين . ص 150 ج 3

وقد أصبح اسم المرأة عورة يعاب ذكره حتى لقد أراد أبو الطيب المتنبي ان يرى خوله بنت حمدان أخت سيف الدولة فسامها (فعلة) وهذا قوله :-

كأن فعلة لم تملا مواكبها ديار بكر ولم تخلع
ولم تهب

فانظر إلى هذا النوع من الحجاب كيف الجأ الشاعر العظيم إلى تلك الكتابة الفاسدة

وإخراجه ذلك المخرج المعيب ؟ ولقد أراد ذلك
الشاعر ان يصف ذلك الحجاب في رثائه والدة
سيف الدولة فدعاها دفنا وذلك قوله :-

صلاة الله خالقنا حنوط على الوجه
المكفن بالجمال

على المدفون قبل الموت صوتا وبعد الموت
في شرف الحلال)

وبالضد من ذلك تفنن العلويون في فرض
الحجاب والعزلة والتبتل على المرأة . لذلك لم
يجد نساء هذا البيت فرجه من الهم ولا متسعا
للسرور . (حتى لقد نشأ جوارى ذلك البيت على
غير ما نشأ عليه جوارى ذلك القصر فما كانت
الجارية تدخل في رقبهم حتى أتت تتلقاها إحدى
نساءهم فترويها الحديث وتعلمها الفرائض)

(وكذلك كانت بلاد العراق مسارح للتبرج والتهتك
ومعابد للترهد والتنسك وفي كلا الموطنين
فقدت المرأة أنوثتها التي تنهج لها سبيل
الزوجية السعيدة والأمومة الرشيدة وكان
للبيتين الكبيرين في هذا العهد-بيت العباسيين
وبيت العلويين- اثر واضح في توجيه المرأة إلى
ناحية من تينك الناحيتين)(9)

فقد أصبح صوت المرأة عورة ويدها عورة وحرم
عليها مخالطة الرجال والعزوف عن الزواج
بحيث تخلت المرأة عن أنوثتها بالكامل وفي هذا
الشأن يقول نصر حامد أبو زيد (ان الأم

المتفرغة للبيت والأسرة ، بما تحمله من وعي
 سلبي تنقله إلى أطفالها، تصبح أداة تساهم
 في خلق المواطن الطيع الصالح المدعن من
 منظور كل من الخطاب السياسي والديني معا)
 (10)

وقد سلك صدام حسين هذا السلوك في أوج
 أزمة نظام حكمه داعيا المرأة ان تترك العمل
 خارج البيت وتقر في دارها للتفرغ كما يدعي
 لتربية الأطفال ولخدمة الزوج وقد تناغم هذا
 الخطاب وتخادم كثيرا مع بعض دعوات رجال
 الدين للحجر على المرأة في دارها.

عاشت نساء العلويين في حالة خوف وقلق دائم
 وبؤس دائم طوال عهد الأمويين والعباسيين
 ورقابتهم الشديدة لسكنات وحركات العلويين
 وزجهم في السجون والمعتقلات وحيابة
 الدسائس والتهم والمؤامرات للحط من
 شانهم بالإضافة إلى تصفيتهم جسديا عن
 طريق القتل بالسيف أو السم .

ان هذا الحال أضفى على العلويين ومن
 شايعهم وعلى النساء بالأخص واقعا مثقلا
 بالرعب واليأس والحزن والكمد فنزعن إلى
 طلاق الدنيا ومباهجها ومظاهر الزينة والمسرة
 فاعتزلن الحياة مختارات حياة التبتل والعزوف
 عن الزواج ناهيك عن الاختلاط بالرجال وقد
 نحى المنحى نفسه نساء أنصارهم ومشايعهم
 ومناصريهم ولعدة قرون فتر سخت هذه

السلوكيات والممارسات الطارئة لتكون سلوكا دائما في بعض أوساط المجتمع العراقي.

من المؤلم والمأسوف عليه حقا إننا ما زلنا نعامل المرأة في عراق اليوم بعقلية السابقين المتنابذين المتقاتلين وقد أكلت سيوفهم ورماحهم وفنون تعذيبهم ووسائل مكرهم وحيلتهم من حقوق المرأة وإنسانيتها بين مجون ودعارة وتهتك أو الموت والدفن في الحياة والمبالغة في الحجز والقهر وقتل روح العمل ومنافذ الأمل بوجهها دون الأخذ بتاريخ السلوك والحدث وظروفه في أي فترة من فترات التاريخ العربي الإسلامي .

وقد أسرف البعض بقطع الرقاب والويل والثبور لسافرة الوجه والشعر ومجملته الوجه والثغر فلا بد ان يقام عليها الحد بأنواع وإشكال من صنوف الاعتداء تفوق العد والحصر. وأخذت الطوائف وميليشياتها تتبارى في اضطهاد المرأة وظلمها وتعذيبها ووأدها في الكبر ناهيك عن الصغر ، لا لذنب جنته أو طريق غواية سلخته وإنما سعيها لتكون ذات إنسانية فاعلة تعمل من اجل رضي الله وعباده كعاملة ومهندسة وطبيبة وممرضة وكاتبة وصحفية وفنانة.. الخ وهذا هو السبب الحقيقي وراء تعدد إشكال و أساليب ردود فعل المرأة لمقاومة أنواع الظلم والاضطهاد التي تتعرض لها كالانتحار والحرق ضد نفسها أو ضد مضطهديها وكما قالت سيمون دي بوفار:-

(انَّ حياتها المرتكزة إلى أساس من الثورة العاجزة هي سبب سهولة ذرف الدموع عندها بالإضافة إلى كونها اقل من الرجال سيطرة على أعصابها وان ظهر لها ان الدموع غير كافية للتعبير عن ثورتها فإنها تلجا إلى تمثيل الأدوار العنيفة) (11)

فأين نحن من قيمنا الإنسانية النبيلة وأين نحن من لائحة حقوق الإنسان وأين نحن من دستورنا الذي صوتنا عليه والذي تضمن ولو بشكل منقوص صيانة حياة وكرامة الإنسان العراقي امرأة أو رجل.

يجب غسل عار الأنظمة الاستبدادية المتخلفة

وان السؤال الصارخ الذي يثار هنا أمام كلِّ هذه العناوين ابتداء من العائلة فالقبيلة والعشيرة والطائفة والديانة والقومية هو :-

أين انتم من المرأة وهي تجوب الشوارع والطرقات تتسول لقمة العيش وهي تحمل على اكتافها أطفالكم الجياع؟؟؟

وتضطر ان تبيع جسدها مقابل لقمة العيش لها ولا بناءها في ديار العرب والعجم على طول الأرض وعرضها؟؟ وهذا ما صرحت به مؤخرا اريكا فلنر ممثل الأمين العام للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين لتصف حال العراقيات في سوريا والأردن؟

أليس من الحق والواجب والأمر بالمعروف
 صيانة كرامة هؤلاء النسوة وحمايتهن
 وأطفالهن من الجوع والبؤس والحرمان وهي
 أبسط حقوق الإنسان وانتم أصحاب الثروات
 المليارية والموائد الباذخة التي يعجز القلم
 عن وصفها؟؟؟

فالمرأة إما ان تكون احدى حريمكم أو احدى
 جواريكم وسرا ريكم ومحضياتكم وإلا سيكون
 مصيرها الطرد والنبد والقتل، غسلا للعار ان
 هي تمردت على ظلمكم وطغيانكم
 وعبوديتكم؟؟؟

ولعلماء النفس والاجتماع رأي هو ان اغلب
 حالات الدعارة وبيع الجسد هو تمرد غير واع
 وثار غير منضبط من قبل المرأة لتمريغ كرامة
 وانفة مضطهدتها بالوحل والعار كلما اوغولوا
 في امتهان كرامتها وسحقوا إنسانيتها الذين
 يحاولون ان يغسلوا عار هزيمتهم بغسل عار
 المرأة كما يدعون وهو شعورهم بالمهانة
 والعنة والخصي أمام الطغاة والمستبدين من
 حكامهم

(إذا كان صدام حسين يمثل ولو بشكل رمزي
 القيادة) التي أدت إلى الهزيمة ، فان ثقل
 صور نصره (حواء) إلى رمز القيادة تلك من
 شأنه ان يحرر(الذكورة) العربية من وطأة
 الإحساس بالعار) (12)

متناسين السبب الحقيقي الكامن وراء
 مايسمونه شذوذ المرأة وسقوطها كسقوط

أخلاقي بعيدا عن الواقع الاجتماعي للداعرة والمومس حيث تصف حالهن سيمون (مصاعب حياة المومسات لا تنحصر في حالتهم الأخلاقية والنفسية وإنما في شروط حياتهم المادية ، كذلك مستثمرات من قبل حاميهن ، تعيش المومسات في جو من الضيق والقلق المادي انَّ ثلاثة أرباعهن لا يملكن شيئا يذكر في الحياة ويقع 75 % منهن في ظرف خمس سنوات فريسة للإمراض الزهرية ، وتصاب المومسات بالسلس بعدل واحدة من كل عشرين ، ويصاب 60% منهن بإدمان على الكحول كما يموت 40% منهن قبل الأربعين من العمر) (3)

هذا كلام وشاهد من دولة أوربية متقدمة كفرنسا وقبل انتشار مرض الايدز ومثيلاته من الإمراض الفتاكة في العالم فكيف الحال في البلدان الفقيرة والمتخلفة والموبوءة بمختلف الأمراض والعلل المعدية وجاء هذا الكلام قبل انهيار الاتحاد السوفياتي وحروب القرن في يوغسلافيا وإفريقيا والعراق وأفغانستان والصومال والكونغو والسودان حيث البؤس والتشريد والضياع (ان موجة الدعارة والبغاء تشتد خلال فترة الحرب والأزمات التي تعقبها) كما تقول سيمون

فما هو حال نساءنا ونحن نعيش حروبا امتدت لأكثر من عشرين عاما ولا تزال وقد تم التخلي عن اغلب القيم الايجابية للدين الإسلامي التي ترفع من شان المرأة وقدرها والبحث في بطون الكتب الصفراء ومخيلات النحالين

والدجالين والمرضى والمتخلفين عن كل ما يسند للدين زورا للحط من قدر المرأة ويحط من مكانتها وفي هذا الخصوص معروفة للجميع الشروط الواجب توفرها لوضع الحد على الزاني والزانية بالرجم أو الجلد وهي شروط شبه مستحيلة الحصول لسد الطريق أمام المتقولين وأصحاب الكيد للفتك بالمرأة والافتراء عليها وكما يذكر المفكر نصر حامد :-
 (في عصور التأخر والانحطاط يتم إخفاء (النساء شقائق الرجال) ويتم إعلان (ناقصات عقل ودين) ويتم تحريم اللقاء الجنسي خلال فترة ((الحيض)) إلى تحريم الحديث معها ومشاركتها الطعام عودة إلى محرمات ((التابو)) الأسطورية
 (15)(

(وتحول المرأة إلى الكائن المثير للشهوة المحرك للغرائز الباعث على الفتنة وأحبولة الشيطان...الخ ويصبح الحل الوحيد هو (الوَأد) الذي يمارسه العربي البدوي في الجاهلية - لكنه ((الوَأد)) داخل اللباس الأسود المغلق تماما الامن فتحتين للعينين انه المعادل الموضوعي لعملية ((الدفن)) على سطح الأرض دراءً مقدما للشبهات) (16)

ونحن نقول للأستاذ نصر بان نموذجك محسود لان له فتحتان للعينين ينظر منهما فان حجابنا بدون فتحات بل مغلق تماما إذ تبدو المرأة كمخروط اسود لايعرف وجهه من قفاه. وفي حقيقة الأمر غالبا مايشك الكثير منا في

إنسانيته وهو يرى كيف يخشاه ويحترز ويتحفظ
منه الجنس الآخر كونه وحشا يمكن ان ينقض
عليه في كل حين.

الجدور الطبقيّة والاقتصاديّة لاضطهاد المرأة

نأمل ان نكون قد إستطعنا كشف النقاب عن
الجدور الفكري والعقائدي كما نرى الذي أدى
إلى امتهان إنسانية المرأة بين طرفي النزاع
فمن داعٍ للتهتك والدعارة إلى داعٍ للوَأد في
الحياة وأن كل ذلك يشير بوضوح إلى كونه
بدافع التسلط والتملك والحفاظ على الأملاك
والامتيازات سواء للحاكم أو المحكوم وقد
أصبحت المرأة رمزا لهذه الملكية وصولجاناً
السلطة فاخترعت له مختلف الوسائل
والحبائل والقيود والمحاجر وطرق الإرهاب
والاغتصاب الجسدي والفكري والمعنوي
لتكون طوع بنان وإرادة مالكة كسلعة
وليست كإنسان فمرة باسم حريم أو باسم
محضية وباسم جارية كل شيء جائز ماعدا
وصف إنسانة وكما وصفت ذلك سمون دي
بوفار:-

(ان المرأة خلعت من عرشها الإلهي بحلول
الملكية الفردية فقد كان مصيرها مرتبطا

خلال الزمن بهذه الملكية وان تاريخها يختلط
اختلاطا بعيدا بتاريخ الميراث (17)

ومن التقاليد والأفعال ما يمتن حرية المرأة
تسير على بعض العوائل وهو رفضها القاطع
تزويج بناتها من غير أبناء العم وعدم مصاهرة
العشائر والقبائل الأخرى وخصوصا (السادة)
وهذه الممارسة في حقيقة أمرها عبارة عن
واقع رب العائلة بالحفاظ على إقطاعيته
وأملأكه وعدم السماح بتفتتها ان تزوجت البنت
من غير أبناء العم المقربين نظرا لحقها في
الميراث . والذي غالبا ما تحرم منه في الواقع
الفعلي أو تبقى عانساً بفعل لا إنسانية وأنانية
الآباء والأشقاء وحرمانها من التمتع بحياتها
كباقي البشر وان هي تمردت فستواجه بالموت
والقتل غسلا للعار...؟؟ وهناك الكثير من هؤلاء
النسوة التي فاتهن القطار وبقين عانسات
يرزحن تحت رحمة الأب أو الأخ ، وانه من
مساوئ التقليد ان بعض العوائل الفقيرة والتي
لا تملك شيئا تخاف ضياعه تسلك السلوك نفسه
مع بناتها تماشيا مع عرف القبيلة السائد وتحت
أقنعة وادعاءات زائفة ومن حق بسط السيطرة
والملكية على المرأة من قبل الأخ والأب وابن
العم وابن الخال والزوج والابن بل يمتد هذا
الحق إلى عموم العشيرة كملكية عامة مشاعة
لكل أفرادها وهو صاحب الحق الأول في
امتلاكها والتمتع بها فان زهد بها يمكن ان
تكون من حق الغير (الغريب) من العشائر
والقبائل الأخرى وعلى هذا الحق بنيت فلسفة

وحق (النهوة) لذلك يمكننا ان نجد احد المتنفيين
 وقد تزوج بثلاث أو أربعة من أقاربه من النساء
 ومن ثم رميها بعد ان يشبع رغبته الحيوانية
 منها لان ذلك لا يكلفه شيئاً وقد يلجأ إلى سيف
 النهوة للحصول على المال مقابل التنازل عن
 حقه في ابنة عمه ابنة خاله أو أي فتاة في
 العشيرة . امتد هذا الحق ليشمل حق القتل
 (غسلا للعار) فان أي تصرف من المرأة يمس
 بشرف وسمعة العائلة أو القبيلة يجب ان يعمل
 رجالها جميعا متكافلين متضامنين لغسل هذا
 العار بقتل المرأة وقد ذهبت ولازالت تذهب
 العديد من أرواح النساء والفتيات البريئات
 ضحايا الإشاعة والكيد والدسياسة حيث تثبت
 عفتهم ودوام عذريتهن خلاف ما أشيع وقيل
 بحقهن ومن المرعب والمخيف حقا ان تدعي
 الطائفة أو الديانة بالإضافة للعائلة والعشيرة
 ان لها حق القتل والحجر وفرض الوصاية على
 المرأة باسم (الأمر بالمعروف والنهي عن
 المنكر) لتجد المرأة نفسها محاصرة وقاصرة
 ومستهدفة من عموم المجتمع الذي يعبر بذلك
 عن الثار والانكسار وانهزامه سواء كان فردا أو
 جماعة وكرد فعل لما يتعرض له من القهر من
 قبل قوى الاستبداد والدكتاتورية في الداخل
 والخارج على حد سواء واجدا في المرأة
 فريسة سهلة ليغرز فيها مخالفه وأنيابه بعد ان
 عجز عن مقاومة مضطهديه وعجز عن استرداد
 كرامته المهدورة وسيادته الوطنية المسلوبة
 وقوميته المهانة ممن كانوا السبب في كل ذلك
 طوال مئات السنين وهذا ما نراه ونسمعه من

**ممارسات ضد النساء من مختلف الطوائف
والأديان والقوميات في عراق اليوم وفي بعض
الدول العربية الأخرى.**

كتاب الله وسنة رسوله براء مما يدعون

**يدعي البعض بحقهم الذي برره لهم الدين في
فرض حالة عدم المساواة بين الرجل والمرأة
وان المرأة يجب ان تكون خاضعة لسيطرة ونفوذ
الرجل وان الرجال قوامون على النساء مما
يظنون انه ستر يستر وحشية وهمجية
ولانسانية سلوكياتهم تجاه المرأة وقد ارتأينا
ان نستأنس برأي أصحاب الاختصاص في بيان
بطلان هذا الادعاء وعدم شرعيته وان الله
ورسوله براء مما يدعون.**

**فلنا ان نتبع هذا الأمر مع سام محمد الحامد
علي ودراسته بهذا الخصوص المنشورة على
(www.alawweenonline)**

**(هو الذي انشأكم من نفس واحدة فمستقر
ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون)سورة
الأنعام 98.**

**(وانه خلق الزوجين الذكر والأنثى من نطفة إذ
تمنى) سورة النجم 54-64**

**(فاستجاب لهم ربهم اني لا اضيع عمل عامل
منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض)**

المساواة قاعدة من قواعد العدل ومنها يتفرع كل طارئ محدث!!

**(خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله اتقاكم)
سورة الحجرات**

-إذن طبيعة التكليف واحدة للذكر والأنثى -وهي الانسجام مع الفطرة الإنسانية التي أودعنا الله إياها والتزود للآخرة بالعمل الإنساني (السليم على أصل التقوى) ،إما اختلاف الجنس بين الخلق (الذكر وأنثى) وتميز واختصاص كل منهما ببعض حيثيات التكليف الشرعي وفروعه لايعني تفاضل بينهما أبدا إذ ثبت قطعيا واحدية النشأة والخلق. وان لأكرامة لأحد على آخر - ذكر كان ام أنثى- الا بالتقوى والعمل الصالح المفضي لخدمة الناس والإنسانية ،وتبين ايضا ان اختلاف التفاصيل (في العبادة والتكليف) إنما يعود لطبيعة كل منهما وبأنه لاذنب ولا جرم لمن كانت طبيعته وتكليفه على نحو يخالف شريكه ويلاحظ ذلك الاختلاف في الجنس الواحد إذ لكل شخص قدرته وطاقته وعقله ولرب قائل يقول:-

ماذا عن قول الحق-تبارك وتعالى- في كتابه العزيز(الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض) سورة النساء

الم يثبت الله فضل الرجل على المرأة ؟

فنقول:- علينا ان نعي معنى كلمة ((الرجال)) ومعنى كلمة ((النساء)) والسر من وراء

استخدامهما دون غيرهما... من سياق الآية المشار إليها يتحدث عن الحياة الزوجية بشكل عام وهذا ينسجم مع كلمة ((قوامون) وهي غير ((أولياء)) والله تعالى لم يقل: الذكور قوامون على الإناث. وهذا أولاً.

إما ثانياً فلم يقل الله :-الرجال أولياء النساء وإنما قوامون وهذا يعني أنهم مكلفون بصيانة الأسرة وحمايتها ورعايتها وتأمين مستلزماتها.

وفيما يخص البيت:لنساء لباس الرجال والرجال لباس النساء وقد بدا الله خطابه بالنساء أولاً لأنهن بيت السكينة.واللباس كما البيت :سترة وسكينة ..وختم بالرجال لتكتمل دورة الحياة وتتم العلاقة الإنسانية على أحسنها ولتكون على أصل المثلية المطلقة كما في (الزاني والزانية واحد والسارق والسارقة واحد...وهكذا.

..قال الأستاذ الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي (الولاية على الشيء أو الشخص في المصالح الشرعية أكثر من آثار بنقص الأهلية في الشخص الذي تسري الولاية عليه .فلايتأى له ممارسة حقوقه أو بعض منها الا باذن الولي ،بل ممارسته حولها .ومن المعلوم ان الشريعة الإسلامية ساوت بين الرجل والمرأة في حق الأهلية عندما يكون كلاً منهما يتمتع بكامل الرشد ومن ثم فليس لأحدهما ولاية على الآخر.

أما القوامة فهي من قام بالأمر أي قام بشأنه وهو مصطلح شرعي يعني نظر الزوج بشؤون

زوجته من حيث الرعاية والحماية لها ودرء
الخطر عنها وتقديم العون المادي والمعنوي
اللازمين لها) لآياته الباطل أ.د محمد سعيد
رمضان البوطي دار الفكر ط 1 ص 148-149.

اثبت القرآن قوامة الرجل على المرأة فقال
الرجال قوامون على النساء ونفي ولاية الرجل
على المرأة واثبت لكل منهما حق الولاية على
الأخر فقال ((المؤمنون والمؤمنات بعضهم
أولياء بعض ؟)) وهي ما يسمى في مصطلح
الشريعة الإسلامية بالولاية المتبادلة) البوطي
المصدر السابق.

إذن ليست الولاية بأمر مقتصر على الرجل دون
المرأة وإنما متعلق بمستوى الأهلية بين
الطرفين القائمة بينهما الولاية.

لكن هل تعمل المرأة لتطوير نفسها وتهذيبها
على أصل ضبط العواطف وتنمية الحس العقلي
للأمور فضلا عن تنمية الثقافة ام أنها تكتفي
بالاستسلام لطبيعتها الأنثوية التي عبثت بها
كثيرا التربية غير الصحيحة؟؟؟

وهل يساعد الرجل والمجتمع على بلوغ المرأة
المكانة التي بوأها الله إياها والمنزلة التي
ارتضاها لها ام إنهما يساعدان على تكريس واقع
المرء الظالم واللاشرعي؟؟؟)

ونحن نقول بعد ما استعرضنا رأي كتاب الله في
المساواة بين الرجل والمرأة من أين أتت
الأوامر لفرق (الأمر بالمعروف والنهي عن
المنكر) ومن أعطاهم معاقبة ومحاسبة خلق الله

ومن نصبهم قضاة وجلادين يحزون الرؤوس
ويرعبون النفوس التي حرم الله إلا بالحق
والعدل.؟؟؟

وكيف تتهاوى حجة القوامة التي يتكأ عليها
الكثير من مدعي الرجولة والفحولة للإذلال
أخواتهم ونساءهم وبناتهم وزوجاتهم وبنات
أوطانهم وقومياتهم وأديانهم .

قصور الحقوق الممنوحة للمرأة العراقية بعد
التغيير في العراق

رغم الانفتاح (الديمقراطي) الذي ساد بعد
سقوط الدكتاتورية على يد المحتلين فلم تحصل
المرأة على حقوقها لا بل تعرضت وما زالت
تتعرض إلى التمييز ونكران الحقوق وسلب
الحرية من قبل سلطة الدولة وسلطة المجتمع.
وما أوردناه بخصوص قتل النساء في البصرة
وغيرها من المدن العراقية دون رادع خير مثال
على ما نقول. أعطيت المرأة 25% في البرلمان
ضمن القائمة المغلفة في انتخابات البرلمان
العراقي كما دخلت أسماء أغلب النساء كديكور
ملزم للقائمة بأمر برا يمر وليس كذات فاعلة .

كان يفترض ان تكون الانتخابات على أساس الفرد الشخص رجل أو امرأة مع مراعاة ظروف المرأة وضيق مساحة حركتها وقساوة الأعراف والتقاليد الدينية والاجتماعية يفترض ان تكون نسبة الأصوات المطلوبة من عضوة البرلمان تقل عما يطلب من عضو البرلمان الرجل بنسبة تؤهل النساء منفردات للحصول على 25% أو 30% أو أكثر من مقاعد مجلس النواب على اقل تقدير خصوصا وان المرأة تصل نسبتها بين السكان مايقارب 60% من المجتمع العراقي الراهن ان لم يكن 50% فان ماتعانيه المرأة من قصورا في عقلها بل بسبب ماتعرضت له من الحجر والظلم الاجتماعي (إننا نجلس المرأة في المطبخ أو في المخدع وبعد ذلك ندهش إذ نرى افقها محدودا ونقص جناحيها ثم نشكو من أنها لأتعرف التحليق، لارتبطنا بالمرأة أبدا رابطة الإخوة فقد جعلنا منها بالخمول والفساد كائنا منعزلا ليس له سلاح سوى سحره الجنسي)(18).

وبذلك تمكن المرأة الفاعلة وليست المرأة التابعة الخاضعة للأعراف والتقاليد المختلفة كما هو حال اغلب عضوات البرلمان العراقي الآن حيث لا نرى سوى كتل سوداء تتحرك تحت قبة البرلمان غالبا ما يقفن ضد حقوق المرأة المشروعة تنفيذا لأوامر القائمة المضافة إليها كأرقام مجردة ليس أكثر ومما هو أكثر خطورة انحيازهن إلى مشاريع قوانين تلغي كل ما حصلت عليه المرأة من حقوق خلال مسيرة

كفاحها الطويل ضد القهر والظلم والاضطهاد
ومنها القانون رقم 188 لسنة 1959 . تصف
بوفار هذا الحال المحافظ للمرأة فتقول:-

(عقلية المرأة تخلد عقلية الحضارات الزراعية
التي تعيد الفضائل السحرية للأرض. ولا يكتسب
الزمن بالنسبة إليها صفة التجديد ولا يشكل
ينبوعا للإبداع ولما كانت منذورة للتكرار فهي
لا ترى في المستقبل إلا صورة مطابقة للماضي)
(19)

ما أعلنته أمريكا فلر ممثلة الأمم المتحدة لحقوق
اللاجئين حول حال الأم والمرأة العراقية في
الدول العربية ناهيك عن الأجنبية واضطرابها
لبيع جسدها مقابل لقمة العيش لها ولأطفالها
يوجه لطمه قوية لكل أدعياء الشرف والعفة
والحرص على الأرض والعرض ويسقط كل
ادعاءاتهم الكاذبة والمزيفة . وهو طبعاً ليس
حال النساء العراقيات فقط بل انه حال اغلب
النساء في بلدان العالم الرأسمالي في ظل
العولمة الرأسمالية الهمجية وكم تذكر ذلك
كريستا فيشتريش:-

(ليست العولمة بالنسبة للنساء في كل أنحاء
العالم عملية تجريدية على مسرح مرتفع. إنها
ملموسة وحاضرة : تفقد عاملات النسيج في
لاوزيتس أعمالهن التي تنتقل إلى النساء في
بنغلاديش. تنظف الفلبينيات الخضار والمطابخ
في الكويت. تعرض مومسات برازيليات أنفسهن
في حي المحطة في فرانكفورت . ترعى

البولينيات الشيوخ في ألمانيا بأسعار زهيدة... في الفلبين لانستطيع العوائل تفرز القمامة من الأكوام ان تباع النفايات البلاستيكية حيث تكون قد وصلت من ألمانيا ثانية حمولة من البلاستيك الذي يحمل النقطة الخضراء ،بسعر منخفض لاينافس) المرأة المعولمة -دار الجمل ترجمة د.سالمه صالح الطبعة الأولى.

من الأمور الهامة جدا علمية وموضوعية الغوص إلى جذور وتاريخ الظاهرة والتقليد للكشف عن أسبابها الحقيقية كونها إرادة بشرية وضعت لمصلحة أو لغاية الحاكم أو طبقة أو فردا أو جماعة وبمرور السنين أضفي عليها مظاهر القداسة ودعمت بسطوة النص المتحول والمحرف لنبي أو وصي وخليفة أو زعيم مما أعطاهها قوة الدوام والاستمرار ومقاومة الطرق ومحاولة الخرق من قبل الفرد والمجتمع والسلطات الحاكمة والتي غالبا ما تجد مصلحتها في دوام سلطتها والحفاظ على نفوذها المبنية على الاستبعاد والاستبداد . وان كل ما قدمناه من شواهد إنما يشير بوضوح إلى الأسباب الكامنة وراء قهر النساء واضطهادهن ومن موقعين مختلفين حيث ظلمت المرأة من قبل الظالم والمظلوم ووضعت بين مطرقة الظالم وسندان المظلوم.

وبغض النظر عن الايدولوجيا ولوائح الحقوق ومبررات التقدم وما إليه فا لانتصار لحرية المرأة وصون كرامتها إنما هو انتصار لإنسانية الإنسان وحرية وكرامته بغض النظر عن جنسه .

حق العلم والعمل الطريق الواقعي للمرأة من اجل التحرر:

لم تستطع المرأة الظفر بحريتها كما نرى دون ان يضمن لها حق ممارسة العمل المنتج في مختلف مجالات الحياة والتخلص من التشكيلة الاجتماعية الإقطاعية أو شبه الإقطاعية المتخلفة أو هيمنة البرجوازية الهجينة من إقطاع وأصحاب رأس مال ربوي لا يعدون أكثر من سماسرة للرأسمال العالمي هذه الفئات التي لاهم لها سوى المزيد من الربح وكنز الأموال وباحس وأقدر وأحط الوسائل وهو مايتعارض ويتقاطع تماما مع قيم الحرية والمساواة لعموم المجتمع في مقدمته المرأة..

ان فتوى العمل وضرورته هي المخلص الحقيقي والواقعي للمرأة لتخلص نفسها وتخلص الرجل من العبودية الظاهرة والمستترة وراء جدار الذكورة الخانق .

ان الشاخص أمام عيوننا كيف أفتى العمل بضرورة نزول المرأة مع الرجل إلى ارض العمل في الريف وهي تشارك الرجل كتفا لكتف في الحراثة والزراعة وجني المحصول والرعي بالإضافة إلى مسؤوليتها البيتية في تربية الأطفال وتهيئة أجواء الراحة والمتعة الجسدية والروحية للرجل وبذلك فهي تنوء بواجبات

وأعمال لا يحتملها أكثر الرجال قوة وصبرا
ومطاولة .

ولكن من الطريف أن هذا الفلاح أو الراعي
السادج غالبا ما يُلبس زوجته الحجاب محاكيا
الإقطاع وبعض أدعياء الدين المتطفلين عندما
يأتي إلى المدينة بصحبة زوجته ليحجبها أمام
القصر المحصن بعد أن كانت سافرة أمام
الكوخ؟؟

كذلك فإن العمل المنتج يخلص الإنسان العامل
الفرد من درن وضيق أفق وأنانية ممتهني
البطالة المقنعة من باعة المفرق والسماصرة
والوسطاء والمرابين حاملي رذائل المجتمع
الإقطاعي والبرجوازي الطفيلي ومالكي رأس
المال التجاري والربوي في تبعية ذليلة
ومستجدية للرأسمال المعولم أصحاب الصرائر
والإقفال والقاصات وهم يتفننون في حفظ
وحب أموالهم (الحرام) عن عيون الناس
ليعكسوا بذلك الفعل على نساءهم وما ملكت
أيمانهم مجسدين بذلك روح اللصوصية والثعلبية
والاحتيال والغش وحتى الجريمة من اجل كسب
المال وامتلاكه لينعكس هذا الفعل بعدم الثقة
والخوف من الآخر على نساءهم (ملكياتهم)
والخوف من هذه الملكية ان تتسلل وتركب رأس
المجن لمالكها مهما علا شأنهم وهذا هو شان
الدينار والدرهم فما ان يغادر جيب مالكة
ومحفظته ودفتر شيكاته حتى تنقطع أية صلة
بينه وبين من كان يمتلكه وأصبح طوع بنان

المالك الجديد ولا تنفع كل توسلاته وحسراته
بعودته ليدخل خزائن من افتقده. .

وباختصار شديد ففعالية الطبقات الاجتماعية
المنتجة سوف يعمل على تفكيك الكونفورميا
الاجتماعية الساكنة والمحافطة والمتضمنة قيماً
متخلفة معيقة لتقدم وتحرر الإنسان والمجتمع
ومنها المرأة . وبذلك فهذه الفاعلية ستمهد
الأرضية الصالحة لتنفيذ القوانين والتشريعات
التقدمية ومنها ما يضمن حرية ومساواة المرأة
فدون هذه الحاضنة الاجتماعية أي عملية نسخ
بعض التقاليد والأعراف الاجتماعية البالية و
تنحيتها واستبدالها بما هو جديد عن طريق
إحراقها في بوتقة العمل المنتج سوف تبقى
هذا القوانين والتشريعات حبراً على ورق وتجري
عملية خرقها ومخالفتها في كل حين كما هو
واقعنا الحالي مهما كانت بلاغة وقداصة
المواعظ والنصائح والإرشادات الأخلاقية
ومهما كثرت وعلت المنابر الخطابية وبيانات
الشجب والاستنكار . حيث يكون عددها وفخامة
وبلاغة وارتفاع وعلو خطابها متوازيًا مع علو
المصانع والمعامل وسعة ووفرة المزارع
وارتفاع صروح العلم والعمل المنتج ليكمل
احدهما الآخر وبذلك استطاعت الشعوب ان
تركب مركب الحرية والتطور والتقدم والأمن
والسلام وكما ذكر نصر حامد ابوزيد (ان التحرر
حال اجتماعية عامة مرتبهة بتحقيق شروط
لاتتحقق إلا بكل أشكال النضال التي يعد النضال
الثقافي الفكري بعدا من أبعاده لكنه يظل بعدا

واحد لا يؤتي ثماره إلا بالتوافق المتزامن مع الأبعاد الأخرى النضالية كافة)(20)

وفي هذا الصدد ذكرت المفكرة الفرنسية سيمون دي بوفار (قد قطعت المرأة خطوات واسعة من المسافة التي تفصلها عن الرجل بفعل العمل الذي يستطيع وحده ان يضمن لها ان تتمتع بحرية واقعية ملموسة) وتقول مستدركة

ان هذه الحرية لا يمكن ان تكون كاملة وناجزة آلا في ظل مجتمع العدل والذي تراه سيمون المجتمع الاشتراكي حيث التحرر الشامل للمجتمع من عبودية رأس المال (ان العمل في يومنا هذا لا يعني مطلقا الحرية ، ولا يمكن للمرأة ان تتحرر تحررا تاما بواسطة العمل الا ضمن المجتمع الاشتراكي ، لان أغلبية العمال في المجتمع الرأسمالي مستثمرون من قبل رأس المال)(21)

وكما ذكر لينين (لا يمكن ان يعمل شيئا ضد التجارة بجسم المرأة . فما دامت العبودية المأجورة موجودة فان الدعارة تبقى بشكل لا محيد عنه . ان الطبقات المضطهدة والمظلومة في تاريخ المجتمعات البشرية كانت دائما مجبرة ((وهنا يكمن الاستثمار)) على تقديم العمل غير المأجور للمضطهدين أولا وتقديم نساءهم ليكن سراري (للأسياد))
ثانيا (22)

تذكر في هذا الصدد كريستا في كتابها -المرأة والعولمة-السويد هي البلد الوحيد الذي يطبق المساواة بجدية في العالم ،حين يطالب الآباء ان يقوموا بالتربية كعمل رئيس شهرا كاملا. يستطيع الرجال وحدهم التمتع بإجازة التربية لمدة شهر دون الأمهات،والا سقط الحق (فيها)ص 132

من كل ما تقدم فان على مجتمعاتنا وسلطاتنا وذوي الأمر منا ان تعمل من اجل غسل عار استغلالها وعبوديتها لعموم الإنسان امرأة أو رجل . ان تغسل عار تخمة الأثرياء والمستغلين على حساب جوع وبؤس الكادحين . ان تغسل عار قيدها في أعناق وأيدي المناضلين والمناضلات من اجل العدل والحرية.ان تغسل عار سجونها ومشانقها وأدواء دمارها ضد كل ما هو جميل وخير في العالم . ان تغسل عار استبدادها وعنصريتها وتفريقها للبشر على أساس العرق والقومية والدين والطائفة . قبل ان تسلط وحوشها وكواسرها وذئابها لتقطع رقاب ضحاياها من النساء تحت ذريعة الشرف وغسل العار وهي مسربلة وبالرديلة والخسة والعار.

ولذلك يؤكد الكثير من المفكرين ووالمختصون في علم النفس والاجتماع على ضرورة تهيئة وتطويع الكونفورميا الاجتماعية المحافظة لاستيعاب المتغيرات الثورية الجديدة بحيث تكون مقاومة العرف والتقليد ضعيفة أن لم تكن معدومة ومنبوذة اجتماعيا كما هو الحال بالنسبة

للنهوة مثلاً أو أختلاط في المدارس والكليات
والمعاهد ودوائر العمل ولا يتم ذلك إلا عن طريق
تطور وتقدم البنية الاقتصادية والمعرفية
للمجتمع لتكون حرية المرأة عرفاً اجتماعياً
وليست حبراً على ورق.

المصادر:-

1- المرأة العربية في جاهليتها وإسلامها- عبد الله
عفيفي- الطبعة الثانية 1932م مطبعة المعارف
ومكتبتها بمصر- الجزء الثالث

3- المصدر نفسه السابق ص 77-78.

4- المصدر نفسه ص 79

5- = = ص 80

7- = = ص 81

9- = = ص 85

10- = = ص 85

2- دوائر الخوف- قراءة في خطاب المرأة ص
86

الطبعة الثانية -الناشر-المركز الثقافي العربي
الطبعة الثانية نصر حامد ابوزيد

6- المصدر نفسه ص 244

8- المصدر نفسه ص 56

12- المصدر نفسه ص 51

- 15-المصدر نفسه ص 37
- 16-المصدر نفسه ص 30
- 20- المصدر نفسه ص 85
- 11- الجنس الآخر-سيمون دي بوفوارص 372
- 13و14 -المصدر نفسه ص 250
- 17- المصدر نفسه ص 30
- 18- المصدر نفسه ص 302
- 19-نفس المصدر نفسه ص 269
- 21- المصدر نفسه ص 283
- 22-لينين والمرأة ص 40 إصدار دار الجماهير
1970

الضحك في العلم

تعريف الضحك: (هو شكل من أشكال التعبير الذي يظهر خارجيا علي الإنسان في صورة مرح

وفرح. ويتعدد الضحك فقد يحفز استنشاق الإنسان لبعض المواد الكيميائية مثل الأوكسيد النثري (nitrous oxide) ويطلق عليه أيضا (الغاز المضحك) علي إطلاق نوبات من الضحك الهستيري . او للاعتماد علي بعض العقاقير مثل الخشبيين (cannabis) .
يشعر الإنسان بالرغبة في الضحك وعندما يسمع نكته ما عندما يتعرض لموقف هزلي يحدث أمامه أويقع فيه ... ويضحك عندما يداعبه شخص بالملامة الجدية (tickling) او بأحداث الم بسيط علي منطقة في جسم الإنسان مثل الضغط علي عصب الزند وعظم الزند او عظمة الراحة (ulnar nerve) .

وقد يكون الضحك نسبة لوجود شخصية سادية تهوي التحكم وإيقاع الآخرين في صدمات مؤلمة تحفزهم علي الضحك العصبي.
فالضحك جزء من السلوك الإنساني الذي ينظمه المخ ، وتساعده هذه العاطفة الشعورية الايجابية من الدرجة الأولى الإنسان على أن يوضح نواياه في إطار التفاعل الاجتماعي . كما يتبلور بالضحك أحد جوانب الاتصال والمشاركة مع الآخرين

تختلف طريقة الضحك من إنسان لآخر فضحك الأنثي غالبا ما يختلف عن جرس ونغمة وطريقة ضحك الأنثي بحيث يمكن ان نميز جنس الضاحك دون ان نراه كما ان هناك إمكانية لمعرفة شخص ما عند سماعك لطريقة ونغمة ضحكه .

ويرى بعض العلماء والمختصين ان الضحك لا يختصر علي الإنسان فقط وإنما والحيوانات تضحك أيضا ولكل منها طريقة معينة للضحك والمداعبة فالفأر يضحك غير ما يضحك الحمار او الاسد وهكذا ..

(توصل باحثون ان الطفل الرضيع يبدأ في

الضحك بعد مرور (17) يوما من ميلاده . ونرى ان الأطفال الرضع يبدؤون في اكتساب مهارات الضحك عند بلوغ أربعة أشهر من العمر . ويرى بعض العلماء أنّ الاستعداد والقابلية للضحك والمرح وربما يورث جنسيا من الآباء الى الأبناء ولكن هناك الكثير من علماء الاجتماع وهو الرأي الذي ننحاز إليه ان المرح والضحك إنما هي صفة مكتسبة اجتماعياً .

اما من الناحية الفسيولوجية فيرى فسيولوجيو الأعصاب الحديثة تربط الضحك بتنشيط القشرة الأمامية الوسطي للدماغ (ventro medial prefrontal cortex) التي تفرز مادة ((الاندروفين)) بعد نشاط يشعر فيه الإنسان بالمكافأة بعد تناول وجبة لذيذة وممارسة نشاط جنسي أو بعد فهم نكتة. وفي معلومة طبية لمجلة أمريكية تذكر (على الرغم من أنّ مركز الضحك بالمخ غير معلوم او محدد الا انه يعتمد التعبير عنه مسارات عصبية المتصلة بالدماغ المتوسط والخلفي توجد بالقرب من مراكز التنفس)

وترى بعض الأبحاث الطبية ان للضحك تأثيرا جيدا علي الصحة وسلامة القلب وخصوصا مفعوله في الإقلال من إفراز مادة الكليسترول التي تزيد من نسبة الإصابة بأمراض القلب وضغط الدم وكما يذكر ستف سلطا نوف ((ان الضحك يزيد من احتمال الإنسان للآلام كما يقوي الجسم من خلال إفراز الأجسام المضادة التي تحارب العدوي التي تمنع تصلب الشرايين ثم إصابة الإنسان بالذبحة الصدرية والأزمات القلبية او السكتة الدماغية)

وأضاف سلطا نوف (ان الشخص الذي يعيش دائما في حالة وجدانية يحيطها الإحباط هو اكثر الأشخاص تعرضا لإمراض القلب، الشخص الذي يعاني من الغضب المزمن والكراهية لغيره اكثر

عرضة أيضا للازمات القلبية، والأشخاص التي تعيش حياة قلق ويسلكون نمطاً حياتياً به ضغوط تتعرض شرايينهم للانسداد...الخ).

وكما أظهرت دراسة في اليابان (ان الضحك يقلل من معدلات سكر الدم) واثت الخلاصة من هذه الدراسة ان الضحك علاج مفيد لمرض السكر ومايحدث للجسم من تغيرات خلاله يعوض الجسم عن مايلحقه به المرض).

وكذلك فان الضحك يزيد من مناعة الجسم للأمراض المختلفة (عندما يضحك فان الخلايا الطبيعية التي تدمر الأورام والفيروسات تزيد بالإضافة الي إفراز الجسم للبروتينات التي تحارب العدوي (comma interferon) وخلايا (Tcells).

الهامة لجهاز المناعة وخلايا ب سي التي تفرز الأجسام المضادة لمحاربة الأمراض وبالمثل يقلل الضحك من معدلات ضغط الدم ويرفع من معدلات الأوكسجين ويساعد علي التئام الجروح بشكل أسرع)يعمل الضحك والمرح الي إقلال نسبة القلق عند الأطفال قبل إجراء عمليات جراحية لهم كذلك فان التعرض لعشر دقائق من الضحك يمكن المرضي الذين يعانون من آلام العمود الفقري ولا يمكنهم الاستغراق في النوم سيمكنهم من النوم لمدة ساعتين متواصلين بدون الم) كذلك فان الضحك يفيد كثيرا في اللياقة البدنية فقد توصل العلماء (بان الضحك مائة مرة يساوي في تأثيره مايبذل من نشاط الرياضي علي العجلة لمدة 15 دقيقة.ويقول العالم ((جار ودي كوهين)) ان ((الضحك لايساعد فقط القلب ولكنه ايضا يساعد علي جمال الجسم والمظهر فالضحك يساعد علي جمال الإنسان حيث يساعده علي شد عضلات البطن وعدم الترهل) كذلك يزيد القدرة علي التحدث مع الآخرين واللباقة ويبث روح المشاركة وروح

العمل الجماعي والاتصال بالآخرين علي نحو
 أعمق، يجدد الطاقة، يجعلك تفكر بشفافية
 يخرجك من دائرة الروتين، ينمي قدرة الشخص
 الإبداعية، يقلل من الشخير لأنه يساعد علي
 عدم ارتخاء عضلات الحنجرة ويجعلك تبدو أكثر
 شباباً.

(

الشاي في العلم والتاريخ والتقاليد جمع واعداد وتحرير

نبذة تاريخية

تذكر المصادر التاريخية إن أول من زرع الشاي
 واستخدمه هم الصينيون حيث يروي إن الملك
 الصيني شينوق shennong كان مغرمًا برعاية
 وجمع الأعشاب لغرض التداوي , وقد ترك بعض
 أوراق الشاي في الحديقة وبالصدفة حملت

الريح ورقة من الشاي الجاف إلى قدح الماء الساخن الذي اعتاد إن يحتسيه وهو جالس في الحديقة كنوع من أنواع العلاج بالماء فلاحظ الملك تغير لون الماء فتذوق طعم المنقوع فاستساعَ طعمه ودأب على تناوله هو ومن في معيته مما أشاع استخدامه في الصين وخارجها.

وقد كانت أول شحنة من الشاي قد وصلت أوروبا في عام 1610م وهو أول عهد الاوربين بالشاي. ويقول المؤرخون إن أول من عرف [الشاي](#) هم الصينيون قبل آلاف السنين، ثم اكتشفت نبتته في إقليم آسام الهندي عام 1832 من قبل روبرت بروس، وهو ضابط بريطاني كان يعمل في شركة الهند الشرقية، أما موطن [الشاي](#) فهو سيلان والهند وكينيا وروسيا وإندونيسيا وإيران وشمال العراق، ويعتبر شاي سيلان من الأنواع الجيدة، وزراعته تحتاج إلى أرض جبلية رطبة

أما العرب ، فلم يكونوا يعرفوا الشاي لافي العصر الجاهلي ولافي صدر الإسلام ولا في العصر الأموي ولا في العصر العباسي وانما جاء شربه بعد هذا التاريخ حيث لم يوجد تاريخ محدد لدخول الشاي وشربه في المنطقة العربية ، في العراق تذكر الروايات ان الشاي دخل مع دخول الانكليز للعراق عام 1914. ليكون من أشهر وأكثر المشروبات شعبية في عراق اليوم. ويذكر ان اول من ادخل الشاي الى شمال العراق والى السليمانية بالخصوص هو التاجر الكردي

المُلا محمد ابن المُلا غفور ،أحد أشهر تجار
السليمانيه في العام ١٨٨٥-١٨٩٠ ،تاجر توارث
التجاره عن عائلته ،يبادل البضائع ويشترى مع
التجار الأقرب لمدينته هم التجار الإيرانيين وفي
احدى زيارات المُلا محمد ،الى إيران شاهد تجمعا
من الناس ويدهم أقداح ويشربون شرابا لم
يكن يعرفه هو سابقا ،سأل بفضول (ماهو هذا
الشراب ؟) أجابه احدهم (أنه الشاي او باللغه
الفارسيه جاي) .

والتاجر يبحث عن كل ماهو جديد بادر لطلب قده
منه ،تذوق طعمه وطلب الاخر ثم الاخر ،حصلت
له القناعة الكامله بأن هذا النوع من البضاعة
سيكون له مستقبل في مدينته ،ونتيجة لظروفه
اضطر للبقاء في إيران حيث أصبح من أشد
المعجبين بالشاي واستمر يتناوله يوميا .

بعد قرار عودته الى السليمانيه ،قرر شراء كمية
كبيره من الشاي ،حمل بضاعته متوكلا على
الله ، أنتشر خبر عودة المُلا محمد وانتشرت
.. أخبار بضاعته الجديده



وفي محل سكناه بمنطقة (درگزين) حيث الحديقة والدار الكبير، والذي اعتاد ان يفتح مجلسه المسائي كل يوم حضر الزوار لتقديم التهئة على سلامة الوصول شرح للحضور نوع الشراب الذي احتساه في ايران وقدم لهم أقداحاً منه، تليذ الجميع، تقبلوا الفكرة، شاعت في المدينة أخبار الشراب الجديد، واستمرت وبدأ باقي التجار باستيراد الشاي وفتحت ... المقاهي وتنوعت

طريقة ووسيلة شرب الشاي في العراق

ويقول محمد عبدالجليل عضو هيئة الإحياء والتحديث الحضاري في العراق لوكالة «نيوز ماتيك»: «إن العراق أصبح من البلدان الأولى في استهلاك **الشاي** رغم حداثة دخوله إليه أيام الاحتلال البريطاني وعرفه العراقيون، أما قبل ذلك أيام الحكم العثماني فقد كان موجوداً، لكنه

كان قليلا جدا وفي البيوت الميسورة فقط، ويتم تناوله في المناسبات والأعياد». ويشير عبدالجليل إلى أن «المقاهي حين كانت تستخدم القهوة سميت كهاوي، وحين انتشر **الشاي** وحل محل القهوة أصبحت تسمى جاي خانه، وبذلك غدا **الشاي** الشراب السحري المفضل لدى عامة الناس، فهو صديق الصغار والكبار».

وهناك نوادر كثيرة وردت عن الجاي العراقي، أبرزها ما رواه الشيخ وهاب المرشدي فيقول: «أتذكر رواية طريفة عن الشاي، ففي عشرينيات القرن الماضي، زار وفد من أهالي الريف أحد الأعيان، فقدم لهم **الشاي** ولم يكونوا على معرفة سابقة بهذا المشروب، وبعد أن وضعت أمامهم استكانات **الشاي** ظلوا صامتين لا يعرفون كيف يشربونه، وبعد فترة برد **الشاي** فطلب المضيف تغييره، وعندما لاحظ أن ضيوفه مستمرين في صمتهم بادر إلى تحريك الملاعقة الصغيرة داخل الاستكان، وأخذ يشرب منه، فعمل الضيوف مثله، وعند خروجهم سألوه عن المشروب، فقال لهم إنه الشاي». ولشدة ولع العراقيين بالشاي تغنوا في إعداد خلطته وطريقة شربه، فالبعض يتناوله بالاستكان والبعض الآخر بالصحن بعد تطعيمه بالهيل، وهناك من يخلط السكر به، وغيره يشربه (دوش أو دشمله) حين يتناول السكر منفصلا. والسكر أنواع، فمنه الخشن والناعم والقطعة الهرمية الشكل التي تسمى «كلة»، وتستخدم بعد تكسيرها إلى فصوص صغيرة، أو

المكعبات التي تسمى «قند».



وغالبا ما تتحلق العائلات العراقية غالبا حول صينية **الشاي** أو (السماور) حيث تدور أقداح **الشاي** ودوارق الماء المغلي، ناهيك عن (السماور) المنتصب أحيانا وسط (اللمة)! وبين حين وآخر تدور قارورة السكر ليأخذ كلُّ حاجته منه! وقارورة السكر هذه غالبا ما تكون على شكل (شكردان) أنيق من الزجاج الملون والمنقوش على شكل إناء أو (كاسة) ترتفع على عمود زجاجي يتصل بقاعدة زجاجية أيضا، قبل دخول (الاستيل) حياتنا الاجتماعية، حيث أخذت تصنع منه عدة ولوازم **الشاي** من «قوري»

و((كتلي))



وهو عادة اكبر من القوري ومصنوع من ((الفافون)) يستعمل لغلي الماء الحار الذي يستعمل لتخدير ((الشاي)) في القوري ، ويستخدم للغرض نفسه ((السماور)) وهو اناء باحجام مختلفة حسب الطلب غالبا مايكون مصنوعاً من النحاس او الستيل ومزين بنقوش جميلة ، يكون ثلاثي الاستخدام في اسفله فتيلة النار ، والوسط وعاء حفظ الماء لغرض غليه ويوضع على راسه ((القوري)) لكي يخدر

على البخار المتصاعد من السماور





«
**صينية» و«شكردان»، وعندما جاء الهنود مع
 الاحتلال الأول، كانوا يطلقون على قـدح **الشاي**
 اسم (بيالة) وهي تسمية (هندية-آرية) بمعنى
 (قدح) أو (كوب)، وما زالت مناطق شمال العراق
 تسمى استكان **الشاي** (بيالة)، أما كلمة**

(استكان) فأصلها إنجليزي، حيث إن الجنود البريطانيين الذين كانوا في الهند أيام الاستعمار البريطاني لشبه القارة الهندية عندما كانوا يعودون في إجازاتهم إلى بريطانيا يأخذون معهم (بيالة) **الشاي** الهندية، أي قدح الشاي، ولأن الإنجليز كانوا يتناولون **الشاي** بـ(الكوب)، وهو فنجان زجاجي كبير يوضع في طبق من ذات اللون والحجم والطرز، فتميزاً لقدح **الشاي** الهندي (البيالة) عن (الكوب) الإنجليزي، أطلق هؤلاء على القدح اسم (استكان)، وهي تسمية من ثلاثة مقاطع تشرح أصل الإناء أو القدح: و East شرق، و Tea شاي، و Can إناء (East-tea-can) أي قدح **الشاي** الشرقي! وهكذا جاء الجنود الإنجليز بهذه اللفظة معهم إلى العراق، ولأن كل ما يتعلق بالشاي كان من الأمور الجديدة الدخيلة على حياتنا الاجتماعية، فقد أخذ العراقيون لفظة (استكان) مدغمة متصلة للسهولة والدلالة! وما زال الكثير من العراقيين لا يتذوقون شرب **الشاي** إلا بـ(الاستكان) رغم أن البعض يشربه بالكوب والآخر يتناوله (بالكلاص)،.

((الخشوقه)) \ وهي مفردة تركية تعني ملعقة طعام ، تكون صغيرة لو استعملت مع ((الاستكان)) لغرض مزج السكر واذابته فيه ، وهي عادة مصنوعة من الالمنيوم ((الفافون)) بالنسبة لعامة الناس ، و مصنوعة من الفضة او الذهب عند الاثرياء

**((النعلبكي))\ وهي مفردة فارسية وهو الصحن
او الصيني الفرفوي ((الخزف)) الصغير الذي
يوضع تحت ((الاستكان)) ، ليفيض فيه الشاي
الفائض من الاستكان ، ويستخدم احيانا من قبل
البعض لتبريد الشاي وشربه**





ومع **الشاي** نشأت طرائف، فمثلا إذا وضعت في استكانك ملعقتين يقولون «سوف تتزوج بأخرى إذا كنت متزوجا»، أو «ستتزوج اثنتين إذا كنت أعزب».

أنواع الشاي

تذكر للشاي ثلاثة أنواع شائعة الاستعمال بنسب مختلفة منها

- النوع الأسود black tea , وهو من أوراق الشاي المجففة تماما وحفظها بطريقة خاصة وتحت ظروف حرارة معينة. وهو النوع الشائع الاستعمال والشرب في العراق ..

- الشاي الأخضر green tea وهو عبارة عن أوراق الشاي غير المجففة كما هو الحال بالنسبة للشاي الأسود والتي تحفظ بطريقة تحافظ على لونها الأخضر.



- الشاي الالونج olog tea وهو نوع الشاي الذي يحتل مرحلة وسطى بين الشاي الأسود والشاي الأخضر.

- لكل نوع من الأنواع طعمه الخاص وله من يفضله سواء من ناحية الذوق أو الشكل أو الفائدة الصحية المرجوة منه.

في العراق هناك نوع من الشاي يدعى ((شاي قجرات)) أو الكركدية وهو احمر او شونذري اللون ، تشتهر الديوانية في زراعته ، يشرب ساخنا او باردا مثلجاً.... وهو شراب طيب المذاق وله فؤاد كبيرة



فوائد الشاي الطبية

أثبتت العديد من الدراسات الأكاديمية في السويد واليابان وفي بريطانيا والولايات المتحدة إن للشاي فوائد صحية كثيرة وقابلية على زيادة مناعة جسم الإنسان من الأمراض. ومن هذه الفوائد:-

*إن الشاي يساعد على خفض نسبة الإصابة بمرض سرطان المبايض بنسبة 46% في النساء اللاتي يشربن فنجانين أو أكثر من الشاي يوميا مقارنة بمن لا يشربن الشاي.

وقد توصلت دراسة إن شرب الشاي الأسود أو الأخضر ببطيء من نشاط انزيم اكتيلكولين المسؤل عن الزهايمر.

الشاي الأخضر والأسود يحتوي على مولدات للمضادات المناعية القلوية بعكس القهوة مما يساعد على تقوية وتحفيز جهاز المناعة ضد الأمراض عند الإنسان.

*تؤثر مكونات الشاي على الشرايين بشكل يمنع تكون تجلط الكوليسترول على الجدران الداخلية للأوعية الدموية لاحتواءه على مادة مضادة للتأكسد يطلق عليها اسم فلافونويدز.

***كذلك فقد اكتشف العلماء في جامعة طوكيو الطبية إن تناول كوب من الشاي بعد الوجبات الدسمة الثقيلة يساعد في تقليل الآثار المؤذية للطعام الدسم على الجسم. وهو نافع أيضا لصحة وسلامة الأسنان. ولم تؤثر سلبيات أو مضار لتناول الشاي على صحة الإنسان.**

الشاي في الادب العراقي

**نظرا لخصوصية الشاي كمشروب شعبي عام يجمع الاحبة وذكرياتهم المفرح والمحزن منها فقد نظم الشعراء والعشاق العديد من القصائد الشعرية في الجاي وغناها العديد من المطربين فاخترنتها الذاكرة الشعبية مثل اغنية ((خدري الشاي خدريه)) الخالدة حيث تقول
كلمات الاغنية**

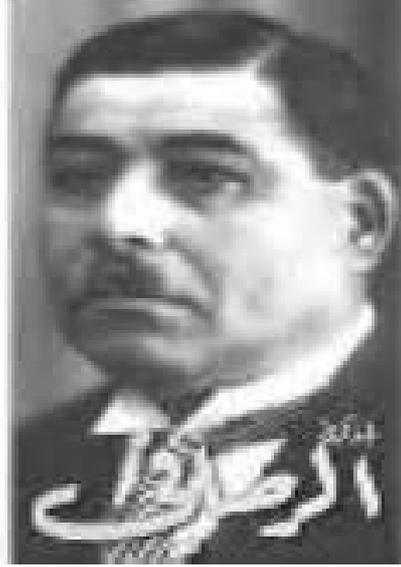
جايك ماخدر بالنار والهاي
د وه جايك حبيبي ايصير اليه

حبيبي الجاي خله ايفور بالنار
استكان الكلب مالي ايصير بالنار
اذاصح الفحم يبقه الجاي بالنار
من جسمي اخذ ناري السريه\\

خوشك باستكانك وانتبيها
اشلوه القوري التخدره وانتبيها
ومن صوته يصوفر وانتبيها
جاي الهيل محلاه ابصوانيه\\

قوري الجاي دنه الي بالجاي
وعلى نار الفحم خليه بالجاي
شحاتك من تخوشك جاي بالجاي
ابنار الكلب خدره وهاي هيه ...

قصيدة الرائعة للشاعر العراقي احمد الصافي
النجفي الذي تغنى بشرب الشاي حيث يقول
فيها



لئن كان غيري بالمدامة مولعاً فقد ولعت نفسي
بشرب الشاي معطراً
إذا صب في كأس الزجاج حسبته مذاق عقيق
صب في كأس جوهري
به أحتسي شهداً وراحاً وسكراً وأنشق منه عبق
مسبك وعنبر
يغيب شعور المرء في كؤس الطلا ويصحو بكأس
الشاي عقول المفكر
يُجد سرور المرء من دون نشوة فاحب به من
منعش غير مسكر
خلا من صداد أو نريف كأنه سلافة أهل الخلد أو
مساء كثر
فمنه اصطباحي واغتياقي ولذتي ومنه شفائي
من عناء مكد
كأنني إذا ما أسفر الصبح ميث وإن أرتشف كأساً
من الشاي احش
فله أرض الصين إذ أنبتت لنا أذ نبات بالمسرة
مثمر

لو أن ابن هاني فاز منه بجرعة لراح بأقداح ابنة
 الكرم يـــــــزدرى
 ولو ذاقه الأعشى وحكم في الطلا وفيه لقال :
 الفضل للمتـــــــأخر
 فللغم أحلى مشرب من مذاقه وللعين من مرآه
 أجمـــــــل منظـــــــر
 إذا فار ما بين السماور ماؤه سمعت له أنغام
 نـــــــاي ومزهرـــــــر
 فأشرب مرتاحاً على نغماته كؤوساً وما نقلني له
 غيرـــــــر ســـــــر
 كأن به صبياً ينوح وقد ذكى لهيب الهوى منه
 بقلـــــــب معـــــــر
 فيسكت إن تخمد به نار حبه وإن تذك فيه لوعة
 الشـــــــوق يزفـــــــر
 وإن بلغت نار الهوى فيه حدها بكى لوعة من
 دمعـــــــه المتحـــــــدر
 كأن به بركان " ويزوف " ثاقب فإن ثار يقذف
 بالشـــــــرار ويمطـــــــر
 كأن به نار الغرام تمثلت لدى العين يخشى
 قربهـــــــا كـــــــل مبصـــــــر
 تمد بأفلاذ الزنوج إذا خبت فتحكي جحيم الزنج
 فيـــــــوم محشـــــــر
 فتم تخال الفحم أفلاذ مهجة من الليل تلقى في
 نهـــــــار منـــــــور
 فإن ضاق صدرأ عن تأجج شوقه تأوه في أنفاس
 مـــــــاء مبخـــــــر
 لئن يملك يوماً جناحاً يطرب بها إلى حيث من
 يهـــــــوى وبالوصـــــــل يظفـــــــر
 كأن كؤوس الشاي بضع نواسك تحيط بمعبود من
 التـــــــبر أصـــــــفر
 وتفتح فاها بالدعا فيجودها بذوب لجين أو بدر
 مقطـــــــر
 وأحسبها حول السماور تارة بنات مجوس قد

أحطرتن بمجمرت
وتحكي لنا ما بين بيض صحونها تماثيل درّ في
معابد مرمرت
وإبريقه فوق السماور مرتقٍ كمثل خطيب جالس
فوق منبر
يفوه ولكن من عقيقٍ مقطرٍ وينطق لكن في
كلام مصرور
سماوره يبدو كشيخٍ معممٍ من الصين يزهو في
رداءٍ معصفر
إذا ساق همّ الدهر نحويّ جيشه ألاقه من أقداح
شاي بعسكر
فمذ احتسي جاماً وأرشف ثانياً يفرّ الأسي عني
بحيث مبعثر
فأشرب كأس النصر جدلان ناعماً وأزهو، وقد
أدركت عزر المظفر
فله كاساتي لنصريّ أسرعت ومن ينتصر في
كؤس الشاي يُنصرت
كأن به معنى السعادة كامنٌ فلو يُشترى بالنفس
مما ليسم مشترى
لئن أنقص العمر الثمين اعتياده فأيّ حياة دونه
لمعمر
دع الرّاح والأفيون واشرب عصيره مداماً، ولا
تشرب مدامة حيدر

وكان الشاعر المعروف المرحوم نزار قباني
طالما يطلب من (بلقيس) زوجته العراقية ان
تعد له شايا عراقيا مهيلا

هناك الكثير مما لا يمكن الاحاطة به في مثل
هذه الدراسة المكثفة

الشاي وسيط صلح ورابطة تعارف وشاهد حب

لا يمكننا تصور بيتا من البيوت العراقية خالٍ من الشاي وعدد تحضيره واحتساءه بأنواعها المختلفة السماور والكتلي والقواري بأنواعها الخزفية والمعدنية والزجاجية والملاعق الصغيرة ن معادن مختلفة بعضها من الفضة أو الذهب عند العوائل الثرية وماعون الشاي بألوان وإشكال مختلفة الأشكال والمناشيء أكثرها انتشارا الصيني الصنع وليس هناك مشروب يوازي الشاي في سعة انتشاره وتناوله وخصوصا من قبل العوائل الفقيرة ومتوسطة الدخل التي لم تتعاط المشروبات الكحولية وكما يروى عن عن الاديب اليساري العراقي ذنون أيوب (الشاي خمرة الكادحين).

انتشرت المقاهي (الجايخانات) في المدن الكبيرة والصغيرة وفي الإحياء والحواري والمحلات المختلفة كمحل تلاقي وسمر المعارف والاصدقاء ومكان استراحتهم بعد العمل.

اشتهرت بعض المقاهي في العاصمة بغداد ومراكز المحافظات وتميز بعضها بلقاء ورواد شريحة وطبقة معينة من الناس مثل التجار أو العمال أو الكتاب والأدباء والكسبة... الخ كمقهى

الشاهبندر وأم كلثوم في باب المعظم في بغداد
العاصمة وفي المدن الراقية الكبيرة كالموصل
والبصرة والنجف.

بالإضافة إلى الأكشاك الصغيرة على أرصفة
الشوارع وفي أبواب المطاعم وعلى طريقة
اشرب شاي أنت وماشي. وقد تفنن أصحاب
المقاهي في عمل (الوجاع) و(التسكاه) وتزيينه
وتجديده بشكل مستمر وهو مكان إعداد الشاي
وتهديره

وتعد أفضل طريقة ووسيلة لتهدير الشاي
.طريقة إعداد وتهدير الشاي على الفحم .

وقد وضعت مراسيم وأعراف وضوابط معينة
لرواد المقاهي حيث يعاب جلوس الصبيان
وطلاب المدارس من الجلوس في المقاهي
وغالبا ماكانت الطبقات الارستقراطية والثرية
تمنع أبنائها من ارتياد المقاهي حيث إن لهم
نواديهم ومكان لقائهم الخاصة وعدم جواز
جلوس المرأة في المقهى سواء في العاصمة أو
المحافظات ومهما بلغت المرأة من مظاهر
التجاوز والتحرر.ولكنا نشاهد الكثير من النساء
يفترشن الأرصفة وأبواب الكراجات وساحات
تجمع العمال والمطاعم لبيع الشاي وبعض
اللفات من البيض والقيمر والفلافل وغيرها من
الأكلات الشعبية الرخيصة وخاصة عند الصباح.
من اجل كسب لقمة العيش وإعالة أطفالهن بعد
فقدان واعجز أو وفاة المعيل في الحروب
الداخلية والخارجية وقد شاع هذا المشهد في

لعراق إثناء الحرب العراقي الإيرانية وأم
المعارك وما بعدهما حيث الاحتلال وما نجم عنه
ولم يزل من القتل والخطف والتشريد والسجن
للاف الرجال بلاضافة للبطالة المستشرية في
البلاد وكثرة الأرمال والأيتام.

ومن الطرائف في هذا الخصوص انك تغري
صديقك بتناول قدح شاي (نسوان) حيث ن
المعروف بين الرجال إن ربة البيت تضع كل
مهارتها وعنايتها وهي تعد الشاي لضيافتها
ولصديقتها أو جاريتها عندما تزورها في البيت
وتطعمه بهيل والنعناع لتنال



الكاردينيا - www.algardenia.com

الإعجاب من نظيراتها من النساء وتجنب ذمهن
لها أمام النساء الأخريات وغلبا ما يكون هذا
الشاي (سنكينا) أي مركز تعبيرا عن حبها
وتقديرها للضييفة وإظهارا لمهارتها في إعداد
الشاي والطبخ ودلالة على اريحتها وطيب
نفسها كما يقولون.

رغم ان طريقة تحضير الشاي واحدة ولكن
 هناك من يجيد تخديره فيكون شايه مميزا
 يختلف عن الاخرين لذلك يطلب منه تخدير
 الشاي حصريا ((انريد نشرب جاي من ايدك
 الحلوه)).....



ويتبارى العراقيون في المقاهي ويتزاحمون
 لدفع فلوس الشاي للأصدقاء والمعارف من رواد
 المقهى وخصوصا لن يملك الأسبقية في
 الجلوس فهو صاحب الحق الأول الذي لاينازع
 عرفا في دفع فلوس الشايات ويعاب عليه أن لم
 يبادر للدفع ويأمر ب((وير)) للقادمين من بعده
 أو للضيوف ولاحق لصاحب المقهى اخذ الحساب
 من غيره حسب الأصول ولايمكن أن يرد (ويره)
 إلا صاحب ضغينة وعداوة غير محسومة أو زعل
 معلوم اوغير معلوم مما يستدعي منه
 الاستفسار عن السبب ولم يترك الأمر يمر دون
 أن يعرف السبب وإلا تحول الأمر إلى شجار قد

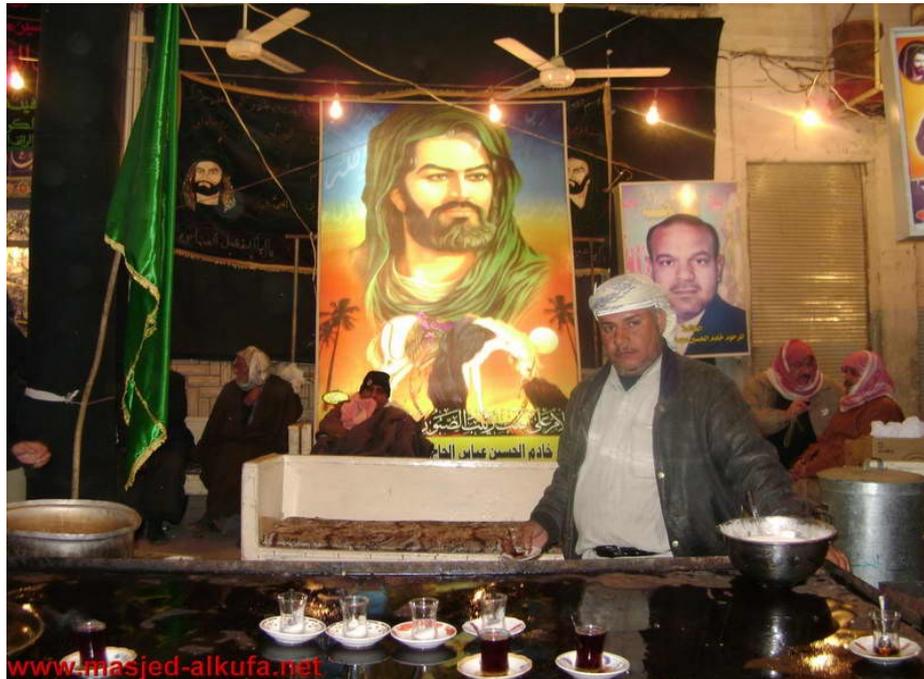
لاتحمد عقباه إذا لم يتم الاعتذار ورد الاعتبار
للشخص المعني وأمام الإشهاد.

ومن التقاليد وأعراف شرب الشاي أنك
لاستطيع أن ترد أو لا تشرب استكان الشاي
الذي يقدمه لك صاحب أو ربت البيت والار بما
يفسر فعلق هذا بإضمار الشر أو الانتقاص من
رب الدار وعدم احترامه.

الشاي له حضور كبير دائم في افراح
العراقيين في الاعراس ومواليد الختان واي
مناسبة اخرى ...

كما ان الشاي حاضر في المناسبات الحزينة
كالفواتح والمآتم ومنها المآتم الحسينية
.....وبالأخص في المدن الشيعية وتحديداً في
شهر محرم وصفرومناسبات وفيات الائمة
والصالحين واثناء نصب فواتح ومآتم موتاهم....





ومن الملاحظ إن ليس هناك توقيتات معينة
 لشرب الشاي سواء في الريف أو المدينة
 العراقية عدى كونه شبه دائم بعد وجبات الغذاء
 عند الفطور والغداء والعشاء.

وسيط ارتباط وصلح وتعارف

.....

غالبا مايرافق التقاء الاصدقاء في الدور بما يسمى حفلة شاي وكعك او كيك أو كليجة العائلة والتي ماتكون غالبا وسيلة لاحتواء حالة برود العلاقات أو الزعل أو لتوثيق العلاقة بين الجيران والأصدقاء الجدد، أو أصحاب المهن .





**وأحيانا تنذر النساء ما يسمى (شاي العباس) يتم
الوفاء به عند تحقيق المطلوب من الأئمة
والسادة والأولياء وهي عبارة عن صينية كبيرة
من الشاي والكعك يدعى لها الجيران والأقارب**

والأحباب.



وفي حالة الذهاب لطلب رضا صاحب الشأن والأمر في قضية من القضايا الهامة كالخطوبة أو دفع دية القتل أو الشجار أو السرقة أو محاولة التحرش بالنساء، فإنَّ على المقصر أنْ يعد لمشيئة وهي مجموعة من الرجال من السادة والشيخوخ والوجهاء من المدنية أو القرية أو المحلة وحسب أهمية الموضوع المطلوب ومكانة المقصود العشائرية والاجتماعية يجب إن يكون عدد وموقع المشاية والذي غالبا مايتقدمهم سيد وهو احد أحفاد الرسول محمد(ص) لما له من هيبة وتقدير وعلو شان لصلته برسول الله وأهل بيته والذي يجب أن لايرد له طلب وإلا تعرض راد

الطلب إلى مالاتحمد عقباه نتيجة شارة وغضب السيد .

وعندما تستقر المشاية في دار الشخص المقصود بالطلب تدار من قبله الصواني المليئة بأقداح الشاي على المشاية ابتداء من السيد الأكبر سنا من الحاضرين ثم توالى الأقداح أمام الحاضرين على يمين السيد ولايجوز تجاهل هذا الأولوية أو تجاهل احد الحاضرين وعدم وضع قدح ن الشاي إمامه وإلا سوف يفسد الفاعل المشية ويتعرض للتوبيخ الشديد من قبل الجميع وربما تترتب عليه إجراءات ترضية واعتذار معينة حسب درجة وخطورة الفعل وتجاوزه العرف المعروف في مثل هذه الحالات فان كل تصرف أو فعل في مثل هذه الطقوس يؤل ويفسر بطريقة لايمكن الا ان تكون مقصودة وغير بريئة.



عندها يطلب صاحب الشأن أو الوكيل عنه من المشاية من السادة والأجاويد أن يشربوا شايمهم فيمتنع الجميع عن تناول الشاي أو شربه إلا أن يعاهدهم صاحب الشأن بالرضى ومن يحتسى الشاي قبل أن يؤخذ العهد من المقصود إفسادا واستهانة بالأمر من الصعوبة إصلاحه وتلافيه فلذلك لا يتصرف أي فرد بالمشية إلا بعد أن يأذن السيد أو المخول بإدارة الحديث والتفاوض ممن يمتلكون الخبرة والكفاءة والقدرة المشهودة في حل عقد مثل هذه الأمور وتلافي مفاجئاتها الغير محسوبة، وان من النادر والغير معروف أن لا يعطي صاحب الشأن (البخت) والعهد بالرضى نظرا للإعداد الجيد لمتطلبات المشية ووسائل نجاح الرضا والاستجابة وغالبا ما يو دع (المشاية) صاحب الدار وهم منتصرين بتحقيق ما أتوا من اجله كالصلح أو الخطوبة أو سداد دين أو رد

اعتبار واعتذار عن أي اعتداء أو شجار وما شابه من الإشكاليات الاجتماعية والذي غالباً ما يكون مفتاحها استكان الشاي.

مطلوب إن يقدم ((استكان)) الشاي ممتلئاً تماماً وغير ناقص وإلا اعتبر الأمر إشارة إلى نقص في شرف أو سمعة وذات الشخص المقدم له الشاي أو عائلته كما يحذر قلب الاستكان ووضع الملاعة فوق قاعدته لما لها من مغزى لا أخلاقي خطير . مما يتطلب الحذر الشديد والمعرفة بمثل هذه المراسيم وأصول القيام بها. كما إن طريقة وضع (الملاعة) بالنسبة لقدح الشاي أكثر من معنى بالنسبة للمقدم أو بالنسبة للشارب وهي قد تكون إشارة للاكتفاء أو العكس. وأحياناً يعزى وجود ((ملعقتين)) في الاستكان أن صاحب الاستكان سيتزوج بزوجتين !!!

كما ن الشاي لا يقدم قبل الماء أو الشراب البارد ولا يقدم بعد القهوة.

ونتيجة الإدمان يشعر الشخص بالصداع أو ماتسمى (بالدوخة) في حالة عدم تناوله للشاي وغالباً ما يفرط المدخنون في شرب الشاي حيث لا يحلو لهم التدخين إلا بعد شراب الشاي. ويكثر شرب الشاي في الشتاء واثناء جلسات السمر

لذلك فإن العوائل العراقية سرعان ماتتفقد حصتها من الشاي ونوعيته في الوجبة الغذائية وغالباً ماتشكو من رداءة نوعيته مما يضطرها

لشراءه من السوق لاعداد شاي معتبر يعيد لرب
الدار نشاطه وحيويته بعد يوم عمل متعب أو
وجبة غذاء دسمة أو حينما يقدم لضيوف أعزاء .

اهم ((الجايخانات)) المقاهي في العراق:-

المتعارف عليه في العراق ان العراقيين
يناولون القهوة العربية قبل ان يتعرفوا على
الشاي عند دخوله مع قوات الاستعمار
الانكليزي عام 1914 او قبله ببضع سنوات ايام
الاستعمار التركي ، فكانت اماكن تناول القهوة
تدعى بالمقاهي ، ولكنها تحولت الى
((جايخانه)) التركية حينما شاعت عادة تناول
الشاي في الاماكن العامة في العراق

ومن اهم المقاهي او الجايخانات في العاصمة
العراقية ((مقهى الشابندر)) الان في شارع
المتنبي وسط بغداد مكان تجمع الادباء والكتاب
والمثقفين ، ومقهى ((الزهاوي)) التي لازالت
في شارع الرشيد قرب الميدان ، ومقهى ((ام
كلثوم)) هذه المقهى الرائعة المزدانة بصور
كوكب الشرق ام كلثوم حيث الصمت والاصغاء
التام لمحبي وعشاق غناء السيدة ام كلثوم ،

ومقاهى أخرى











بالاضافة الى العديد من الجايات المنتشرة في كل المحلات والشوارع والازقة وقرب المطاعم الشعبية وهي تعد بالمئات ، ان لم تكن بالالف لو انضمت اليها الاكشاك الصغير وشاي وانته وماشي

ومن اهم المقاهي((الجاخانات)) في مركز مدينة الناصرية :



**التجار ، السواق، البنائين ، المطيرجيه، الادباء ،
الفنانين ، العبايجيه وغيرها.**

اما في البصرة :-

**البدر الذي يقع بالقرب من تمثال الشاعر
العراقي المعروف بدر شاكر السياب اسسه
مهدي سليم البدر عام 1945.**

**التجار في العشار ، ام السباع، ابو العشر،
السيمر، شنيف، زاير علي، سيد هاني، الناصرية،
الشناشيل ، منكاش ، الصكاره.**

مقاهي النجف :-

**عبد ننه ، ابن مجي ، الشماع، ابو البسامير ،
العمال ، عبد زيد ، الحجار ، حنون، الحاج كبون ،
مقهى النكراني ... الخ**



**ومن الجدير بالذكر انه قلما تقدم القهوة في هه
((المقاهي)) رغم نسبتها للقهوة - فهي
جايخانات اكثر منها مقاهي .**

**المقاهي اماكن تجمع لعامة الناس ، لذلك فهي
تتأثر بالمتغيرات الاقتصادية والسياسية
والثقافية في البلد تبعا لما يعيشه من احداث
فمثلا غالبا ما تتغير اسماء المقاهي وفق
المزاج السياسي السائد في البلد او المدينة ،
فمن الدلالات والاسماء الاقطاعية والملكية ايام
الحكم الملكي مثل غازي وفيصل وقبله الباشا
الى مقهى الزعيم والشعب والجماهير بعد
14تموز 1958 وسيدة المد الشعبي اليساري
في البلاد ، ثم تحولت الى العروبة والقائد
والبعث والرسالة والوحدة وقت سيادة البعث
والمد القومي في حين الان تسمى اغلب
الجايخانات باسماء الائمة والرموز الدينية
بمختلف توجهاتها وقد تميزت بعض هذه
الجايخانات مرتاديتها من توجه سياسي معين**

او حزب معين كالقوميين او الشيوعيين او
 البعثيين والمتدينين وقد تميزت العديد من
 الجايخانات سواء في العاصمة او المحافظات
 بتواجد مميز للادباء والكتاب والمفكرين
 والصحفيين لحد الان كما في مقهى الشابندر
 او رخيته في بغداد او مقهى البدر في البصرة
 ...الخ

وتميزت بعض المقاهي بوجود او سيادة
 شريحة اجتماعية معينة مثل التجار او البنائين،
 العمال السواق ، المطيرجيه ، العبايجيه وهي
 دلال على ازدهار المجتمع المدني وسيادته
 على الريف

وقد وثق بعض الشعراء والفنانين اسماء بعض
 المقاهي مثل ((ياكهوتك عزاوي ...))، وقد
 تميزت المقاهي باعتبارها منتدى اجتماعي سواء
 في مركز المدينة او حاراتها ، فقد اشتهرت
 مقاهي الطرف بتواجد وجهاء المحلة
 ومثقفها وعامتها كثيرا ما تكون مكانا للتداول
 في هموم اهل المحلة وتطلعاتهم ومعرفة
 احوال سكان المحلة ومتغيراتها في الجايخانه
 يمكن ان تحل الكثير من المشاكل والخلافات
 كما تنظم المساعدات والزيارات للافراح او
 الاثراح ، وتعقد الكثير من الصفقات والمعاملات،
 وقد تميزت العديد من الجايخانات بانعقاد
 مجالس الطرب لاشهر المطربين مثل ناصر حكيم
 وحضيري ابو عزيز بالاضافة الى قراء المقام
 العراقي المميز .. ومسرحا مناسباً للحكواتي
 والقصخون خصوصا في بغداد ... كل هذه

الصور تجري في الجايات وسط رائحة الشاي المهيل وصوت الخواشيك ورنينها الجميل في الاستكان ، ونغمة الاسطه الساقى وهو يلاعب الاستكان بالماعون او النعلبكي..... وهؤلاء الاسطوات لبعضهم مهارة فريدة في قدرته المدهشة في حمل عدد من استكانات الجاي بيد واحدة

يتفغن بعض الاسطوات في عمل خلطة من عدة انواع من الشاي لتنتج شايا مميزة خاصاً به دون غيره باعتبار هذه الخلطة من اسرار المهنة لمنافسة الجايات الاخرى

وقد تعرضت المقاهي الى الضمور واندثار عددٍ كبيرٍ منها لاسباب عديدة منها ابتعاد روادها لاسباب مختلفة منها اقتصادية لانشغالهم بالعمل وقت ازدهاره ، او ايجاد بدائل اخرى كالكازينوات والنوادي الحديثة ، او الابتعاد عن التواجد امام انظار قوى القمع السلطوي القمعية وبالأخص في زمن التجنيد الاجباري وتحشيد الجيش الشعبي ايام النظام السابق، مضافا اليه سبباً هاماً في الوقت الحاضر الا وهو التحرز والخوف من قوى الارهاب والمفخخات والانتحاريين اللذين يستهدفون مثل هذه التجمعات .

خياط الغرفـــــــــــــــــوري:-



في ظل ظروف اقتصادية تتصف بالعسر
 وخصوصا بالنسبة لاغلبية سكان العراق في
 عقود مختلفة وخصوصا في العشرينات
 والثلاثينيات والاربعينات والخمسينيات من
 القرن الماضي مما جعل شراء ((قوري))
 فرفوي جديد او ماعون فرفوري ليس سهلا
 ويعتبر مكلفا ، لذلك تواجد خياط الفرفوري الذي
 يقوم بلصق وخطاطة قطع القوري او الماعون
 ببعضها بواسطة سلك معدني مطاوع ثم بمادة
 البور كاو الاسمنت الابيض ، ولف ((القوري))
 بالشرطة من النحاس ليبقى متماسكا وقد
 اصبحت هذه الحرفة في طي الماضي في
 عصر الراهن

(الحرامية) في المدينة والريف العراقي

الوصف والمواصفات، الاختلاف والتحويلات

الحرام في اللغة بمعنى الممنوع فعله وبذلك
فان الحرامي هو الشخص الذي يرتكب أمراً
ممنوعاً فعله وجمعه حراميه.

في مختلف مراحل التطور البشري لاشك ان
هناك حرامي او حراميه يتناسب عددهم تناسباً
عكسياً مع قوة المنع في العرف والقيم
الاجتماعية السائدة في فترة معينة من فترات
تطوره وتتناسب عكسياً ايضا مع قوة السلطة
القابضة على الحكم وطبيعة القواعد القانونية
التي يترتب عليها جزاء قانوني .

لكل وصف من أوصاف الحرمة ، ولاشك ان
هناك اختلافاً في طبيعة تغير معنى الحرمة أو
توصيف وتعريف الحرامي وهل فعله يعتبر
شائناً تعاقب عليه الأعراف والقوانين كليهما
أو احدهما ، فلكل شعب من شعوب الأرض
وفي فترة معينة من فترات التطور الحضاري
البشري له أعرافه وقوانينه .

وانه لمن الجدير بالذكر ان يكون هناك تمييز
واضح بين الحرمة وبين عمليات الخطف
والسلب والاستيلاء بالقوة على شخص أو مال
منقول أو غير منقول حيث لكل موصوف مما

سبق خصائصه وطريقة تنفيذه والذي يختلف بالتالي ويتميز عن فعل الحرمة وسلوك فاعله يختلف عن سلوك الحرامي وان أدى فعلهما إلى النتيجة نفسها .

بلاضافة إلى ذلك فان عمل الحرمة غالبا انفراد به الرجال دون النساء عكس النشل والسرقة في المدن حيث يشترك فيه الجنسان وإن غلبت نسبة الرجال .

ففي الوقت الذي تجري فيه عمليات السلب والنهب بشكل علني وظاهر للعيان في الليل والنهار وفي بقية الأوقات بفعل القوة القاهرة لعصابة النهب والتسليب وغالبا ما يحدث هذا في الأوقات التي تكون فيه اللحمة الاجتماعية مفككة او مربكة على اقل تقدير مما يدفع الناس غير لأتخاذ سلوك غير كثرث في مثل هذه الأعمال التي تحاسب عليها الأعراف الاجتماعية في حالة انسجامها وتماسكها وتلاحمها وقد تظهر هذه السلوكيات العدوانية لتطفو على السطح في حالات الفوضى والفقدان المفاجئ للسلطة أيًا كان نوعها أو شكلها وغالبا ما ينهج هذا النهج ،العناصر الضعيفة والمنبوذة والتي غالبا ما يكون سلوكها هذا يواجه بالقمع والكبت بقوة القيم المهيمنة وقوى السلطة وليست بدافع اورادع داخلي يوجب عليه احترام حقوق الآخرين وبالأخص عندما يسيطر على هؤلاء الأفراد و الجماعات الشعور بالظلم والاضطهاد والحرمان في ظل المجتمعات التطبيقية ويتناسب هذا

**الإحساس طرديا مع نسبة الحرمان ولاستغلال
المسلط عليها من قبل الطبقات المالكة
والمرفه ؟**

**،تجد هذه الجماعات ضالتها للفرعنة والتنمر
بدافع الانتقام واسترداد الحقوق بشكل غير
واعي وفوضوي وعلى طريقة(إذا غاب القط
العب يافار)وغالبا ماتكون مثل هذه النماذج وبالا
وخطرا كبيرا على الحركات الثورية والإصلاحية
وكثيرا ماتؤدي إلى إحباط وإفشال الجهود
العلمية والعملية الساعية للتغيير حيث تخرج مثل
هذه الهوام البائسة المسحوقة لتعيث في حياة
الناس ومصالحهم وممتلكاتهم فسادا وتطال
حتى الخدمات والمؤسسات العامة كما حصل بعد
انهيار الديكتاتورية في 9-4-2008.**

**ومن الجدير بالذكر ان مثل هذه الأعمال غالبا
ماتكون مثار استنكاف واستهجان ورفض من
قبل الحرامية المحترفين (الأسطوات) كما تأبى
الجوارح الحرة أكل الفطائس فتتجمع عليها
العقبان والكلاب السائبة حيث اغلب
(الأسطوات) لم يزل يحمل قيم البداوة
والفروسية وأعراف المهنة وان(الحرمنة) ضرب
من ضروب الشجاعة والهيبة كما هي في
الغزوات وليست ماهو الحال في الفرهود فان
لم تغز تغزى، عليك ان تجعل الآخرين يقرون لك
بإمكانية السرقة والسطو والا فستكون موضوعا
للسطو، ولاغرابة ان تسمى مثل هذه الأفعال
بالسطو أي فرض القوة والهيمنة على
المسطو عليه وحرمانه من ممتلكاته ان لم**

يستطع الدفاع عنها أو استرجعها ان سرقت وان هذه الممارسات غالبا ماتجري في القرى والأرياف والمناطق البدوية في حين تنتشر عادة النشل والاستغفال والحيلة والنصب في المدن.

من ميزات الحرامي انه لا يواجه الشخص أو صاحب الدار أو المحل الذي يريد سرقة بل ينتهز الفرص المناسبة في حالة نوم أو سهو صاحب الدار وقد يكمن على مبعده منه متلصصا حتى يأمن مدخله ومخرجه بسلام دون ان يحس به احد وان أحس به صاحب الدار فغالبا ما يطلق ساقيه للريح هربا حتى ولو سئل صاحب بالصدفة أو تنحج بقصد الإشعار باليقظة .حيث لايلجأ لاستخدام القوة والسلاح رغم تمكنه من ذلك الا لغرض الإفلات من الملاحقة خشية القبض عليه وافتضاح أمره لان دمه في هذا الحال مهدورا ولايحق لقبيلته المطالبة بدمه ان قتل ولا تتحمل وزره ان قتل حاله حال من يرتكب مفسدة أخلاقية حيث ان العشيرة لاتتحمل (من يسرق بعه و....) حيث لايلجأ لاستخدام القوة والسلاح رغم تمكنه من ذلك إلا لغرض إعاقه ملاحقته والقبض عليه ،عادة مايرافق (الحرامي) عنصرٌ ثانٍ يسمى(الكعيده) ودوره ينحصر في حماية ظهر الحرامي وإشعاره بأي خطر طارئ وليس بالحسبان قد يظهر قبل تمام عملية السرقة وغالبا مايكمن في مكان بعيد عن الهدف المطلوب سرقة وله كامل الحق بخلص جلده ان وقع رفيقه في

يد صاحب الدار ولا يعاب عليه هربه في عرف
الحرامية.

الحرامية ينقسمون ايضا إلى اختصاصات فمنهم
من يختص بسرقة الأموال والذهب والمجوهرات
ومنهم من يختص بسرقة الحيوانات كالأبقار
والأغنام والجاموس وماشاكل ومن ذلك فان
أفراد الاختصاص الواحد يعرف بعضهم بعضاً حيث
يقال لأي متشابهين في فعل مشين (حرامي
الهوش يعرف حرامي الدواب) أي أنهم من صنف
واحد.

يختص البعض الآخر بسرقة السلاح الذي هو
محل فخر واعتزاز لدى القروي يحافظ عليه كما
يحافظ على شرفه ومهافته مما يجعله يبذل
المستحيل للحصول على أحسن أنواع الأسلحة
واكثرها شهرة في وقتها مما يجعل الرجل
يغامر بحياته ليملك .والأسلحة من حيث النوع
والشكل والمنشأ تسود نوعيات منها كما تسود
المودة للباس ثم تنقرض لتحل محلها نوعية
احدث وارقي ومن أسمائها الشائعة أيام
زمان (ام طيارة وأم إصبع والنهائة والمطموسة
والبرنو وأم خير وأم عيبة والبرنو
والسمينة(السمنوف) وأخرها الكلاشنكوف
والجيسي والاربيكي وغيرها) وأنواع عديدة من
المسدسات وهي طبعا من منا شيء مختلف.

سلوك مدان

ان اشد ما يعاب على القروي ان يكونا(مكمنا) يقر عنده السراق اللذين يقدمون بالطبع من خارج القرية حتى حلول الظلام للقيام بالسرقة حيث من الصعوبة بمكان ان يدخل شخص غريب للقرية دون ان يثير شكوك سكانها ويكون محل مراقبة وتساؤل، فالقروي معروف ان كان لديه ضيف غريب يسكنه في المضيف ويدق القهوة ب(الهاون) بصوت عالي له رنين خاص مميز ليتقاطر عليه أهل القرية احتفاءً بالمضيف وإشباعاً للفضول للاطلاع على هوية الضيف ومقاصده من الضيافة لذلك يأتي السراق إلى المكمن سالكين طريقاً غير مألوفة وفي كنف الليل حيث غالباً ما يكون بيت المكمن في أطراف القرية وبعيدا عن المراقبة، فحينما يكشف أمر هذا الشخص الخائن لأمن وسلامة القرية .. فسيكون محل ازدراء وموضوع عقاب قد يصل للنفي أو القتل ويلحقه العار وعائلته وذريته من بعده . في الوقت الذي لا يحفل (حرامية) المدينة بهذه الأعراف كثيرا.

ومن عادة القرويين التباري في دقة التصويب حيث يتدربون على الرماية منذ الصغر وقد وصل بعضهم من دقة التصويب بحيث يستطيع ان يصيب إبرة الخياطة عندما توضع له على مدى بصره وأحيانا توضع سيكاره لتكون الهدف . وعن براعتهم بالتصويب وخصوصا في بعض فواتحهم واستقبال المعزين عند موت احد (شباب العشيرة) تستقبلهم مجموعة من الرماة المجربين ليطلقوا عليهم النيران التي لا تمس

منهم سوى حافة العقال العليا فقط !!! . كذلك فان تقاليدهم ان ينصب (وحاش) أي متعهد حماية القرية احد رجالها المعروفين بجسارته (زلمة ليل) وحرامي من الدرجة الأولى بحيث يهابه (الحرامية) من القرى الأخرى ويهابون طرفه ويحسبون ألف حساب قبل ان يجرؤن على السطو على ضمانه من (الوحاشة) وهو غالبا ما يقوم باسترداد الحلال المسروق أو بديله عندما يشم عن طريق مصادره الخاصة مصدر (الحرامية) اللذين سطو على قريته . من الطريف ان من ثبت عليه السرقة من القرى الأخرى يتشبت بها ولا يعطيها إلا بعد ان يعطى (حلاوة) أي بدل مثل يتناسب مقداره مع قيمة المسروقات المراد استرجاعها قبل ان يسلم مسروقاته لأصحابها ولا يعاب ذلك عليه عرفا كعلامة اعتراف بجرأته ورجولته وحنكته في (الحرمنة) وعقابا على غفلة أصحاب المسروقات يروي احد القادة الشيوعيين في مذكراته في فترة الخمسينات من القرن المنصرم انه افتقد احد الرفاق الشباب الذي كان احد الرفاق النشطين والمتحمسين في الخلية الحزبية في قضاء الحي أيام العمل السري فتم إخباره بان فلان قد قتل أثناء محاولته (حيافة) أي السطو على احد البيوت!!!! هذا الشاب الذي يضع روحه على كفه من اجل سعادة وامن الناس يقوم بالحيافة إثباتا لرجولته وحسب العرف الجاري رغم كونه منتمي لحركة ثورية سرية، احد أهم أهدافها نشر العدل بين الناس والقضاء على مثل هذه الظواهر وهنا نرى مدى

تداخل القيم وسيادة قيم البداوة والغلبة على
قيم الحضارة والتقدم؟؟؟!!!

ويوجد بين ظهراي القرويين خبراء في الأثر
أي طبعة الإقدام وهي غالبا ما تكون حافية
طبعا في الأرياف والطرق ترابية طبعا ولخبرت
هؤلاء العرافة لأسماء وأوصاف (الحرامية)
يستطيعون ان يشخصوا اسم ووصف السارق
من معاينة اثر قدميه على الأرض .

قيم وأعراف (حرامية) الريف

ومن أعرافهم ان السارق تحرم عليه سرقة أية
دار تذوق فيه (الزاد والملح) ومن يرتكب مثل
هذا الفعل سيظل محتقرا بين أقرانه وإمام
نفسه بالدرجة الأولى لأنه ارتكب محرما عرفيا
وكان فعل السرقة والسطو غير محرم ولكن
خيانة العشرة والزداد والملح حرام . وتروى في
مثل هذا الأمر قصص عديدة عن امتناع العديد
من هؤلاء الحرامية عن فعل السرقة مهما بلغت
قيمتها وثمانها إذا تذوق بطريقة الصدفة كمادة
من الدار وظهر أنها خبزا أو ملحا هذا الأمر
يحدث رغم ان (الحرامي) من ثوابته ان لا يخرج
من الدار خالي الوفاض وكما تقول إحدى
مقولاتهم (من يعرضلك جاون جيبه) والجاون
أداة هرس الرز وهو رخيص الثمن ثقيل الحمل
ولكن لا بأس فهو شاهد تحدي ودخول الدار
والخروج منها بغنيمة مهما كانت قيمتها . يروى

ان امرأة ريفية لم يكن بصحبتها في دارها سوى طفلها الصغير فشاهدت (الحرامي) يجمع غراض الدار ويضعها في عبائه مزويته (شكبان) ويستعد لحملها فقادتها فطنتها على منعه من إتمام سرقة دون مقاومه فأوعزت لصغيرها بصوت مسموع للحرامي :- ((كوم يمه شيل خالك)) , أي انهض يا ولدي لمساعدة خالك لحمل مسروقاته وعندها استفزت كلمة الخال الحرامي فألقى بحمله من مزويته مسرعاً بالخروج من الدار خجلاً

حيث ان من المحرمات ان يسرق القريب قربه فكيف يسرق الأخ أخته !!! .

ومن طريف ما يروى ان (محمد حرامي) وهو شخصية لحرامي أسطوري بالحنكة والجرأة والقدرة على سرقة أي فرد وأي شاطر مهما بلغ به الحذر واليقظة والتحرز والشطارة. يروي الحكماء ان (محمد الحرامي) دخل الجنة لأنه أثناء جولاته في الحرمة والسطو عثر على فتاة غاية في الجمال والشباب تنام بجانب رجل كبير بالسن يضاهي سنه جدها أو أبيها في حين وجد في مكان آخر شاباً ينام بجانب عجوز بلغت من العمر عتياً. فحكم (محمد) على هذا الأمر بكونه غير عادل وغير منصف فقرر ان يعيد الحال إلى نصابه الصحيح , فحمل الشابة ووضعها بجانب الشاب بينما حمل العجوز ووضعها بجانب الشيخ الكبير وبذلك فقد رفع الظلم والحيث الذي لحق بالشاب والشابة فاستحق عن عمله هذا دخول الجنة كما ظهر في المنام لأحد رجال الدين

الصالحين, وهذا حديث طالما يرويه الشباب والشابات من العشاق وهو إشارة الى ان يكون العدل هو السائد بدلا من الظلم واللامساواة.

حرامية الريف وسراق ونشالة المدينة

من خلال ماسبق عرضه نتمكن ان نضع أيدينا على الفروق الكبيرة التي تميز حرامية ونشالة وسراق المدينة عن حرامية الريف إذ لامكان للنشالة في الريف نظرا لمعرفة واحدهم الآخر مما يؤدي إلى كشف النشال وافتضاح أمره عدا كون عادة النشل تتنافى مع قيم البداوة والعشيرة حيث إنَّ الصنف الأول حتى وان كان من أصل ريفي يتخلى عن قيمه البدوية شيئا فشيئا بقدر اختلاطه بسكان المدن حيث الثعلبة والحيلة وخفة حركة اليد وطراوة اللسان وقلة الموانع وكثرة الدوافع التي تتبخر أمامها أكثر القيم والاعتبارات الأخلاقية صلابة نظرا للمغريات الكثيرة التي تسيطر على مخيلة السارق من حيث المغريات الجنسية والمأكولات الشهية والمساكن العلية والسيارات الفارهة ... الخ . فلا حرمة للجار أو قرابة أو محلة أو حتى صديق، لضعيف أو قوي إلا عند بعض النماذج الذي انقرضت مع موجة العولمة الحديثة فأنتجت (لصوص العولمة) متوازية ومتناغمة مع سلوك وأخلاقية البرجوازية الطفيلية والمرابية التي لاهم لها غير الربح وحوزة المال

والثروة والشهرة بأية وسيلة مهما كانت رذيلة
 ومنحطة ويكمن الخطر الكبير إذ تخلقت أعدادا
 كبيرة من حثالة البرولتاريا والجياع والجهلة بهذه
 الأخلاقية الخسيصة وبالأخص في البلدان
 المتخلفة حيث الفقر والجهل والمرض والضعف
 ان لم يكن انعدام القوى المنتجة بين مختلف
 الطبقات الاجتماعية السائبة المائعة المتداخلة
 الحدود والقاتمة والضبابية الوجود بسبب تهالك
 وهشاشة البنية التحتية في هذه المجتمعات
 وطغيان النزعة الاستهلاكية اللاعقلانية بعد
 الغزو الحضاري والثقافي للعولمة الرأسمالية
 وقطع طريق تطورها الاقتصادي . ومن يتابع
 أخبار الجريمة في عالمنا اليوم يلمس مدى صحة
 ما نقول فقد نشرت مثلا جريدة الزمان الخبر
 التالي (بريطانية تتعلم من غوغل تسميم زوجها
) من اجل الاستحواذ على ثروته ومن أمثال هذه
 القصص الكثير وأكثرها غرابة ما يحدث داخل
 العائلة نفسها أو المحلة نفسها أو المدينة في
 مجتمعنا العراقي الحاضر إذ كانت مثل هذه
 السلوكيات وهذه الأفعال تصيب الإنسان
 العراقي في الريف والمدينة بالذهول والصعقة
 وتلقى اشد أنواع الاستنكار والاحتقار
 والاحتجاج.

بينما نرى الآن دخول أساليب جديدة غير معهودة
 من الحرمنة والسرقة اللصوصية لم تكن تمر
 على بال مثل سرقة البترول والآثار وخطف
 النساء والأطفال والرجال من اجل كسب المال
 والإثراء غير المشروع دون ان يمنعه أي وازع

أخلاقي أو ديني فحين يقف المجتمع شبه مشلول ومذهول لما يجري من تجاوز لكل أعرافه ومبادئه على أيدي عصابات داخلية وخارجية منظمة تتضخم وتتوسع أساليبها يوم بعد يوم لاشك أنها إحدى هدايا الرأسمالية المتوحشة بقيادة الولايات الأمريكية للشعوب لترسيخ بنائها الديمقراطي على طريقة الكابوي الأمريكي مع وجود حاضن محلي طبعاً على استعداد لقبول مثل هذه السلوكيات .

. ان ما تعاني منه البنية الاجتماعية العراقية من التشويه والتخريب والفوضى التي أظهرت إلى السطح كل القيم السلبية للحقب السابقة والتي كانت مختبئة ومخبأة في كهوف الذاكرة الجمعية والفردية مثل قيم الغزو وحز الرؤوس والتغالب والثار والاستحواذ والاستعباد والفرهود التي قد تظل لقرون مثل بكتريا (الكزاز والغانغرينا) محتفظة بقدرة عجيبة على مقاومة الظروف غير المناسبة وتتميز بأنها تنتعش وتنمو في ظروف انعدام الهواء والأوكسجين وهو ما يشبه عهد الظلام والجهل والفوضى التي تمر بها المجتمعات البشرية , فتعمل على تفكيك وتفسخ وتآكل النسيج السليم السابق وموته لتحل محله كتله من الصديد والعفن وهذا ما حدث وما يحدث في مجتمعنا العراقي أثناء وبعد الأنظمة الاستبدادية والديكتاتورية والاحتلال في العراق .

الدوافع والأسباب

ان من أهم أسباب الحرمة والسرقة والنشل هي حالة العوز وشظف العيش والتفاوت الطبقي الشديد في المجتمع مما يشعر الإنسان بالاضطهاد والظلم فيرد على ذلك بأسلوب فوري غير واع تماماً لأسباب هذا الظلم ليقوم كافة المظلومين والمضطهدين بالعمل على التغيير الجذري للأسس التي بني عليها الظلم وبناء مجتمع العدالة والمساواة، لذلك نرى ان الفلاح الجائع يلجا إلى سرقة حاجته من حاصل المنتج ليسد به رمقه دون ان يتكاتف الفلاحون للخلاص من الإقطاع وظلمهم .

ومن الملاحظ مثلاً ان سرقة السيارات في العراق استشرت بعد ان اخذ صدام حسين يوزع السيارات الحديثة دون وجه استحقاق وبمزاوية من المال العام على أعوانه وأنصاره مما دفع من يشعر بالغبن إلى ترصد هؤلاء المالكين ظلماً وتجريدهم من سياراتهم دون أي تأنيب لضمير لشعوره بأنه يسترد حقاً مغتصباً دون ان يعمل على مقاومة أصل ومصدر الفعل الظالم المتجسد بالديكتاتورية وعدم احترام القانون. وهناك الكثير مما يذكر في هذا المجال.

ظاهرة الفساد والحرمة في الطبقات السياسية الحاكمة

هناك مايلفت النظر حقا ان تأخذ الطبقة السياسية الحاكمة وبطانتها في العراق حيزا كبيرا من حصة النهب والسلب والحرمة والسرقه بطريقة الاختلاس والتزوير والتدوير المنظم للمال العام حيث ان العراق والمقصود السلطة السياسية الحاكمة في العراق تأتي بالمراتب المتقدمة الثانية بعد الصومال كما ورد في بعض تقارير دولية مختصة بهذا الأمر.

لازال الكثير منا يتذكر تماما ما اشبع وما دبح وألف النكات والطرائف على (طاهر يحيى) في زمانه ولقب بابو فرهود وقد كان وراء ذلك تختبئ نوايا ودوافع سياسية بالدرجة الاولى فكم عدد ابو فرهود الموثقة سرقاتهم وحر منتهم الآن بالمليارات والدولارات ؟ فهل يصعب بعد ذلك على الباحث الاجتماعي بلاجابة على ما يحدث من حرمة وسلب ونهب وسرقه في عموم الشرائح الدنيا من المجتمع إذا اعترف بصحة مقولة (الناس على أخلاق حكامهم)

وما يثير التساؤل والعجب ايضا ان نلمس حالة اللامبالاة من قبل عموم الشعب مالك الثروة على مثل هذه الفضائح والسرقات والفساد . وهل يشكك المرء والباحث بدور فولتير الكاتب والأديب والخطيب الفرنسي الشهير في إشعال فتيل الثورة الفرنسية بكشفه القناع عن فساد وبذخ الطبقة الحاكمة الفرنسية انذاك ؟

وما هو السبب الكامن وراء (دوغمائية) ولا جذرية الانتفاضات والاحتجاجات الشعبية ترافقها ظاهرة النهب والفقر في أكثر من منطقة في العراق وبقائها تدور في نفس حلقة التخلف وعدم خروجها من رحم الغوغائية وقصور الوعي وانعدام الرؤيا الواضحة للهدف المنشود وأسلوب زوال الظلم والقهر كل هذا الوصف لاينجب غير مسوخ مشوهة لاتعمل الا من اجل المزيد من الفساد والإفساد وتكريس وسائل القهر والاستبداد موظفة بؤس وألم وجهل الجماهير الشعبية لتوظيفها وجوه وقوى مستترة وراء أقنعة مختلفة دينية وغير دينية بما يخدم مصالحها ومسااعيها لاعتلاء كرسي السلطة لتضع مزيدا من القيود وترسم المزيد من الحدود والثقلات بأيدي ورقاب من أوصلها لسدة الحكم وبذلك لاتكسب هذه الجماهير غير المزيد من القهر والحرمان والضياع ؟

ان تلاقي الجهل والمرض وكابوس البطالة والغطس في مستنقع العمل الطفيلي الغير منتج هو الستار الحاجب للرؤية السليمة لهذه الجماهير لخلاصها الحقيقي بعيدا عن إبدال

واستبدال رموز التضليل والاستغلال والاستبداد بعضها ببعض لتديم بذلك دورانها في هذا النفق الخانق المظلم ، فما دامت طبقتنا البرجوازية ((الوطنية)) سمسارة دلالة ((وطنية)) لشركات الرأسمال العالمي فلن تكون هناك طبقة عاملة منتجة قوية بل جيش من حثالة رثة تخوض في وحل الاستهلاك والبطالة المقنعة والجريمة ، من ذلك نستنتج كيف تتمثل الفئات الدنيا سلوكية الفئات العليا من حيث ((شرعنه)) السرقة والنهب والاختلاس من المال الوطني العام لتدخل البلاد في فوضى الخراب والتدمير وتحكم القوى الخارجية بمصير الشعب والوطن هو أكثر سوادا وقتامه .

وبذلك فان المجتمع سيتعرض للتشظي والموت والانذار وهو يولد ويحتضن المزيد مثل هذه النماذج من (الحرامية، والمجرمين، والمحتالين، والسراق) كحال حشرة العقرب التي لا ترى فرصتها بالحياة إلا على جثة والدتها الممزقة وهكذا تتجدد مورثات التحطيم الذاتي من السلف إلى الخلف بسبب مقاومة العقرب لأية محاولة حيوية لأحداث طفرة وراثية تعدل من مسار دورة حياتها واستمرار النوع بدورة حياة سليمة، لا يشفع لنا هنا إلا كون الإنسان ليس حيوانا أعجم لا يعي ما هو عليه من اجل تشبته او إلغاءه قدرة الإنسان المفكر على وضع يده على حيويته وقدرته على وضع الحلول للتحكم في مسارات تطوره وتقدمه وهو مافعله ولازال يفعله الكثير

من الفلاسفة والحكماء والمصلحين والثوار عبر
امتداد التاريخ البشري.

أساليب العلاج

ان هذا الحال يتطلب تضافر جهود علماء
الاجتماع وعلماء النفس وبالتعاون والتضامن
والتكاتف مع ذوي الحل والعقد في السياسة
والثقافة والاقتصاد والتعليم والتربية من اجل
وضع الخطط والبرامج الكفيلة بوضع الحلول
ذات الأثر القريب والبعيد لانتشال مجتمعنا
ومكافحة إمراضه وأدراجه التي تضخمت
واستفحلت لأسباب ومسببات داخلية وخارجية
موروثة مصنعة متوطنة وواقدة والعمل على
نشر قيم العدل والمساواة بين أفراد المجتمع
وتضييق الهوة بين الطبقات العليا والدنيا قدر
الإمكان ومن أهمها وجود طبقة سياسية نظيفة
اليد والجيب مثلا وقدوة للجماهير من حيث
النزاهة والتواضع والعدل والصدق والإيثار
والمحبة والتسامح؟؟؟!!! . ومن العوامل
المشجعة وتجعل المرء متفائلا من إمكانية نجاح
هذه الجهود والخطط هو امتلاك الشعب العراقي
لمخزون ضخم من القيم الايجابية التي بحاجة
إلى إعادة الترميم والتحفيز والتنمية لتعود
مزدهرة نظرة نامية منحية كل الأعشاب
والطحالب والاشنات الضارة والمضرة لينمو كل
ما هو منتج ومفيد ويضممر ويموت كل ما هو ضار

**. بالإضافة إلى وجود العقول والكفاءات
والقدرات العراقية المتخصصة والمتحمسة لمثل
هذه المهمة الوطنية والإنسانية النبيلة لخلص
الشعب والوطن من كابوس الظلم والظلام
والجريمة**

**التجربة الروسية (اللينينية) في بناء
(((الاشتراكية)))**

لقد كتب الكثير عن ((التجربة الاشتراكية)) في (الاتحاد السوفيتي) بين مدافع عن هذه التجربة ومعظم ومخلد لها ومبرر لكل أخطاءها وأخطاء قادتها باعتبارها هفوات لا بد ان تحدث خلال اي تحول ثوري عاصف وقد كان دافع البعض من هؤلاء المدافعين يكمن في هاجس الخوف من الطعن في أسس النظرية الماركسية ومنهجها في التنوير والتغيير للنظم الاجتماعية وكأن الماركسية ومن بعدها اللينينية غير مشمولة بقوانين التطور العاملة في الحراك الاجتماعي على مستوى كل بلد وعلى مستوى العالم , وليس لها ان تتوسع وتتطور وتنمو إلا داخل فستانها الأول الذي خاطه لها (الأنبياء الأوائل) ماركس وانجلس و لينين - الرب والابن والروح القدس - متناسين ان الماركسية هي منهج للتفكير والعمل تقرر إقرارا كاملا بمقولة - لا شيء ثابت غير المتغير - وان ديمومة وتقدم وتطور ونضج الفكر الماركسي اللينيني تكمن في درجة مسائلته ومشاكسته ومراجعته بشكل دائم ومستمر مما يتطلب إعادة فصال ومقاس فساتينه طبقاً لمستجدات الحراك الاجتماعي ولا نقول حسب متطلبات الموضة والهرج الفكري البرجوازي الرأسمالي الذي استطاع ان يقتنص من الماركسية روحها في تجديد وتطوير نفسه وعدم الخوف من البدائل والتغييرات التي تغير أسلوب وشكل النظام الرأسمالي مع الحفاظ على روحه الاستغلالية سر وجوده وبقائه وتطوره . وانه لمن المؤسف ان مرض - شرطة وحراس العقيدة - ظل يرافق غير القليل من المناضلين الشيوعيين وأحزابهم لحين التاريخ مما جر العديد من الكوارث والمصائب والخسائر والنكسات على الأحزاب والحركات الشيوعية وشعوبها , والتهم رؤوس الكثير من المناضلين

وبناء هذه الحركات ومن خيرة كوادرها ولا نطن
 اننا بحاجة لذكر الأمثلة والأسماء التي غصت بها
 أدبيات الحركة الشيوعية في العالم . وهذا الامر
 أودع أئمن رأسمال رمزي في خزانة قوى
 الرأسمال العالمي وعزز من رصيدها وأطال من
 عمرها , فان أئمن واكبر الهدايا التي تلقاها
 الرأسمال العالمي هي هدايا تهم التحريفية
 والارتداد المستعارة من الموروث الديني نقيض
 الفكر المادي والقائم على نقضه . هذه الهدايا
 قدمت رؤوس التفكير والتنظير المبدعة , فوق
 طبق من ذهب لتقدم الى قوى الرأسمال
 والاستغلال وهو اكبر نجاح حققته في خرق
 وتخریب وتآكل جبهة قوى الشيوعية
 والاشتراكية في العالم . لا باس ان أشير في
 هذه المساهمة المتواضعة لي في هذا المجال
 ان القارئ سوف لن يجد اقتباسا واستعارة
 لنصوص ومقولات لأننا نريد ان نخرج من جدل
 ومساجلات النصوص لنستوعب جدل وفروض
 ومتطلبات حراك الواقع وإفرازات التجارب
 الماضية والحاضرة ومقولاتها العلمية
 والعملية . إما الفريق الآخر فقد سلك سلوك
 العكس تماما وتنكر لكل محاسن ((التجربة
 الاشتراكية)) وانكفاً نحو المعسكر المعادي
 وتطوع للدفاع عن النظام الرأسمالي باعتباره
 الخيار الإنساني الوحيد بعد ان انهارت التجربة
 الروسية في بناء الاشتراكية وفق النظرية
 الماركسية اللينينية التي اثبت الواقع فسادها
 ومن الجدير بالذكر ان اغلب هؤلاء المتنصلين
 كانوا من اشد المتطرفين للدفاع عن
 (المعسكر الاشتراكي) وفي مقدمته وعلى
 رأسه وفي طليعته الاتحاد السوفيتي وتجربته
 الاشتراكية وحزبه الماركسي اللينيني الستاليني
 , وقد عميت أبصارهم بسبب عصائهم العقائدية

التي لا تمرر أية حزمة ضوء تكشف خلل او تعثر
او فشل في قول وعمل القيادة المعصومة
والتجربة باهرة النجاح حتى أنهم نظروا بانتقال
الاتحاد السوفيتي الى المرحلة الأولى للشيوعية
المظفرة فهللوا وصفقوا وانبهروا بما قاله
وفعله لينين ثم خليفته ستالين (ومن خلفه
خروشوف حتى برجينيف ثم غرباشوف ولم
تتوقف أيديهم من التصفيق لنقيض تجربتهم)
يلسين ومن بعده بوتين وهكذا لازال التصفيق
مستمرا للبرالية الرأسمالية الجديدة.

فالكل يتباهى (بالمعسكر الاشتراكي) غير
مدرك ولا متسائل هل يمكن ان تكون
الاشتراكية معسكراً يصادر الحريات ويحرم
الخيارات أم هي الخير الأمثل والمضمون الأوفر
والأمل للحرية؟؟ ولا شك ان كل منصف يجب ان
يشير الى العقول الفذة التي استطاعت ان
تشرح هفوة التجربة وتشير الى أخطاءها
وانحرافاتهما وبعدها عن روح الماركسية ومنذ
يومها الأول في عام 1917 . فلم تلقى أفكارهم
الإصغاء والفهم والتفهم بل اعتبروا أعداء
طبقيين وعملاء وجواسيس لقوى الرأسمال
العالمي ومن خونة الثورة والطبقة العاملة
والحزب فتطايرت رؤوسهم الجبارة وسط تهليل
الغوغاء من حملة الشارات الحمراء والشوارب
المفتولة ومن المنافقين والانتهازيين حملة
باجات الرفاق العظام المعصومين على صدورهم
. ولا شك ان الأدب الروسي في القصة والرواية
خصوصاً يشير بشكل رائع وتضع اليد على
أمراض (الثورة) ومعاناة الشيوعيون الحقيقيين
والثوريين الصادقين في روسيا وكل جمهوريات
(الاتحاد السوفيتي) وبقية الدول
(الاشتراكية) الأخرى . وقد تنبأ العديد من

الشيوعيين والماركسيين بانهيار التجربة الروسية في البناء ((الاشتراكي)). وهنا لا بد ان نشير أن اغلبنا لم يكن يرى وينظر بمنظار اليوم إلا بعد ان ارتطم رأسه بصخرة الواقع ومأساة الانهيار ولكن ما يميز العديد من الأحزاب والأفراد والحركات انها أعطت لنفسها ورفاقها وقتا لاستعدادات التوازن والتفكير الموضوعي الهادئ المستند على الوثائق ومجرى الأحداث ومستجدات العالم العلمية والتطور الاقتصادي والتغير السياسي للوصول الى أحكام واستنتاجات صحيحة وفاعلة لفهم أحداث الماضي والواقع الحاضر وأفاق التطور المستقبلي بعد انهيار التجربة ((الاشتراكية)) الروسية. ان المتتبع والدارس للكثير من الدراسات والمقالات والبحوث يلمس ان حالة التوصيف وليس التعريف هي الحالة السائدة على هذه الجهود المبذولة للتوصل الى السبب والأسباب الكامنة وراء انهيار التجربة الروسية في البناء الاشتراكي ونكوص التجارب الأخرى ان التعريف والغوص في عمق الظاهرة للبحث عن أسبابها ومسبباتها بموضوعية والتجرد قدر الإمكان من العاطفة الجارفة او إسقاطات الحاضر ومؤثراته هو المطلوب والواجب السير على هديه لفهم الماضي والحاضر والسير بثقة وقدرة نحو مستقبل آمن وسعيد لكل بني الإنسان. وقبل ان ندخل في صلب ما يسمى بالتجربة ((الاشتراكية)) في روسيا على خلفية ثورة أكتوبر 1917 التي قادها الحزب الشيوعي الروسي بزعامة لينين , يجب ان نشير الى ان أية دراسة موضوعية يجب ان تتجرد من الأتي :-

شروط البحث الموضوعي لدراسة التجربة:-

أولا : - نبذ مفهوم وممارسة تقديس النص والشخص خلال مجرى الأحداث التاريخية ومنها موضوعنا في دراسة التجربة الروسية في بناء الاشتراكية حيث إننا نرى ان مبدأ التقديس يضفي عصمة وهمية على قول وشخص القادة والمنظرين والزعماء حيث تعتبر مساءلة ومناقشة أقوالهم وأفعالهم من المحرمات والخطوط الحمراء التي يتوجب على الشيوعي الماركسي عدم التقرب منها وبذلك تجري عملية ادلجة الفلسفة الماركسية وتحولها الى دوغمائية فكرية بدلا من كونها منهج عمل للتفسير والتغيير وهو ما يمثل سر قوتها ومثانتها وموضوعيتها بكونها لم ولن تكون إنجيلاً او قرآناً لم يمس , فيجب ان نقر ان ماركس هو من اقدر من استطاع ان يفسر وينظر ويطمح للتغيير للنظام الرأسمالي العالمي القائم في حينه ولكنه لم يقل ان لا ماركس بعدي , إننا نسترشد بماركس وأطروحاته ولكننا قد نلجأ الى خلق ذقنه ان تطلب الامر لفهمه ونستوعب فكره بشكل أفضل , فان مستوى التقدم العلمي وطرق ووسائل العلم والعمل آنذاك أجبرت ماركس رغم عبقريته ونقاء فكره ان يترك لنا العديد من الأخاديد والكهوف والجزر الفكرية والعلمية غير المكتشفة ولم يسلط عليها الضوء او الكشف والتنقيب الفكري وقراءة وقائع الحاضر ومستقبل تطور الحراك الاجتماعي وطبيعة قواه المحركة الرئيسية والثانوية وتبادل الأدوار والأخذ بنظر الاعتبار وسائل وديناميكية قوى الرأسمال العالمي لتطوير وتغيير آلياتها وأساليبها وتلافي أزماتها وخصوصا في طور العولمة الرأسمالية والتي كما نرى بداية نهاية الامبريالية العالمية وهي تخل مرحلة الارهاب المسلح نتيجة لازمتها الخانقه.

انَّ مبدأ التقديس للأشخاص والنصوص هو استعارة وتمثل للأديان باعتبار المقدس هو سر وجودها وروحها التي تفقد الحياة والاستمرار بفقدانه . وبذلك فان الفكر والمنهج المادي الواقعي ركب أسوأ مراكب المثالية, يتبنيه لمبدأ وسلاح التحريفية والارتداد الذي أصبح أكثر الأسلحة فتكاً وخطراً على كل فكر مبدع ومفكر فذ , غير مدرك ان سبب اللجوء الى التحريف يكمن في مبدأ وواقع التقديس للزعماء والفلاسفة والمفكرين وأقوالهم اللذين لم يحصلوا على هذا الوصف وهذه الدرجة العلمية والمنزلة الفكرية الرفيعة إلا بكسر حاجز المقدس والتجريء على ثوابته ومسلماته , فان المفكر او المنظر المجدد يلجأ الى تحريف النصوص سعياً منه ليكسب موضوعه وأطروحاته وبحته على فتوى المشروعية والقبول , ويبعد عن نفسه سهام التجريح وسيوف الرفض , ويبعد عن رقبته حبال الشنق وطلقات الإعدام جزاءاً من السلطة والمجتمع التقليدي بحجة تطاوله على المقدس وطعن عصمته وكبريائه وخلوده وبذلك تتم عملية الإساءة للفيلسوف والمفكر وتجرحه لسبب الجمود والموت والقنوط فالتحريف يكون كجواز سفر يجيز للمفكر اجتياز حواجز ومصداق حراس العقيدة لينسى له فتح ابواب الفكر المغلقة، لذلك فان مصير التحريف مرتبط بمصير ظاهرة التقديس يعيش يعيشها ويموت بموتها وانذارها , وحينما تغلق أبواب الحرية أمام المفكر تنشط العقول الخرافية والمشعوذة بوضع حلول خيالية لواقع موهوم ومتخيل يزيد من إفساد الواقع المعاش ويؤبد بؤسه وترديه لان مثل هذا الفكر يعجز عن كشف خفاياه وتمزيق ستر أوهامه وتضليله و بذلك يكثر من عدد وأشكال أقنعتة بدلا من

إزالتها . و يبلغ الامر قمة خطورته وسطوته على المفكر المبدع حينما توجه إليه تهمة الارتداد والزندقة والشعوذة وما إليه والتي يروي عنها تاريخ الأديان بمرارة صنوفاً من القهر والقتل والنفي والتعذيب بحق كل مجدد ومتجاوز للفكر الراكد الآسن، فما عسانا ان نقول حينما يكون هذا الامر من سلوكيات القوى الثورية والشيوعية التي من أولى مهامها نقض هرطقة الفكر ((الديني)) خصوصاً والفكر والنهج الغيبي المثالي عموماً .

ثانياً : - نرى ان من أسس ودعائم المنهج وصدق وفعالية المعالجة وعلميتها ان تتخلص من الثنائيات المتقابلة وعملية الفصل الميكانيكي فيما بينها وبذلك يفقد المنهج المادي الديالكتيكي أهم خواصه في البحث ألا وهو واقع تداخل الألوان والأوصاف والصفات والطبقات والنظريات، حيث يثبت الواقع ان كل شيء بالغ النقاوة غير موجود في الطبيعة وعندما يكون كذلك يفقد قابليته ليكون نافعا ومفيدا في حياة البشر وتقدم المجتمعات في مختلف مناحي الحياة الاقتصادية والثقافية والعلمية، فالماء النقي 100%(H2O) (غير ص الح للشرب بل يؤدي الى الوفاة ولا يصلح إلا في البحوث والمعادلات العلمية المختبرية البحتة فقط.

ان أهم نقد وجهته الفلسفة الواقعية ((المادية)) وروادها ومفكريها للفكر الديني ونصوصه هو ليس هدف منه تفنيد النص ودحضه واثبات تهافته بل ان هذا النص ولد في ظرف تاريخي معين وفي ظل تشكيلة اقتصادية اجتماعية معينة معبرا عن حاجة إنسانية

يتطلبها صراع طبقة او شريحة اجتماعية معينة لتثبيت مكاسبها باعتبارها قوى مهينة في تلك الفترة التاريخية او نص يدعو الى نيل حقوق وإحراز مكتسبات مسلوقة ومغتصبة لطبقات وشرائح اجتماعية مهمشة ومستبعدة تحاول النهوض، ولذلك يفترض ان لاكتسب هذه النصوص صفة الخلود والتقدیس لتكون صالحة لمختلف العصور والعهود ومراحل الصراع والحراك الاجتماعي، ولكن للأسف نرى ان القوى ((الشيوعية والاشتراكية)) حطمت بأيديها أكثر أسلحتها فعالية ومضاء وعلمية لدحر قوى الاستغلال والاضلال لتغطس في مستنقع الضحل بتقدیسها للنص والشخص وادمت رؤوسهم الجبارة وهم في قبورهم.

التجربة الروسية-اللينينية:-

ان من أهم مراكز عليه ماركس وكل منظري الشيوعية والاشتراكية، مبدأ واقع تقسيم المجتمع بعد المشاعية البدائية الى طبقات اجتماعية متصارعة يسعى كل منها للاستحواذ على السلطة وبالتالي على الثروة والمال وقد بين بشكل واضح ومفصل عوامل اكتساب الطبقة اجتماعية معينة ما يسندها وينهض بها لتكون طبقة سائدة في المجتمع ضمن تشكيلة اجتماعية اقتصادية معينة ولا نطن إننا بحاجة الى الإفاضة في هذا المجال وخصوصا لمن يهمه الامر من الماركسيين والشيوعيين حركات وأحزاب وأفراد، وان صعود طبقة اجتماعية لتكون مهيمنة يتطلب استكمال وعيها كطبقة لذاتها وبالتالي واعية لمصالحها لتخرط بفعالية وقوة في الحراك الاجتماعي والسياسي للحفاظ على مكاسبها او لنيل حقوقها

المغدورة والمصادرة من الطبقات الأخرى أو العمل على سلب الطبقات والفئات الاجتماعية الأخرى حقوقها لتستأثر بها.

ان طبيعة التطور الاجتماعي الاقتصادي تكون واضحة وبينة كلما كان الاصطفاف الطبقي واضحا ومحسوسا ومن شرط هذا النضج ان تبدع هذه الطبقة أيديولوجيتها وفلسفتها التي تخدم مصالحها وتميزها عن مستغليها او من تستغلهم وعندما تكون الطبقة الأكبر والأكثر عددا مسلوبة الحقوق والحرية والكرامة يجب ان تمتلك هذه الطبقة فهما وتفسيرا يتميز ويختلف عما تمتلكه الطبقة النقيض مستغلة او مستغله،بالإضافة الى فهم طبيعة علاقتها بأدوات الإنتاج وطبيعة تملك هذه الأدوات، تشير الكثير من الدراسات والبحوث والأمثلة التاريخية الى فشل طبقة العبيد رغم سعة وكبر عددها قياسا للطبقات المهيمنة والمسيطرة عليها وعمق وهمجية ولانسانية ماتعرضت له من القهر والاستغلال والإذلال، إلا انها لم تستطع ان تكون طبقة مهيمنة ومسيطرة وممسكة بصولجان الحكم والسلطة منذ ثورة سبارتوكس وثورة الزنج في العراق وثورة القرامطة وكذا هو الحال بالنسبة للطبقة الفلاحية على الرغم من انتفاضاتها وثوراتها العديدة،ويكمن هذا الامر في الاستحالة الموضوعية لامتلاكها ايولوجية مميزة لتكون سلاحها لوعي ذاتها وتعمل لذاتها ضد مالكي العبيد او الإقطاع عبر العصور والتي كانت غالبا ماتستعير سلاح الطبقة الحاكمة لتحارب به فيرتد هذا السلاح عليها مسببا لها مزيدا من القهر والانكسار والخضوع.

ان هذا الامر مختلف بالنسبة للطبقة البرجوازية في صراعها ضد قوى الإقطاع والملكية المطلقة في بداية الثورة الصناعية في أوروبا وغيرها من بلدان العالم لتستلم صولجان الحكم وإزاحة سلطان الملكية الإقطاعية التي أصبحت متخلفة ومعيقة لمسيرة التقدم والتطور في هذه البلدان وهذا مايفسر تباين أوقات وتواريخ هذه الثورات وهذه الإزاحات للسلطات الملكية وسلطان الإقطاعية في البلدان المختلفة تبعاً لنضوج الطبقة البرجوازية النقيض بالاضافة الى العوامل المساندة الأخرى كالموروث الثقافي وطبيعة الغطاء الديني والعرقى والعرف الاجتماعي السائد، والوثائق التاريخية توضح كم استغرق حكم الإقطاعية ودام قرونا طويلة لحين اكتمال نضوج نقيضها إلا وهو الطبقة البرجوازية وليس طبقة الاقنان والفلاحين، وقد لاقت ايدولوجيتها قبولا ودعما واستحسانا من الطبقات والفئات الاجتماعية الأخرى وهي تنادي بالحرية والديمقراطية والمساواة باعتباره الأمل الذي تسعى لتحقيقه الشعوب في طريقة الحكم والخلص من الاستبداد الإقطاعي وغطاءه الديني وهو دلالة على النهوض الواسع النطاق لمختلف البرجوازيات الوطنية في بعض البلدان في القارات الأخرى وخصوصا في أوروبا، والرواج الكبير لأفكار الثورة الفرنسية وتبشيرها بحقوق الإنسان وفصل الدين عن الدولة وإقامة الديمقراطية الدستورية إلا مثلا واحدا على ذلك وقد انضوى جمهور الفلاحين والحرفيين والعمال تحت راية البرجوازية الثائرة ضد سلطة الإقطاع والارستقراطية الملكية.

ومن المعروف ان هذا التحول لو حصل في بلد واحد من بلدان العالم لتكالت عليه قوى

الاستبداد الكنسية والملكية المطلقة المتحالفة مع بعضه وأخمدت أنواره في مهده، وهذا هو احد أسباب فشل الثورة ((الاشتراكية)) في روسيا وقد كان ((لينين)) قد أشار الى صعوبة دوام الثورة مالم تحدث ثورة مماثلة في احد البلدان الرأسمالية المتطورة في العالم وخصوصا ألمانيا، والذي ستعرض لبقية أسبابه في قادم البحث.

ان ولادة وسيادة وهيمنة الطبقة البرجوازية في العديد من البلدان الأوربية اصطحب معه موضوعيا وكشرط لوجودها كطبقة مهيمنة جديدة نقيضها الطبقي وسر بقائها وسيادتها، الطبقة العاملة الناشئة سندا قويا وحاسما في صراع البرجوازية مع قوى الإقطاع وتتويج هذا الصراع بانتصارها المؤزر في الكثير من البلدان، ولكن هذه الطبقة ((البرجوازية)) المبنى بقائها في جوهره على الاستغلال والاستئثار وإقصاء المنافس والشريك، أرادت للطبقة العاملة والبرجوازية الصغيرة وشريحة الفلاحين الفقراء ان يكونوا شركاء في التضحية والكفاح ضد الملكية الإقطاعية والكنسية المستبدة وليس شريكا في الغنائم والإمساك بصولجان السلطة ومركز القرار وقد كانت قوة الطبقة العاملة تتناسب طرديا مع قوة الطبقة البرجوازية وعظم منشئاتها الصناعية والزراعية والتجارية وقد أصبحت طبقة بذاتها في هذه البلدان وابتدأ صراعها البطولي مع الطبقة البرجوازية الحاكمة من اجل نيل حقوقها ضمن فعاليات مطلبيه تتعلق بعدد ساعات العمل والأجور والسكن والتعليم والصحة والذي قد يتحول أحيانا الى صراع سياسي او ينعطف بهذا الاتجاه تبعا لدرجة

نكران البرجوازية لحقوقها المشروعة والمستلبة متطلعة لتكون طبقة لذاتها.

وبناء على ذلك لو أخذنا روسيا والتي قال عنها أغلب المفكرين الماركسيين والاشتراكيين آنذاك بأنها من أكثر البلدان الرأسمالية تخلفا في عهد القيصرية الاستبدادية مما ولد الكثير من الحركات الثورية الرومانسية والحركات الطوباوية المناضلة المتطرفة الجذور والتي غالبا ما كانت تنزع الى أسلوب التأمير والانقلابات والاعتيالات الفردية للسيطرة على الحكم والانتصار لقضايا الفلاحين وعموم الكادحين المحرومين والبؤساء وقد كانت أغلب هذه الحركات بزعامة البرجوازية الصغيرة والشريحة المثقفة من المجتمع الروسي الطامحة للحرية والمساواة والعدل والهادفة للبطولة والمجد الفردي محاولة دخول التاريخ من أكثر أبوابه سخبا وشهرة ، ويعزى السبب في ذلك الى ضعف الطبقة العاملة وقلة عددها ووعيتها الثوري كنتيجة لضعف البرجوازية الروسية وعدم انعتاقها من الأسر الارستقراطي الإقطاعي وموروثه الثقافي وهيمنته الفكرية ممثلا بالقيصرية الروسية المستبدة ، والمتتبع للإحداث يلمس حقيقة ضعف الطبقة العاملة وتنظيمها السياسي الممثل (بالحزب الشيوعي الروسي) والذي غالبا ما كان ينتمي قاداته وكوادره للبرجوازية الصغيرة وخصوصا الى الرومانسيين الثوريين الروس من حيث التوق للبطولة والمجد الفردي والصمود الأسطوري بوجه الأجهزة السلطوية القيصرية آنذاك وقد كان شقيق لينين قد اعدم نتيجة محاولته اغتيال القيصر وقد كان لهذا الحدث اثرا كبير على ((لينين))، وقد شهدت

روسيا عدة انتفاضات وثورات من بينها ثورة 1905 ولكنها لم تستطع حسم الصراع لصالحها بسبب ضعف موضوعها وضعف حامل أفكارها وتطلعاتها الاجتماعية في بنية المجتمع الروسي وهي بهذا الوصف لم تكن المرشحة الأولى حسب المنهج الماركسي للثورة الاشتراكية في العالم.

لقد كان للحرب العالمية الأولى والنهج العدواني للقيصرية الروسية نحو شعوب ودول العالم الخارجي للاستحواذ على ثرواتها واستعبادها وبالمثل نهجها التعسفي القمعي وسحق إرادة وإنسانية وتطلعات الشعب الروسي المتميز بموروثه الثوري والجائح نحو الحرية الى هزيمة القيصرية الروسية وانكفاء الجيش الروسي مهزوما ومذلا ومهاناً في الحرب ليتحول هذا السخط الى سخط مسلح وتمرد ضد القيصرية، وما قصة المدمرة بوتمكين والطراد اورارا الشهيرة الا شاهدٌ على ذلك وأحد العوامل الحاسمة في ترجيح كفة القوى الثائرة والمنتفضة من مختلف فئات الشعب بما فيها البرجوازية الروسية والفلاحون والعمال وعموم المثقفين الروس وسعيها للإطاحة بالاستبداد القيصري، وهنا برز دور الحزب الاشتراكي الروسي على ساحة الصراع مستفيداً من التذمر الشعبي العارم وامتلاكه لقوة تنظيمية وتجربة نضالية وامتلاكه لكادر قيادي متمرس ومقتدر الى حد العبقرية التي تمثلت بلينين وترو تسكي ورفاقهما الآخرين مما اهله ليكون في الطليعة معاً فقراء الشعب بما فيهم العمال والفلاحين للتغيير الجذري وتوزيع الثروة والسلطة ساعياً لإقصاء القيصرية الروسية ونايذا للبرجوازية التي لم تكن تنزع بحكم عدم نضوجها وضعفها

الى تغيير جذري في بنية الحكم وقيادة الثورة الوطنية الديمقراطية بل الى إصلاحات سياسية واقتصادية هامة وهما جعلها تتخبط في مواقفها وقراراتها وبذلك خسرت قواعدها وخسرت ثقة الجماهير الثائرة والمشحونة عاطفيا الى ابعاد الحدود لتتكفى هذه الجماهير لصالح الحزب الاشتراكي الروسي الذي كان يعيش في ظل واقع ومزاج ثوري متقدم وبنية اقتصادية وصناعية متخلفة وطبقة عاملة قليلة العدد والتجربة وحديثة الوعي ولم تكن بمستوى ولادة قادتها ومفكرتها من رحمها فكواد الحزب الاشتراكي الروسي الممثل المفترض للطبقة العاملة الروسية وطلبتها الواعية كان اغلبهم مولود من رحم البرجوازية والبرجوازية الصغيرة وليس من رحم الطبقة العاملة وعضانتها.

ان عدم نضوج وتطور البنية التحتية للصناعة الروسية وتخلفها عن مثيلاتها في الدول الرأسمالية كأمریکا وألمانيا وإيطاليا وبريطانيا أدى الى النتائج التالية:-

أولا :- ضعف وحدانة الطبقة العاملة الروسية.

ثانيا:- ضعف العملية الإنتاجية وعدم قدرتها لاستيعاب تبنى المهام والبرامج والطموحات التي يناضل من أجلها الحزب كتحقيق الرفاه الاقتصادي والتقدم العلمي و التعليم والسكن والصحة للمواطنين الروس وهي الأهداف المرجوة من الثورة الاشتراكية كما أطلق عليها، وهذا الحال فرض على القيادة الروسية:-

ان ترتضي لنفسها كبرجوازية صغيرة ونخبة من المثقفين الثوريين ان تنصب نفسها وصية على الطبقة العاملة الروسية القاصرة لتنفرد في مهام التنظيم وقيادة خطى التغيير لحين بلوغها سن الرشد والتي نصبت نفسها على امتداد الحكم السوفيتي ، القاضي الذي يملك حق إعطاء حكم النضوج وإسقاط القيمومية عنها هذا الحكم الذي لم يصدر لغاية انهيار التجربة، هذا الواقع تطلب وضع خطة مركزية وواجبة التنفيذ مرسومة من القيادة العليا وواجبة التنفيذ تحت مختلف الظروف من اجل العمل السريع والمتواصل لبناء بنية تحتية صناعية وزراعية متطورة تفي بالغرضين انفي الذكر إلا وهما نضوج الطبقة العاملة واسعة العدد عالية الوعي لتتولى قيادة الحزب الشيوعي واستلام القيادة من اوصائها وأولياء أمورها وعندها يكون الحزب منسجما مع مبادئه الماركسية ومنهجه الفكري النظري ، كونه طليعة الطبقة العاملة وحامل طموحاتها في إقامة مجتمع السعادة والعدل والحرية والديمقراطية الحقيقية والرفاه.

ثانيا:- قيام مؤسسات إنتاجية ضخمة ومتطورة قادرة على الإيفاء بوفرة الإنتاج وتحسين نوعيته واللحاق بالدول الرأسمالية المتطورة ان لم يكن يسبقها.

فقد تصدى فريق البلاشفة الروس بقيادة الكابتن المجرب والمقتدر ((لينين)) ورفاقه للعب في غير وقت استحقاقه وقد اجبره الموضوع على تخطي نتائج اللعب بين فريقى البرجوازية الروسية وحلفائها مع الفريق القيصري الحاكم وذلك بسبب ضعف وعدم

استعداد وعدم رغبة هذا الفريق على إخراج الفريق القيصري الإقطاعي الحاكم من ساحة اللعب بل كان يسعى بسبب هشاشته وتبعيته نتيجة ضعف بنيته التحتية ، كان يميل الى إبقاء الفريق القيصري في الساحة ومؤاخاته أحيانا أخرى تحسبا وخوفا من الفريق البلشفي المتوثب والمتمرن في ساحة الكفاح اليومي ضد الإقطاع والاستبداد القيصري ومستفيدا من تدمير العسكر بعد الهزيمة العسكرية للجيش الروسي، مما مهد الساحة لصعود البلاشفة ليكونوا على راس القوى للهيمنة على السلطة لكن الفريق البلشفي وجد لاعبيه مختلفين في التكتيك وكل مجموعة منهم تمتلك خطة للعب تختلف عن الكتلة الأخرى بسبب عدم الاستفادة مما يفرزه صراع الفريق الاقطاعي والبرجوازي من التجارب والخبر لتكون عوامل قوة واكتساب خبرة وتهيئة كادر قادر على خوض الصراع ، مما ادى الى ارتكاب أشهر لاعبيه اخطاءا كبيرة لايمكن للحكم ((قانون الصراع)) ان يتجاهلها فرفع بوجه التجربة الكارت الأحمر وإخراجها من الملعب وسط ذهول الجمهور المؤيد والمضحى الذي أصيب بصدمة كبيرة لازال لم يصحو منها بعد، وفرح غامر للفريق الخصم بحيث أصابه الغرور ظنا منه ان خصمه الطبقي اللدود سوف لن يعود الى الساحة ابدأ هذا الفرغ الذي تحطم مؤخرا أمام الأزمة الرأسمالية الكبرى الذي يتعرض لها الاقتصاد الأمريكي جارا وراءه كل الاقتصاد لعالمي الجانح للانهار.

هذا الواقع المتردي والطموح العالي والخيال الثوري الجامح والحرب المسلحة للعصابات المدعومة من الخارج من أنصار القيصرية

وحلفائها المذعورين من هذا التحول الهائل ،
والحرب الإعلامية والنفسية الضخمة والمنظمة
من قبل أعتى الرأسماليات في العالم المتطورة
بإمكانياتها العسكرية والتقنية الصناعية الجبارة
ضد الثورة ((الاشتراكية)) الوليدة أدى بقيادة
الحزب الشيوعي الروسي وتوابعه الى اتخاذ
العديد من القرارات والاجرات الفوقية المقيدة
للحريات سعيا منه لضمان استمرار الثورة
الاشتراكية وتقديمها ومنها:-

وضع الضوابط التنظيمية الحديدية الصارمة
داخل الحزب امتدادا لما كان عليه في العمل
السري مما ادبالي اسكات اي صوت ناقد
ومجدد وإشاعة روح الريبة والحذر والشك في
كل محاولة إبداع وتصحيح وتقديم وتقويم من
قبل الرفاق في الحزب ناهيك عن عموم
المواطنين السوفيت.

إصدار قرارات بمصادرة أراضي صغار
الملاك وحتى فقراء الفلاحين وحيواناتهم
وممتلكاتهم من الغلال والحيوانات بدعوى انشاء
المزارع الجماعية الاشتراكية مما أدى الى
خراب القطاع الزراعي بالكامل وانتشار
المجاعة لعدم توفر القناعة والنموذج القدوة
للفلاحين في هذا المجال.

إقرار خطط تطور وبناء صناعي وزراعي
وكهربة الريف ونشر التعليم وترويض الروح
الفلاحية البرجوازية الصغيرة بأساليب بالغة
الصرامة والتصدي بالعنف لمن يتخلف او لم
ينفذ الأوامر واتهامه بمختلف التهم الجاهزة
كالتطلع البرجوازي والعمالة او التمرد وخيانة
الحزب والتشكيك بالقيادة ((المعصومة))
ومحاولة إفشال الخطط وإسقاط الثورة وكلها

تهم تؤدي بصاحبها الى الجحيم او الموت المحقق، هذا النهج الذي كان اشد المتحمسين له هم من الانتهازيين والمصلحين والقادة الفاشلين في الحزب والدولة.

كل هذا شجع على عسكرة المجتمع الروسي ومن هنا أتت تسمية ((المعسكر الاشتراكي)) وهما مصطلحان جمعاً قسرياً وبقوة الحديد والنار فالعسكرة والاشتراكية نقيضان لا يلتقيان كما لا يلتقي الحرية والديكتاتورية مطلقاً وتحت مختلف الظروف والتبريرات.

هيمنة الزعيم الفرد والقائد الضرورة:-

فترى انها ولادة طبيعية لقصور وتردي الواقع الموضوعي وضعف وهشاشة وعدم نضوج الحامل الاجتماعي للفكر من قبل الأغلبية الساحقة من الشعب ومن الطبقة العاملة مولدة الحزب وحاضنته ومن النخبة المنتمية إليه مما أنتج هوة واسعة بين طموح القائد والمنظر في الحزب وبين غالبية الكادر من أنصاف الجهلة وأشباه الأميين ومن لم يتفولوذوا ويتسلحوا بالوعي والفكر الماركسي ولم يتمثلوه كمنهج تفكير وليست نصوصاً ميتة وجامدة هذا الامر أدى بالقائد الى ان يكون الملهم والمعلم والأب الذي تستقى منه التعاليم والإرشادات والخطط وهذا الامر يجر اتوماتيكياً الى تاليه القائد وعصمته من الخطأ وبالتالي يتوجب إطاعته إطاعة عمياء وتقليده في قوله وفعله، فليس امراً جديداً ان يتعلق الإنسان بالاسطورة ليتكأ عليها حينما يرى نفسه عاجزاً عن تفسير الظواهر والقواهر والأحداث في حين يرى القائد نفسه معلقاً في الهواء وليس هناك حاملٌ لفكره ومبادئه قادراً على الاعتماد على ذاته

يمتلك روح المبادرة والإبداع والتجدد واكتشاف الجديد والقابلية على الحركة وفهم المتغيرات بلاضافة الى فهم معنى الالتزام التنظيمي، وعدم خرق القوانين في الدولة والحزب، وإنما غالبا ماتكون عبارة عن كتل بشرية يسيطر عليها حماس أهوج تتلقى التعاليم والإرشادات وتخضع للضوابط والعقوبات وبذلك يتحول الفرد الى القائد الضرورة والزعيم المطلق المخلص حيث تعد له هذه الكتل البشرية المنبهرة دوما والمصفقة باستمرار المسرح ليعتليه الدكتاتور والقائد الأوحده سواء بوعي منه أو بدون وعي مبررا كل مايجري بالظروف الطارئة والشاذة وجهل الجماهير وخطط المؤامرات الخارجية مما يجعل قراراته غير قابلة للنقاش والمسائلة وبذلك فهو يكون اقرب للسماء وعالم المثل الأفلاطونية منه الى الأرض وقيم الواقع وتصبح زمرة المحيطيين به من البلاد والانتهازيين شرطة لحماية الوهه القائد وجواسيس يحصون حركات وسكنات رفاقهم قبل ابناء الشعب البسطاء، فتتحول ((الجنة)) الاشتراكية والشيوعية الموعودة الى معسكر اعتقال وحرقات مصادرة ومفقودة يسيطر عليها هاجس الخوف من ان يجتاز سياجها الشياطين من العالم الآخر ويعبثون في عقول سكتناها وإغراءهم بفتح الأبواب الموصدة الممنوع فتحها لأمثالهم وبذلك تحل عليهم اللعنة فيكونون من الهالكين!!!.

فان لم يكن ((لينين)) يسعى للفردية والديكتاتورية بل فرضها عليه الموضوع فلاشك أن ((ستالين)) هو احد إفرزاتها وقد سعى إليها بوعي وتخطيط مسبق عبر ضخامة مراسيم

التشيع وتعظيم الرفيق لينين وتحنيط جثمانه ليبقى ((الفرعون)) خالدا لايعرف الموت أبدا!!

التكثير من نصبه وتمثيله وصوره وإيداعه في مقبرة فريدة في العالم من حيث الهيبة والأبهة والفخامة لم يحلم بها أعتى الفراعنة و القياصرة والملوك في روسيا والعالم. المراسيم المتبعة والواجبة لكل الرفاق في داخل وخارج روسيا ناهيك عن ممثلي الدول والوفود الزائرة للاتحاد السوفياتي، ولم تكن مثل هذه الإجراءات عفوية وبريئة وبنيت لحظتها او استجابة لعواطف الجماهير وحبها لقائدها المفقود((لينين)) وإنما يجري كل ذلك لتعظيم وتأليه القائد والزعيم الموعود ((ستالين))، ورسالة تقول ان تعاليم وقرارات الزعيم ستبقى حية لاتموت مهما تغيرت الأحوال والوقائع كما هو جثمانه الذي أصبح عصيا على التحلل والتفسخ والاندثار كما يجري لكل أجساد البشر العاديين،وكما استطاعت يد العلم حفظ وخلود جثمانه فان يد السلطة والحزب ((ستحنت)) فكره وتعاليمه لتبقى حية لاتموت ولاشك انه قد أودع وصيه وخليفته أسرارته ومفاتيح علمه وقابلية فك شفرات أقواله وتأويل وتمثل أعماله ولا يحق لأحد غيره القيام بذلك.

وانه من الملفت للنظر والمثير للاستغراب بالنسبة لكل ماركسي ان يرى تاريخ الأحزاب الشيوعية والثورات ((الاشتراكية)) إنما هو نتاج وتاريخ أفراد وزعماء!!!! فأين هو الحزب وأين هي الطبقة المولدة للحزب؟؟؟ حيث تبدو انها محض أسطورة تنهار بمجرد انهيار الزعيم لأنها من صناعته!!!.

ان ماسبق ان استعرضناه من تردي الموضوع
 ودفع القائد الى مسرح الوجدانية والعبودية
 والإله لينصب قيماً على الحزب وقيادته وتنصيب
 الحزب قيماً على الطبقة ليكون بدوره قيماً
 ووصياً على أمه ومولده وحاضنته ومرضعته
 وبالتالي على الشعب بكامله باعتبار هذه
 الطبقة هي مخلصه الأوحد، يؤدي بالضرورة ان
 تكون القيادة بغالبيتها من المنافقين والنافخين
 في صورة القائد المفقود لتحظى برضى
 وحظوة القائد الموعود طمعا في المناصب
 والمكاتب والامتيازات ولتذهب المبادئ
 وحاملها للحجيم!!!!

ومن يطلع على تاريخ اغلب الأحزاب الشيوعية
 في البلدان النامية والمتخلفة ناهيك عن
 البلدان الأوربية والمتقدمة سيلمس هذا الخلل
 الكبير في البنية التنظيمية لهذه الأحزاب، فقد
 وصل الامر في بعض الأحزاب الشيوعية الى
 انتخاب وتنصيب القائد مدى حياته ومدى حياة
 الحزب بعد مماته. هذا الحال يفسر انهيار
 الاتحاد السوفيتي والتجربة ((الاشتراكية))
 والحزب الشيوعي السوفيتي المليونى العضوية
 وتوابعه من الأحزاب الشيوعية في
 البلدان ((الاشتراكية)) على اثر نهج البرسترويكا
 لغربا تشوف عندما أطلق حرية النقد والرأي
 والتعبير المكبوتة فانهار كل شيء بلمح البصر
 وإذا ((بالشيوعية)) تنقلب الى رأسمالية وإذا
 بالقيادة حراس العقيدة يتحولون الى لبراليين
 يضعون أنفسهم تحت خدمة الرأسمال العالمي
 وينقضون على مؤسسات الدولة التي بنيت
 بعرق ودم وشقاء العمال الشيوعيين في
 معسكرات العمل الإجباري وماسمى ((بالسبوت
 الشيوعية)) التطوعية وبيعها في سوق

الرأسمال الرخيص واخذوا يتسابقون للانضمام
لحلف ((الناتو)) حامى حمى الرأسمال العالمي
بقيادة الولايات المتحدة الامريكية!!!!.

فأين الخلل إذا؟؟؟

إننا نرى ان أهم خلل في التجربة السوفيتية هو
في البنية الاقتصادية المتخلفة وفي بنية الحزب
الشيوعي السوفيتي وتوابعه ونظامه الداخلي
والصلاحيات الواسعة الممنوحة للسكرتير
ومكتبه السياسي ومن ثم لجنته المركزية
والحظر الفعلي لكل نشاط سياسي لما عداه
ومن ذلك مثلا عدم تحديد فترة الأمين العام
والسكرتير وضرورة الإبدال الدوري له ليحل
محلّه رفيق آخر وعدم جواز تجديد انتخاب
السكرتير العام والمكتب السياسي للحزب مهما
كانت الظروف والمبررات وبالأخص في ظروف
السلم والانفتاح الديمقراطي والحرية
السياسية الموجودة بشكل أواخر في اغلب
بلدان العالم المعاصر من اجل غلق الطريق أمام
أمراض الهيمنة الفردية وكبح جماح غريزة
التسلط والاستبداد، ففي الوقت الذي تقول
النظرية ان الإنسان في المجتمع الشيوعي
سيتمكن من إدارة شؤونه بنفسه ممتعا بكامل
حريته ومتخلصا من كل أشكال الاغتراب
والاستلاب في المجتمع الطبقي وبذلك يضمحل
الحزب وتضمحل الطبقات ومنها الطبقة العاملة
ثم تضمحل الدولة التي تفقد أسباب وجودها،
نرى ان هذا الفهم وهذا التنظير يكاد يكون
مفقود عمليا داخل بنية الحزب الشيوعي
ماسخا الفرد ومشككا في قدرات الرفيق من
تسنى القيادة والريادة وتحمل المسؤولية
والقدرة على الإبداع والتجديد والخلق مناقضا

بذلك مرتكزاته الفكرية باعتباره نموذج مصغر للمجتمع الشيوعي الموعود.

فنحن نرى ان المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفيتي صب جام غضبه ونقده على شخص ستالين وحملته كل نكسات الحزب والمآسي الذي سببها لقيادة وكوادر الحزب والشعب الروسي بالأخص والسوفيتي عموماً، دون ان يحدث تغييراً جذرياً في البناء التنظيمي للحزب فأبقي الحال على ما هو عليه فيما يخص النظام الداخلي للحزب خوفاً من فسخ المجال أمام العقول المفكرة والمجددة والناقدة الجريئة المطالبة بتغيير جذري في قيادة الحزب والدولة والقضاء على الفساد والبيروقراطية المهيمنة على قيادة الدولة آنذاك مما راكم المزيد من الفشل والتعثر والديماغوجية الإعلامية بحيث تم الترويج لمقولة دخول الاتحاد السوفيتي المرحلة الشيوعية بعد ان أتم البناء الاشتراكي بنجاح في زمن ((برجينيف))!!!، وتحت عاصفة نقد ((ستالين)) استتر العديد من القادة في الحزب الشيوعي السوفيتي بقناع البراءة من الستالينية للتوصل من مشاركتهم ((ستالين)) في أخطائه وتعسفه واستبداده ففي الوقت الذي أتلفت صورته ورفعت تماثيله ونصبه من الساحات ومؤسسات الدولة، لم يمس منهجه الفكري والتنظيمي وسلوكه السياسي، فلم تسلط الأضواء والدراسات على الستالينية كظاهرة مرضية في جسد الأحزاب الشيوعية وبالتالي وضع الحلول الجذرية لاستئصالها والوقاية منها.

أصبح من الصعوبة بمكان إصلاحه أو إعادة ترميمه فإدى الى تفاقم وتراكم الأخطاء والانحرافات في البنية التنظيمية .

فلو قارنا هذا الحال مع العالم الرأسمالي لرأينا ان سلطة الدولة والحكم تهيمن عليها الطبقة البرجوازية عبر أفراد مرتبط مصيرهم بمدى نجاحهم في تحقيق المكاسب والأرباح للطبقة الرأسمالية والحفاظ على مكاسبها واستغلالها المتصاعد في كل العالم فمصلحة الطبقة فوق مصلحة الفرد والحزب حيث تجري عمليات انتخابية علنية واسعة وسط كرنفلات إعلامية هائلة لكي تختار البرجوازية والاحتكارات الرأسمالية أكفا وأقدر عناصرها لقيادة دفة الحكم مظهرة إياه وكأنه خيار الشعب بكامله، وهي على استعداد كامل للاستغناء عن أي فرد مهما بلغت منزلته حينما يعجز ان يقدم أفضل الخدمات واكبر المكاسب لقوى الرأسمال، فعلى الرغم مما يقال حول قدسية الفرد المختزل حقيقة في قدسية الرأسمال وتمجيده كسوبرمان طوال تمثله روح الرأسمال، ولكنها سرعان ماتنبذه إذا تضررت مصالحها التطبيقية او خبا بريقه ولم يتقن دور المضلل كحاكم باسم الشعب بكل طبقاته وفئاته بالاضافة الى وضع سقف زمني محدد لايتجاوز دورتين انتخابيتين لحكم الرئيس او الزعيم ليكون على راس لدولة او الحزب مديمة بذلك تضليلها بان الشعب يجدد خياراته، بالضد مما حصل في البلدان ((الاشتراكية)) حيث الادعاء بان الحكم هو حكم الطبقة العاملة المعبر عنه بديكتاتورية البرولتاريا، ولكن واقع الامر ان البرولتاريا لم تتسمن قيادة الحكم طوال تاريخها ومنذ ولادتها لحد الآن عدا عما توصف به كومونة باريس إنما

يحكم بالنيابة عنها عن طريق الحزب الطليعة المحكوم والمسير من قبل المكتب السياسي واللجنة المركزية التي غالباً ماتدور في فلك السكرتير العام والقائد ((الملهم)) والعبقري ((الفذ)). فقد انتخب ((ماو)) مدى الحياة سكرتيراً عاماً للحزب وهاهو الرفيق ((كاسترو)) لازال مترعباً هو وأشقائه على عرش السلطة ((الاشتراكية)) في كوبا، وكذلك لباقي أسلافهم ، لينين وستالين وهوشي منه وغيرهما مابقا أحياءاً وهذا خلاف ما تؤمن به الماركسية حول قدرة الإنسان الحر على القيادة والإبداع وليس هناك عقل خارق مفارق ومعصوم لا يمكن إبداله أو الاستغناء عنه.

ان هذا الخلل في الانظمة الداخلية للأحزاب الاشتراكية والشيوعية وفر ومهد الفرصة أمام الطموحات الفردية الغير مشروعة والمصابة بداء الزعامة والسيطرة والتحكم البرجوازي الموروث والمخزون في اللاوعي منتهزا أية ثغرة ضعف وخلل في الحصانة المبدئية والفكرية والإنسانية لتخرج من كهوف اللاوعي المظلم تحت مختلف الذرائع والحجج لتعلن عن عصمتها، ولاشك أن هذا النهج يرجع الى ضعف وتخلف الطبقة العاملة العاجزة عن استيلاء مفكرتها وقادتها ومفكرتها فأوكلت أمرها للبرجوازية والبرجوازية الصغيرة

الجزء الثاني

وبعد ان استعرضنا في الجزء الاول من الدراسة مقدمة البحث وشروطه الموضوعية ثم اعتبرنا ان التجربة كانت حسب الرؤية (اللينينية) وتوابعها ومقلديها وتطرقنا الى اهم اسباب فشل وانهيار التجربة في البنية التحتية الروسية وفي البنية الفكرية للماركسية اللينينية الستالينية والبنية التنظيمية للحزب الشيوعي الروسي والاحزاب الشيوعية في الكتلة السوفيتية والاحزاب الشيوعية الاخرى في الكتلة الشرقية، وضمن عنوان:- اين الخلل؟؟ تطرقنا الى عدة نقاط واشكاليات رافقة التجربة .

في الجزء التالي نكمل مواطن الخلل ثم نتطرق الى مفهوم (ديكتاتورية البرولتاريا)، ومحاولة الاجابة عن سؤال (هل الاشتراكية لم تزل خيارا للشعوب؟؟ وهل الاشتراكية هي البديل عن النظام الراسمالي؟؟

ثم محاولة الاجابة على سؤال:- هل الاحزاب اليسارية قادرة على قيادة الحراك وتخليص البشرية من الهلاك المحتم على يد الراسمال العالمي في عصر العولمة الراسمالية المتوحشة؟؟؟

واجتهدنا في بيان اهم العوامل التي تكون من خلالها الحركات والاحزاب اليسارية والشيوعية مقتدرة وفاعلة في قيادة الكفاح من اجل عالم افضل.

أن هذا النهج يرجع الى ضعف وتخلف الطبقة العاملة العاجزة عن استيلاء مفكرها وقادتها ومفكرها فأوكلت أمرها للبرجوازية والبرجوازية الصغيرة للقيام بهذه المهمة الخطيرة، هذه القوى التي تؤمن نظريا بقيادة الطبقة العاملة بينما تنبذ هذه القيادة وتسد الأبواب إمامها في الواقع العملي، مما شجع على ذلك تعسف وقسوة قوى المال والرأسمال والاستغلال وكبحها للقوى العاملة التي تتوق نحو الحرية والمساواة وتغلق بوجهها الأبواب والفرص لتكون طبقة تعي ذاتها وتعمل لذاتها بما يوفر العامل الموضوعي ليكون رحمها قادرا لحمل وولادة قاداتها ومفكرها، وهذا مما يضع الأحزاب الشيوعية وما تضمه من كوادر عمالية واعية تحت واقع العمل السري لفترات طويلة مما يعزز دور القائد الفرد ويفوضه صلاحيات واسعة ستستمر حتى في ظروف العمل العلني وأجواء اللبرالية السياسية.

عدم الإيمان بالتعددية الحزبية والسياسية كطريق نحو السلطة فلجأت الى كم الأفواه والقهر الطبقي تحت ذريعة مقاومة البرجوازية وشياطين الرأسمال وبذلك فهذه الأحزاب تستخدم أقذر طرق ووسائل البرجوازية في الحكم المعبرة عن لاشرعية البرجوازية في الحكم النابعة من طبيعتها الاستغلالية كأقلية حاكمة تستعير وسائل القهر والديكتاتورية لبسط سلطتها وكبح جماح معارضتها، فما الذي يبرر للأغلبية العادلة والمنصفة كي تلجأ الى أساليب القهر والاستئثار والديكتاتورية

وهي تحمل في نهجها الاشتراكي معنى
 وجوهر الحرية مما يجعل الناس تنفر من هذه
 الأحزاب وجناتها المسورة ، فالإنسان الحر
 يرفض ان يدخل ((الجنة)) بالقوة والقسر، ان
 نكران التعددية افقد الأحزاب الشيوعية الحاكمة
 العين الناقدة التي ترصد أخطاءها وهفواتها
 وتجاوزاتها ويتختم الحزب بالعناصر من هواة
 السياسة وحب الظهور والسلطة من الطبقات
 الاجتماعية المختلفة والذي لاتجد لها أية فرصة
 للعمل السياسي بسبب الحزب الواحد، هذا
 الواقع يدفع الحزب الحاكم والرفيق القائد على
 ترويض الرفاق وكبت المعارضين ليستوي
 على كرسي الحكم الى أمد غير محدد والذي
 غالبا مايعاد انتخابه من قبل الشلة المعدة سلفا
 وكالعادة بالإجماع فيعثر الحزب على نبيه
 المختار والراعي المقتدر لقيادة قطعانه مدى
 الحياة لا يغيبه عنها سوى الموت فتلجا الى
 صنع النصب والتماثيل الجبارة لكي تخفف من
 شعورها بالضياع من بعد اختفاء جسد الراعي!!!

و تحت ذريعة الخوف من تدخل وتآمر القوى
 الخارجية تم عزل العالم ((الاشتراكي)) بطوق
 حديدي من رموزه جدار ((برلين)) المنهار
 ليكون الناس في هذه البلدان أسرى في ((جنة
 الاشتراكية)) خوفا من ان يسلبهم إياها الشيطان
 البرجوازي المتربص خارج الحدود لتعيش هذه
 الشعوب في ظل جنة محروسة من قبل أجهزة
 الأمن والمخابرات وتقارير الرفاق السرية، ففي
 الوقت الذي يجب ان يكون الطرف
 الآخر البرجوازي هو الخائف وهو من يضع
 الحواجز والقيود على الحركة والفر خوفا من
 المد الشيوعي حامل لواء الحرية والديمقراطية
 والرفاه الاجتماعي نرى العكس كمن يسور

المسروق بالأسوار والأسلاك الشائكة والموانع مكبلا يديه ورجليه ومكمما فمه وعاصبا عينيه خوفا عليه من السارق فيصبح مشلول الحركة فاقد الرؤيا موكلا أمره للقيادة الخارقة والمعصومة العالمة غير المعلمة.

• تزعم السوفيت قرار حل الأممية الثالثة ومن ثم الكومنترن تحت ذريعة منح الاستقلالية للأحزاب الشيوعية في مختلف بلدان العالم لتعالج شؤونها ضمن ظروفها الملموسة والمعاشة كما اشر في حيثيات اتخاذ قرار الحل ولكن الواقع والحقائق التاريخية تشير الى ان هذه الإجراءات وقرار الحل اتخذ خشية من تطور النقد الخجول لبعض الأحزاب الشيوعية الأوربية خصوصا لقيادة الحزب الشيوعي السوفيتي الشقيق الأكبر فالإصبع الذي يرفع بوجه الرفيق الأكبر والأب الروحي للأحزاب الشيوعية في العالم اجمع يجب ان تقطع، وما حصل للعديد من الأحزاب الشيوعية مثل الحزب الشيوعي اليوغسلافي والصيني والبلغاري وغيرها من الأحزاب الذي حاولت ان تغلت من قبضة الرفيق الأكبر مثلا واضحا وشاهدا على ما نقول .

• ان هذه الممارسات أدت الى مزيد من الانحسار للمد الشيوعي في روسيا والبلدان الأخرى وبالأخص بلدان المجموعة السوفيتية التي أدمجت بروسيا السوفيتية بطرق غير مبنية على الخيار الحر والمتأني النابع من إرادة أغلبية شعوب هذه البلدان المقهورة.

• نجحت الامبريالية الامريكية بقيادة الولايات الامريكية في أن تجر السوفيت الى سباق غير متكافئ في مجال التسليح وغزو الفضاء وتخصيص ميزانيات أسطورية لهذه

المجالات على حساب توفير الخدمات الأساسية للمواطن السوفيتي والعيش في ظروف الضنك والحد الأدنى من الرفاهية فإن تكن أفضل من مستوى الطبقات الشعبية في البلدان الرأسمالية فهي بالتأكيد ليست بمستوى الوعود الاشتراكية . فازداد التدمير واللامبالاة بين المواطنين السوفيت ومواطني البلدان ((الاشتراكية)) الأخرى وبالأخص الشباب، بعد خمود فترة الحماس والاندفاع الثوري في السنوات الأولى للتغير والثورة على أمل تحقيق الحرية والرفاه والمساواة ولكن ذلك لم يتحقق في أي من البلدان ((الاشتراكية)) فأصبح أغلب المواطنين السوفيت والبلدان (10الاشتراكية)) الأخرى تتطلع الى حياة الرفاه واليدخ والحرية الشخصية للمواطن في البلدان الرأسمالية حيث نجح إعلام الرأسمالية المتطور في أن يزرع في عقول الناس في هذه البلدان عبر برامج موجهة ان جنتهم الموعودة في العالم الرأسمالي وليس في القفص ((الاشتراكي)) بالأخص بعد ان خابت جميع الآمال في حدوث ثورة اشتراكية في أي من البلدان الرأسمالية المتطورة لتكن سندا للثورة الاشتراكية في روسيا المتخلفة.

أسطورة ديكتاتورية البرولتاريا:-

• ان أسطورة ديكتاتورية البرولتاريا التي لم تر الواقع الفعلي في كل بلدان العالم وتجارب العالم المبنية على ان الطبقة العاملة يجب ان تكون في هرم السلطة للعمل على تصنيع المساواة بين المواطنين وإلغاء العمل المأجور وانحلال الدولة وقد تماهت هذه الطبقة مع

الحزب الذي أصبح هو الوصي على الطبقة العاملة وحلفائها في الجانب النظري في حين ان الواقع العملي هو غير ذلك نرى ان هناك التباس كبير في فهم مقولة ديكتاتورية البرولتاريا هذا المفهوم سيء الصيت والمعنى والذي تمت استعارته من سلوكيات وممارسات الطبقة البرجوازية النقيض للطبقة العاملة التي لجأت ومازالت تحتاج اللجوء إليه للحفاظ على مصالحها غير المشروعة وسلب حقوق الآخرين وبالأخص العمال وكل شغيلة اليد والفكر في العالم الرأسمالي وهنا نقول ان من يسترد حقه المسروق من السارق هل يمكن ان نسميه ونصفه بالسارق؟؟ فهل من يطالب بحقه في الانتخاب والترشيح واسترجاع حقه المغصوب والمستلب من قبل الطبقة البرجوازية وحلفائها يسمى ديكتاتورا؟؟؟

الم يكن الأجدر ان يقال ديمقراطية البرولتاريا والتي هي بالأحرى الديمقراطية الحقيقية لكل القوى والفئات الاجتماعية الرافضة للاستغلال من العمال وغير العمال التي يجب ان يتمتع بها ككل أفراد المجتمع للدفاع عن حقوقهم المشروعة التي شرطها الوحيد منع استغلال الإنسان لأخيه الإنسان وتحرير العمل من عبودية رأس المال والمساواة في الحقوق والواجبات للناس المتساوين في القدرات والامكانيات والمهارات فلا نعرف لماذا اختارت الأحزاب الشيوعية أقدر أسلحة البرجوازية في فرض سلطتها وهيمنتها؟؟ باعتبارها أقلية مستغلة لايمكن ان تديم استغلالها بدون اللجوء الى إتباع الأساليب العنفيه وفرض قوة الحديد والنار والسجون والتشريد والحرمان والتضليل الإعلامي والتعمية الايدولوجية، فماذا يمكن ان

تفعل البرجوازية وقوى الاستغلال حينما يعي المحرومون والمستغلون مصالحهم وتكون الاشتراكية خيارهم الحر عبر صناديق الاقتراع التي ارتأت البرجوازية انها الحكم في شرعية ولاشرعية السلطات الحاكمة في العصر الراهن- بالأخص اثناء صراعها مع قوى الاستبداد الاقطاعي والذي اخذت تتكر له بعد ان اخذت تضيق ذعرا بمعارضيتها من الطبقات المستغلة بعد أن امتلكت الثروة والسلطة- وليس عن طريق المؤامرات والعنف الذي سمي تعسفا وظلما وإجحافا بالعنف الثوري حيث لايمكن ان يكون العنف ثوريا بل هو دائما سلوك القوى المحافظة والرجعية والمستغلة وعودة بالإنسان الى حيوته الأولى.

من الأجدر بنا ان نعيد قراءة البيان الشيوعي على ضوء الوضع العالمي الراهن هذا البيان الذي ورد فيه مفهوم ((ديكتاتورية البرولتاريا)) والذي قال واضعوه إن الكثير من فقراته قد شاخت خلال التقديم لطبعته الثانية بعد عدة سنوات من صدور الطبعة الأولى؟؟؟

بعد كل ما ذكرنا هل يمكن ان نضع اليد على سبب انهيار التجربة((الاشتراكية)) ضمن المنهج والفكر اللينيني الستاليني وهل ماجرى وتم بناءه يمكن ان يوصف ((بالاشتراكية)) أم انها كانت على الرغم مما قدمته من انجازات شكل من أشكال رأسمالية الدولة وسلطتها المبنية على القسر والعنف والديكتاتورية الحزبية والفردية؟؟

وهل ان الاشتراكية لم تزل خيارا للشعوب؟؟
وهل ان الاشتراكية هي البديل عن النظام الرأسمالي؟؟

نرى ان الإجابة على هذا لسؤال عن طريق قلب محتواه ليكون كلاتي :-

هل النظام الرأسمالي صالح للبشرية وهو طريقها نحو الحرية والسلام والأمن والرفاهية؟؟

. ان كما هائلاً من الأدلة والبراهين تؤشر الإنسان العادي وليس الدارس الموضوعي المتسائل الى الإجابة بالنفي القاطع عن هذا السؤال؟؟ لا بل يمكن ان يثبت ان النظام الرأسمالي في عصر العولمة الرأسمالية باعتبارها أعلى وربما آخر مراحل الامبريالية إنما تجر العلم الى هلاكه عبر المزيد من الدمار والخراب والحروب والكوارث والأمراض والمجاعات. حيث ان البشرية نتيجة للاعقلانية الرأسمالية وجشعها وركضها وراء الربح خلقت أزمات متعددة ومتصاعدة تهدد البشرية وكوكب الأرض بالفناء ومن ذلك التلوث البيئي وثقب الأوزون وارتفاع درجات حرارة الأرض وذوبان الثلوج في القطبين وانقراض آلاف الأنواع من الحيوانات والنباتات وموت مئات آلاف من البشر جوعاً ومرضاً وهو أمر نابع من طبيعتها وجوهر وجودها المبني على الربح وتراكم الثروة والمال .

. أانتشار الكارثي لأمراض غير معروفة في العالم سابقاً وهناك شكوك علمية كبيرة انها وليدة الأبحاث الغير مسيطر عليها في المختبرات البحثية في العالم الرأسمالي وفي مقدمتها الولايات المتحدة الامريكية من ضمنها التلاعب بالجينات أدى الى انتشار أمراض كونية يصعب السيطرة عليها مثل أنفلونزا الطيور والايديز والسرطان وحنون البقر .. الخ وليس

لأحد ان يتنبأ بما يخبئه المستقبل للإنسانية ان لم يوضع حد للتهور الرأسمالي المتوحش من أمراض.

• بث روح العداء العرقي والديني والطائفي من اجل شرذمة القوميات والبلدان ومن ثم احكام السيطرة عليها والعالم مليء بالأمثلة الصارخة للحروب الأهلية والطائفية والعرقية التي التهمت ولا زالت تلتهم أرواح البشر وثروات الشعوب في آتون حروبها القذرة..

• التشجيع على تصنيع او تبني تصنيع قوى متطرفة وخلق أعداء وهميين لإدامة حشدها العسكري والقمعي وإعطاء مبررات التدخل واحتلال الأوطان وقهر الشعوب ونهب ثرواتها تحت ذريعة بناء الديمقراطية ومحاربة الإرهاب الذي هو توءمها فالإرهاب والرأسمالية وليدان رحم واحد هو العولمة الرأسمالية المتوحشة، وهذا ما حدث في أفغانستان والعراق وسيجري في العديد من بلدان العالم ،هذه الذريعة التي أعطت الرأسمالية المعولمة حق محاصرة الحركة واسعة الانتشار وفعالة الأثر في مناهضة العولمة الرأسمالية المتوحشة بقيادة الرأسمالية الامريكية ،والتي تميزت بكونية التضامن ودقة التنظيم ووضوح الأهداف والبرامج وزيادة مطردة في المشاركة مما أظهرها قوة حقيقية فاعلة لكبح جماح الرأسمال العالمي وزرع بذور نظام عالمي جديد مبني على العدل والمساواة والسلام خ وبالأخص وان الفاعلين في هذه الحركة الجبارة هي قوى اليسار الجديد وكافة القوى المدافعة عن السلام والبيئة ومنظمات حقوق الإنسان والمدافعين عن حقوق المرأة وغيرها وهذا

مايفسر سعة قاعدتها وخشية الرأسمال العالمي منها والعمل بكل الوسائل والطرق القذرة لمحاصرتها والحد من أثرها وتأثيرها في العالم ومن أقدر هذه الأساليب تصنيع قوى الإرهاب في مختبرات ودهاليز المخابرات الامريكية السبي اي ايه لتكون خير مبرر لعدوانيتها وحروبها وعسكرة العالم ونهب ثرواته والتحكم في مصير الإنسانية جمعاء لتقسمه الى فيلق إرهاب وفيلق محاربة الإرهاب دون اي تعريف واضح ومقنع للإرهاب وقواه وماذا يريد ومن هم مقاومي الإرهاب وكيف يقاومون.

• التطور العلمي الهائل الذي وفر القاعدة المادية الجبارة لتأمين وفرة غير مسبوقه في الإنتاج ولكن الذي نتج عنها في ظل سيطرة الاحتكارات مجاعات وحرمان غير مسبوق لمليارات من البشر على عكس مما هو مرجو منها.

• التطور الهائل في الاتصالات والنقل والتواصل وخصوصا الانترنت والذي احدث ثورة هائلة في سرعة تبادل المعلومات والايخار والبيانات بين أقطاب الكرة الأرضية ومابينهما والذي حقق حلما انسانيا شبه مستحيل بانتقال الانسان والاجسام بسرعة الضوء ليكون العالم ليس قرية واحدة لابل بيت واحد ذو غرف متعددة.

• تنامي دور منظمات المجتمع المدني المدافعة عن حقوق الانسان وتبني مختلف تطلعاته وطموحاته ورغباته مما جعل منها وسائل فاعلة بيد القوى الثورية لكشف زيف ودجل وهمجية الرأسمال العالمي وأذنبه وتوابعه.

• اتساع رقعة الفساد المالي والإداري وعلى أعلى المستويات في العالم الرأسمالي وتوابعه مما كشف الأقنعة عن ادعاء النزاهة والاستقامة لقادة الرأسمال وصنائعهم. وأمامنا الآن برهان ساطع على فشل النظام الرأسمالي وإفلاسه من خلال الأزمة المالية الغير مسبوقه منذ أكثر من سبعين عاما كدليل وبرهان قاطع دوام ودورية الأزمات الرأسمالية المهلكة لملايين البشر والواضحة حياتهم ومصيرهم ومصير أجيالهم القادمة في مهب الريح نتيجة الخلل البنيوي القاتل ضمن بنية النظام الرأسمالي المبني على الربح وحرية وحصانة راس المال حتى وان بدا بهيئة وحش لايشبع من امتصاص دماء البشر.

• ضرورة إيجاد بديل للنظام الرأسمالي القائم وفي هذا الامر هناك أكثر من خيار ومن هذه الخيارات:-

• العمل على تصنيع نظام رأسمالي ((مهدب)) تجري عملية التصنيع والسيطرة عليه من قبل الدولة متلافيا إخفاقات وسلبيات النظام الرأسمالي القائم وينخرط خيار اللبرالية الاقتصادية وحرية السوق ضمن هذا الخيار. وللأسف فقد انجرف العديد من المفكرين والمنظرين اليساريين في هذا التيار وتطوعوا للدفاع عنه متناسين ان قلع أسنان الذئب تؤدي به الى الموت لأنه لا يستطيع الافتراس وليس بإمكانه ان يتحول الى قط أليف بصورة ذئب، فالنظام الرأسمالي مبني على عبودية قوة العمل المأجور ومبني على الربح والاستحواذ على فائض القيمة مهما كان وصفها وشكل هذا الفائض ومن ينتجه. وهنا

لا يمكن ان نغير بنية هذا النظام ولا يمكن ترويضه وتدجينه مهما ألبسناه من الأقنعة ووفرنا له المبررات فان بدا بشوشا ومرنا وإنسانيا لايسسب تبدل طبيعته وإنما لأنه متخم ولا يرى من ينافسه بشكل جدي على فريسته وقناعة أعداءه بما يرميه لهم من عظام وفتات لايشبع ولايغني من جوع، ولكن وسرعان ما يظهر على حقيقته الاستغلالية عند ابسط أزمة يمر بها او ابسط تهديد حقيقي يستشعره. وقد أثبتت الأزمة المالية التي يمر بها النظام الرأسمالي وفي مقدمته النظام الرأسمالي العالمي وفي مقدمته النظام الرأسمالي الأمريكي المعولم الى زيف إمكانية الرأسمالية على تجديد نفسها مما يؤمن ديمومتها وخلودها، وقد غير فوكوياما نظريته بنفسه بعد ثبات بطلانها حتى قبل الأزمة الحالية وما صعود اوباما الأسمر الى سدة الرئاسة في الولايات المتحدة الامريكية إلا احد نتائج الأزمة الخانقة التي تحيط بالرأسمالية العالمية بصورة عامة والرأسمالية الامريكية المتوحشة بصورة خاصة وكنتيجة للضغط التزايد ن قبل جموع القوى واسعة الطيف الرافضة للنهج الرأسمالي العدواني الاستغلالي العنصري مما جعل أساطين الرأسمال يتجرعون السم في قبول الترويج للزعيم الأسمر من اجل ترقيع قناعها الديمقراطي المهلهل ولاشك ان هذا الرضوخ من قبل سيدة راس المال على الرغم من شكليته ومظهريته ولكنه بكل تأكيد سيكون له تأثير ومساس بجوهر الرأسمالية العنصري الاقصائي، وكاد ان يكون هذا التغيير أكثر أثرا لو ان الجمهوريين وضعوا السيدة الامريكية الشقراء ((ساره)) خيارا لهم في سباق المنافسة مع الديمقراطيين للوصول الى سدة

الحكم ولكن صدر الرأسمال الأمريكي قد ضاق من احد رموز التهميش والإقصاء العنصري للملونين فشق عليه إزاحة العوائق والموانع حتى لامرأة من طبقتهم كأبرز ضحايا التهميش والابتذال والإقصاء في الولايات المتحدة الامريكية فالمرأة لايمكن ان تكون في عرف ((الديمقراطية)) الامريكية أكثر من ظل صاحب للرجل السوبرمان صاحب السطوة والشهرة والقدرة الفائقة، ففي الانظمة الراسمالية رغم دعواها بحرية المرأة ومساواتها في الحقوق والواجبات فهي في الواقع ليست أكثر من سلعة للجنس والدعاية والترويج للرأسمال ومصالحه.

إننا نرى ان لا بديل للنظام الاشتراكي ليكون بديلا واقعيا وحقيقيا للرأسمالية، ونرى ان ليس هناك وصفا واحدا ومتكاملا لهذا النظام الاشتراكي البديل وطرق ومراحل الوصول إليه وبالتأكيد ليس من بينها ((ديكتاتورية البرولتاريا)) حيث ستجد البشرية طرقها وإبداعاتها في شكل ووصف هذا النظام الذي لا بد ان يولد من رحم الحراك الاجتماعي القائم مستفيدة من التجارب المريعة السابقة وأنا نرى ان ماركس لو حضرنا روحه اليوم لغادر مكتبة لندن متوقفا لاحتساء فنجان قهوة ومدخنا سيكارا نافثا زفير غضبه في قبة الكرملين في قسم أرشيف الحزب الشيوعي السوفيتي قبل ان يعتكف في مكتبة البيت الأبيض من اجل ان ينتج تحليلاته وإعادة كتابة تصوراتهِ وتنبؤاته حول مصير العالم في ظل العولمة الرأسمالية المتوحشة بقيادة الرأسمال الأمريكي في عصرنا الراهن بعد ان يعلن على العالم بأنه لم يجد جوهر فكره في أكثر الداعين

والمدعين لفلسفته ولفكره ، ونرى أن الأحزاب والحركات وتنظيمات اليسار الجديد هي القوى المؤهلة والقادرة على قيادة هذا الحراك لتكون الاشتراكية خيارا حرا للإنسان الفرد وللشعوب من اجل صيانة كوكب الأرض ومن اجل سلام ومساواة البشر والحفاظ عل البيئة وربما التوصل الى حكومة كونية مختارة من قبل مختلف الشعوب كالأمم المتحدة مثلا ولكن عندما تكون ممثلة لإرادة وخيار وطموحات الشعوب وليس الحكومات الرأسمالية والاستبدادية وعندما تكون هذه الحكومات هي الخيار الحر والديمقراطي لشعوبها.

هل الأحزاب اليسارية قادرة على قيادة الحراك وتخليص البشرية من الهلاك المحتم على يد الرأسمال العالمي؟؟؟؟

في عهد صعود البرجوازية وإشاعة روح المنافسة بين قوى الرأسمال العالمي كانت العديد من الشرائح الاجتماعية تعيش في بحبوحة ممن العيش ماعدا الطبقة العاملة وفقراء الفلاحين والنساء ولم تظهرا لنتائج السلبية لهيمنة الرأسمالية الابعد دخولها المرحلة الامبريالية باعتبارها أعلى مراحل الرأسمالية إما الآن فقد بلغت الرأسمالية العالمية أوج أزماتها وانعكاساتها الكارثية على البيئة والإنسان وفي مختلف جوانب الحياة على كوكب الأرض خصوصا في العهد الحالي عهد العولمة الرأسمالية المتوحشة حيث يبدو ان مراحل إصابتها بمرض التهام اللحم والجهد والدم البشري قد اكتملت فتحولت الى إرهاب الشعوب والتهاهما والهيمنة عليها بقوة السلاح وبلغت العولمة الرأسمالية أوج مرحلها ألا وهي

مرحلة الإرهاب وهي تبدو مرحلة أفول
الرأسمالية وزوالها أو زوال العالم الحي
باستمرارها على نهجها الحاضر فلم تعد
تستمرىء سوى طعم الدماء البشرية وروائح
الحرائق و صراخ المرضى والجوع والمظلومين
في كل أرجاء الأرض.

ان الوضع الحاضر وبعد ان اثبت ان الرأسمالية
انها في مراحل متقدم من شيخوختها وإنها
عاجزة عن تجديد شبابها وحيويتها وخصوصا في
ظل أزمتهما الراهنة مع واقع اتساع القاعدة
الاجتماعية التي تعيش في اغتراب لافكاك منه
في ظل العمل المأجور ضمن علاقات الإنتاج
الرأسمالية ، ففي الوقت الذي نال التقدم
التكنولوجي الهائل من عدد العمال في العالم
الرأسمالي المتقدم خصوصا ، إلا انه اجتذب الى
مطحنة استغلاله شرائح اجتماعية واسعة
لتنضوي جميعا تحت صفة الطبقة الكادحة من
شغيلة اليد والفكر وبذلك تتسع قاعدة
المستغلين بينما تتركز الثروة والمال عند فئة
متناقصة على الدوام من المستغلين، هذا النهج
المنسجم مع جوهر الرأسمالية والقاضي بإقصاء
المزيد من مالكي الثروة ليلتحقوا بجحافل
المفلسين والمستغلين والذي سيفضي إلى
موت الرأسمالية خنقا تحت ضغط أصابعها
الحديدية المطبقة على رقبة قوة العمل
لاعتصار المزيد من فائض القيمة لقوى
الرأسمال، هذه الحال الذي تدعي ((الابامية))
معالجتها عن طريق إعادة توزيع الثرة والحد من
ظاهرة تكثيف مركزة راس المال وقلّة عدد
المالكين وهو حل مناقض ومناهض لطبيعة
الرأسمالية الاحتكارية، يحاول اباما استعارة
هذا لحل ن خزانة تدابير الدولة الاشتراكية للحد

من جشع وجنون أصحاب رؤوس الأموال وهنا يبدو مصير الرأسمالية معروفا فإما ان نشنق نفسها بحبل استغلالها او ان تموت بهدوء على سرير الاشتراكية بديلها الذي لاخيار غيره ليقوم بمراسيم دفنها بإيداعها في مقبرة تاريخ الصراع الحيواني بين البشر ليبدأ تاريخ الإنسان الحقيقي بالاشتراكية حيث الإنسان الحر من قيود الضرورة من قيود القهر والاستعباد والإذلال والاعتراب والاستلاب.

بالإضافة الى ما أفرزته الرأسمالية المتوحشة من ضرر بالغ للبيئة وارتفاع درجة حرارة كوكب الأرض نتيجة توسع ثقب الأوزون وذوبان لثلوج كنتيجة للتلوث الهائل للبيئة والاستغلال الأهوج لمصادر الطبيعة مما يهددا بالفناء ان هي ظلت سادرة في غيها وهمجيتها المدفوعة بدافع الريح الذي لايشبع،

ولكي تكون الحركات والأحزاب اليسارية مقتدرة وفاعلة في قيادة الكفاح من اجل عالم أفضل يتوجب عليها كما نرى:-

أولاً:- التخلص من الجمود العقائدي في قراءة الحراك الاجتماعي وتبدلاته لمستمرة.

ثانياً:- التخلص من الأحكام اليقينية الثابتة ونبذ تقديس النص والشخص واعتماد مبدأ ان لاثابت غير المتغير.

ثالثاً:- التخلص من رداء((المثالية)) المتهرئ((الارتداد والتحريرية)) والتي سيكون نتيجة طبيعية لتفعيل ماورد في أولا وثانيا.

رابعاً:- التحرر من أسطورة ((ديكتاتورية)) البرولتاريا ووسيلة العنف((الثوري)) على

السلطة وإجبار قوى الرأسمال على كون صناديق الاقتراع هي الحكم الحق والقاضي المخول الوحيد في منح الشرعية لمن يكون مهيمنا على السلطة السياسية ووفق ضوابط دستور مكتوب بإرادة الشعب.

خامسا:- عدم الترفع على عقول المفكرين والفلاسفة والمنظرين الماركسيين ما بعد ماركس بالإضافة الى ضرورة فهم واستيعاب مختلف المناهج والنظريات غير الماركسية وعدم الانغلاق على الذات في محاولة قراءة الواقع، على ان تكون القراءة نقدية وبعقل ناقد فاعل، فكما ان ماركس بدا هيغليا يساريا وقرا هيغل قراءة نقدية متبصرة واستطاع ان يجلس فلسفته على قدميها، يجب على الماركسيين ان يفهموا ماركس بنفس العقلية لإزالة شوائب النظرية ومتابعة تطورها وتخليصها مما أصبح شائخا فيها فلم يقل ماركس الفيلسوف ان لاماركس من بعدي فماركس وانجلس ولينين وغيرهم هم ابناء تاريخهم وظروفهم التي هي بنت الحياة والحياة في تغير وتبدل دائم.

سادسا:- ضرورة لتخلص من الثنائيات المتقابلة والمعزول بعضها عن بعض والتي ليس لها وجود على ارض الواقع الاجتماعي، حيث لا توجد إلا في مكاتب الباحثين والدارسين والمفكرين مختبراتهم لغرض الدرس والمقارنة، فليس هناك من مثالية خالصة ولامادية خالصة وليس هناك فكر معزول وواقع معزول وليس لأحدهما سطوة مطلقة على الآخر.

سابعا:-

ثامنا:-

.....

.....

ان كل مراقب موضوعي منشغل فكره ووجدانه في خلاص البشرية من عذاباتها المجسدة في الحروب والجوع والمرض والتلوث البيئي وحسب ماتؤشره الأرقام المخيفة للمنظمات المختصة في هذه الشؤون. والتي تتعرض لها مليارات من البشر في مختلف القارات وخصوصا بلدان الجنوب كنتيجة لهوس وهمجية الرأسمالية باعتبار الاستغلال المبني على القهر هو من جوهرها وطبيعتها وضمن بنيتها وبدونه لا يمكن ان تستمر في الحياة مما يستدعي البحث عن بديل يؤمن للإنسان الأمن والسلام والمساواة والصحة والمعرفة والرفاه الروحي والمادي، ولم يفرز البحث الدائب والواقع النظري والعملي بديلا متصورا منظورا للخلاص من شرور الرأسمال وهيمنته عبر الخيار الاشتراكي بغض النظر عن شكل الاشتراكية ولونها ومواصفاتها التفصيلية وأسماء وجنسيات وبلدان منظريها فهي ابنة الحراك القائم والمستجبة لمتطلباته.

ان البحث عن بديل لإنقاذ البشرية من الغرق والهلاك في بحور الرأسمال وكواسره الضارية أصبح هم غالبية بني الإنسان بغض النظر عن القومية واللغة والدين والطبقة والجنس، انه هم العامل والفلاح والطالب والمفكر والغني والفقير والوردة والطير والتربة والنهر والمدينة والبحر... الخ انه طموح الإنسان المدافع عن انسانيته باعتبار ان الاشتراكية هي مضمون الحرية وشرطها الأول، لذلك نقول ان قوة اليسار الجديد والمتجدد هو مركز ثقل

**القوى المكافحة من اجل عالم أفضل باختيار
نظام عالمي جديد قادر على تجاوز العالم
الرأسمالي الأيل للانهيـار.**

**آفاق الماركسية واليسار ودور الطبقة العاملة
في عصر العولمة**

**ماهو التغير على وصف الطبقة خلال عصر
العولمة الرأسمالية؟؟ :**

**((الغوا الضرائب الجمركية وادعموا
التجارة، عندئذ سيهبط عمالنا في كل فرع من
فروع الاقتصاد الى مستوى رقيق وبؤساء))
إبراهيم لنكولن-الرئيس السادس للولايات
المتحدة الأمريكية(1860-1865)(1)**

يمكن بهذه المقولة لرئيس الولايات الأمريكية
قائدة الرأسمال العالمي ان نعبر باختصار عن
تعريف العولمة من حيث الوسائل والنتائج فهي
في الوسائل

اختزال التكاليف، اقتصاد في النفقات، سرعة
في التبادل والإدارة والاتصال، قلة في
العاملين، صغر في المنشآت والمقرات، وفرة
هائلة في الإنتاج.

اما في النتائج فهي

زيادة غير مسبوقه في الأرباح.

بطالة غير كبيرة في مختلف أوصاف ومستويات
قوى العمل.

تدني في القدرة الشرائية للأغلبية مما ينتج عنه
قلة الاستهلاك.

خراب مخيف للبيئة و للطبيعة على كوكب
الأرض.

وهنا ناتي لنرى ماهي المتغيرات التي حدثت
اوالتي سيؤول إليها وصف ومصير ودور الطبقة
العاملة في عصر العولمة الرأسمالية:

لا نريد ان نخوض بما هو مكرر ومعروف ويمكننا
ان نعرف قوة العمل في الرأسمالية بانها:-

هي القوة التي ينتج عنها فائض القيمة التي
تذهب الى جيوب أصحاب رأس المال والذي
يمتلك مالها حرية ظاهرية ببيعها او حجبها عن
سوق العمل وهي تكريس عبودية العمل
المأجور لرأس المال . والذي لايمكن ان يتخلص

من قيود عبوديته طالما ان العمل مازال مأجورا .

وقد تميزت مختلف حقب ومراحل التطور لمختلف المجتمعات الإنسانية وبالأخص منذ الثورة الصناعية بإشكال وأساليب مختلفة من العمل من حيث الشدة والمدة التي يقضيها العامل في العمل ومقدار الأجر الذي يتقاضاه في صفقة غير متكافئة مقابل قوة العمل المبذولة.

على مدى تاريخ كفاح العمال الطويل ضد عبودية رأس المال خاضوا نضالا مريراً من اجل زيادة الأجور وتحسين ظروف العمل الذي طالما تحول هذا النضال الى نضال سياسي حينما تدرك ان صراعها يتطلب تغير الطبقة السياسية الحاكمة من اجل ان تحقق مطالبها المشروعة

وقد حصلت عدة متغيرات على وصف العمل فبعد ان كان عملا يدويا وجسديا .يحتاج الى طاقة عضلية وجسمانية كبيرة اخذ هذا الشرط يتضاءل أمام شرط توفر الخبرة العملية والعلمية ودرجة التحصيل العلمي والدراسي للعامل في مختلف مستوياته حيث ان اليد العاملة الماهرة كانت شحيحة طوال الفترات السابقة وممن يسمون بذوي الياقات البيضاء الماهرين يتميزون عن العمال في الأعمال الشاقة واليدوية العادية وقد كان ذلك بداية التطور التقني في مختلف مجالات العمل الصناعي والزراعي في الدول المتقدمة.

وفي ظل التطور العلمي والتكنولوجي الآلي وزيادة التخصص والتطور في مجال الإنتاج والإدارة وتبادل المعلومات عن طريق الانترنت

أخذت العقول الماهرة والمتفوقة والمبتكرة تزيح ذوي الياقات البيض والزرقاء ليحمل أصحاب العقول من ذوي الكراسي الدوارة والحاسبات المتطورة المرتبة الأولى في الأهمية ضمن دورة حركة الإنتاج والعمل ليكون فائض القيمة هنا يقاس بدرجة العطاء والابتكار الفكري وليس اليدوي أو العضلي والجسماني وبالأخص في البلدان المتطورة والمتقدمة صناعيا في الولايات المتحدة وأوروبا الغربية وحتى في بعض دول آسيا(وقد عملت الشركات الرأسمالية على الاستفادة من العقول المنتجة في بلدان غير بلدانها لرخص خدماتها وتوفيرها في سوق العمل، ان استخدام شبكات الحاسبة البريد الالكتروني يساعد على تحويل وإدارة حسابات الشركات الكبيرة على سبيل المثال بتكاليف قليلة في البلدان النامية حيث يمكن التعاقد مع امهر المحاسبين والمتخصصين بالحاسبة بأقل من مئة دولار) (2)

حيث(يبلغ عدد العاملين في صناعة الكومبيوتر في شبه القارة الهندية اليوم "120" ألفا من خريجي جامعات مدراس ونيودلهي وبومباي ووصلت ضجة المبيعات التي حققوها لمشاريعهم في عام 1995 الى 1،2 مليار دولار علما بان ثلثي هذه المبيعات قد تحقق من خلال تصدير ما قدموه من خدمات) (3)

ان هذا المجال أدى الى تسريح مئات الآلاف من الأيدي العاملة لتحل محلها العقول العاملة (لم يعد المرء يحتاج الى شركة كبيرة ليعرض معارفه الخاصة وقدراته في جميع أنحاء العالم يحتاج المرء لذلك الا ان يكون مربوطا بالانترنت وحسب) (4)

كذلك أدت الى وفرة غير مسبوقه في الإنتاج في مختلف مجالات النشاط الحيوي الإنساني ... في الوقت نفسه أدت الى بطالة غير مسبوقه في قوة العمل وانخفاض شديد في القدرة الشرائية للأغلبية الساحقة من سكان الأرض في عصر العولمة الرأسمالية (ان الذين يقومون بلا نتاج هم ليسوا الذين يستهلكونه) ص ويضيف الكاتب الى هذا الأمر قائلاً يصف الطبقة المستهلكة في عصر العولمة الرأسمالية (وبينما كانت مساحة السلع الاستهلاكية المتوفرة للفئات الغنية جدا تتسع بشكل متجاوز للحدود تقريبا كانت حالة الانكماش تسري في مستويات استهلاك الغالبية العظمى من سكان العالم ان أفراد النخبة في الدول المدينة بما فيهم العملاء السابقون والأعيان الجدد في أوروبا الشرقية والاتحاد السوفياتي السابق هم أبطال هذه العملية وهم المستفيدون منها)) (5)

ومثالنا الطبقة السياسية الجديدة الساكنة في المنطقة الخضراء وامتداداتها في مختلف مناطق العراق بعد تشطي الديكتاتورية الصدامية بعد الاحتلال ومظاهر بذخها ورفاهها غير المسبوق الى جانب فقر وبؤس للغالبية العظمى من أفراد الشعب العراقي.

كذلك أدت ضخامة المنتج للدول الصناعية المتقدمة وتدني الأسعار والمهارة والشيطنة في تسويق المنتجات عن طريق تصنيع المستهلك من قبل الشركات متعددة الجنسيات ليسقط مختارا في مراثونها الدائم سعيا الى نوعية وكمية متجددة باستمرار ما ان تمسك بها حتى تتراءى لعينك وعلى مبعده منك ما هو أجمل وأحسن وأفضل منها وهكذا بالأخص وقد فاقت

قيمتها الرمزية قيمتها الاستعمالية وخصوصا في ظل سيادة ثقافة الاستهلاك للطبقة بالغة الثراء والغنى من جموع الرأسماليين والبرجوازيين والسلاطين والحكام وحاشيتهم في عموم العالم الرأسمالي.

ففي ظل العولمة الرأسمالية التي نصبت البنك الدولي ومنظمة الكات والتجارة العالمية قاضيا وشرطيا وموجهها لإلزام الدول كي تفتح أسواقها، لتدخل قواها العاملة ومنتجاتها في منافسة غير متكافئة بالمرّة لامن حيث النوع ولا الكم مع منتجات الدول المتقدمة. وهذا الأمر أدى الى دمار شامل لقوى العمل وإغلاق اغلب المعامل والمصانع للانهيّار والإغلاق التام في اغلب هذه البلدان لتحول برجوازيّتها ((الوطنية)) الى سماسة للشركات الرأسمالية الكبرى لتبلغ درجات غير مسبوقه من حيث الثراء والسطوة والجاه لتكون قائده للتردي والتخلف والتبعية لبلدانها بدل ان تكون رائده التقدم والتحرر والرفاهية والتقدم الصناعي والزراعي كما هو وصفها في بلدان العالم الرأسمالي المتقدم. (منذ بداية الثمانينات أدت برامج ((الاستقرار الاقتصادي الكلي)) وبرامج "التكيف الكلي" التي فرضها صندوق النقد الدولي والبنك الدولي على البلدان النامية كشرط لإعادة التفاوض بشأن الدين الخارجي" الى رمي مئات الملايين من الأشخاص في مستنقع الفقر، لقد انهارت القدرة الشرائية الداخلية وعم الجوع وأغلقت المستشفيات وعادت للظهور أمراض معدية مثل التدرن الرئوي والملاريا والهيضة، وأغلقت المدارس، زيادة عملية لتدمير وتخریب البيئة كما تسببت في طرد وتشريد عدة ملايين من الأشخاص من أماكنهم بصورة إجبارية)) (6) و ل

(تقوم الدولة بتنظيم أسعار المشتقات النفطية تحت إشراف البنك الدولي وتسهم الزيادات المتعددة في أسعار الوقود والخدمات العامة بصورة مؤكدة في زعزعة الإنتاج المحلي ، بحيث ان سعر البنزين المرتفع ينعكس في هيكل الصناعة والزراعة الوطنيين وان تكاليف الإنتاج تكون أعلى على الدوام من سعر البيع المحلية للبضاعة مما يؤدي الى إفلاس القسم الأكبر من صغار المنتجين وموسطيهم)) (7)

ويكاد ان يكون بلدنا بعد الاحتلال الامريكي مثالا ونموذجا واضحا للأثر السيئ لإجراء مثل هذه التعديلات السعرية على المحروقات فقد ارتفعت أسعارها بشكل جنوني بحيث ارتفع سعر قنينة الغاز من 250 ديناراً زمن الديكتاتورية الى اكثر من خمسة وعشرون ألف دينار في عصر العولمة ((الديمقراطية)) أي بأكثر من مئة ضعف رغم كون العراق يطفو على بحيرة من النفط الذي لا يكلف استخراج البرميل الواحد منه اكثر من دولار واحد وكيف أدى الأمر الى تدهور الوضع المعاشي والصحي والتفكك الاجتماعي والتدهور الصناعي والزراعي في عراق اليوم.

وبالأخص بعد ان سلبت من هذه البلدان صفة الحديقة الخلفية للدول الصناعية كونها من البلدان المتميزة بالزراعة ووفرة الثروة الحيوانية حيث تحولت من دول مصدرة للحبوب والفواكه واللحوم الى مستوردة لها من بلدان العالم الصناعي وبذلك أطبق عالم الشمال بآنيابه تماما على عالم الجنوب. وهاهو عراقنا يستورد الخيار من الكويت والبرتقال من

**البرازيل والرز من الفيتنام والرقبي من إيران
ونحن بلاد النهرين وارض السواد!!!**

**وان كانت الامبريالية هي أعلى مراحل
الرأسمالية كما وصفها لينين فان العولمة
الرأسمالية المتوحشة يمكن وصفها بأنها أعلى
مراحل الامبريالية وبداية لتفسخها، وان ماجرى
في أفغانستان والعراق وغيره من بلدان العالم
لخير دليل على ما نقول لتتفاقم الأزمات بشكل
لا يطاق خصوصا (إذا سارت الأمور على منوالها
الراهن حيثما يشير المؤلفان ((شومان)) انه في
القرن القادم (القرن الحالي) سيكون هناك 20%
من السكان الذين يمكنهم العمل والحصول على
الدخل والعيش في الرغد والسلام اما بالنسبة
الباقية (80%) فتمثل السكان الفائضين عن
الحاجة الذين لن يمكنهم العيش الا من خلال
الاحسان والتبرعات وأعمال الخير(8)**

**فهل بعد كل هذا الوصف المركز الذي تحتاج كل
فقرة منه المزيد من التحليل والتفصيل نقول
وفي ظل كل هذه المعطيات فهل سيبقى
السؤال والسعي المثابر للبشرية لتجاوز العولمة
الرأسمالية المتوحشة قبل ان تحل بهم
وكوكبهم كارثة الدمار والخراب الشامل؟؟؟؟**

**في ظل التطور العلمي والتقني الهائل هل
يمكن ان نعتبر ان دور الطبقة العاملة قد ذهب
مع العمل اليدوي والجسدي الصرف ام ان
الوصف الجديد للقوة العاملة يعطيها مزيدا من
القوة تجعل منها تتحكم في عملية الإنتاج
العالمي؟؟؟**

**أنَّ ماركس وانجلس وغيرهم من منظري
ومفكري الاشتراكية لم يتطرقوا الى نوع وشكل**

العمل وهل ان نوع العمل يحدد الهوية التطبيقية للعامل بل ان هناك أصحاب رؤوس الأموال والإجراء اللذين تستنزف قواهم الجسدية والعقلية كليهما او أحدهما لتحصل على اكبر قدر من فائض القيمة والربح(ان الحقائق الموضوعية التي كانت سائدة أيام كارل ماركس تعود لتظهر من جديد انه الصراع بين العامل ورأس المال إنما يشكل اكثر غموضا فالعولمة تزيد الغموض لان الحركة العمالية لم تتأقلم بعد هذا الواقع المستجد، فهي مازالت تتلازم مع الدولة القومية ولم تستطع تنظيم كادراتها العمالية مع حركة العولمة المستجدة)) (9)

نرى ان ضرورة استمرار العملية الإنتاجية تتطلب المزيد من العقول المنتجة العاملة والتي لايقدر مجهودها الذهني بثمن حيث تولد هذه العقول بيضاً من ذهب يذهب الى سلال أصحاب رأس المال والشركات الاحتكارية وفي مقدمة هذا الإنتاج هي براءة' الاختراع والتطوير... بالاضافة الى جيش العمل في مجال العمل الخدمي في المصحات والمستشفيات ودور الرعاية والبلدية وفلل ودور وقصور الأثرياء ودور العلم والمطاعم والمقاهي والمتنزهات... الخ(المجتمع مابعد الصناعي هو مجتمع خدمات قطاع الخدمات توسع كما لايفعل غيره، بسوقه المالية وتحويل المعلومات والسياحة على رأس قائمة النمو في الولايات المتحدة هي السباقة في فرع الخدمات 72% من مجموع المشتغلين بينما تبلغ نسبتهم في العامل 64% .بدأت التجارة بالخدمات تزدهر حديثا كفرع تصدير ايضا من حسابات التامين مرورا بتنظيف المباني وحتى الجنس بالتلفون، ترسل أغلبية الأسرة للمستشفيات

الألمانية لغسلها في بولونيا، بولونيات يقطفن
الخيار في اودبروخ في موسم الجني لقاء
خمسة ماركات في الساعة) (10)

كل هذا يزيد من كابوس الاغتراب والاستلاب
الذي يهيمن على قوى العمل وإحساسها
بالضياع والسحق والتهميش وهنا نورد الأرقام
والإحصائيات والأقوال التالية لنرى بوضوح اكبر
وضع العمل والعمال وحال عالمنا الآن

*-الولايات المتحدة الأمريكية تعاني من أعلى
نسب المديونية العامة حتى وان كانت مديونية
داخلية فقد قفزت مديونية الدولة الفدرالية من
35 بالمائة الى 70% من الدخل القومي في
اقل من عشرين سنة وتبدو الدول المتقدمة
الأخرى في وضع أسوأ فالديون في
ايطاليا يشكل 124% من مجمل الانتاج القومي
وتعاني بلجيكا من دين عام أصبح يمثل 132%
من إنتاجها الأم وإما السويد فان دينها العام
أصبح يشكل نسبة 100% من إنتاجها الوطني
وحتى ألمانيا الدولة المحافظة أصبح دينها العام
يساوي 60% من إنتاجها القومي(11)

*-50 ألف من النساء والأولاد ينقلون سنويا الى
الولايات المتحدة لإجبارهم على العمل في
الدعارة او كخدم، تقرير وكالة الاستخبارات
الأمريكية سي أي أي (12)

*-1،2 مليون طفل يباعون كل عام مقابل
عشرة مليارات دولارا)... (ليست تجارة النساء
عابرة الحدود وعابرة القارات ظاهرة جديدة في
السوق العالمي الا ان العولمة بعثت فيها
الحركة...تشجع الحكومات السياحة كمصدر

للعملات الصعبة فإنها تضع في حسابها المدعارة
ضمنها في العادة)(13).

*-500 ألف امرأة وفتاة يجري تهريبهن الى
أوروبا كل عام من مختلف أنحاء العالم وخاصة
من دول الاتحاد السوفياتي السابق.

*-49 دولار يصل سعر المرأة في بداية سلسلة
الاتجار في إحدى المدن الرومانية.

*-200 ألف طفل كل عام يصدرن الى أوروبا
لبيعهم في سوق النخاسة للقيام بالإعمال
المنزلية)(14).

*-11 مليون طفل يموتون كل سنة لأسباب
تتعلق بالتغذية والنظافة الصحية المتردية.

*-4 ملايين مصاب بالايذز في الهند لوحدها.

20 مليار دولار ثروة العاهل السعودي.

*- 11 مليار ثروة سلطان بروناي حسن

كان صدام حسين يحتل المرتبة الثالثة في
العالم من حيث الثراء

متوسط الدخل بالدولار الامريكى للفرد في
مختلف دول العالم كالآتي:-

29918 في النرويج.

825 دولار في الكونغو.

360• دولار لأكثر من 30% من الشعب
العراقي حيث يحتل العراق مابعد الأخير في
مستوى الدخل تأتي من بعده كوريا الشمالية.

متوسط الأعمار في العالم تتراوح من 81 عاما في اليابان الى 24 عاما في زيمبابوي.

10% من الأغنياء في الولايات المتحدة الأمريكية تحصل على 43% مما يحصل عليه مجمل فقراء العالم (15).

815- مليون إنسان يعانون من سوء التغذية ينتمي 777 مليون إنسان من هؤلاء الى الدول النامية في جنوب الكرة الأرضية .

27 مليون منهم يعيش في أوروبا الشرقية.

11 مليون في الدول الصناعية المتقدمة .

113 مليون طفل في عمر المدرسة بقوا خارجها 47% منهم في البلدان النامية.

40% من الأميين في العالم هم في الدول العربية 92 إحصائيات الأمم المتحدة عام 2002:

15 إلف حالة واد للبنات في الهند عام 2001.

ان صاحب معمل نايكي الامريكى دفع منحة ترفيع للاعب كرة السلة الامريكى ميشال جوردن اكثر مما يكسبه كل القوى العاملة في صناعة الأحذية في اندنوسيا الذي هم 25 ألف عامل يصنعون أحذية نايكي واديداس وغيرها من العلامات الأخرى المشهورة. (16)

1% من كبار الاغنياء يملكون 31 % من مساحة الأملاك في أمريكا وتقدر الثروة النقدية لهذه الفئة أي الواحد بالمائة بمبلغ 5,7 مليار دولار مقابل 4,8 مليار دولار يملكها 90% من الطبقة الفقيرة.

48% من العمال الفرنسيين عاطلين عن العمل.

70% من العمال البلجيكيين عاطلين عن العمل.

500000 طن من الملابس القديمة في ألمانيا يصدر النصف منها تقريبا الى إفريقيا ووربا الشرقية كبضاعة مستعملة.

(ان تبني رأس المال العالمي او العولمة الرأس مالية المبنية على سيطرة رأس المال المهووس والتكنولوجيا غير المنظمة التي لاتحترم قيم الإنسان وضماناته ولم تأخذ بعين الاعتبار مصالح العنصر البشري الذي سيعيدنا الى نقطة الصفر والبدء من جديد في صراع أخربين العامل ورأس المال من جهة وبين الدول المتقدمة والدول المتخلفة من جهة أخرى هذا التحذير الجديد الموجه الى المسؤولين في العالم عن صياغة العولمة الجديدة(17)

(يقفن في الشمس يجرين حول المعمل في قيط الظهيرة يركضن أمام رؤسائهن تلتصق أفواههن بالبلاستر حين يتحدثن كثيرا وخلال عمل ثماني ساعات يشربن الماء مرتين فقط ويذهبن مرة واحدة الى دورة المياه-قائمة التأدية الجماعية التي وضعها مندوب لمنظمة مراقبة العمل الأمريكية في فيتنام عام 1997 بعد جولة في المعامل التي تزورها نايك في الفيتنام تذكر بطرق معسكرات الاعتقال.(18)

إنما أفرزته الثورة العلمية والتكنولوجية والاستخدام الوحشي لمصادر الطبيعة وتغيرها دون رحمة سعيًا وراء المزيد من الربح في ظل تنافس وحشي بين قوى الرأسمال العالمي

وضع كوكب الأرض على كف عفريت ومن هذه الإخطار ارتفاع حرارة الأرض نتيجة لكثافة الانبعاث الحراري ووسع ثقب الأوزون وزيادة نسبة التصحر

. ذوبان ثلوج القطبين وتهديده للعديد من المدن لابل لقارات في العالم بالاختفاء في لجة البحار والمحيطات .

ظهور العديد من الأمراض الكونية الخطيرة مثل أنفلونزا الطيور وجنون البقر والايديز.. ولنعلم ماذا يخبأ المجهول للإنسان من الأوبئة والأمراض الفتاكة التي تهدد مستقبل البشرية.

هذا بالإضافة الى خطر الأسلحة النووية والجرثومية والكيمائية والتي أصبحت في ظل التطور العلمي الهائل في متناول بعض العصابات والأشقياء والمرضى نفسيا من الساديين وتجار الحروب افرز الصراع إثناء الحرب الباردة بين المعسكرين (الاشتراكي) والرأسمالي وخطر اضمحلال المعسكر الثاني باضمحلال الاتحاد السوفياتي وتوابعه من دول أوروبا الشرقية ان تتحول اغلب الاحيان هذه الدول وهذه المجاميع البشرية للاصطفاف مع الرأسمالية العالمية ولكنها يمكن ان تكون من مكاسب وميزات العولمة الرأسمالية واحد نتائج سحرها الذي قد ينقلب على الساحر تحت ظروف معينة تتعلق بطبيعة الحراك الاجتماعي العالمي والمحلي ومدى حنكته ووعي الذات الفردية والجمعية في المجتمع الإنساني الذي يزداد اندماجا وتداخلا والتحاماً عاماً بعد عام وبشكل مدهش وغير متوقع الا من بعض عباقرة الفكر الاشتراكي وخصوصاً ماركس الذي تنتظر عودته كما يقول بدري يونس(يتضح من كل

الوقائع الرقمية... ان جميع الفروقات التطبيقية والأسباب المادية بالإضافة الى واقع صراع الحضارات وهو الشيء الجديد في صراع العالم المتقدم مع العالم الثالث أصبحت تشكل وتتجدد في صراع طبقي جديد وعلى اكثر من صعيد مع الفرق ان ليس هناك كارل ماركس لوضع اللوم عليه، من هنا... الحاجة الى عودة كارل ماركس وإذا كان هذا الاسم يزعج بعضهم فليكن محمد ماركس او احمد ماركس او أية تسمية مماثلة (19).

(أخذت العولمة التمييز بين الجنسين في سوق العمل في لمح البصر. مهن تقوم بدور الدليل للجنسين دون تغير بشكل غريب 80% من النساء يتركز في 25 من 376 مهنة تأهيل المعروضة في ألمانيا أغلبها في قطاع الخدمات.. 5,3 مليون مكان عمل مؤقت 98% من العاملين فيها من النساء (20)

في ظل هذا الواقع الموصوف بشكل موجز أنفا هل يمكن ان يسير العالم نحو الانسجام والمساواة والعدالة والأمن وهو حلم الإنسانية ام الى المزيد من التشظي والحروب والجوع والخراب والأوبئة والانتحار البيئي الذي لا يبقى ولا يذر، فمهما تعقلنت ومهما تطورت الرأسمالية لا يمكنها ان تتخلى عن طبيعتها كنظام اقتصادي و اجتماعي مبني على الربح ثم الربح ثم الربح ويأتي الإنسان الا كوسيلة من اجل زيادة وتضخم ملكية أصحاب رأس المال ونهمه الذي لا يشبع من اجل الثروة كأهم أكلة لحوم البشر كما يقول أنجلس (ان العمل ا لماجور لا يمكن ان يفسر الا على اعتباره شكلا مخففا من التهام اللحم البشري) (21)

وهنا لانرى ولانظن ان يرى كل راشد وعاقل يهتم مصيره ومصير أجياله من بعده ان يأمل بتحقيق الامن والسلام والرفاه في العالم في ظل النظام الرأسمالي وبذلك فإننا نرى ان مناهضة الرأسمالية تتسع دائما وبشكل مطرد من قبل أنصار البيئة والخضر والمنظمات النسوية والشبابية وكثير من العلماء والأدباء والفنانين بالإضافة الى الدور الفاعل للطبقة العاملة في كل العالم حيث تبقى في طليعية القوى المفعلة للحراك الاجتماعي وقائده في عصر العولمة الرأسمالية.... فقد بلغت حركة مناهضة العولمة الرأسمالية أفاقا واسعة قبل أحداث أيلول والتي أصبحت ذريعة كبرى للرأسمال العالمي في محاربة كافة القوى اليسارية والديمقراطية وتضييق حيز حريتها في التعبئة والتوعية والحشد لكشف مساوئ وجرائم وفضائح الرأسمال في كل مكان فاتت أحداث أيلول منقذا للنظام الرأسمالي العالمي والأمريكي المسلح بالخصوص لكبح جناح هذه الحركات تحت ذريعة محاربة الإرهاب وفتح الأبواب على مصراعيها أمام مسوخها من الإرهابيين والقتلة اللذين ولدهم رحمها العفن ليمثلوا صورتها الحقيقية في النهب والسلب حتى وان حملوا صفات الأبناء المتمردين لأنهم شرفاء ولكن لان أهمهم تريد ان تمنعهم وتحظر عليهم أعمال النهب والسلب والسفاح والقتل والاعتصاب الذي تمارسه أمام أنظارهم وفي عقر دارهم..

من كل هذا نخلص الى ضرورة ان يجد العالم بديلا للنظام الرأسمالي ويتجاوز سلبياته لابل جرائمه بحق الإنسان والبيئة والكوكب بأسره وقد يمتد إزاءه الى الكواكب الأخرى وقد قدمت

الرأسمالية خدمة كبيرة للإنسانية الا وهي
تهيئة المستلزمات المادية للنظام الاشتراكي
من حيث القدرة الهائلة لإنتاج الخيرات المادية
وتجاوز الحدود والقيود بين قارات العالم
والتقدم المذهل في النقل والاتصالات وشبه
الإلغاء الكامل بين العمل الفكري واليدوي وإلغاء
الفروق بين الريف والمدينة.. الخ وان أتت هذه
المكاسب معجونة بعرق ودماء الكادحين
والعلماء والفلاسفة والمفكرين طوال تاريخ
تطورها المديد والذي لا بد ان ينتهي اما بالرفاه
والأمن والازدهار او بالخراب والانتحار.

ولا نرى ان هناك غير النظام الاشتراكي
المعروف والغير الموصوف ليكون خيارا
جماهيريا حرا للإنسان لبناء حياته وسعادته وأمنه
وسلامة عالمه وبيئته على الرغم من النموذج
الفاسد" ((للاشتراكية)) السوفيتية وما يماثلها
في العالم هذا النموذج الذي رغم ((فساده))
فهو أفضل من النظام الرأسمالي القائم في
عصرنا. حيث ظهرت العديد من الأنظمة اليسارية
الاشتراكية في أمريكا اللاتينية وبعض دول أوروبا
الشرقية وفوز زعيم الحزب الشيوعي القبرصي
برئاسة الجمهورية في قبرص اليونانية وكسب
العديد من المقاعد البرلمانية في النيبال هذه
الانتصارات للقوى الاشتراكية واليسارية التي
تحمل صورة جديدة ومتجددة لماركس العصر
الجديد وليس صورة ماركس الستالينية الغابرة.
نتكلم عن الاشتراكية الخيار الحر للإنسان كذات
فاعلة ضمن جمع أنساني متضامن ومتكافل
ومنسجم وليس كحتمية تاريخية للتطور
الاجتماعي.

هل للماركسية واليسار دورٌ في الحراك القائم؟؟

نرى ان لليسار في العالم المتقدم أوفي العالم الثالث مطالب ان يكثف دراساته ويتخلص من رداء التعصب والجمود العقائدي خصوصا وإن أغلب القوى الماركسية والشيوعية واليسارية ضربت مثلا جميلا في نقد الذات وأظهرت جرأة كبيرة في تجاوز الخطوط الحمراء لشرطة الفكر وسماسة العقيدة متجاوزة تقديس النص والشخص التي ابتليت به من الموروث الديني في نصوصه وثوابته.

فارتدى رداء التحريفية والارتداد المتهرئ كأسوء وابغض تراث من الدوغما المثالية والتسلطية، ولم تدلنا التجربة البشرية ولا الواقع الحالي لحد الآن من استطاع ان يفند المقولات الأساسية لكارل ماركس المفكر والمنظر و المعلم الأول للطبقة العاملة وحلفائها وان عبقريته تجلت في كونه لا يدعي خلود وقداسة أو ثبات آراءه واستنتاجاته وقوانينه بل هي نتاج الواقع وتتغير وتتبدل وتتجدد بتجدده وتغيره وتبدله وستغتنى بما يكشفه التطور العلمي الذي كان وسيظل قادرا على إنارة العديد من كهوف الظلام المعرفي الذي لم يزل الإنسان يتخبط فيه في ظل الهيمنة الرأسمالية وقد أشار ماركس وانجلس الان العديد من فقرات البيان الشيوعي قد شاخت بعد عدة سنين من صدوره

فكيف الحال بعد مايزيد على قرن من صدوره هو غيره من مؤلفات ومقولات منظري ومفكري الاشتراكية ((يجب ان لاتكون الشيوعية دين ذو عقائد يقينية متقنة وأسفار منزلة فعندما يريد لينين ان يقيم الدليل على صحة افتراض ما فانه يفعل ذلك بالاستشهاد بنصوص ماركس وانجلز إذا أمكنه)) (22).

فالحري بقوى اليسار الماركسي والشيوعي في كل العالم ان تسعى من اجل المساواة والعدل والمحبة والتضامن والسلام بين كل شعوب الأرض عبر تفعيل وتعديل ميثاق الأمم المتحدة الذي تمت صياغته في ظروف الحرب الباردة وامتلك فيه الأقوياء حق الفيتو، الذي يجب ان يكون ممثلاً للشعوب الأرض وليس لحكامها المستبد ين ان يكون الإنسان اخو الإنسان وكلهما أبناء أهم الأرض.

تشير التقارير العامية (ان هناك واحدا من خمسة أمريكيان في الولايات المتحدة يصنف حسب معلومات دائرة الإحصاء تحت خط الفقر)) هذا الحال في أغنى بلدا الرأسمال العالمي والذي تنفق مايقارب الأربعة آلاف مليار على الحرب في العراق وافغانستان تحت ذريعة مكافحة الإرهاب فما كان أجدر بها ن تحارب الفقر والمرض والبؤس بهذه المبالغ الهائلة لينتجر الإرهاب بشكل أوتوماتيكي بعد ان تختفي أسبابه ويقتلع رحم مولدته وهو رحم الاستغلال الرأسمالي نفسه وهذا هو مأزق ومحور أزمة الرأسمالية وسبب عجزها عن حل مشاكل الإنسان وإنقاذ العالم حيث ان الرأسمال والاستغلال هو أساس المشكلة ومولد الماسي والكوارث.

فلم يعد بالإمكان السيطرة ومقاومة المخاطر الكونية التي تهدد الإنسان في شكل من أشكال الحكومة الكونية المختارة بحرية تامة من قبل كل شعوب الأرض ان أراد ابن الأرض ان يحافظ على كوكبه وان يحترم ذاته وان يتخلص من أنانيته وحيونتها وساديته ليكون بمستوى الإنسان هل يبقى الخيار التقليدي للعنف وديكتاتورية البرولتاريا هو الطريق والوسيلة التي يتكبتها اليسار في العصر الراهن لمقاومة الرأسمال المتوحش؟؟ او بصيغة أخرى هل العنف هو خيار قوى اليسار الماركسي لتغيير العالم؟؟

ان أنجلس قد أجاب عن هذا التساؤل منذ أكثر من مائتين عاما (ان سخرية التاريخ العالمي تقلب كل شيء رأسا على عقب فنحن "الثوريين" "الانقلابيين" نحرز من النجاحات بالأساليب الشرعية أكثر مما نحرز بالأساليب غير الشرعية او بانقلاب. اما الأحزاب التي تسمى نفسها بأحزاب النظام فإنها تهلك من الوضع الشرعي الذي خلقته بنفسها وواقع اليأس تزعق مع أوديلون بارو الشرعية تقتلنا. في حين إننا نحن من نكتسب في ظل هذه الشرعية عضلات مرنة وخدودا حمراء وتزهو كالحياة الأبدية وإذا ما انزلقنا نحن في لجة الحمافة الى حد ان نتجر الى نضال الشوارع لمافيه صالح هذه الأحزاب فلا يبقى لهذه الأحزاب في آخر المطاف غير أمر واحد هو ان تنتهك بنفسها هذه الشرعية)) (23)

كما ان على اليساريين والشيوعيين ان يطبقوا على مقولات رموزهم ومفكريهم مايطبقونه على نصوص ومقولات القوى الدينية والمثالية

وهم طالما ينتقدوهم لعدم الاهتمام بتاريخ المقولة او الفعل وادخلوه باب المقدس الصالح لكل زمن ومكان فحنطوا رموزهم ونصوصهم وبذلك فهم يركبون مركب المثالية واللاواقعية بوعي او بدون وعي وكما يقول خليل احمد خليل ((ان جل الذين "لادين لهم" مازالوا يسلكون دينيا على غير وعي منهم .. بل ا الإنسان الحديث الذي يعي ذاته ويزعم انه حيادي من الناحية الدينية لايزال ينصرف بأسطورية كاملة مموهة وهو يملك شعائريات منحطة كثيرة.. لقد آلت عملية سلخ صفة القداسة عن الوجود الإنساني غير مرة الى أشكال هجينة من السحر المنحط والتدين اللفظي)) 24

والواقع المشهود للكثير من اليساريين يفكرون للأسف الشديد بالعقلية نفسها وهم يتعاملون مع رموزهم ومقولات مفكريهم وكما يقول ميرسيا الياد المؤرخ العلمي للأديان ((ان الإنسان يصنع نفسه بنفسه لا يستطيع ان يصنعها الا بقدر سلخ صفة القداسة عن نفسه وعن العالم..وهو لن يغدو ذاته الا عندما يحرر ذاته من اسر الخرافة والزيف)).

يجب ان ينتج اليساريون في بلداننا فكرهم أي ان يتفكروا مجتمعاتهم وظواهر حراكها ويمتلكون أصالة في التفكير والتطير والتغيير وضرورة تمثل الفكر وليس ارتدائه والتجلبب به من حيث المظهر وليس الجوهر وإجهاد الفكر للمساهمة في وضع البديل والحلول النظرية والعملية للإشكالات الاجتماعية من خلال الاستقراء العميق للواقع وليس سحبه قسريا لكي ينسجم مع النظرية وليس العكس.

كيف دخل الأول من أيار التاريخ؟؟؟:

(عندما زار أنجلس مدينة مانشستر عام 1842 وجد 350 ألفا من العمال المستضعفين المحشورين في بيوت رطبة متهدمة قذرة يستنشقون فيها هواء يشبه مزيجا من الماء والفحم، وفي المناجم رأى نسوة نصف عاريات يعاملن معاملة أحط البهائم وكان الأطفال يمضون يومهم في أنفاق مظلمة حيث كانوا يستخدمون في إدارة وسائل التهوية البدائية وفي غيرها من المهمات العسيرة.

أما صناعة الجلد فإن استثمار اليد العاملة بلغ حدا كان فيه أطفالا في الرابعة من عمرهم يعملون دون أجر فعلي(25)

نتيجة لمثل هذه الأوضاع المأساوية التي تعيشها الطبقة العاملة الأمريكية خاضت نضالات عنيفة ومتواصلة من أجل نيل حقوقها ففي (في عام 1886 أعلن ألوف العمال في شيكاغو في الولايات المتحدة الأمريكية الإضراب العام احتجاجا على ظروف العمل القاسية التي كانوا يعانون منها، ونزلوا إلى الشارع بتظاهرات ضخمة مطالبين بتحسين شروط العمل وبيوم عمل من 8 ساعات وقد اتسع الإضراب فشمّل جميع المؤسسات الصناعية ومؤسسات النقل وعلى الفور أرسلت الحكومة الأمريكية عميلة الاحتكارات جنودها لقمع الإضراب فسفكت دماء بريئة واستشهد عدد من العمال)(26).

وقد دست الحكومة مجموعة من العملاء والجواسيس داخل المظاهرة تمكنت من إلقاء متفجرات تسببت في مقتل بعض الناس مما أعطى المبررات للسلطات باعتقال عدد من العمال ومحاكمتهم والحكم على عدد منهم بالاعدام أو السجن لسنوات طويلة. وقد اظهر القادة العمال النقابيون صلابة كبيرة وهم يواجهون الإحكام الجائرة الصادرة من قبل قوى الرأسمال حيث قال العامل ((لينغ)) " اني احتقركم واحتقر قوانينكم وسلطاتكم المبنية على القوة فاشنقوني من اجل هذا) (27)

وقال العامل (انجل)) ((هل بإمكان احترام حكومة تمنح حفا لطبقة ممتازة وتمنعه عن الطبقة العاملة ؟ ليس بوسعي احترام حكومة من هذا النوع)) (28)

وقد قال العامل شواي ((أنا اعلم ان هدفنا لن يدرك هذه السنة ولا السنة القادمة ولكن سيدرك في يوم من الأيام)) (29)

أعيدت محاكمة العمال بعد سنتين من صدور الإحكام بعد ان اعترف احد الجواسيس بما قام به مدفوعا من سلطة الرأسمال بعد ان لم يتمكن من الصمود أمام تأنيب الضمير تم تبرئة العمال ومن الملفت ان هذا التأنيب الذي لم نجد له مثيلا في ضمائر ووجدان الأقطار العربية ووجدان جواسيس الدكتاتورية في العراق جزاء ما اقترفوه من أعمال القهر والتعذيب وافتعال الأحداث وتلفيق التهم وشهادة الزور ضد قوى التحرر السلام في العراق .

وقد جرت الاحتفالات بالاول من أيار عام 1889 في ألمانيا والإمبراطورية الهنغارية وفرنسا وإيطاليا وبلجيكا والسويد وأقطار أخرى وكان من أبرز شعارات هذا الاحتفال ياعمال العالم اتحدوا(30).

(وفي المؤتمر والاممي بباريس تقرر القيام بمظاهرة امميمة كبرى في يوم معين يبقى ثابتا كل سنة ليتسنى للشغيلة في كل الأقطار والمدن مطالبة السلطات الاجتماعية بتحديد يوم العمل بثمانى ساعات)(31)

وبعد ذلك ، اخذ العمال في العالم الاحتفال بيوم الأول من أيار كل حسب ظروفه من يحتفل بالسر ومن يحتفل بالعلن وقد اعتمد الأول من أيار عيدا للعمال في اكثر دول العالم في الوقت الحاضر ومنها العراق.

وصف مختصر لوضع الطبقة العاملة البريطانية في بداية النهضة الصناعية:-

نظرا لتطور صناعة الغزل والنسيج في بريطانيا والحاجة الماسة للأصواف التي أصبحت تدر ربحا وفيرا على أصحاب الأراضي إضعاف ما يحصلون عليه من الإنتاج الزراعي فعمدوا الى تحويل أراضيهم الى مراعي واسعة وطرد الفلاحين الفقراء من الأرض (تم طرد 15000 نسمة بضممتها 300 عائلة فلاحيه وتم تدمير وحرق جميع قراهم وتحويل جميع حقولهم الى مراعي ، وأرسل الجنود الانجليز للتنكيل بهم فبلغ الأمر بهم حد خوض معارك

حقيقية ضد السكان المحليين وقد احرقوا
عجوزا في كوخها بالذات لأنها رفضت مغادرته)
(32)

((ولم يستطع أولئك الذي انتزعوا فجأة من
نمط حياتهم الأليف ان يتعودوا بنفس هذه
المفاجأة على ضبط وضعهم الجديد فصاروا
بالجملة فقراء وقطاع طرق متشردين اما بدافع
الميل وإما في معظم الحالات تحت ضغط
الظروف ولهذا أصدرت في أواخر القرن
الخامس عشر في سباق القرن السادس عشر
كله جميع بلدان أوروبا الغربية قوانين دموية ضد
التشرد .ان آباء الطبقة العاملة الحالية قد
تعرضوا قبل غيرهم للعقاب لأنهم حولوا الى
متشردين وفقراء وكان القانون يعتبرهم
مجرمين ((متطوعين)) انطلاقا من الفرضية
الزاعمة ان كان بوسعهم -إذا مارغبوا- ان
يواصلوا العمل في ظل الظروف التي زالت من
الوجود) (33) (بموجب مرسوم هنري الثامن
الصادر في 1530 يحصل المتسولون والشيوخ
والعجزة إذنا بالشحاذة ، اما المتشردون الذين
لايزالون قادرين على العمل فقد تقرر لأجلهم
عكس الأولين الجلد والسجن وكان يجري ربطهم
الى عربة وجلدهم الى ان يسيل الدم على
أجسادهم سيلا متواصلا وبعد ذلك ينبغي اخذ
يمين منهم بالعودة الى مسقط رأسهم وفي
حالة العودة الى التشرد كان يتكرر الجلد وتقطع
نصف الإذن اما إذا ضبط المتشرد للمرة الثالثة
فكان يعاقب بالإعدام بوصفه مجرما خطيرا
وعدوا للمجتمع)(34)

يقول توماس مور(من عداد هؤلاء المتشردين
الذين أرغموا حقا وفعلا كما قال توماس مور

-على احتراف السرقة اعدم في عهد هنري الثامن 72000 شخص وفي زمن ايزالبت كانوا يشنقون المتشردين صفوفًا كاملة ولم تكن تمضي سنة دون ان يشنق في هذا المكان او ذاك 300 او 400 شخص) (35)

ان قيمة ما يحصل عليه العامل من قيمة غذائية خالصة لا تحقق غير 515 سعره حرارية علما بان العامل في الاعمال الشاقة كالحفر والبناء يحتاج يوميا الى 4500 سعره حرارية كحد أدنى) ص 69 العامل العادي يحتاج الى 300 سعره حرارية على ان يحتوي هذه الكمية على مائة غرام بروتين ثلثها على الأقل بروتين حيواني ومائة غرام من الدهن هذا بخلاف الفيتامينات والأملاح والمعادن المطلوبة والمعادن المطلوبة لحياة الجسم وبناءه) (36). فما بالك ان اكثر من 30 % من أبناء الشعب العراقي يعيشون على اقل من دولار يوميا كما ذكر ذلك النائب الدكتور مهدي الحافظ وزير التخطيط السابق في حين يبلغ ما يتقاضاه السيد النائب ومن هو أعلى وأدنى منه من النواب والوزراء ومن لف لفهم ما يزيد على ألف دولار باليوم الواحد علما ان كيلوا اللحم يساوي ما يعادل ما يزيد على ستة دولارات فتصور ما يمكن ان يأكله ال 30% من أبناء العراق وهم يطوفون على بحيرة من النفط الذي تجاوز سعره المائة دولار.

ومن الجدير بالذكر ونحن نتكلم عن الطبقة العاملة التي لم تتسلم مقاليد السلطة السياسية طوال تاريخ كفاحها ضد قوى الراسمال في بلدانها وفي عموم العالم باستثناء فترة محدودة أيام كومونة باريس، اما عدا ذلك فقد كانت ولا زالت أنظمة الحكم التي تدعي تمثيل

الطبقة العاملة إنما حكمت وتحكم بالنيابة او بالوصاية عن العمال وهذا هو احد أسباب فشل وتعثر اكثر التجارب ((الاشتراكية)) في العالم وفي كل بلد من بلدانه، ولسنا بصدد التفصيل في هذا الأمر.

ولانظن إنا نقول جديدا او غير معروف بعد ان أشار العديد من قادة هذه التجارب ومن أبرزهم لينين الى هذه الحقيقة ولكن تضافر جهود العديد من العوامل الذاتية والموضوعية منها شراسة الصراع في الداخل والخارج ضد بلدان المعسكر ((الاشتراكي)) حالت دون تصحيح المسار وتهيئة الظروف كي تمارس الطبقة العاملة دورها القيادي المفترض للدولة الاشتراكية لتكون طبقة واعية لذاتها كما هو حال الطبقة البرجوازية في بلدان الرأسمالية في العالم حيث تقود كطبقة واحدة موحدة حينما تواجهها مخاطر أعداءها الطبقيين العمال الواعين، مما اكسبها الكثير من عوامل القوة والتجدد والاستمرار في الحكم رغم كل تناقضاتها، ولكنها بالتأكيد لم تكن مكتوفة الأيدي لتقاد الى قبرها (المعد)) سلفا بحتمية تخديرية غالبا مايتكأ عليها المتكاسلين والمترددين البائسين واهمين ان الحتمية التاريخية ستوصلهم الى جنتهم الموعودة،

**الطبقة العاملة العراقية-نموذجاً للطبقة العاملة
في
بلدان العالم((الثالث))
الطبقة العاملة العراقية نموذجاً**

النشأة والتطور

ان الكثير من الوثائق والمؤرخين عراقيين
وأجانب تشير الى حداثة الطبقة العاملة
العراقية حيث لم تكن في مطلع القرن
العشرين غير مجموعة من الحرفيين في
مشاغل مانيفكتورة لاتتعدى العديد من أنوال
الحياكة اليدوية وبالأخص في بغداد والموصل

تهتم في صناعة الخيام وبعض العباات للرجال والنساء من الصوف او الوبر بالإضافة الى صناعة الأحذية ودباغة الجلود وبعض الصناعات الحرفية كالصياغة وحاداة أدوات الزراعة والنجارة والتي غالباً ما يكون رب العمل ((الاسطه)) يزاول العمل بنفسه بالإضافة الى عمال ((الكور)) لصناعة الطابوق لإغراض البناء بأساليب بدائية بسيطة (ان الحركة العمالية في العراق البلد المستقل متخلفة عن بقية الأقطار العربية لمجاورة التي تعاني من الظلم والاستغلال الاستعماري) وان نسبة العمال قليلة جدا قياسا للدول المجاورة بالقياس الى عدد السكان(37)

البلد	النفوس عام 30-1931 عدد العمال النسبة
العراق	285 و 000 و 65-55000
3 ألف	2-2,4 %
سوريا	831 و 000 و 250
2 ألف	9%
فلسطين	035 و 0 و 000 و 90000
1 عامل	9%

تعرضت هذه الصناعات والأعمال الى الكساد والتدمير بسبب ما مر به العراق وحواضره وخصوصا بغداد والموصل ولبصرة بعد سقوط الخلافة العباسية وتوالي السيطرة على بغداد من قبل قوى ودول وأقوام بربرية متخلفة ومنها آل عثمان وسيطرتهم التي دامت لمدة طويلة الى حين موت هذه الإمبراطورية المريضة وانتقال العراق لسيطرة الإمبراطورية البريطانية رائدة الاستعمار الجديد سنذكر الكوارث والماسي التي تعرض لها العراق وحواضره وأريافه من الخراب والقتل والأمراض الفتاكة وموجات الفيضانات المدمرة لدجلة والفرات واقتتال الإخوة فيما بينهم وغزوات البدو على أطراف المدن وما تعرض له من السلب والنهب والتخريب (فمثلا في عام 1831 انتشر في بغداد وباء رهيب كان يقضي في ذروته وحسب شهود عيان على اكثر من ألف شخص يوميا ولم تكاد الأمور تهدأ بعد هذا الخراب حتى يفجر دجلة ضفتيه واغرق المدينة وهدم حوالي ثلثي بيوتها ودفن تحت الأنقاض 15000 ألف شخص في ليلة واحدة ونتيجة لهذه المحنة المركبة تناقص سكان بغداد في أربعة أشهر قصيرة من حوالي 80000 الى 27000 نسمة وكان هذا يعني من الناحية الاقتصادية انخفاضا حادا في عدد المستهلكين وفي قدرة السوق المحلية على الاستيعاب ولكن الأهم هو اختفاء حرف عديدة الى (38)

ولكن بعد عدة سنوات أخذت تدب تدريجيا الحياة في العمل نظرا لمتطلبات قوى الرأسمال العالمي الاستعماري وخصوصا الانكليزي لحاجتها الى مشاريع نقل وقلاع تمركز ومورد الغذاء وأيدي عمل رخيصة لخدمة مخططاتها

فكانت من أولى هذه الطلائع العمالية في مجال سكك الحديد وخصوصاً سكك حديد بغداد برلين ،ومن ثم بدأت أعمال التنقيب والبحث واستخراج البترول ونهزم هذه الشركات الاحتكارية من مختلف الجنسيات وخصوصاً البريطانية لاستغلال الثروة البترولية الهائلة **في العراق** مما جعل هاتين المجالين السكك الحديد ((النقل)) واستخراج واستثمار البترول الموقع الأول في حركة العمل في العراق وازدياد أعداد العمال الماهرين وغير الماهرين وهنا يشير الجدول التالي الذي يبين عدد العمال الذين يتمركزون في عدد المشاريع الهامة سنة 1929-1930(39)

المشاريع عدد العمال

1- السكك الحديدية
6000 عامل

2- ميناء البصرة
800- عامل

3- شركة نفط العراق
2400 عامل

4- شـ _____ ركة نف _____ ط
 خانقين
 عامل
 1100

5- جمعية تنمية القطر _____ ن
 الانكليزية
 150 عامل

6- معم _____ ل
 نسيج
 عامل
 100

وهذا التطور رافقه ايضا تطور في مشاريع البناء وشق الطرق ودور الترفيه لأصحاب المال والجاه وخصوصا من أصحاب رؤوس الأموال وأرباب الشركات الاحتكارية والإقطاعيين والتجار وسماسرته في الداخل ومن كل هذا يخلص المتبع للوضع المزري للطبقة العاملة من حيث قلة عددها وقلة أجورها وظروفها المعاشية الصعبة فقد بلغ اجر العامل خمسة قروش قبل الحرب العالمية الأولى.... ولم تكن هناك حدود ليوم العمل المضمني سوى شروق الشمس وغروبها في اغلب الأحوال... ولا أية قاعدة ثانية لتحديد الاجور سوى المنافسة الحرة التي تدفع بالعمال دوما الى حضيض الفاقة والبؤس(40).

وكما يذكر كوبرمان في دراسته ((ينهض العامل كالطير ويطير من عشه كي يحصل على رغيف الخبز الممزوج بالرماد وهو ملزم بانجاز عمله تحت أشعة الشمس المحرقة حتى الغروب ويستلم عن يوم العمل هذا غير الأجر الزهيد (البالغ 33 فلسا)) (40) وعن وصف الطبقة

العاملية العراقية ونشأتها يقول ماجد لفته العبيدي في دراسته ((لقد نشأة الطبقة العاملة العراقية بشكل فوقي مشوه كتعبير عن حاجة الرأسمالية البريطانية من مجتمع زراعي ثم احتلاله على خلفية سقوط الإمبراطورية العثمانية وكانت تسوده العلاقات الأبوية القبلية على صعيد الريف فيما تسود المدينة علاقات ما قبل الرأسمالية حيث الإنتاج اليدوي الحرفي)) مقال بعنوان الطبقة العاملة العراقية بين تعقيدات الماضي وإشكاليات المستقبل في 1- (2006-5)

وها هو التاريخ يعيد نفسه ولكن بأكثر قتامة وقسوة وهمجية حيث يأتي الاحتلال الأمريكي البريطاني المشترك هذه المرة ليحل محل ديكتاتورية غاشمة سبق وان أتت بقطار أمريكي اسود في 63 و1968 وما هو ادهي ان الولايات المتحدة أعادت العراق الى ما قبل 1920 من حيث تدمير بنائه التحتية الاقتصادية والثقافية والاجتماعية لا احد يستطيع ان يخمن كم هو عدد سكان بغداد سيكون بعد ان تتخلص من الاحتلال وقوى الإرهاب وكابوس الاقتتال الطائفي وفقدان الخدمات والإمراض الفتاكة...و...و.

من الأرقام التالية يستطيع ان نرى الشبه بين الماضي الاستعماري المنذر والاستعمار الأمريكي الحاضر من خلال مقارنة أعداد الموظفين والشرطة في مؤسسات الدولة مقارنة بعدد أفراد الشرطة بعدد العمال

السنة	عدد أفراد الشرطة	عدد
الموظفين	النفوس	العمال
1931	3143	4,564
1958	20031	6 مليون
1927	1639	
1957	3872	
1920	عدد الشرطة 2470	
1958	عدد الشرطة 23383	

ومن ذلك نستطيع ان نستنتج مدى اهتمام المحتلين والسلطات التابعة لهم بقوة القمع في الوقت الذي يزداد عدد الشرطة حوالي عشرون ألفا لايزداد عدد الموظفين والعمال اكثر من ألفين او أدنى من ذلك وقد كان معدل الأجور كما يذكر حنا بطاطو ج 1 ص 166 ((معدل الأجور 75 فلسا عام 1926 56 فلسا في 1930 و 50 فلسا 1935 و 1937)) وربما يترحم العمال على الوصف الماضي رغم مأساويته وتخلفه لان عمال العراق الآن يرزحون تحت ليل البطالة وخراب منشاتها ومعاملها الصناعية.

لقد تطورت الطبقة العاملة العراقية عدديا ونوعيا وخصوصا بعد الرابع عشر من تموز وماتلاها نتيجة لإنشاء العديد من المصنع والمعامل والمنشأة الزراعية وبدا حركة عمرانية كبيرة بالإضافة الى ازدياد عدد نفوس العراق من حوالي ستة ملايين عام 1958 الى اكثر من 52 مليون إنسان في الوقت الحاضر ويقدر عدد العمال بما يقرب السبعة ملايين فرد .

(خلافا لكل المتنبئين بتحول الطبقة العاملة الى جمهور هلامي مفتون بالاستهلاك ، يدرك المحافظون ان الطبقة العاملة تبقى في نظرهم ، مصدرا محتملا للخطر الدائم وان المعركة في سبيل كسب هذه الطبقة عقلا وقلبا، معركة شاقة وضرورية دائما) (41)

كل هذا يجعلنا نؤمن إيمانا كاملا ان الطبقة العاملة مازالت تحتل دور القطب الفاعل في عملية الحراك الاجتماعي في عصر العولمة الرأسمالية وما والاعتصامات التي قام بها عمال نفط الجنوب والعمال العاطلين وعمال الكهرباء وغيره الا مثلا بسيطا على ذلك وليس بعيدا عنا اعتصام وتظاهرات عمال المحلة الكبرى في مصر.

وهذا مما يعطي لقوى اليسار دعما كبيرا وقاعدة اجتماعية فاعلة إذا استطاعت ان تتلمس الأساليب والطرق الأكثر فعالية في كسب ود العمال وثقتهم وإيمانهم بقضيتهم دون هيمنة او وصاية، وقبل كل ذلك هناك إمكانية لبناء نقابات واتحادات عمالية قوية وفاعلة.

بدايات العمل النقابي لعمال العراق

ماهي النقابات؟

(النقابات هي منظمات موحدة كبقية المنظمات تحتم استيعاب كل أبناء الطبقة ففي وعائها ولا تستثني أية فئة او جماعة عمالية من إطارها بسبب التباين الفكري والسياسي او الانتساب القومي وهي مطالبة بان تدافع عن كل العمال وتحضنهم وتوحد صفوفهم وتذود عن مصالحهم،... والحركة النقابية حركة ذات طبيعة ديمقراطية، تقدمية تكافح ضد الاستغلال الرأسمالي وضد القوانين والأنظمة الجائرة وضد سياسة الإرهاب وأساليب البيروقراطية)(42)

(أول تجربة لان ينظم العمال أنفسهم كان في نهاية 1924 من قبل جماعة من عمال السكك الحديدية والذي يشكلون اكبر مجموعة من حيث التركيز (اكثر من 800 عامل عام 1924) حيث طلب عدد منهم من الحكومة إجازة فتح نادي لعمال السكك الحديدية (43)

في (1928-1929) تبدل الوضع السياسي وان عاصفة ثورية عمت البلاد بأجمعها وخاصة تلك الفترة بالذات من نهاية عام 1928 وبداية عام 1929 تكونت جمعية حرفي العراق (الاتحاد التعاوني للحلاقين)) و(اتحاد عمال الطباعة) يضم عمال للصحف والمطابع الحكومية وفي السنة التالية تشكل (اتحاد عمال الميكانيكا) واتحاد

السواق وجمعية بائعي المخضرات وقد كانت منظمة الحرفيين ابرز تلك المنظمات في النضال من اجل حقوق أعضائها وتحسين أوضاعهم تلك المنظمة التي منع نشاطها من قبل الحكومة مرتين) (44)

وفي ظل ازدياد عدد العمال في مؤسسات النقل وبعض الصناعات الاستهلاكية مثل صناعة التبوغ والغزول والنسيج والجلود وبقية الصناعات الأخرى، ماتعرض له العمال العراقيون من شتى أنواع الاستغلال والاضطهاد على أيدي أصحاب رؤوس الأموال من وطنيين او أجانب وعدم الاستجابة لأبسط مطالبهم بالإضافة الى فتح نافذة الاطلاع على العالم المتحضر والمتقدم في الشرق والغرب الرأسمالي ودور بعض المتنورين ومناصري حقوق العمال في العراق.

مما بلور لدى إعداد متزايدة من العمال ضرورة قيام تنظيم نقابي مهني يهتم بأوضاعهم وينظم صفوفهم في سبيل تحقيق مطالبهم وقد كانت الريادة في هذا المجال لعمال السكك الحديد بقيادة محمد صالح القزاز.

في 21-8-1934 تهيأ العمال لعقد مؤتمر عمال عموم القطر لانتخاب هيئة جديدة ووضع منهاج جديد.

في 27-8-1934 استلم القزاز سماحا بفتح لاتحاد الممنوع.

في 8-9-1934 اعتقل القزاز مع جماعة من الشباب الثوري بحجة أنهم نظموا خططا ضد الملك.

ومن المعلوم ان السلطات الحاكمة كانت تستشيط غضبا لأي نشاط عمالي منظم للمطالبة بحقوقهم في الأجر والرعاية الصحية والسكن اللائقان النضال النقابي هو في نفس الوقت نضالاً من اجل الديمقراطية ومحاربة الاستبداد ومنفذه ووسائله(ان الديمقراطية النقابية ترتبط ارتباطا عضويا بالديمقراطية العامة وتؤثر الواحدة بالأخرى تأثيرا مباشرا لذلك كان من أول واجبات الحركة النقابية النضال في سبيل ترسيخ وتوسيع مظاهر الديمقراطية العامة لأنه لايمكن ان تديم وجودها وتستمر بعملها في ظروف انحسار الديمقراطية)(45) .

ولكن غالبا ما تؤثر بعض العناصر الطارئة والانتهازية الموظفة من قبل السلطات الديكتاتورية وأصحاب رؤوس الأموال من القوى المستغلة اي حرف النقابات والاتحادات عن مسارها المهني والوطني وزجها في قضايا وفعاليات لاتخدم الطبقة العاملة بل تجر الى المزيد من البلادة او التطرف اليساري او اليميني على حد سواء(ففي الوقت الذي تفتقد الحركة النقابية عنصر الوعي، اويضعف دوره في توجيه أمورها فان هذه الوافدات تجد في هذه الحركة بيئة ملائمة لتفريخ كل مظاهرها السلبية وأثامها، حيث تسيرها بالطريق الذي تريده هي، اليمين او اليسار اوتبعدها عن جماهير الطبقة العاملة فتحيلها الى هيكل الى هيكل هزيل عديم القدرة والتأثير في حين تشتد المشاكل وتتعدد ظروف العمل والحياة العامة)(46)

وكذلك من الضروري والهام جدا عدم إخضاع النقابة لأي اتجاه سياسي او تنظيم غير تنظيمها المهني بحيث تكون قادرة على اتخاذ القرار المستقل وبما ينسجم معم صالح الطبقة او الفئة الاجتماعية التي تمثلها النقابة او الاتحاد مما يخضع قراراتها الى توجهات الحزب السياسي الذي صنع النقابة سواء داخل السلطة السياسية كما جرى مع البعث في العراق او خارج السلطة (ان النقابة ليست حزبا، ولا جماعة فكرية فلا يصح إخضاعها لاتجاه سياسي معين ولا إلزامها بتنظيم غير تنظيمها لان هذا الأسلوب من الممارسة النقابية يسحب الخلافات السياسية والفكرية من صعيد السياسة الى صعيد الحركة النقابية فتعرض وحدتها وتسبب الأضرار للطبقة العاملة والحركة الوطنية نفسها)(47)

وهذا ما تعيشه الطبقة العاملة العراقية بعد تشطي الدكتاتورية في العراق حيث تم توزيع المناصب القيادية للاتحاد حسب المحاصصة الطائفية والعرقية كانعكاس عن نظام المحاصصة في الحكم او تشكلت اتحادات او مجالس مصنعة من حزب سياسي معين يدعي ان الممثل الحقيقي والطليعي للطبقة العاملة وكلاهما في واقع الأمر إنما ينصب نفسه وصيا ووليا لأمر الطبقة العاملة ومن خرج صفوفها وبذلك يغلقون الطريق أمام العمال لاختيار ممثليهم من العمال الذين اختبروهم خلال تاريخ الصراع الطبقي والوطني وحصلوا على ثقتهم واحترامهم كممثلين حقيقيين وصادقين للعمال.

الإضرابات والمظاهرات والاعتصامات التي خاضها العمال العراقيين لنيل حقوقهم

بسبب تعنت السلطات الحكومية وأصحاب رأس المال للشركات الاحتكارية وعدم استجابتهم لمطالب العمال المشروعة في زيادة الأجور حيث كان يعيش أغلب العمال في حال دون مستوى الفقر والكفاف وطول ساعات العمل المضنية في الأعمال الشاقة مما بلور لدى العمال ضرورة المطالبة بزيادة الأجور وبما يتناسب مع توفير الحد الأدنى من العيش كالمأكل والملبس والصحة للعمال وعوائلهم ناهيك عن التربية والتعليم. ومطالبتهم بثماني ساعات عمل وعدم استغلال المرأة العاملة والأحداث في الأعمال الشاقة والصعبة والخطرة ((وكان أول شهيد عمالي عام 1920 في 24-5-1920 وهو نجار اخرس في بغداد شيعته الجماهير في اليوم الثاني ومنحته لقب شهيد الوطن)(48)

وفي خضم هذا الكفاح فقد خاض العمال في باكورة نشاطهم المنظم بقيادة القزاز قادوا إضرابين لعمال السكك حيث اندلعت في (1930-1931) حوالي (1000) عامل في معامل السكك الحديدية في بغداد في 3-12-1930 واستمر الإضراب ثلاثة أيام بسبب تقليل الأجور بنسبة 6-10% وانتهى بانتصار جزئي للعمال.

في نهاية شباط 1931 أعلن (1200) عامل الإضراب السكك بدء في بغداد في 5-7-1931 وبعد عشرة أيام عم الإضراب حيث بدا في 15-7-1931 واستمر حتى 19-7-1931. حيث قامت

مظاهرة جماهيرية في بغداد وكذلك في البصرة فقد كانت المظاهرة في البصرة اكبر وتحولت الى صدامات دموية مع الشرطة.

قام اتحاد عمال الميكانيك بقيادة القزاز بعد ان تحررت من الموظفين الكبار اللذين انضموا بأمر الحكومة من اجل إفسادها وكان ذلك في عام 1932 وقد جمعت هذه المنظمة حولها العمال النشطين والمستخدمين وقد وجد القزاز صلة مع حزب العمال البريطاني وكذلك مع قادة النقابات الإصلاحية في ألمانيا(49).

5-11-1933 مقاطعة الكهرباء وقد شملت المقاطعة كل مدينة بغداد وقد لعب القزاز ورفاقه العمال النشيطون في منظمة عمال الميكانيك دورا بارزا مما أدى الى اعتقاله وستة من رفاقه بعد مرور (20) يوما في المقاطعة وذلك في 52-11-1933 وأرسلوا الى المنطقة الكردية ومنع نشاط الاتحاد وبعد فترة من اعتقالهم وتحت ضغط العمال اضطرت السلطات الى إطلاق سراحهم(50).

وقد ذكرت المناضلة سعاد خيري أهم هذه المظاهرات والإضرابات العمالية في كتابها القيم تاريخ الحركة الثورية المعاصرة في العراق من 1920-1958 الجزء الاول لمايلي:-

كان أول إضراب كبير نظم للعمال في بغداد وهو إضراب عمال السكك في الشالجية سنة 1927 ويمكننا ان نعتبر هذا الإضراب الناجح باكورة الحركة النقابية العمالية البرولتارية في العراق.

تأسيس أول نقابة عمالية في العراق بعد سنتين من الإضراب أي في 1929 وكانت النقابة وبعد ذلك الإضراب واهم ثمراته)

-اتصال العمال في وقت مبكر فقد اتصلوا بمكتب العمل لدولي .

-في يوم 5 تموز 1931 أصبحت بغداد معطلة تماما فقد أعلن الإضراب العام ولم يستثنى منه سوى موظفوا الحكومة (0

(وتوسع الإضراب ومعارك الشوارع بين قوات الحكومة المسلحة وبين الجماهير العزلاء فشمّل جميع مدن وقرى العراق وسقط عدد كبير من القتلى والجرحى وتميز الإضراب في المنطقة الجنوبية بالسعة والتنظيم وقوبل بأقصى أشكال الإرهاب وخاصة في يوم 16 تموز حيث سقط عدد كبير من القتلى والجرحى..وكان من ابرز قادة الإضراب في هذه المنطقة يوسف سلمان يوسف (فهد) وحسن عياش وعبد الجبار حسون.)

عاد العمال عام 1933 يتصدرون النضال الوطني حيث قامت نقابات العمال والحرفيين والكسبة في بغداد لمقاطعة شركة الكهرباء الاستعمارية في بغداد مطالبين بتخفيض سعر الوحدة الكهربائية الباهظة على المستهلكين وقد قاد عدة الحملة مجلس نقابات اتحاد العمال في بغداد برئاسة محمد صالح القرزاز ولم تتورع الحكومة عن أي عمل لكسر حملة المقاطعة فشنت حملة إرهابية على النقابيين وقيادات العمال وزجهم في السجون وأنارت المعابد والمحلات بالأضواء الساطعة بإسراف ودون مناسبة وانتقاما لشركة الكهرباء

**الاستعمارية قضت الحكومة على جميع
منظمات العمال والكادحين في 2 كانون الثاني
(1934)**

**-كان في مقدمة الإضرابات إضراب عمال
الموانئ ((في المعقل)) الاستعماري في
البصرة ان حتى اصطبلات خيول
الاستعماريين أحسن معاشا وسكنا من العمال
العراقيين فكانت الاصطبلات المبنية من الأجر
والمزودة بالمراوح الكهربائية للخيول).**

**دام الإضراب أسبوعان فاضطر العدو
الاستعماري الى التنازل وإجابة المطالب بما
فيها زيادة اوطا من (145) فلسا الى (50) فلسا
كحد أدنى)**

**-إضراب عمال النفط في كركوك منذ أول تموز
1946 واستمر 13 يوما ..لقد كان مدرسة
طبقية ووطنية بحق كما جاء في جريدة -اتحاد
الشعب- في 15 ر تموز 1946..كان العمال
وتحيطهم جماهير كركوك يجتمعون يوميا
فيخطبون بالكردية والتركية والعربية وآخرون
بالاثورية والارمنية ولكن هناك شيء كان يجمع
العمال على اختلاف لغاتهم وقومياتهم وهو
أنهم عمال (57) 0**

**وقد ورد وصف رائع لإضراب عمال كاورباغي
في الكتاب المذكور يروي آيات من البطولة
والإقدام والتضحية لعمال النفط وجماهير
الشعب معهم في تحديهم للسلطات
الاستبدادية وعملاء الشركات الاحتكارية وقد
سقط العديد من العمال شهداء في معارك
كاورباغي المجيدة !!!**

- انتفاضة 1948 قامت في بغداد يوم 26 كانون الثاني 1948 على فوهة بركان فقد أعلن العمال الإضراب السياسي فوضعوا الحد الفاصل في سير الوثبة وقررت لجنة طلاب الكليات والمعاهد وكذلك لجنة التعاون الوطني التظاهر .. فلما كان اليوم التالي ((الثلاثاء)) 27 كانون الثاني 1948 أصبحت بغداد ساحة حرب.)

أصبح نضال العمال محور النضال الوطني والديمقراطي في القطر بصورة ملحوظة من الجميع بحيث ان نوري السعيد لمح إليه في مجلس النواب.

- إضراب عمال النفط في عين زالة لمدة عشرة أيام في أواخر شباط 1948 وفاز العمال بمطالبهم عدا مطلبهم الرئيسي :النقابة.

4- نيسان إضراب عمال السفن والكهرباء وإسالة الماء وعمال الأرصفة أي أصبح الإضراب شاملا جميع عمال الميناء في البصرة وانتهى الإضراب في اليوم نفسه بعد تلبية جميع المطالب لأنه كان يمتاز بالتنظيم والشمول.

23 نيسان 1948 اضرب في حديثة والمحطات الأخرى نحو(700) عامل في حديثة و(كي 3) وكان المطلب الرئيسي هو الاعتراف بحق التنظيم النقابي.

وكان من ابرز مظاهرها هو مساندة الفلاحين وجميع الكادحين من سكتة حديثة وقراها لإخوانهم العمال المضربين ماديا ومعنويا فقد ر فض باعة الخبز ان يستلموا من العمال ثمن خبزهم)

- تحرك من حديثة في الصباح الباكر في اليوم الحادي والعشرين من الإضراب المصادف 13-5-1948 في طريقهم الى بغداد وقد قاوم العمال السير الشاق والعطش والجوع ببسالة جديرة بهم وحملوا رفاقهم المتعبين على أكتافهم .

انتهت المسيرة في يوم 15-5-1948 عندما بلغ العمال الفلوجة وبعد مسيرة ثلاثة أيام منهكة حيث اعلنت الأحكام العرفية ، فقد أوقفت الشرطة المسيرة واعتقلت قادة الإضراب ومنظميه وبعد ثلاثة أيام انتهى أطول إضراب قام به عمال العراق (

ويوم بعد يوم أخذت تشتد الاجراءات القمعية ضد الشعب بقصد تصفية المكاسب الديمقراطية لوثة كانون وكسر المعنويات الجماهيرية لغرض فرض المعاهدة الاسترقاقية التي رفضها الشعب)

- إضراب عمال بواخر الحفر في أواخر سنة 1949 حيث اضرب اكثر من 600 عامل لمدة ثلاثة أيام ونال العمال مطالبهم.

-إضراب شركة النفط في البصرة في شباط 1950 حيث اضرب في أب 1950 350 عاملا في شركة كري مكنزي في البصرة(الدوكيارد) لمدة تسعة أيام وفازوا بمطالبهم.

إضراب عمال شركة الغزل والنسيج العراقية في بغداد ودام الإضراب 12 يوما واستطاع العمال فرض نقابتهم في التفاوض عنهم وفازوا بإلغاء نظام العمل بالقطعة مع زيادة ((50)فلسا في الأجور اليومية فقامت الحكومة بإحراق مقر النقابة انتقاما منهم

- في شباط 1951 اضرب (2000) عامل في شركة نبط البصرة لمدة (13) يوما وفازت بعض مطالبهم كما اضرب في بغداد عمال النسيج في معامل فتاح باشا وصالح إبراهيم في الكاظمية والاعظمية لمدة (3) أيام وفازوا بإلغاء قرار فل (300) عامل وزيادة الأجور.

-في نيسان 1951 اضرب (400) عامل نسيج في المعامل اليدوية في النجف

-14 تشرين الثاني 1951 إعلان الإضراب العام تأييداً للشعب المصري في نضاله الوطني

اضرب جميع عمال النسيج الآلي واليدوي وجميع عمال السكاير في بغداد كما اضرب عمال شركة كرى مكنزي والميكانيك في البصرة تلبية لنداء مكتب النقابات الدائم.

-10 كانون -1952 أغلق المكتب الدائم لمجلس النقابات العمال.

-حزيران 1952 قاد الشيوعيون إضراب العمال العراقيين في قاعدة الحبانية الحربية وقتل في هذه المجزرة عامل عراقي وجرح عدد كبير من العمال وإبعاد 4 عمال من العراق).

- حزيران 1952 اضرب (9009) عامل لمدة ثلاثة أيام في القاعدة البريطانية (الشعبية) في المعقل في لواء البصرة .

-23-أب-1952 اضرب (3000) عامل في الميناء (المعقل) لمدة ثلاثة أيام مطالبين بزيادة الأجور وإيقاف الفصل الكيفي والانتهاكات وتحسين شروط العمل ولكن السلطات الرجعية وأجهزتها القمعية أقامت مجزرة وحشية في

اليوم الثاني قتل فيها (3) عمال وجرح ثلاثة آخرون.

ساندت جماهير البصرة المسيرة وكذلك ساندها الحزب الشيوعي العراقي في بغداد، حقق العمال مطالبهم ما عدى النقابة).

شباط 1952 اضرب ألف عامل في الفاو ولمدة ثلاثة أيام فازوا بزيادة أجورهم ورفض طلبهم بالعمل نصف دوام يوم الخميس.

1952- اضرب 600 عامل في شركة الدخان الأهلية

24-22 تشرين الثاني 1952 إضراب سياسي الذي قام به العمال خلال انتفاضة تشرين وكان لهم الدور البارز في التهيئة لانتفاضة والمساهمة فيها.

-مايس 1953 اول إضراب بين عمال مشروع مصفى النفط في الدورة (في بغداد 1953 اضرب عمال النفط في الدورة في بغداد وقد انتهى الإضراب في اليوم نفسه بعد ان فاز العمال ببعض مطالبهم.

8- كانون الأول 1953 اضرب عمال السكك ليوم واحد احتجاجا على تأخير دفع رواتبهم فحققوا فيه مطلب عدم تأخير دفع الرواتب

تشرين الثاني اضرب عمال اللاسلكي في الميناء ويقدر عددهم ب(150) عاملا لمدة تسعة أيام لبت اكثر مطالبهم.

5- كانون الأول 1953 اضرب عمال نفط البصرة وقد اكتسب إضراب عمال النفط في سبيل مطالب اقتصادية أهمية سياسية

في اليوم الحادي عشر للإضراب 51-12-1953 أطلقت الشرطة النار على العمال المتظاهرين فجرح عدد منهم كما أطلق احد موظفي الشركة الانكليز النار على عامل فجرحه فنظم الحزب الشيوعي إضرابا عاما في البصرة احتجاجا على الأساليب الدموية التي استعملتها الحكومة ضد العمال وإسنادها للشركة الاحتكارية الاستعمارية أجرت الشرطة العراقية بإشراف سعيد القزاز الاعتقالات بالجملة بين العمال المضربين ومؤازريهم من عمال وطلاب وكادحين ونقلتهم مباشرة الى سجن نقرة السلطان الصحراوي وقامت الشركة بفصل العمال بالجملة وتحت ضغط هذه الإجراءات وبطش الأحكام العرفية انتهى الإضراب بعد (13) يوما دون تحقيق مطالب العمال المضربين.

- إضراب عمال مصلحة نقل الركاب وعددهم (300) لمدة أربعة أيام وأعلنوا تأييدهم لعمال نفط البصرة المضربين كما قدموا مطالبهم وفازوا بها.

- إضراب اكثر من (200) عامل من شركة تاجريان الهندسية في البصرة تاييدا لعمال النفط وفازا العمال بمطالبهم الخاصة .

- إضراب عمال الكوكا كولا لمدة يومين.

- إضراب عمال شركة التجارة والمقاولات (البر زون) في البصرة ليومين ايضا إضراب عمال شركة هولواي لأربعة أيام متوالية لعمال النفط.

- 16 كانون الأول 1953 إضراب عمال السكاير واحتل المرتبة الثانية بعد إضراب عمال..

-في 16 كانون الأول وهو اليوم الحادي عشر من الإضراب هاجمت الشرطة المعامل بالسلاح وأخرجت العمال المعتصمين بعد ان جرحت عدداً منهم واعتقلت عشرات العمال وأغلقت المعامل كما احتلت مقر نقابة عمال السكاير).

16-أب- اضرب عمال السكاير مطالبين بفتح نقابتهم وزيادة أجورهم وانتهى الإضراب بعد منتصف الليل بعد تعهد الوزير بوعوده عاد العمال الى الإضراب بعد يومين واعتصموا في معاملهم وطوقتهم الشرطة وقطعت عنهم الماء والكهرباء والطعام وبذلت الجماهير كل ما في وسعها لمساعدة العمال المحاصرين وبعد يومين فقط فازوا بمطالبهم)

- 14 أيلول 1953 اضرب عمال السكاير إضراباً عاماً ودام الإضراب خمسة ايام وقد طوقتهم الشرطة وقطعت الماء والطعام عنهم-وقد فاز العمال بمطالبهم ما عدا النقابة.

-24 أيلول اضرب عمال شركة جعفر ليوم واحد ثم عاودوا الإضراب بعد أربعة أيام احتجاجاً على اعتداءات الشقاوات على النقابيين.

لقد تطور وعي العمال النقابيين وأساليب نضالهم الى هذا الحد بحيث لم يبق أمام الحكومة وأصحاب المعامل سوى احتلال المعامل ومقرات النقابات بقوة السلاح)

-إضراب عمال مطبعة الرابطة في 25-4-1955 مطالبين بزيادة أجورهم وقد اضرب في اليوم

نفسه عمال قسم النساجين في شركة صناعة الجوت مطالبين بزيادة أجورهم.

1955-4-21 اضرب عمال القاعدة الحربية في البصرة (الشعبية) عن العمل مطالبين بإعطائهم (المنحة) أسوة ببقية العمال ولكن القائد الانكليزي صدهم قائلاً (سأحرق بيوتكم إذا لم ترجعوا الى أعمالكم وتنهوا الإضراب)) أما الشرطة التي بدلا من تخرس المستعمر وترد كرامة أمتها الوطنية هجمت على العمال واعتقلت العشرات منهم وانتهى الإضراب بعد ثلاثة أيام دون ان يحصل العمال على مطالبهم كما فشل إضراب عمال البيسي كولا الذي أعلن في نهاية نيسان 1955).

- إضراب عمال شراكة (دورمن) الانكليزية المتعهدة ببناء جسر الهندية الحديدي.

-الأول منتشرين 1955 اضرب عمال الجص في عركوف من اجل زيادة أجورهم.

- 1957-3-24 اضرب (450) عاملا فنيا في معمل نسيج الوصي احتجاجا على تخفيض أجورهم.

- اضرب عمال الكونكريت في شركة المنصور التي كانت تقوم بإنشاء معمل الأسمنت في السماوة وتستخدم (700) عامل.

1957-4-20 اضرب عمال الزراعة في المزارع الحكومية ((النموذجية)) في حقول ابوغريب.

1957-5-8 اضرب 600 عامل في شركة الغزل والنسيج العائدة للوصي.

-إضراب عمال (البلوكات) في شركة (زبلن) في تكريت.

-إضراب عمال معمل الطابوق العائد الى عبد الحميد عريم في الرمادي.))

- تصدي العمال في اغلب محافظات العراق للانقلاب الفاشي في 8 شباط 1963)).

-إضراب عمال الزيوت المشهور عام 1968 والذي تم قمعه بقسوة بالغة من قبل السلطات انذاك.))

ومن خلال نظرة فاحصة لعدد الإضرابات والاعتصامات والمظاهرات يمكننا ان نستنتج مدى حيوية وفاعلية الطبقة العاملة العراقية ووعيتها المتقدم للدفاع عن كرامتها اووطنية وحقوقها الطبقية ومدى الترابط بينهما فوقفت بحزم ضد كل مظاهر الاستغلال وبقايا الهيمنة الاستعمارية والاستغلال وقدمت الشهداء من اجل ذلك واستطاعت ان تجبر قوى الظلم والسلطات الاستبدادية وذيول الرأسمال العالمي على الإقرار بالعديد من مطالبها ومنع مخططاتها الاستعمارية في العراق ونهب ثرواته وخصوصا النفط.

ثانيا يتضح لنا خمود جذوة وأحيانا أنظفا حماس العمال في العهود الجمهورية المتلاحقة لاسبب تحقيق العمال لطموحاتهم ومكانتهم المطلوبة في مصير البلاد ولكن بسبب الأساليب التعسفية والإجرامية بالغة القسوة التي تعرض لها الشعب بكافة طبقاته ومكوناته وخصوصا في عهد الحكم الديكتاتوري الصدامي البعثي طوال أربعون عاما متواصلة مما جعل الناس ومنهم

العمال تترحم على العهد الملكي لأنه أهون شرا وأيسر امرا واخف قهرا وتعسفا من العهد الجمهوري (الديمقراطي الشعبي) و(الاشتراكي الثوري).

ومما هو اشد مرارة ان عمالنا وصناعة العراق ومنشاته تعرضت لأبشع أنواع الإهمال والتخريب والسلب في العهد ((الديمقراطي)) بقيادة الرأسمال الامريكي المسلح حيث تشير الإحصائيات الى اكثر من 120 ألف معمل ومصنع متوسط وصغير مقفل ومعطّل اما المنشآت الصناعية الكبرى فقد بيع اغلبها في سوق السكراب وفتحت أبواب العراق على مصراعيها أمام المنتجات الصناعية والزراعية الأجنبية مما أتى على ماتبقى الصناعات والمنشآت العراقية وان اكثر من 50% من الأيدي العاملة العراقي تزرع تحت كابوس البطالة المزمنة، وان ثروات البلاد عرضة للسلب والنهب من قبل مافيات الداخل والخارج وخصوصا الثروة النفطية العراقية التي تحاول قوى الاحتكار العالمي إعادة السيطرة عليها، كما ان الكثير من الحرف والحرفيين في طريقهم للانقراض من العراق وربما دون حلم بالعودة في ظل هيمنة الرأسمال المعولم والتوجهات الحالية للدولة العراقية وسلطتها السياسية باتجاه السوق ((الحر)) وهيمنة الرأسمال الامريكي المسلح.

دور الأحزاب السياسية العراقية في تطور الوعي الطبقي والسياسي للعمال

كان للأحزاب السياسية العراقية وبالأخص المتنورة منها في بداية العشرينات وبعد الحرب

العالمية الأولى دور كبير في إسناد مطالب العمال في حقوقهم ومساندتهم لقيام منظماتهم المهنية والديمقراطية على الرغم من تذبذب هذا الدعم وهذه المساندة وبالأخص من قبل أحزاب لا تملك رؤيا علمية لطبيعة العمل واستغلال رأس المال لليد العاملة العراقية وتبنيها لفكر اشتراكي طوباوي بشكل خجول ومتردد منسجما بذلك مع طبيعتها التطبيقية ((كبرجوازية وطنية ناشئة)) تحاول ان تقاوم النفوذ الأجنبي والهيمنة الإقطاعية ضمن شروط وضوابط الديمقراطية البرالية البرجوازية مستغلة الحيز الضيق من الديمقراطية السياسية في العراق (ففي 21 نيسان 1927 صدرت جريدة بغداد باسم ((نداء العمال)) لصاحبها (عباس الجليلي) ووقفت جريدة الشباب التي كان يديرها عبد القادر إسماعيل المحامي تدافع عن العامل) 51

في تموز (1930) أجزت مجلة نصف شهرية باسم ((الصنائع)) وهي أول مجلة عراقية يصدرها عمال عراقيون تنطق بلسان حالهم))

(مع بداية ارتفاع رايات النضال العمالي ارتفعت جنباً الى جنب كلمة الاشتراكية فشرعت الطبقة العاملة تنشر دعوة جادة لتوحيد صفوفها وتردد لأول مرة عام 1930 شعار الاشتراكية المتطورة في العراق ((ياعمال العالم اتحدوا)) فقد اتخذته مجلة العامل شعاراً لها وتبنته في مقال (افتتاحي) (52)

(ففي عام 1930 استطاعت جمعية الصنائع العراقية ان توطن مكانتها داخل الحركة العمالية وان تفتح لها فروعاً عديدة في البصرة والناصرية وخانقين والنجف والحلة وفي معظم

المناطق التي تتواجد فيها تجسيدات عمالية). 53

ولكن بعد ثورة أكتوبر الاشتراكية وانتشار الفكر الاشتراكي والشيوعي في العراق وبقية دول العالم الثالث المستقلة منها والمستعمرة مما أدى الى ازدياد عدد الماركسيين والاشتراكيين العراقيين ومنذ منتصف العشرينات وقد انجاز العديد من الكتاب والأدباء والمحامين والفنانين وعموم المثقفين في العراق بدافع نزوعهم للحرية والتجاوز للقيم المتخلفة والبالية ومن اجل خلاص الوطن من براثن الاستعمار البريطاني المباشر وغير المباشر والتخلص من ذيوله في السلطة السياسية، ركز هؤلاء نشطاهم صوب العمال والفلاحين والحرفيين والطلبة وعموم الكادحين والمحرومين لكون هذه الفئات هي ساحة نشاطهم الأساسية والفاعلة في المقاومة والتغيير بناء على ما يدعوا إليه فكرهم الاشتراكي الماركسي والذي تتوج بولادة الحزب الشيوعي العراقي بقيادة العبقريّة العمالية الشهيد يوسف سلمان -فهد- وبذلك فقد ركز الحزب الشيوعي العراقي جل نشاطه وتوجهه صوب العمال والفلاحين العراقيين بالأخص والعمل على تنظيم صفوفهم في منظماتهم المهنية والديمقراطية مما ساعد كثيرا في رفع مستوى وكفاحية ومطاولة ونجاح الكثير من الإضرابات والاعتصامات المطلوبة التي تخص حياة العمال اليومية ونقله الى الساحة الوطنية والسياسية ((فاشترك العمال في العديد من المظاهرات والانتفاضات الجماهيرية ضد المعاهدات والأحلاف الرأسمالية ومناصرة قضايا الشعوب العربية ومنها) مقاومة معاهدة 1930 وانتفاضة

و 1931 و 1936 و 1946 و 1952 و 1956 و 54.

وبخصوص العمل النقابي ومدى خوف السلطات من النشاطات العمالية كتب حنا بطاطو مايلي(كانت الحلقة الضيقة من الحكام المستندين أساسا الى التحالف القائم بين الملاكين والبيروقراطيين والضباط الشريفيين السابقين لذي تحولوا الى ملاكين والمشايخ الملاكين وأصحاب المصالح المالية قد اعتادت النظر الى الطبقات الاخرى على أساس إنها غير ناضجة وليست ذات حقوق سياسية) (55)

(فمنذ حل النقابات في العام 1933 نادرا ماينظر بعين العطف الى تجمع العمال لأهداف اقتصادية وكان قانون العمل الصادر في العام 1936 قد تحدث بحلو الكلام عن حقوق العمال ومنح الحكام في الفترة 1944-1945 عندما كانوا في مزاج تسامحي ، الصفة القانونية لبعض الاتحادات النقابية ولكن يبدوأنهم فتحوا على أنفسهم صندوق كل الشرور (صندوق باندورا) ولذا فقد سارعوا الى إعادة أحكام الغطاء عليه، وانتهت تجربة أخرى مع نقابات العمال في فترة 1951-1952 بالطريقة نفسها وباستثناء السنوات المشار إليها فان الضغط من اجل أجور أعلى او ساعات عمل اقل أو من اجل حرية الإضراب كان يعني الخيانة السياسية وكثيرا ماكان يعني فقدان مصدر الرزق ،وأدت كل هذه الظروف الى تجذير الإرادة الشعبية)

(ولم يكن للثروة الجديدة التي رفعت القلة التي استفادت منها الى أعلى بكثير من جمهرة الشعب، والتي ولدت الترف في وسط البؤس، الا ان تقوي الحواجز النفسية القائمة بين

الطبقات وان تهدد بنية المجتمع وصار الأثرياء لا يفكرون الا بأنفسهم وحدهم ولم يعد بإمكانهم ان ينظروا في وجوه العراقيين الآخرين مباشرة فيما يتعلق بالقضايا الأساسية) (56

وكما تذكر منور الهاشمي زوجة طه الهاشمي في رسالة الى زوجها عام 1943(.. الناس اللذين كانوا في السابق يركبون عربات تجرها الثيران صاروا يقودون اليوم السيارات وجيوبهم ملاء بأوراق اللعب(57) 0

(فقد أصبحت معارضة الحكومة -يومها- بالنسبة الى معظم العراقيين مسألة غريزية ان صح لقول، استمرت في الظهور حتى بعد انقطاع او تهلhel الخيوط التي تربطهم بجماعتهم القبلية او المعتقدية (58)

الأحزاب الساسية ودورها في العمل البناء الى دور الهيمنة والاحتواء.

(في أواخر الأربعينات ثم الخمسينات فقد حملت التفجرات طابعا لم يكن معروفا من قبل وكان الاستياء الذي بقي سياسيا حتى ذلك الحين قد أصبح الآن اجتماعيا ولم يعد هذا الاستياء موجهها نحو حكومة معينة بالدرجة الأولى او نحو سلوك حكومة معينة بل نحو النظام الاجتماعي نفسه ولا يصعب تلمس النفوذ الشيوعي في ظهور هذا النوع الجديد من

الوعي. ولكن يجب الا تعزى الأشياء الي ما هو قريب منها بل الي الأسباب البعيدة أي الي الأوضاع الحياتية التي أدت الي التفجرات وان ننسب كذلك الي مدى الاستجابة الي نوع الوعي الذي روجه الشيوعيون)(59)

ومن الأمثلة على دور الحزب الشيوعي العراقي ماصدر في الملحق الصادر ((اتحاد الشعب)) لأواخر أيار 1958 تحت عنوان ((الأعمار في ظل الاستعمار)) مستهلا العدد بالشعارات التالية:-

((فلتسقط سياسة التبذير والنهب والفساد))

((الموت للذين يحكمون على اقتصادنا الوطني بالخراب ويدفعون الجماهير الي هاوية البؤس والعبودية والحرمان))

لقد لعبت الأحزاب السياسية دورا ملتبسا ومزدوجا بخصوص نضالات الطبقة العاملة العراقية، فعلى الرغم من ان هذه الأحزاب استطاعت ان تغذي العمال والكادحين عموما بالفكر الثوري المطالب بالتغيير وجر العمال ليكونوا طبقة تعي ذاتها وتحولها من طبقة بذاتها الي طبقة لذاتها وكذلك مدها بأساليب التفكير والتفسير للأسباب الحقيقية الكامنة وراء اضطهادها وتخلفها وإكسابها خبرة العمال في مختلف بلدان العالم فأنهم ولأسباب ايدولوجية وتنافسية مشروعة على ساحة النضال الوطني والطبقي أدى بها الي الانجراف نحو نزعة الاحتواء والهيمنة على قيادة وتوجيه هذه المنظمات والاتحادات والنقابات المهنية والديمقراطية وإغراقها في كثير من الأحيان بشعارات غير متوازنة وغير عملية مغلفة وبعيها المهني والطبقي بوعي سياسي مفتعل دون

ان تتضح لدى العمال مراحل وطرق ووسائل الكفاح الطبقي والمهني ومدى ارتباطها بالكفاح السياسي والوطني ومن أمثال هذه الأحزاب الحزب الوطني الديمقراطي بقيادة أبو التمن (كانت الأفكار التي طرحتها ((الأهالي)) مبهمة وغير منتجة وكانت تردد صدى الغالبية أحيانا والماركسية أحيانا أخرى والمدار ونية او الشعبية ((الناردونكية)) الروسية بين حين وآخر ومن تعريف المجموعة في العام 1935 بانها تنوع إصلاحي وليبرالي ديمقراطي من الاشتراكية)) (60) حنا بطاطو ج 1 ص 339 وهذا من أورث مرضا خطيرا في اكثر التنظيمات الاشتراكية العراقية ومنها الحزب الشيوعي العراقي وقد امتد هذا المرض الى يومنا هذا مما افقد الطبقة العاملة وحدتها وتراصها حول اهدافها المهنية والطبقية التي ستقود بالضرورة وعبر صيرورة طبيعية وموضوعية الى إنضاج وعيها السياسي...

(للأحزاب اليسارية دور هام في صياغة المطالب ((الحيوية)) صياغة متماسكة كما أنها او يجب ان تكون مصدرا أساساً لصياغة منظومة قيمية تتحدى المنظومة السائدة وتطرح رؤية مختلفة جذريا للعالم... ان العمل الذي يزاوله المرء وثيق العلاقة بانتمائه الطبقي ولا يمكن للانتماء الطبقي او العمل الذي يزاوله المرء ان يخلقا وعيا يساريا بصورة تلقائية ولكن الحاجة الى التنظير مع ذلك مرتبطة ((عضويا)) بالطبقة العاملة نظرا لموقعها في صيرورة الإنتاج في المجتمع)) (61) ص 173-174 الاشتراكية في عصر شكاك

ففي الوقت الذي أفرزت التنظيمات المهنية والنقابات والاتحادات في العالم المتطور الأحزاب السياسية كنتيجة لما تقدم حصل في بلدنا والكثير من بلدان المشابه لبلدنا العكس حيث ان الأحزاب السياسية أصبحت هي المولدة والمؤسسة للمنظمات المهنية والديمقراطية لتكون واجهات تعبوية و جماهير انتخابية للأحزاب السياسية على الرغم من ادعاءاتها باستقلالية هذه المنظمات ، هذا ما حدث في أربعينيات وخمسينيات وستينيات القرن المنصرم من قبل الحزب الشيوعي العراقي في تعامله مع هذه المنظمات ومن ضمنها اتحادات الطلبة والشبيبة والمرأة والفلاحين ولسنا بصدد ذكر تخلي الحزب عن لعب دور فاعل في هذه المنظمات التي أصبحت حكرا على حزب البعث باعتباره الحزب القائد ضمن التحالف الجبهوي فأمر بحل اتحاد الطلبة والشباب ورابطة المرأة.

وقد كرس هذا النهج حزب البعث بعد استيلائه على السلة السياسية في العراق فأصبحت هذه المنظمات تقاد من قبل مكاتب الحزب المركزية لاتمثل اكثر من تبع للسلطة السياسية ومنفذة لرغباتها وديمومتها في الحكم سعيا منها لكبح وعيها السياسي والطبقي والوطني وخضوعا للسلطات الاستبدادية وقد أصبحت هذه القرارات والإجراءات تتناسب طرديا مع تنامي وعي العمال السياسي الوطني والطبقي ويقول (بول لافارج بأنه من مصلحة البرجوازي ان ينفق العامل المأجور قدرته العقلية في مجادلات حول العدالة الحرية الأخلاق وطن الإباء وماشاكلها من المفاهيم الأخرى حتى لايبقى لديه دقيقة واحدة للتفكير في وضعه

المزري)(62) ص 7 مجلة دراسات عربية العدد 1 تشرين ثاني 1970 فاغرق البعث الطبقة العاملة والفلاحين الفقراء وعموم الكادحين في بحر من الشعارات القومية والتي أثبتت الأيام انه أول من خرقها وقد لفظها في أول محطة تتطلب منه التنازل عن انفرادة بالسلطة كقائد ضرورة بل على الأقل بوجود مقبول للآخر.

وقد أشاعت بعض القوى بين صفوف العمال نتيجة لجهلها بالمبادئ الأساسية للاشتراكية العلمية ومن مصادرها الأصلية نظرا لظروف الكبت والمنع لكل مايمت للثقافة الاشتراكية العلمية خصوصا نقول أشاعت وعيا اشتراكيا فجا وفهما قاصرا لمفهوم ومعنى ودور الطبقة العاملة في التحرر من الاضطهاد والاستغلال حيث يذكر حنا بطاطو الحديث التالي لأحد العمال (الحديث الذي أجراه عامل غير شيوعي خلال "أيام آذار مارس" في الموصل 1959 مع وزير خارجية العراق السابق عبد الجبار جومرد يكشف مدى كثافة المشاعر الطبقيّة العفوية لدى بعض هذه المجموعات قال العامل للوزير) في هذه الليلة سننطفأ الأنوار في المدينة ونتحسس أيدي الناس وسيذبح كل من ليست يده خشتين)(63)

ومن الأسباب الكامنة وراء هذه العفوية هو طغيان هجرة الفلاحين من الريف الى المدينة وهم يحملون وعيهم الفطري والبدائي القبلي وليس العمالي المدني حيث يذكر جواد هاشم في هذا المجال مايلي(ان نسبة سكان الأرياف في العراق الى مجموع سكان العراق قد تناقص من 64% في عام 1947 الى 38,6% عام 1973 وهذا يعني بالطبع ان القطاع الزراعي يضيف

سنويا الآلاف من الأيدي العاملة الى القطاع الصناعي وغيرها من القطاعات الأخرى في المدن(64) والكل يعلم كيف أخذت هذه الاعداد حاجة العائلة الفلاحية العاملة في الزراعة وان الأمر الخطير هنا فحين عملت القوى الرأسمالية والإقطاع على قذف الفلاحين الى المدن بعد تحويل أراضيهم الى مراعي للأغنام فيظل تطور صناعة النسيج فقد تلقفتهم المعامل وان اعتصرت قواهم في معصرة العمل المضني واللاانساني ولكنها في الوقت نفسه صقلت وعيهم الطبقي والسياسي عكس ما حدث في العراق إذ أنهم أصبحوا عالة على عمال المدن نتيجة عدم وجود فرص للعمل فبدلا ان يصنع هذا الحال وعيا جماعيا عماليا واعيا أنتج عقلية القطيع التابع المتشبث بالقدر والغيب والصدفة والعمل في الأعمال الوضيعة مما اثر كثيرا على بلورة وعي البرولتاريا لدى هذه الجموع المضنية والمتخبطة في وحل البطالة والجهل وهنا يذكر حنا بطاو (يمكن استنتاج المدى الذي وصل إليه الفقر المدقع في الذهاب بكبرياء الكثير من فلاحي العمارة العشائريين من خلال استعدادهم في الخمسينات للقيام بأي عمل يدوي في المدينة مهما كان وضعا بينما كان هؤلاء أنفسهم قبل عقود قليلة يعتبرون أي عمل آخر مماثل غير حراثة الحقل كارثة وعارا مابعدا عارر 65)

وقد استغلت السلطات البرجوازية والمستبدة الحاكمة هذا الوضع أشنع استغلال فأخذت تجند هؤلاء في أجهزتها القمعية من الامن والشرطة والمخبرين والجلادين وليس بعيدا مافعل نظام البعث عشية الحرب العراقية الإيرانية هذه

الحرب التي لم تكن وليدة سنتها في 1980 بل اعد لها قبل عدة سنوات من قبل عقل كوني مدبر بقيادة الامبريالية الأمريكية والذي كان اعتلاء صدام لسدة الحكم عام 1979 الا احد مقدماتها و تعليقه في حبل المشنقة بعد احتلال العراق الا احد نتائجها،مستغلا او مصطنعا جفاف نهر الفرات فجند الآلاف من الفلاحين في سلك الشرطة وإعطائهم الوعود بنهم سيخدمون في مناطقهم وقرب عوائلهم ولكنه رجهم في محرقة القادسية بعد ان حولهم الى ألوية حدود وقد قتل او تعوق او اسر اغلبيهم في جبهات القتال ، وها الأمر يتكرر وبأكثر قسوة حيث لاعمل أمام العراقي غير التطوع في سلك الشرطة او الجيش الجديد ويتفاخر الحكام بأنهم تفضلوا على أبناء المحافظات بقبولهم بعشرات الآلاف في صفوف الشرطة والجيش وليس كايدي عاملة منتجة في المعامل والمصانع والمزارع؟؟؟؟!!! وقد يخبا المستقبل القريب محرقة كبرى لشبابنا في معارك لاتخدم الا مصالح الرأسمال العالمي وبالخصوص الامريكي في المنطقة والعالم،خصوصا إذا استطاعت الامبريالية الأمريكية ان تصنع ديكتاتورا جديدا داخل جبتها ((الديمقراطية)).

ومما يشير إليه بطاطو تدمير عمال المدن من أبناء الريف(العامل الحضري لم يرحب من جهة بابن العشيرة لأنه لم يكن يرى فيه الا منافسا على ذلك القليل من الخبز الذي يكسبه على حساب القليل من الصحة الذي تبقى في جسده الهزيل وان "الشروقي" الذي لم يخدموا الحكومة التحقوا بالشيوعيين وصاروا يشكلون عاملا مهما في الانتفاضات الشعبية(66) وهنا

نستطيع ان نرى أين توجه هؤلاء "الشروقيين" في عصرنا الآن بعد ان دخل الملجأ التاريخي لهم (الحزب الشيوعي العراقي) لعملية السياسية ضمن المشروع (الديمقراطي) الامريكى فكان الملجأ الحركات الدينية المتطرفة وبعض قوى الغيب المشعوذة... الخ وهي تجنده وتفخه حافيا جائعا لخدمة مصالحها ومصالح اسيادها خارج الحدود ليكون وقوداً دائماً لنيران الاقتتال الطائفي العرقي المصطنع والتي تسعى بشتى الطرق الى ماسسة الطائفية في العراق والذي يقول عنه المفكر سمير أمين (هي جوهرية وبالضرورة مرتبطة بللا مساواة وفي النهاية تنبع من الثقافة العنصرية نتيجة ايدولوجية للثقافة السياسية الرجعية للولايات المتحدة) (67)

دور السلطات الديكتاتورية في شرذمة وتشطي الطبقة العاملة العراقية وتهميشها واحتوائها.

إذا كنا ولازلنا نؤمن بان السلطة السياسية المهيمن على الحكم إنما تمثل بالدرجة الأولى مصالح الطبقة الاجتماعية التي انحدرت منها والتي أوصلتها الى سدة الحكم غير متناسين بعض الخصوصيات الأخرى للأنظمة السياسية المختلفة وفي بلدان مختلفة.

وإذا كان هناك تعميم وعدم الوضوح بصيغ الكثير من الأنظمة الحاكمة في لعالم الثالث والمتخلف فيظهر وكان الحكام يمثلون عموم الشعب فإنما مرد ذلك الى التشوه الحاصل في البنية الطبقية لهذه البلدان ومنها العراق حيث تداخل وهشاشة وميوعة هذه الطبقات نتيجة للقطع الذي تعرض له التطور الاقتصادي والاجتماعي لهذه البلدان من قبل الرأسمال العالمي المتطور عن طريق الهيمنة الاستعمارية المباشرة وغير المباشرة مما أولد طبقات اجتماعية غير واضحة المعالم والملاحم غالباً ما تقمصت واحتلت دور الصدارة بدعوى الوطنية والقومية والدفاع عن مصالح المحرومين والمستضعفين والمظلومين مما جعلها تحيا سلوك الفوضى واللاعلمية والالانسجام وتصدر قرارات وفرمانات متناقضة ومتقاطعة بعضها مع بعض ولكنها بعد ان استكملت وسائل القمع وأحكمت سيطرتها على كرسي الحكم أخذت ترسم الخطط وتعمل جاهدة لتأييد وتنمية وسلامة رحم مولدتها بما يديم سلطانها وحكمها ومن أساليب والإجراءات العمل بكافة الوسائل لعدم وضوح الفرز الطبق وكبح جماح كافة الطبقات الاجتماعية في ظل نظام استهلاكي غير منتج وخصوصاً في دولة ريعية تعتمد بالدرجة الأولى على الثروة النفطية في إدارة شؤونها وتمويل نفقاتها العسكرية

والأمنية) ان العلاقة بين الحاكم والمحكوم انتهت مع صعود الدولة الريعية ولا اقصد بالدولة الريعية الدولة الغنية بل اقصد الدولة التي تستمد مواردها المالية من أقطاعات خارج نطاق نشاطات الفئات الاجتماعية كحصول الدولة على المال عن طريق النفط مثلا وهنا لاتشعر الدولة المواطن بانها قطعت من دخله وبالتالي للمواطن حقوق عليها بسبب هذا الاقتطاع وهذا هو جوهر المكرمة عن صدام حسين فالمجتمع مذرر والسلطة تشجع الفرد ليكتب للرئيس مرحمة لكي يزود ه بالأموال. كان البعث واعيا كل الوعي بهذا الواقع فشجع الفرد على ان يطلب بصورة الاستجداء ولكن بالمقابل أي مطلب جماعي مهما كان بسيطا يقابل بقمع شرس(68)

وهنا يكون عدوها الأساس ومهدد مصالحها قيام ونضوج طبقة عاملة منتجة فاعلة ستكون بالتأكيد حاملة لفكر الحرية والديمقراطية والمساواة ونبذ لهيمنة والاستبداد بكافة أشكالها... وهنا تقع مثل هذه الأنظمة بين دعواها في التحرر من ربقة الامبريالية والاستعمار وضرورة فك الارتباط بالرأسمال العالمي الاحتكاري مما يستوجب الاعتماد على القدرة الوطنية وبناء بنية اقتصادية زراعية وصناعية رصينة وقوية وحمائتها من قبل نفوذ ومنافسة قوى الرأسمال العالمي وهذا بدوره يتطلب المزيد من حرية الفكر والعمل للطبقات المنتجة سواء كانت برجوازية وطنية او طبقة عاملة وفلاحين او طبقة فكرية مبدعة ومبتكرة ومتسائلة تؤسس لبناء ديمقراطي مساواتي متطور وهذا هو الخانق الحقيقي الذي يؤدي الى المزيد من حرج وخوف الطبقة

المسيطره من فقدان الأسس المادية لهيمنتها على الحكام سواء من قبل الموضوع الواقعي للحراك الاجتماعي او العامل الذاتي لقوى التحرر والتغيير وان كانت هناك إمكانية لاحتواء البرجوازية الوطنية واستهلاكها في طبقة كمبرادور تجاري طفيلي مرتزق باعطاءها هامشا من حرية الاستيراد او التصدير مستفيدة من الوفورات المالية النفطية فإنها من الصعوبة بمكان ان تحول دون تبلور وصيرورة طبقة عاملة واعية متزايدة القدرات العددية والفكرية بشكل مطرد تناسبيا مع عدد وحجم المشاريع الصناعية والزراعية وكما يذكر سمير أمين(عبرت تلك الطبقات البرجوازية الوطنية كانت حدثية وبمحل العلمانية وتنطوي على كونها حاملا للتطورات الديمقراطية،ولكن لان تلك المشاريع كانت بالضبط تتعارض مع مصالح الامبريالية المهيمنة قامت هذه لمحاربتها من دون هوادة وبشكل كامل وجندت القوى الظلامية المتحذرة من اجل هذا الهدف)(جريدة الزمان،العدد (2973في 20-4-2008)

فوجود طبقة عاملة كبيرة العدد عالية القدرة متطورة الوعي الوطني والسياسي والطبقي يستلزم ان تكون لهذه الطبقة الريادة والهيمنة على سدة الحكم على حساب الطبقات الطفيلية والاستهلاكية غير المنتجة وتنحيتها وشل ذراعها الذي يحاول إيقاف عملية التقدم الاقتصادي والثقافي والسياسي للمجتمع وقد كانت أنظمتها الملكية والجمهورية على وعي كامل بهذه الخطورة فعمدت الى اتخاذ التدابير التي تحد من تطور الطبقة العاملة وممثليها الطبقيين والمهنيين والسياسيين ومنها-

الوقوف بوجه إنشاء مؤسسات ومصانع ومزارع إنتاجية متطورة.

- بذل الجهود المضنية والحملات الإعلامية واليدولوجية الشرسة ضد الفكر الاشتراكي والماركسي بالخصوص وابتداع مختلف عصائب التضليل والتجهيل لحجب الفكر الثوري اليساري عن عيون الكادحين وحرفها صوب الفكر القوماني المتعصب والفكر الغيبي المتكلس والمتصلب.

- العمل على تزييف إرادتها النقابية والمهنية وتنصيب أزماتها وخدمها كقيادات لهذه المنظمات التي تدار عبر مكاتب الحزب القائد.

- ومن أفضع ما فعلته الديكتاتورية الصدامية خصوصا إلقاءها لجموع العاملين الشباب في أتون حرب طاحنة لمدة ثمانية سنوات متوالية وإحلال القوى العاملة العربية والأجنبية محلها لإدارة واستمرار إنتاج مصانعها الحربية بالخصوص والعمل على بيع وتصفية وتخريب منشآت القطاع الصناعي (الاشتراكي) وبذلك فقد أسفرت عن وجهها القبيح كخادم لمصالح الرأسمال والأنظمة العميلة فأنقذت النظام المصري من محنته وأزمته في الداخل عبر مشروعه الاستسلامي وانفتاحه على الغرب وذلك باحتواء الملايين من العمال المصريين في سوق العمل في العراق ليحلوا محل زملائهم وأشقائهم العراقيين على سواثر الموت والقتل والخراب بالجملة. وبذلك وفر للنظام المصري إكسیر الحياة عن طريق تحويل وضع الملايين من الدولارات شهريا من عمل المصريين في العراق لدعم الاقتصاد المصري وفك الضائقة عن النظام الساداتي. في الوقت

نفسه الذي نصب له قفص الاتهام والمحكمة
الصورية في بغداد، بالإضافة الى ذلك فان
مجريات الحرب وفرت له كل الذرائع لعسكرة
الاقتصاد لابل عسكرة المجتمع العراقي فكل
شيء من اجل النصر على المجوس بعد ان كان
كل شيء من اجل المعركة مع العدو الصهيوني
والنصر على اليهود، وقد كانت الحرب كما هي
على طول تاريخ الأنظمة التسلطية
والديكتاتورية هي المخلص المثالي لهذه الأنظمة
من استحقاقات الحراك الاجتماعي والاقتصادي
المتنامي في ضرورة استكمال البنى
الديمقراطية والدستورية ونبذ الإجراءات
الاستثنائية والإحكام العرفية والمطالبة بتقييد
أفعال وأقوال رموز الديكتاتورية وفرض الرقابة
الشعبية وهذا ما حصل بالضبط بالنسبة لنظام
البعث الصدامي في العراق الذي بقى يسوف
ويماطل ويخلق الأعداء لأكثر من (53) عاما من
حكمه للتهرب من إجراء انتخابات ديمقراطية
وقيام برلمان منتخب وحل مجلس قيادة الثورة
والإيمان بالتعددية الحزبية وحرية الرأي والنشر
والتفكير والعقيدة وهي مطالب جاءت نتيجة
طبيعية لتنامي عملية الإنتاج الصناعي والزراعي
والعمراني في البلاد خصوصا بعد تأمين النفط
العراقي، وقد كانت هذه المطالب السبب الرئيس
لانفصام عرى التحالف الجبهوي بين الحزب
الشيوعي العراقي وحزب البعث الحاكم انذاك
لان الحزب طالب بعد مؤتمره الثالث بإنهاء
الأوضاع الاستثنائية وحل مجلس قيادة الثورة
واصفا ((الديمقراطية)) بالعرجاء مما أثار سلطة
البعث وشتت حملتها الإرهابية المدبرة والمعدة
سلفا على أنصار وأعضاء الحزب الشيوعي
العراقي رغم كل تنازلاته ومهادنته ودعّمه
للسلطة انذاك.

- على الرغم كل هذه الإجراءات فان النظام لازال يتحسس بمجساته الأخطبوطية الرهيبة المتغلغلة في كل مفاصل المجتمع العراقي ان هناك المزيد مما يجب فعله وعمله فاصدر فرمانه المرقم 150 بتحويل العمال الى موظفين وكأنها مكرمة انتشلت العمل من مستنقع الدونية الى مرحلة النمو والرفعة الوظيفية كان الشعب بكل طبقاته وفئاته تحول الى عبيد تحت سلطة الدكتاتور الفرد والقائد الضرورة (فلا حياة بلاشمس ولاكرامة بلا صدام) وإذا قال صدام قال العراق.

هذه المواقف لم تكن وليد نظام صدام وحده بل سبقه إليه الزعيم الوطني العراقي "عبد الكريم قاسم" فعلى الرغم من حبه لعموم الفقراء في العراق وانحيازه لمأساتهم في بداية تسلمه للسلطة والحكم لكنه وغيره من الزعماء والقادة من البرجوازية للعالم الثالث لانريد أن تقر بحقوق لطبقات الشعب وفئاته العاملة والمنتجة وإنما نريد ان تكون صاحبة المنة والمكرمات تعطي وقت ماتشاء وتمنع حيث تشاء فقد أرهبتة المسيرة المليونية لعمال العراق في الأول من أيار 1959 وقيادة الشيوعيين لهذه المظاهرة الجبارة ومطالبتهم لا للاستيلاء على الحكم ولكن المشاركة في الحكم عبر شعارهم الملتبس ((عاش الزعيم عبد الكريمي الحزب الشيوعي بالحكم مطلب عظيمي)) مما أغاض الزعيم فهل يصح ان يكون للمخلص والمنقذ الإله شريكا ،وعلى الرغم من إدراكه ومعرفته لمدى المخاطر التي تهدد حكمه ووجوده الا انه لم يحتمل مطلبه من حملوه على أكتافهم بحقوقهم ومشاركته في الحكم وهذا أمر نابع من سايكولوجية وثقافة البرجوازية الصغيرة

وخصوصا العسكرية، مما قادهم الى مجزرة
الفاشية في 8 شباط 1963 وأعاد البلاد الى
ما قبل 14 تموز 1958 بما لا يقاس من حيث كبت
الحريات وسحق الكرامات وتدمير الاقتصاد.

هذا الخوف الهستيرى من العمال وممثلهم دفع
الحكام الى قطع رؤوس الرموز التي صنعوها
وسوقوها لقيادة العمال والسيطرة على
منظماتهم وكبح وعيهم الطبقي وهذا ما حصل
"لمحمد عايش" قائد نقابات العمال في زمن
الدكتاتورية الصدامية مع مجموعة من الكوادر
العمالية البعثية ومنظريها من أمثال "عزيز سيد
جاسم" وغيره كل هذا تحرزا لأي خرق يمكن ان
يفرزه الوعي لسياسي والطبقي للطبقة
العاملة وإمكانية إطاحتها بعروش الديكتاتورية
ربية وعملية الرأسمال العالمي الامريكى ومن
قبله البريطانى هذا مايفترض ان جعلنا ان نضع
أيدينا على الممارسات واللاديمقراطية من قبل
سلطات الاحتلال وذيوله ومريديه ممن استلموا
صولجان الحكم بعد الديكتاتورية الصدامية ومنها
تدمير وهدم وتفكيك وبيع المصانع والمعامل
والمنشات الصناعية والزراعية العراقية وتهربها
الى خارج العراق وبيعها في سوق
الخردة. وماسهل على هذه القوى تنفيذ
مخططاتها الموقف الغائم لأكثر قوة يسارية في
العراق ممثلة بالحزب الشيوعي العراقي
والصوت الضعيف وعدم الوضوح يكن وسحب
وتنحية اغلب مبادئه وشعاراته كطليعة للطبقة
العاملة وعموم لكادحين مقابل مشاركة هشة
وهزيلة في حكومة ووزارة تفوح من جنباها
رائحة الفساد والتبعية للرأسمال العالمي وكما
ذكر عصام لخفاجي حيث يقول (ان اليسار الذي
كان يتبارى في تبني برامج كبيرة أصبح تحت

ضغط السطوة الليبرالية يستحي ان يطرح برامج اجتماعية حتى لايقال له بأنه مع التدخل، ان القضية ليست في التدخل ان القضية ليست في التدخل من قبل الدولة او اللا تدخل ان الديمقراطية شكل للنظام المطروح كبديل ولكن ماهو المحتوى ؟لقد غابت صورة أي شعار مستقبلي لدى الحركات السياسية كالتقدم والتحديث ناهيك عن الاشتراكية والتنمية... الخ... وبهذا المعنى غابت صورة المستقبل ، وغابت كتلة معينة من المجتمع لها برنامج تحديثي)(.69

من قبل سلطات الاحتلال وذيوله ومريديه ممن استلموا صيد لجان الحكم بعد الديكتاتورية الصدامية ومنها التقاضي عن تدمير وهدم وتفكيك وبيع المصانع والمعامل والمنشآت الصناعية والزراعية العراقية وتهريبها الى خارج العراق وبيعها في سوق الخردة .

- فتح حدود العراق على مصراعيه للبضاعة الواردة من دول الخارج وبأردأ النوعيات والمواصفات للقضاء على أي منتج وطني صناعي او زراعي عراقي حيث تشير الإحصائيات الى غلق اكثر من (120الف) معمل ومصنع وورشة عمل عراقية متوسطة وصغيرة ناهيك عن المعامل والمنشآت الصناعية والزراعية الكبرى وها هو حالنا الآن فالعراق يستورد الشخاط والخيار والبصل والسيارات ... الخ وكل شيء دون أية ضوابط ...

حظر التنظيم النقابي في مؤسسات القطاع العام وحل الاتحادات والنقابات بالقرار (8750) سيء الصيت واحتجاز العديد من القادة

النقابين وخصوصا في مجال الصناعات النفطية البتروكيمياوية والكهربائية وغيرها .

- اعتماد التمويل الذاتي في مؤسسات صناعية خاوية لانتج وان أنتجت لاتجد سوقا لتصريف منتجاتها في ظل منافسة المنتجات الأجنبية في السوق العراقي . مما زاد من فقر وإملاق لابل تربح الآلاف من العمال ليكونوا تحت كابوس البطالة التي تفد بأكثر من 50% من القوى العاملة العراقية والتي تزيد على سبعة ملايين عامل وعالة .

مما يزيد الأمر سوءا هوس الفئات الحاكمة باعتماد سياسة واليات السوق الحرة الذي تعاني منه اكثر الدول الرأسمالية المتطورة ومنها الولايات المتحدة بسبب شدة المنافسة بين الدول الصناعية المتقدمة على السيطرة على الأسواق العالمية وحق الأسواق الوطنية النامية ، والكل يعرف مدى شكوى الاحتكارات الرأسمالية الأمريكية من منافسة المنتجات اليابانية والصينية للمنتجات الأمريكية في بعض الصناعات النسيجية والالكترونية وصناعة اللعب والسيارات ... الخ.

فكيف هو الحال بالنسبة لبلد مخرب ومدمرة بنيته التحتية ومشوهة بنيته القومية . رأسماله الوطني يهرب من قبل تجارة بنفط خارج الوطن مما يستدعي من دولة ...مثل العراق داخلها يزيد على الخمسين مليار دولار ان تسعى للدعم المالي بالإضافة للحماية الكمركية تنشط الصناعة الوطنية والنهضة الزراعية لإنجاح نهضتها العملية والاجتماعية والثقافية والتخلص من البطالة والإرهاب والرأسمالية العسكرية المهنية .

وهنا يثار السؤال التالي في هذا المجال ؟

ماهي طبقة السلطة السياسية التي يمكن ان تبنى مثل هذا المشروع التنموي في العراق ؟؟؟

من المعروف ان البرجوازية الناهضة هي التي قامت بمهمة إزاحة سلطة النبلاء والإقطاع في البلدان الغربية المتقدمة مثل انكلترا وألمانيا وفرنسا وغيرها من العالم المتحضر عبر صراع طويل وشاق بين الطبقة البرجوازية الرأسمالية والإقطاعية بعد ان تعاضم دور قوى الرأسمال في إدارة دقة الصناعة وتطوير البنية الاقتصادية والتطور التقني والثقافي وازدياد عدد ونوعية الطبقة العاملة في عصر النهضة الصناعية .

ومن المفترض ان تكون البرجوازية الوطنية في بلدان العالم المختلف ان تقوم بنفس هذا الدور التاريخي ولكن الذي حصل هو حالة القطع الاستعماري الرأسمالي في هذه البلدان للنمو التقليدي والتطور الطبيعي للبرجوازية الوطنية المنتجة الى طبقة تابعة ومرتبطة بقوى الرأسمال العالمي كسمسارة لهذا الرأسمال كطبقة طفيلية غير منتجة بالدرجة الأولى ممثلة بالتجار والمرايين والإقطاعيين وأشباههم من المتاجرين بالبضائع المستوردة والعقارات والربا دون العمل على تطوير القطاع الصناعي والزراعي الوطني المنتج ومن العوامل الهامة المساعدة على هذا الوضع هو كون العراق او الدولة العراقية هي دولة ريعية تعتمد في إدارة شؤونها او تغطي نفقاتها بالدرجة الأولى عن طريق صادرات البترول وليس اعتمادا على دافعي الضرائب من البرجوازية مما همش دورها ووفر للسلطات تمويلا ريعيا لم يستثمر لأسباب موضوعية في تطوير عجلة الإنتاج وفق

مصالح الرأسمال العالمي الخارجي وتوابع في الداخل وهذا أدى الى ضعف البرجوازية الوطنية المنتجة وبالتالي ضعف وقصور الطبقة العاملة العراقية وخلق طبقة متوسطة مقيدة بقيود السلطة وتابعة لها كجيش من الموظفين والمستخدمين في دوائر الدولة ومنشأتها وهنا بالضبط تتجسد استحالة انجاز مهمة القطع مع الرأسمال العالمي واقتصاد السوق والانفكاك من تبعية وهيمنة الدول الامبريالية وخصوصا الأمريكية وحلفائها في العصر الراهن هذه المهمة التي يجب ان تضطلع بها البرجوازية الوطنية المنتجة وليس التابعة والطفيلية والطبقة العاملة الواعية لذاتها ومهامها الوطنية والطبقية لحمل راية الكفاح الوطني والطبقي صوب الحرية والتقدم الصناعي والزراعي وبناء الديمقراطية باعتبارها صاحبة المصلحة الأساسية في التغيير ولكن واقع حال ووصف والعجز الموضوعي والذاتي للطبقة الوسطى والبرجوازية والطبقة العاملة من حيث التبعية والطفيلية والضعف يظهر وكان أمر التحرر والخلاص يتعلق بتطور وتقدم قوى التحرر والديمقراطية للطبقة الوسطى والطبقة العاملة في البلدان الرأسمالية في المركز الرأسمالي وليس كما يذكر المفكر سمير أمين ولكنه لن يدلنا على من ينجز عملية القطع وتبني انجاز مهمة القطع وتبني نمو اقتصادي واجتماعي بقرار سياسي وعدم الخضوع لهيمنة اقتصاد السوق الحر الرأسمالي إذا كانت الطبقة الكومبرادورية والالوغارشكية عاجزة موضوعيا وليس من مصلحتها التحرر من تبعية الرأسمال العالمي وإذا كانت الطبقة العاملة قاصرة وضعيفة ومشتتة والطبقة المتوسطة مرتبط حبلها السري بالدولة الرعية

فمن ينهض بمهمة التحرر الاقتصادي
والأساسي في هذه البلدان؟؟

فعلى الرغم من كون العراق بثروته
البترونية الكبرى يمكن ان يتحرر من شرط
تراكم رأسمال ولا حاجة له بالخضوع الى
شروط الرأسمال العالمي وديون البنك
الدولي المجحفة ولكن حتى هذه الإمكانيات
وأداتها الطبقات الديكتاتورية السابقة في
الحروب والبذخ والسجون بحيث خرج العراق
مدينة بأكثر من مئة مليار دولار وقد اكملت
الطبقة الحاكمة بعد الاحتلال وبالتناغم مع
قوى الرأسمال العالمي اكملت عملية الخنق
والوادة عن طريق الفساد المالي غير المسبوق
وحرف التطور وإنفاق الأموال على القوى
الأممية وقوى القمع تحت ضغط محاربة
الإرهاب ونفذ المليشيات ومافيات السلب
والنهب التي تتعارض في مصالحها مع قيام
دولة المؤسسات والقانون والدستور وهنا
تلتقي مصالحها مع مصالح قوى الرأسمال
العالمي المحتل في تعثر وتأخر انجاز المشروع
الوطني الديمقراطي العراقي وتنمية نزع
الاستهلاك لغرض الاستهلاك وبذلك تجعل من
الأفراد كتل استهلاكية دون النظر الى فائدتها
العملية ووظيفتها او خدمتها الجوهرية التي
تقدمها للأفراد حيث يقول محمد جمال باروت
(المنظورات السوسيولوجية نرى في مجتمع
مابعد الحداثة مجتمع مابعد الفرد والفردية انه
"يفيلق" الفرد وينظمه في طرازات ذوقية
واستهلاكية وغذائية ورمزية وعملية متشابهة
ترتفع فيها السلطة من قيمة استعماله الى
قيمة رمزية بحد ذاتها فتقتنى لأجلها" (70)

العامل الذاتي الهام والذي يكن ان يعوض تطوره ووحده ووعيه كما نرى عن نقص وخذلان وهشاشة الموضوع حينما تمتلك الإرادة الواعية للترفع على واقعها الموضوعي وتتجاوزه والخلاص من الآلية الميكانيكية للارتباط بين الذات والموضوع وبين البناء الفوقي والتحتي وخصوصا ما أصبح للذات من دور كبير في ظل التطور العلمي والتكنولوجي وثورة المعلومات والاتصالات.

ولكن للأسف نجد الطبقة العاملة وقوى اليسار العراقي تتخبط في مستنقع الموضوع الفاسد وعدم تحررها من النزعات الطائفية والعرقية والقبلية والشرذمة والتشتت بين من انجر تحت ذريعة الأمر الواقع الى السير ضمن المشروع ((الديمقراطي)) الامريكي وبين قوى سلفية متطرفة لاتمتلك غير الشعارات الديماغوجية الفارغة وتسليم قيادها للتقليد العقائدي والفكري لجر الواقع الى مسطرتها المتكلسة والفاقة للمرونة والإبداع في تفكير وتنظير وتغيير الواقع وبين متفوق على نفسه مترفعا ومستنكفا على كل ابناء وطنه بدعوى ان ليس هناك من يفهمه ويقدر عبقريته وقدراته الفريدة والمتفردة وهناك من انزلق تحت ضغط موجة الكسب الرخيص الى الاستجابة للتفوق والانعزال القومي مخلفا وراءه امميته التي كان يزعم بها ليل نهار وهناك من يريد ان يصهر الموضوع المعقد بنار الحماس ببيانات وشعارات تفتقر للواقعية ومن يريد ان يحي العظام وهي رميم...و...و.

هذا الواقع المؤلم الذي تشهد عليه اكثر من عشرين عنوانا لقوى شيوعية ويسارية عراقية

والتي يكاد لا يطبق بعضها البعض بل تغرق في
 تهم الانحراف والانجراف والتخوين والارتداد
 وقد تعثرت اغلب دعوات ومشاريع العمل
 المشترك وفق برنامج الحد الأدنى لهذه القوى
 باعتبارها كما نرى وكما سبق ان أوضحنا هي
 الخلاص الحقيقي والوحيد الممكن للانفكاك
 من ربة وهيمنة الاحتلال والاستغلال والإرهاب
 والديكتاتورية الخارجية والداخلية وهي بذلك
 ممكن ان تلقي بحبل النجاة لجماهيرها من
 العمال والفلاحين وعموم الكادحين والطبقة
 المتوسطة البائسة وجموع المثقفين
 والديمقراطيين الوطنيين للخلاص من حالة
 الضياع والغرق بفعل أمواج بحر الطائفية
 والعرقية والقبلية المتخلفة قبل وبعد تشظية
 الديكتاتورية تحت مطرقة قوى الاحتلال
 الخارجي وهي طبعا لاتسعى لقيام وبناء
 الديمقراطية والحرية بل تعمل على ادامة
 مشاريع الديكتاتوريات المشتتة والمقزومة ،
 وتشل من قدرتها على اتخاذ القرار لتكون
 الرأسمالية الأمريكية هي صاحبة القرار الاول
 في مختلف الشؤون الاقتصادية والسياسية
 الهامة في عراق مابعد الديكتاتورية الصدامية
 المركزة المتصارعة فيما بينها تحت مختلف
 الأقنعة الدينية والقومية والعرقية وهي تعبر
 بشكل نموذجي عن الطبقة السياسية المهيمنة
 الان من الإقطاع والبرجوازية الطفيلية
 والربوية والمافيات المتغولة وعصابات السلب
 والنهب المنظم ،مستغلة في ذلك ضعف
 وهشاشة نقيضها الطبقي الممثل في طبقة
 وسطى وطبقة عاملة ناهضة وواعية لدورها
 ومدافع عن مصالحها الوطنية والطبقية مما
 أعطاهها حيزا كبيرا ووقتا مفتوحا للاحتراب
 والاختلاف حيث يسعى كل منها للاستحواذ على

كرسي السلطة والمال دون غيره، حالها حال أية عصابة من السراق التي يوحدها هدف سرقة ضحاياها من اجل قهرهم وإفقادهم القدرة في الدفاع عن حقوقهم ولكنها حتما ستغرق في دوامة الاختلاف في اقتسام الغنائم والسراقات بحيث لا يحسم هذا النزاع والاختلاف الا بتوحيد ضحايا السراق واستعادتهم لحقوقهم والحد من عدوانيتهم وطمعهم او ان يتمكن احد زعماء عصابات النهب والسلب بالسيطرة والهيمنة على انداده وحسم الصراع لصالحه بقمع الأطراف الأخرى وإخضاعها لسيطرته وهذا أمر يعتمد على مدى انحياز الرأسمال الامريكي المسلح لأحد هذه الاطراف او العصابات التي ترى فيها ضمانا لمصالحها المحلية والإقليمية للولايات المتحدة الأمريكية الراهنة والمستقبلية.

طبيعة الطبقة العاملة العراقية وأفاق التطور

لا يمكن لأي طبقة او فئة اجتماعية ان تكون منفصلة من حيث الصفة والمواصفات السيكولوجية والسلوك اليومي والعام عن المجتمع الذي تنبثق منه وما يتعرض له هذا المجتمع خلال تاريخ تطوره وصيرورته حيث يذكر هنا حنا بطاطو في هذا المقال ((عند ملاحظة تتابع الأوبئة والمجاعات والفيضانات والكوارث الأخرى التي حلت ببغداد ان المدينة كانت أشبه بشرك للموت وإنها كانت مفترسة الناس وان مناطق العشائر كانت مصدرا للتعويض وخزانة للسكان بالنسبة

للمدينة)) والثقافة العامة والموروث الحضاري للشعب والمجتمع(فمن 1621-1895 حصلت في بغداد 6 مجاعات و 7 فيضان مدمر أوباء شامل حرب أهلية طائفية مجزرة فارسية ضد السنة ((قتل مئات الألوف)) وبيع الآلاف كعبيد مجزرة تركية ضد الفرس ذهب ضحيتها 30 ألف شخص حصار فارسي ((اكثر من 100 ألف ماتو جوعا))((طاعون شديد))

ولم تكن أمهات المدن العراقية بأفضل حالا من بغداد من حيث الكوارث والغزوات والأمراض والمجاعات. ومن يتأمل حال العراق ومدنه وبالخصوص بغداد يرى مصداقية قول بطاطو بان بغداد كانت ولا زالت(مفتلسة) للناس وشرك للموت ففي مطلع القرن الثاني والعشرين تبدو بغداد والموصل والبصرة كمدن أشباح لاتعرف غير أدوات القتل والحرائق والمصائب ربما فاق كل ما سبقه فمن حروب الديكتاتورية السوداء الى حروب "التحرير" الهوجاء.

وبذلك لايمكن ان نعزل الطبقة العاملة في ميزات العامة عن المجتمع العراقي عموما وما ستبطنه لاوعيه الجمعي من تطلعات وتصرفات ونهج سلوكي وحضاري ومنها صراع قيم البداوة والحضر في الشخصية العراقية ، قيم الريف والمدينة قيم وحضارة الحداثة العلمية والفلسفية وماقبلها، تنوع مكونات المجتمع العراقية القومية والدينية .

وديان عميقة وجبال شاهقة سهول خصبة ومسطحات مائية واسعة و صحارى مجدبة واسعة مناخ متطرف بين شتاء بارد قارس

وصيف حار ملتهب تباين طبقي صارخ بين ثراء فاحش وفقير مدقع .

ان مجمل ما ذكرناه تكاد ان تكون عوامل موضوعية خارجة عن تحكم الفرد العراقي وما تعكسه على سلوكه وتصرفاته وشخصيته والتي غالبا ما تتميز بالتناقض والتحويلات الدراماتيكية السريعة وردود الفعل السريعة والعاطفية الجياشة بقوة ورقة وعذوبة مياه الرافدين وط 0 او طغيان و فياضنه او صهيوده وشحته بين عطاء السهول وجذب الصحراء... الخ عموم هذه الصفات لابد ان تجد لها مظاهر وتجليات لدى عموم العراقيين ومن ضمنهم العمال.

ففي الوقت الذي استطاعت الطبقة العاملة العراقية ان تكون وسطا ملائما وتربة خصبة للأفكار الأممية ونزعة التسامح القومي والديني والاندفاع العاطفي الايجابي للانتصار للحق والعدل ورفض الظلم والقهر مما سهل رسوخ الأفكار الداعية للعدل والمساواة والتضامن الانساني وخصوصا الفكر الاشتراكي خلال سنوات العشرينات من القرن المنصرم كنفوذ الحزب الوطني الديمقراطي العراقي ومن ثم شبه الهيمنة للحزب الشيوعي العراقي على نشاطات وفعاليات ونضالات الطبقة العاملة العراقية وعموم الكادحين والنازعين صوب الحرية والعدالة في العراق. حيث تبوء غير قليل من العمال العراقيين او من أصول عمالية عراقية مواقع ومراكز هامة في قيادة الحزب الشيوعي العراقي.

وهذا ليس غريبا على تاريخ الشعب العراقي موطن ومولد الحركات الثورية في العالم

العربي والإسلامي كحركة الزنج والقرامطة والحركات الثورية الأخرى التي تغص بها كتب التاريخ كالحركات العلوية والإسماعيلية كحركات تحمل لواء العدل والحرية ومناهضة الاستبداد والتعصب القومي والديني ولكن من العوامل الهامة الكابحة لتطور وتقدم نضالات الطبقة العاملة العراقية هي الطبيعة الريفية لمختلف الحكومات التي تولت الحكم في العراق ومنها الخلافة العباسية ومن ثم الإمبراطورية العثمانية مما أعاق كثيرا نمو الصناعات والقطاعات المنتجة في عموم البلدان الغربية والإسلامية وخصوصا العراق ثم كان الاستعمار البريطاني للعراق وتحويله الى مستعمرة تدر زهبا اسودا في جيوب الرأسمال الاحتكاري النفطي جاهدا للعمل دون تطور البلاد الزراعي والصناعي ماعدى ما يصب في خدمة اقتصاده وتطوره وحماية مصالحه وخصوصا في مجال القطاع الخدمي والاستهلاكي غير المنتج مما أعاق وعوق نمو وتطور الطبقة العاملة العراقية من حيث العدد والنوع حيث يذكر بطاطو

(ان الانكليز الذين كانوا يتوقون الى تجنب الكلفة الباهظة للإبقاء على قوات احتلال كبيرة في البلاد راو في موازنة العشائر ضد أهل المدن ضمانا أكيدا لاستمرار سلطتهم وهكذا فإنهم لم يحاولوا فقط وقف العملية المبتدئة لانحلال العشائري او صون سلطة رؤوسا العشائر وتبريرها او المحافظة على الحد الأدنى فحسب من التفاعل بين أهل المدينة والعشائر بل أنهم عملوا على تدعيم الانشقاق القائم بتقوية العادات العشائرية بل أنهم عملوا على تدعيم الانشقاق القائم بتقوية

العادات العشائرية والاعتراف بهارسميا وأنظمة حل النزاعات العشائرية التي أصدرها الانكليز في 27 تموز 1918 بصيغة بلاغات لها قوة القانون)(71)

وحتى بعد التخلص بشكل يبدو كاملا من الهيمنة الرأسمالية الامبريالية وخصوصا بعد 14 تموز 1958 وما بعدها من الانقلابات ولتغيرات والحكومات فبالإضافة الى كونها غير مستقرة ومضطربة وهذا بالتالي يعرقل كثيرا من خططها وبرامجها الاقتصادية والتنموية بالإضافة التدخلات والأيدي الظاهرة والمستترة لقوى الرأسمال العالمي التي تعمل لعرقله ونمو اقتصاديات البلدان المتخلفة وإحكامها ربط اقتصادها بالسوق الرأسمالي العالمي وقد كان للانقلاب الفاشي في 8 شباط 1963 اثرٌ كبيرٌ في عرقله وإجهاض الحركة النهضوية العراقية وفي مقدمتها تشتيت وإضعاف وشرذمة وكبح جماح الطبقة العاملة التي أرعبت أعداءها الطبقيين في الداخل والخارج.

هذا العامل يضاف الى اعتماد السلطات والحكومات لعراقية على البترول كمصدر رئيس من مصادر الثروة والمال وكمورد للصرف والإنفاق على دواوين الحكومة وأجهزتها القمعية والخدمية بالإضافة الى ارتباطاتها المتباينة بالرأسمال العالمي حال دون اعتمادها المشاريع الصناعية والزراعية الكبيرة لتكون مصدرا مهما من مصادر الثروة مما جعل من العراق بلدا مستهلكا بالدرج الأولى فبدلا من ان تكون الدولة هي التي تمد يدها الى الشعب ودافعي الضرائب لتمويل مؤسساتها

فاستحوادها على الموارد النفطية كانت يد الشعب هي الأدنى والحكومات هي صاحبة المكرمات والمنح والعطايا لأبناء الشعب .

كل هذا أدى الى عدم تطور الطبقة العاملة العراقية وحال دون تعاظم دورها في الشأن العراقي السياسي والاقتصادي مما جعلها تعيش واقع الضعف والتبعية وذلك كون المال يصقل وعيهم الطبقي والسياسي بدرجة كافية لكون اغلبهم من منحدر فلاحي حديث العهد بالعمل الصناعي والحضري ففي لوقت الذي يضع رجله في المعمل والمدينة تكون رجله الثانية وجزءا كبيرا من عقله وسلوكه معلقا في القرية وقيم القبيلة والعشيرة مما وضع عوائق كبيرة أمام السعاة السياسيين والنشطاء الثوريين لجذبهم نحو العمل المهني ولسياسي وفهم واستيعاب الصراع الطبقي وطول المطاولة في معارك الكفاح الطبقية والوطنية ضد قوى الاستبداد والاستغلال.

يضاف الى هذا كله استطاعت القوى السلطوية الظلامية ان تحرف العمال عن طريقهم الكفاحي الثوري والعمل على زج العمال في معارك طائفية وعشائرية ومعارك ثانوية على نطاق العراق بأكمله على نطاق المدينة الواحدة فمرة تحت الذراع الطائفية والقومية والعرقية وحتى على مستوى المحلات والأطراف وبين سكنة الريف والمدينة وتفضيل بعضهم على البعض الآخر وخلق بؤر التوتر والحساسية بين بعضهم البعض وما نعيشه الآن تحت ظل الاحتلال والاستغلال الرأسمالي لخير دليل على

مانقول حيث تم جر العمال وعموم الكادحين في أتون حرب أهلية طائفية مدمرة.

ومفاعله الدكتاتور صدام بتحويل العمال الى موظفين الا احد الأسباب والسلوك الذي استمرت سلطات مابعد الديكتاتورية لمركزة على التمسك بها بدافع إبعاد الطبقة العاملة لتأخذ دورها الفاعل في العملية السياسية والطبقية في العراق وقد تجسد هذا الأمر واضحا وجليا تماما فتغيب صوت الطبقة العاملة في البرلمان العراقي والحكومة العراقية التي ثبتت بخبث وسبق إصرار من قبل المحتلين ضمن أسس ومنهج المحاصصة الطائفية والعرقية وليس عل أساس التمثيل الاجتماعي سعيا منها لإدامة الوضع المشحون والمتوتر والغير مستقر في العراق مما يسهل لقوى الرأسمال العالمي وأتباع وأذنابه في الداخل نهب ثروة العراق والاستئثار بالثروة والجاه وعدم إذكاء روح الوطنية والطبقة الواعية والصادقة بين جماهير العراق المعدمة والمقهورة المتطلعة صوب الحرية والكرامة والمساواة.

الطبقة العاملة العراقية والوضع الراهن

ان الواقع الراهن للعراق وهو يزرع تحت هيمنة الرأسمالية العالمية المتوحشة بقيادة الرأسمال الامريكى المسلح التي تثبت أنّ العولمة الرأسمالية المسلحة هي الطور الأخير من الامبريالية باعتبارها أعلى مراحل الرأسمالية

كما وصفها لينين بالإضافة الى تشظية الدكتاتور الأوحده (صدام حسين) الى عدد لا يحصى من أقزام ديكتاتورية بأشكال وأوصاف ومسميات شتى بين دينية وعرقية وقومية مختلفة وفتح الحدود لكل قوى الإرهاب والقوى المعادية للولايات المتحدة تحت مختلف الأسماء والمسميات لتكون الساحة العراقية هي الساحة المختارة من قبل أمريكا للمنازلة وطبعاً هذا الحال أتاح للمافيات المختلفة لتجد لها مرتعاً خصباً في العراق وقد ارتضى هذا الخيار الأشقاء العرب والمسلمون !!؟؟

مما يضع أمام الطبقة العاملة العراقية وقواها الواعية وقياداتها المهام الرئيسية التالية كم نجتهد:-

أولاً- ان يكون لها برنامج واضح لمقاومة الرأسمال العالمي والأمريكي بوجه الخصوص حيث يأخذ نضال العمال دوراً مزدوجاً أي دوراً وطنياً ضد المحتل وطبقياً ضد المستغل.

ثانياً- وبالارتباط مع أولاً ان يسعى نشطاء العمال على توحيد صفوفهم والانضواء تحت لواء نقابات ومنظمات واتحادات مهنية قوية وفاعلة وعدم الانجرار لما يريده أعداؤها الوطنيين والطبقيين في حالة الشرذمة والتشتت.

ثالثاً- إتباع وتفعيل عوامل ضغط بمساندة كل القوى الوطنية والديمقراطية وخصوصاً اليسارية منها على الحكومة العراقية من اجل إعادة الحياة للمصانع والمعامل والمنشآت الصناعية والزراعية المختلفة وبناء الجديد منها لاستيعاب اليد العاملة العاطلة والمعطلة.

رابعاً- العمل الجاد بمختلف الوسائل ليكون صوت الطبقة العاملة مسموعاً على الساحة السياسية العراقية ليكون حاضراً في قبة البرلمان كطرف رئيس فاعل عند اتخاذ مختلف القرارات والقوانين والإجراءات بما يخص رفاه الشعب وحرية ومستقبل الوطن بعد ان تم تغييب الطبقة العاملة وممثليها في البرلمان وسط هرج الطائفية والعرقية وفقاً لما يخدم مصالح الاحتلال ورأس المال والطبقة السياسية المنتقاة من قبل الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها لحكم العراق.

خامساً- التخلص من هيمنة صيغة المحاصصة في قيادة العمل النقابي المفروض من قبل الطبقة السياسية البرايمرية وتهميش الممثلين الحقيقيين للعمال عبر انتخاب ديمقراطي نزيه حر والعمل على تعبئة العمال ونشطائهم لانتخاب وتبريز قيادات عمالية مناضلة فاعلة كفوءة ومجربة.

سادساً- إيجاد أفضل الروابط والوشائج والعلاقات التنسيقية والنضالية مع قوى اليسار العراقي والعربي والعالمي بما فيه الأمريكي ومع نقابات العمالية الفاعلة في هذه البلدان من اجل الوقوف بوجه الاحتلال ورموز الرأسمال العالمي ومناهضة العولمة الرأسمالية المتوحشة مع ضرورة عدم هيمنة طرف على الآخر او فرض وصايته وهيمنته ليكون كل عمل سياسي هو عمل ديمقراطي ولكن ليس كل عمل مهني وديمقراطي او نقابي هو عمل سياسي بالضرورة.

سابعاً- الاهتمام البالغ بالدور الاعلامي الدعائي لنشر فكر وروح وتراث لطبقة العاملة لعراقية

أولا والعالمة عموما بين صفوف الشغيلة اليد والفكر والعمل على تأسيس دور الثقافة العمالية في مختلف محافظات العراقية بالإضافة الى ضرورة وجود كلية او جامعة عمالية تختص بتهيئة وتأهيل كوادر عمالية متسلحة بالعلم وأساليب الكفاح ووسائله وطرقه العملية والقانونية والدستورية.

العمل على تأسيس صناديق التضامن العمالي لتكن عوناً غير مشروطٍ للعمال وعوائلهم ضد حالات البطالة والسجن او لملاحقة والمرض مع إقامة أفضل العلاقات مع المثقفين اليساريين والديمقراطيين باعتباره من أكفأ واقدر الأضواء المجربة لكشف دهاليز الظلم والظلام الرأس مالي والإرهابي وفك مغاليق أسباب البؤس والجهل والبطالة والتخلف.

ثامنا- نبذ روح الاتكالية للنقابات والاتحادات والمنظمات العمالية على الرعوية واستجداء المعونة وانتصارها للعمل النقابي والتبرك بصولجان السلطة وعصاه الأبوية التي سرعان ما تتحول من عكاز الى هراوة وسوط لجلد العمال عند مساسهم لمصلح الطبقات المستغلة التي ترعاها السلطة وليكن العمل النقابي عمل تطوعي مهني ذو تمويل ذاتي او غير مشروط والحذر من العناصر النفعية والانتهازية والمصلحية ونفائيات النظام الدكتاتوري السابق وهم أصحاب الخبرة والتجربة في أساليب الحربنة والتسلل والتلون ولبس الأقنعة للسيطرة على المنظمات والنقابات المهنية والديمقراطي العراقية خدمة لأهدافها وحررها عن اهدافها الحقيقية والذي

يشير الواقع الفعلي للأسف نجاح مثل هذه النماذج في مساعيها هذه.

تاسعا- تنظيم كفاح منظم ومتواصل لإلغاء مفارقة التمويل الذاتي للمنشآت والمعامل الصناعية) رغم كل مالحق بها من ا لدمار والخراب والسلب والنهب والتعطيل والإهمال وتقدم اغلبها وافتقادها لمصادر الطاقة والمواد الأولية والمكمل لعملية الإنتاج والتشغيل بالإضافة الى عدم حمايتها من افتراس السلع والمواد البديلة المستوردة ضمن منهج حرية السوق وعدم وجود حماية للمنتوج الوطني لحين بلوغها سن الرشد وإنهاء فترة من النقاها لتكون قادرة على حد معقول من المنافسة هذا بالإضافة للأوضاع الأمنية لمتردة مما تنعكس سلبا على العمل والعمال والذي ذهب العشرات منهم ضحايا الإرهاب والعنف والبضد من ذلك تسعى بعض القوى المتنفذة في السلطة الى تفكيك المنشآت والمصانع الإنتاجية العراقية وبيعها في سوق الخردة او اوعطاءها بما يشبه الهدية المجانية الى حواشيها من المنتفعين بدعوى تشجيع القطاع الخاص وليكن ا لعراق سوقا واسعا للاستهلاك وليس للإنتاج وهذا مما يساعد على تحجيم وتقزيم وتبليد الطبقة العاملة العراقية خدمة لأصحاب المال ورأس المال.

إننا إذ نعرض تصوراتنا إنما ننطلق من الكثير من الحقائق والمشاهدات من الحقائق الظاهرة والمستترة والغير مستعصية على الباحث والمتابع للوضع الصناعي والزراعي في العراق والواقع المزري لقوى العمل والإنتاج في العراق.

المصادر والمراجع

- 1- هانس بيتر مارتين وهارالد شومان- (فح العولمة)- الص 171- فحة - عالم المعرفة -أب-2003 (منقولة عن مقولة الرئيس الأمريكي أبراهام لنكولن وهو الرئيس السادس عشر للولايات المتحدة الأمريكية).
- 2- ميشيل شوسودوفسكي- عولمة الفقر -الص 115- فحة - ترجمة : علي حسين السوداني -بيت الحكمة -بغداد.
- 3- هانس بيتر مارتين - (فح العولمة) - الص 115- فحة .
- 4- عولمة الفقر - الص 66- فحة .
- 5- عولمة الفقر - الص 104- فحة .
- 6- عولمة الفقر -الص 43- فحة .
- 7- عولمة الفقر - الص 74- فحة .
- 8- فح العولمة - الص 9- فحة .

- 9• - بدري يونس- (متى يعود ماركس) -
الصفحة 187 فحة - دار الفارابي - ط 1 .
- 10• - كريستا فيشتريش - (المرأة والعولمة)
- الصفحة 53 فحة - ترجمة : د.
سالمة صالح - منشورات الجمل - ط 1 .
- 11• - رالف ميلياند - (الاشتراكية لعصر
شكاك) - الصفحة 124 فحة .
- 12• - متى يعود ماركس - الصفحة 93
فحة .
- 13• - المرأة والعولمة - الصفحة
86 فحة .
- 14• - متى يعود ماركس - الصفحة
94 فحة .
- 15• - متى يعود ماركس - الصفحة
91 فحة .
- 16• - متى يعود ماركس - الصفحة
80 فحة .
- 17• - متى يعود ماركس - الصفحة
73 فحة .
- 18• - المرأة والعولمة - الصفحة
25 فحة .
- 19• - متى يعود ماركس - الصفحة
201 فحة .
- 20• - المرأة والعولمة - الصفحة
54 فحة .

- 21• - فرديك أنجلس - (دور العنف في التاريخ) - الصفحة 48 -
- 22• - ميلوفان ديلاس - (الطبقة الجديدة) - الصفحة 174 - ترجمة: مروان الجابري - المؤسسة الأهلية للطباعة والنشر .
- 23• - فرديك أنجلس - [ماركس والنضال الطبقي في فرنسا (1848-1850)] - دار التقدم .
- 24• - خليل أحمد خليل - (سوسيولوجيا الجمهور السياسي الديني في الشرق الأوسط) - الصفحة 205 - دار الفارابي - ط 1 - 2005 .
- 25• - الطبقة الجديدة - الصفحة 174 -
- 26• - الثقافة الجديدة - العدد 13 \ مايس \ 1970 - (كيف دخل أيار التاريخ) .
- 27• - المصدر نفسه السابق .
- 28• - المصدر نفسه السابق .
- 29• - نفس المصدر نفسه السابق .
- 30• - المصدر نفسه السابق - الصفحة 115 -
- 31• - المصدر نفسه السابق - الصفحة 119 -

- 32• عطيه الصيرفي - (عمال التراحيل) -
الصحف 33 - فحة - منشورات الثقافة
الجديدة - مصر .
- 33• المصدر نفسه السابق - الص
5 - فحة .
- 34• المصدر نفسه السابق - الص
15 - فحة .
- 35• المصدر نفسه السابق .
- 36• المصدر نفسه السابق - الص
69 - فحة .
- 37• الثقافة الجديدة - أيار \ العدد 24 \ 1971 .
- 38• حنا بطاطو - (تاريخ العراق) - ج 1 -
الصحف 372 - فحة .
- 39• صباح الدرة - الثقافة الجديدة - العدد 24 -
أيار \ 1971 - الص 37 - فحة .
- 40• المصدر نفسه - الص 20-30 - فحة .
- 41• المصدر نفسه .
- 42• ماجد لفته لعبيدي - (الطبقة العاملة
العراقية بين تعقيدات الماضي وإشكاليات
المستقبل) - 1 \ 5 \ 2006 .
- 43• صادق جعفر الفلاحي - (الثقافة الجديدة
(- العدد 28 - أيار \ 1973 .
- 44• المصدر نفسه .

- 45• - الثقافة الجديدة - العدد 24 - أيار \ 1971
- الص 155 - فحة .
- 46• - المصدر نفسه .
- 47• - المصدر نفسه - الص 22 - فحة .
- 48• - المصدر نفسه - الص 48 - فحة .
- 49• - المصدر نفسه - الص 22 - فحة .
- 50• - ماجد لفته العبيدي .
- 51• - الثقافة الجديدة - العدد 24 - أيار \ 1971
- الص 103 - فحة .
- 52• - المصدر نفسه - الص 105 - فحة .
- 53• - سعاد خيرى - (من تاريخ الحركة الثورية
المعاصرة في العراق) - ج 1 - (1920-1958) .
- 54• - حنا بطاطو - (العراق) - الكتاب الثاني
- الص 131 - فحة - ط 1 - بيروت - مؤسسة
الأبحاث العربية - ترجمة : عفيف الرزاز .
- 55• - المصدر نفسه - الص 131 - فحة .
- 56• - المصدر نفسه - الص 130 - فحة .
- 57• - المصدر نفسه - الص 130 - فحة .
- 58• - المصدر نفسه - الص 63 - فحة .
- 59• - سعاد خيرى - الص 124 - فحة .
- 60• - حنا بطاطو - ج 1 - الص 230 -
239 - فحة .

- 61• - ألاشتراكفة لعصر شكاك - الصـ 173-
174ـ فحة .
- 62• - بول لافارآ - (مآلة دراساا عرفة) -
الصـ 7 فحة - العءء 1 \ آشرفن الآنف \ 1970 .
- 63• - آنا بطاطو - الصـ 53ـ فحة .
- 64• - آواء هاشم - (آكوفن رأس المال فف
العراق) - الصـ 203ـ فحة .
- 65• - آنا بطاطو - (الآاب الأول) - الصـ
165ـ فحة .
- 66• - المصءر نفسه- الصـ 164ـ فحة .
- 67• - سمفر أمفن - آرفءة الزمان - العءء
2973- فف 20\4\2008 .
- 68• - عصام الآفآآف - (من الءولة الرفعفة
إلى نصف الءفمقراطفة) - الآافة الآفءة -
العءء 303 - كانون الأول 2001 .
- 69• - سمفر أمفن - آرفءة الزمان .
- 70• - مآمء آمال باروآ - (الءولة والنهضة
والآءاآة) - الصـ 128ـ فحة - ط 2- ءار الآوار .
- 71• - آنا بطاطو - (العراق) - الآاب الأول -
الصـ 43ـ فحة .

**قراءة في كتاب (البترول العراقي والتحرر
الوطني) - للأستاذ المفكر والمناضل العراقي**

إبراهيم علاوي*

انه لمن الصعوبة بمكان أن يتناول أحد التعريف
بعلم معروف كالمناضل الكبير و الأستاذ القدير
إبراهيم علاوي , ولكني سلكت هذا المسلك لما
أغراني من ثراء و دقة و موضوعية و معاصرة
محتويات الكتاب وما ضمت بين سطورها من
معلومات و فيرة و خبرة غزيرة في موضوع
النفط بصورة خاصة و إشكاليات الاقتصاد
العراقي بصورة عامه , وخصوصا في ظرفنا
العراقي الحاضر و كأن الأستاذ إبراهيم يتحدث
عما هو واقع اليوم وليس قبل أكثر من أربعين
عاما خلت وهي وقفة بسيطة من تاريخه
النضالي و العلمي والفكري الثري الذي أثار في
حينه الكثير من الجدل والنقاش وكشف الكثير
من كهوف الاحتكارات المظلمة ومزق أقنعة
القوى التابعة.

وهو ما نحن بأمس الحاجة إليه في حاضرنا
 المرير و واقعنا العسير وما ألنا إليه من مصير
 على يد وكلاء و أصدقاء وعملاء الاحتكارات
 البترولية العالمية وخصوصا الأمريكية منها التي
 حطت طائراتها ودباباتها و مدرعاتها و بساطيل
 عسكرها على أرضنا قبل أن تحط مكائن حفر
 واستخراج ونهب ثرواتنا الوطنية وعلى رأسها
 البترول العراقي .

حيث يلقي الأستاذ إبراهيم الضوء ساطعا على
 ممارسات السلطات الموالية في مختلف فترات
 الدولة العراقية الحديثة خدمة للرأسمال العالمي
 الاحتكاري ورعاية لمصالحها وكذلك ينير لنا
 صفحات تجارب شعوب الأرض في كفاحها من
 أجل تحرير ثروتها البترولية والأساليب
 الأجرامية والبشعة التي تلجأ إليها هذه
 الاحتكارات في معاقبة واستئصال من يرفع
 صوته لمعارضتها فضلا عن يرفع سلاحه ضد
 مصالحها.

ومن الناحية الأخرى إنما أردت أن اقرع جرس
 الاحتجاج العلمي والوطني أن لم نقل الثوري
 بوجه من نسوا أو تناسوا مثل هؤلاء المناضلين
 الكبار والوطنيين الأخيار في خضم لهاتهم
 لكسب رضا قوى الرأسمال العالمي وحيارة
 الملايين الدولارية من فتات موائدهم وسرقاتهم
 لثروت الشعب وخيرات الوطن.

أليس من الوطنية الحقبة والعلمية الموضوعية
 أن يستعين ذوي الأمر والنهي في ((السلطة))

العراقية اليوم يمثل هذه الكفاءات والقدرات لبناء الاقتصاد العراقي على أسس علمية وعملية رصينة بدل التخطيط على أيدي مجموعة أغلبها من المدعين و الانتهازيين وطالبي رضا أسيادهم الأجانب من مختلف الأعراق والمشارب قبل أن يطلب خير ورفاه الشعب الذي ينؤ تحت نيران الإرهاب الأسود والجوع والجهل والمرض وسموم الفساد الإداري والمالي وقبح الطائفية النتن. حيث ضاعت أصوات وإمكانيات وتضحيات هؤلاء الأعلام في مختلف شؤون الحياة و وسط سوق هرج المزایدات السياسية المتحالفة على النهب والسلب والنفع الخاص والمتخالفة والمتخلفة بكل ما ينفع الناس ويرفه الشعب ويحرر الثروة والوطن من براثن الاحتلال والاستغلال.

يرى الأستاذ إبراهيم وجود أهمية كبيرة لإيضاح مثل هذه القضية الهامة ويعني قضية تحرير الثروة البترولية من الاحتكارات فيقول (تكتسب هذه المهمة أهمية خاصة لعدة أسباب, أولها تفشي الجهل والأوهام بين صفوف الحركة الثورية بأبسط حقائق القضية الوطنية وخطورتها لم يكن مجرد ظاهرة عفوية ولا علاقة لها من قريب أو بعيد بإعمال و خطط شركات البترول الاستعمارية , ولا ترانا نغالي بالقول إن من أول إعمال شركات البترول السياسية في المنطقة هو منع قيام مثل هذا الوعي النفطي الذي لابد ان يهدد , بالنهاية المصالح البترولية الاستعمارية , وقد وضعت

احتكارات البترول نصب أعينها منذ البداية التفكير باستغلال البترول في العراق وإيران سياسة الصمت وتجنب ((إثارة أية دعاية)) قد تنبه أهل النفط لما يرتكب بحقهم في سلب ونهب لم يشهد له التاريخ من قبل (ص 6 (إن احتكارات البترول ترهب الوعي النفطي الوطني وتحارب البحوث الوطنية التي تعالج قضية البترول من ناحية ثورية . وذلك (في العراق على الأقل) بعرقلة البحوث الوطنية عن مشكلة النفط وعدم وجود سياسة نفطية واضحة تتفق عليها القوى الوطنية في العراق سوى سبيل المفاوضات العقيم الذي لم يجني العراق منه شيئاً يستحق الذكر) ص 7

ونرى ويرى القارئ الكريم حقيقة هذا القول في واقعنا العراقي الحاضر حيث إن أغلبية أفراد الشعب العراقي وحتى من المثقفين والسياسيين يجهلون ما يحدث لثروتنا النفطية حيث النهب الداخلي والخارجي , بالإضافة إلى التعتميم الكبير على حيثيات وتفاصيل وملاحق وطريقة صياغة مسودة مشروع قانون النفط والغاز المراد من البرلمان العراقي المصادقة عليه من وراء ظهر الشعب العراقي ودرأيته وموافقته بخصوص أمر من أهم الأمور التي تهم حياتهم وحياة ومستقبل أجيالهم إلا وهو النفط مستغلين في ذلك غرق العراقي وسط لجة موجات الإرهاب والاحتراب العرقي والطائفي وانشغاله حد الموت في تدبير شؤونه وعائلته اليومية وهو يزرع تحت كابوس البطالة

التامة والمقنعة الفساد والإفساد المالي والإداري . لتضمن بذلك جهله وبالتالي سكوته على من يدعون ممثليه في البرلمان التابع على صك البيع المسمى قانون النفط والغاز الجديد للثروة النفطية للاحتكارات النفطية الخارجية وبالخصوص الأمريكية والقوى الطفيلية من توابعها من العراقيين في سدة الحكم وتوابعهم.

وفي الوقت الذي تهز الهراوة بوجه أصحاب القرار العراقي بضرورة الإسراع بانجاز هذا القانون الذي كان وسيكون وسيبقى ثمن تربعهم على كراسي الحكم والهيمنة على السلطة تظهر أمام الرأي العام العالمي والعراقي أنها تسعى للتوزيع العادل للثروة الوطنية وترسيخ مبادئ الديمقراطية في العراق .

على الرغم إن الجمع من المثقفين وأصحاب الاختصاص في شؤون النفط والغاز والاقتصاد والسياسيين والصحفيين عملوا ولازالوا يعملون ما باستطاعتهم لتوعية الجمهور العراقي ووضع الحقائق الظاهرة والمستترة أمام أنظاره من اجل مقاومة أطماع شركات الرأسمال العالمي البترولية في العراق ونخص بالذكر هنا الأستاذ فؤاد قاسم الأمير وكتابه القيم في هذا المجال(ثلاثية النفط والغاز) والمعارضة السلمية لعمال نفط الجنوب و(الجبهة المناهضة لقانون النفط والغاز)و(الجبهة الوطنية العراقية لمقاومة مشروع قانون النفط والغاز) وشخصيات وطنية وخبراء نفط واقتصاد في

صراع ضروس بين الطرفين لنيل النصر النهائي
في معركة لم تحسم بعد.

كذلك بين الأستاذ إبراهيم أهمية البترول في
العالم مستشهدا ب (هارفي اوكونور) الذي
يقول :-

(من يملك البترول ملك العالم فهو ملك البحار
بالزيت الثقيل وهو سيد الجو بالزيت الخفيف
وهو ملك البر بالبنزين وزيت الإضاءة وهو فضلا
عن ذلك يتحكم بغيره من البشر الفاحش الذي
تدره تلك المادة العجيبة التي أصبحت أكثر إثارة
للأطماع من الذهب)

(إمبراطورية البترول). بقلم هارفي اوكونور
ص 19 ص 258

أليس غريبا أن تكون إمبراطورية البترول أضخم
إمبراطورية في التاريخ الحديث تتربع على
عرش البترول سبع شركات استعمارية عالمية
تؤلف فيما بينها ما يصطلح عليه تسمية بكارتل
البترول العالمي) ص 21

وواضح تماما ألان أن من يتربع على عرش
إمبراطورية البترول هو الوحش الأمريكي الذي
لايشبع من خيرات ودماء الشعوب وكيف هو ألان
يتربع مدججا بالسلاح على حاضر ومستقبل
بحيرة البترول العراقية المغربية قاطعا آلاف
الكيلومترات من اجل الهيمنة عليها بدعوى نشر
الديمقراطية في ربوع العراق والمنطقة .

ويوضح الأستاذ إبراهيم عن طريق جداول إحصائية واضحة ومقارنة علمية ومنطقية مدى الأرباح الهائلة التي تحصل عليها الاحتكارات البترولية من الدول المنتجة للبترول فيقول (يحتوي الشرق الأوسط - المع درة من التاج النفطية - ثلثي الاحتياطي المعروف من البترول في العالم كله) ص 23

أرباح شركات البترول لكل طن من البترول العراقي

معدل الربح السنوي للسنين 55-60 بالدينار لكل طن	الربح لكل طن بالدينار	الربح لكل برميل بالدينار العراقي	الإنتاج مليون دينار	العائدات/مليون دينار	السنة
	2.173	0.82	252	206	1955
	2.226	0.84	231	193	1956
	2.79	0.86	159	136	1957
	2.385	0.90	261	235	1958

2.120	0.80	303	242	19
				59
2.041	0.77	344	266	19
				60

يبين جدول أرباح شركات الإمبراطورية في كل قطر من أقطار الشرق الأوسط الرئيسية المنتجة للبتروول , وقد احتسبت على أنها مساوية للعائدات التي تسلمها لأقطار المذكورة في كل سنة من السنين المبينة في الجدول مقسمة على مجموع إنتاج كل قطر لاستنتاج معدل الربح بالدولارات الأمريكية للبرميل الواحد من البترول وكذلك بالنسبة للطن الواحد بالدنانير العراقية ,.... ويظهر من الجدول إن بترول العراق يعود بأعلى معدل ربح بالنسبة للطن الواحد إذ بلغ للسنوات أعلاه (2.204) ديناراً أي أعلى مجموع في الشرق الأوسط ل (77) فلساً للطن الواحد , وأعلى من معدل السعودية ب (101) فلساً ومن معدل الكويت ب (90) فلساً و إيران (97) فلساً .

كما تظهر الجداول حقيقة أخرى وهي أن مجموع أرباح شركات البترول الأجنبية من الشرق الأوسط (للبتروول الخام فقط) بلغ بين (1950-1960) نحو (6591) مليون دولار أمريكي أو ما يعادلها (2350) مليون دولار عراقي , وهو يمثل ربحاً سنوياً مقداره (392) مليون دينار عراقي , وربما يومياً يعادل أكثر من مليون

دينار .ولكن هذه الأرقام على ضخامتها لا تمثل إلا جزءا يسيرا من الأرباح الكلية للبتترول , فهي مع أخذ جميع التحفظات بنظر الاعتبار لا تمثل سوى أرباح النفط الخام فقط , وهذه لا تزيد عن 10% من مجموع الأرباح من عمليات الإنتاج و التصفية و التسويق) ص 28

إن ما عرضناه آنفا كان قبل أكثر من أربعين عاما فكيف هو الأمر الآن حيث الوسائل التقنية الحديثة والمتطورة لاستخراج البترول التي أدت بالنتيجة إلى زيادة هائلة في كمية الإنتاج وقله تكاليف البرميل الواحد مقارنة مع ما كان آنذاك , وهذا يدل على مدى ضخامة الثروة المسروقة من شعبنا من قبل هذه الشركات و عن مدى لا وطنية و عدم مسؤولية الأنظمة التي فرطت بهذه الثروة ,وأنكى من ذلك سعي سلطتنا الحالية بالسعي إلى تسليم الثروة الوطنية للاحتكارات البترولية بدعوى ضخامة التكاليف ونقص الخبرة وهي حجج واهية سبق وأن عرضنا تفنيدها وتفاهتها من قبل الأستاذ فؤاد قاسم الأمير في ثلاثة الموسومة (ثلاثة النفط و الغاز) .!!!!

وبعد ذلك يعرج الأستاذ إبراهيم على توضيح وشرح طريقة ثانية لحساب الأرباح الكلية للبتترول من خلال الإنتاج والنقل والتصفية و الرسوم والضرائب والتسويق ومن خلال جدول صادر عام 1964 من منظمة (أوبك) يخلص الدكتور إبراهيم علاوي إلى (إذا جمعت تكاليف الإنتاج والتصفية والنقل و الخزن و التوزيع و

التسويق (بما فيها ربح البائع) يكون مجموع تكاليف (34.1%) و عليه تكون الأرباح الصافية الكلية (66%) من القيمة النهائية للبتروول , و تحصل البلدان المنتجة أقل من (7%) من القيمة النهائية ,وبمعنى آخر فإن البلدان المنتجة تحصل على نحو (10%) فقط من الأرباح الكلية للبتروول ,بينما تحصل شركات و البلدان الأوربية المستهلكة على (90%) منها . أي أن الشركات الأجنبية و البلدان تستلم (9) دنانير كأرباح واردة صافية مقابل كل دينار واحد مستلمة البلدان المنتجة في الشرق الأوسط!)

...إذا أخذنا بنظر الاعتبار إن العراق أستلم عام 1964 نحو(123) مليون دينار (تقرير شركة نפט العراق - استعراض عام 1964) من عائدات البتروول و مقابل ذلك استلمت شركات البتروول الأجنبية و الدول المستهلكة لنפט العراق أكثر من مليون دينار لنفس العام و من بتروول العراق فقط , و هذا يمثل واردا صافيا نحو ثلاثة ملايين دينار في اليوم الواحد (!!!) ص 30

ثم يستطرد قائلا (إن هذه الأرقام ليست بالمستغربة فالدول المستهلكة تحصل على أربعة أو خمسة إضعاف ما تحصل عليه الدول المنتجة لكل برميل من البتروول المصدر عن طريق الضرائب والرسوم , و قد ذكر الشيخ عبد الله الطريفي في محاضرة له في نقابة المهندسين العراقيين بتاريخ 2/4/1964 إن البلدان المنتجة للبتروول للحصول على (70) سنتا , ونحو (200) فلسا - لكل برميل تصدره

بينما تحصل حكومات البلدان المستوردة أربعة أو خمسة أضعاف هذا المبلغ عن طريق الضرائب و حدها. وأورد الطريقي أمثلة على ذلك فذكر أن فرنسا مثلا تحصل على (4.85) دولار نحو (1.732) دينار لكل برميل من البترول المستورد , و هذا يعادل سبعة أضعاف ما تحصل عليه حكومات البلدان المنتجة في الشرق الأوسط . وتتقاضى الحكومة البريطانية رسوما مقدارها (3'10) دولار-نحو(1'107) دينار -من كل برميل بترول فيما عدا أرباح الشركات وهذا يعادل نحو أربعة أضعاف ما تحصل عليه البلدان المنتجة)ص 31

ثم يتطرق الباحث إلى الطريقة الثانية في حساب أرباح الشركات البترولية الاحتكارية في العالم وهي:-

-احتساب أرباح البترول هي استنتاج نسبة الربح إلى رأسمال المستثمر في صناعة البترول في الشرق الأوسط.

ان حسابات عوائد رأس المال ألاجني في صناعة البترول في الشرق الاوسط تظهر بجلاء فداحة الخسائر التي يعاني منها البلدان المنتجةالسرقه التي تقوم بها احتكارات التي فيبلدان الشرق الأوسط المنتجة للبترول.

وقد اخذ الباحث الكويت كنموذج لمدى ارتفاع نسبة إرباح هذه الشركات من نפט الكويت ومن هذه الشركات شركة كلف كوربوريشن الأمر.....

ومن خلال جدول أرباح شركة حلف ورؤوس أموالها في النصف الشرقي من الكرة الأرضية وبملايين الدولارات وهو مقتبس من كتاب لي مان (سعر بترول الشرق الأوسط) . حيث يقول (إذا اقترحنا ان نسبة رؤوس الأموال شركة حلف الموجودة في النصف الشرقي من الكرة الأرضية تساوي إنتاجها من الكويت إلى مجموع إنتاجها في النصف الشرقي (وذلك أمر مبالغ فيه) وهي (90%) تكون رؤوس أموال شركة حلف في الكويت نحو (135) مليون دولار أو نحو (50) مليون دينار ولما كانت شركة حلف تمتلك نصف رؤوس أموال صناعة النفط في الكويت يكون عندئذ مجموع رؤوس الأموال نحو (100) مليون دينار عام 1956 ولما كانت عوائد الكويت لنفس السنة هي (109) مليون دينار فعليه تكون نسبة الربح الصافي إلى مجموع رأس المال نحو (109%) على اقل تقدير ومن اجل المقارنة فان نسبة الدخل الصافي إلى رأس المال الصافي لست شركات أمريكية كبرى من عملياتها داخل الولايات المتحدة الأمريكية بلغت (15%) فقط والنسبة لعدد من الشركات الأمريكية الصناعية الكبرى للأعوام (1956- 1958) بلغت (12%) (كتاب سعر نفط الشرق الأوسط - بقلم لي مان) ص 34 وبلغت هذه النسبة لشركات البترول العالمية في فنزويلا عام 1956 (29%)

إما بالنسبة للسعودية فقد نقل الأستاذ إبراهيم عن الشيخ عبد الله الطريقي الخبير النفطي

السعودي المعروف (ان رؤوس الأموال الموظفة في السعودية في صناعة البترول تكسب نحو 100%) وفي منطقة قطر (150%) مقابل (12%) تحصل عليها كبريات الشركات البترولية والصناعية في الولايات المتحدة (محاضرة الطريقي المنشورة في نشرة نقابة المهندسين العراقية عدد(36)) ص 35

ويصل الدكتور إبراهيم إلى (لو اخذ معدل نسبة الربح للبلدان الثلاثة الرئيسية المنتجة للبترول وهي الكويت، السعودية، والعراق، يكون عندئذ نسبة الربح إلى رأس المال لعام 1955 نحو 70%) ومما يكن من أمر فهذه النسبة خيالية للربح، فإما قورنت بالنسبة السائدة في صناعة النفط في داخل الولايات المتحدة البالغة نحو (15 %) وإذا قورنت بنسبة الربح في فنزويلا . حيث بلغت عام 1956 (29 %) وبلغ معدلها (1955-1943) (19 %) . ومن خلال الجدول التالي لتكاليف التعقيب والإنتاج للبترول (للدینار لكل برميل) نرى :-

اسم البلد	تكاليف التعقيب	تكاليف الإنتاج
الولايات المتحدة	- / 400	- / 622,8
فنزويلا	- / 075,6	- / 183,6
الشرق	- / 001,8	- / 057,6

تظهر هذه الحقيقة حيلة كون بترول الشرق الأوسط اقل تكليفا في التنقيب والإنتاج من بترول الولايات المتحدة وفرنزويلا كما يظهر في الجدول أعلاه بوضوح ص 3-7

ثم يستعرض الأستاذ علاوي ويسلط الضوء حول الصراع على بترول العراق ويكشف عن الكثير من الوثائق والحقائق الهامة في تاريخ سعي الشركات البترولية الاحتكارية ومن ورائها حكومتها بكل ثقلها وخططها ومؤتمراتها منذ العام الأول لمحاولات الاستكشاف لبضعة خبراء ألمان التي زارت العراق للبحث عن البترول عام 1871 لغاية 14 تموز 1958 حيث تغير سبيل وطرق ومنهج ووجه المعركة تغيرا جذريا بعد الثورة والذي اقر له الكاتب فصلا خاصا في الكتاب . وهنا فهو يشير (لقد ظهرت قصة امتيازات البترول في العراق والصراع المرير بين الاحتكارات والدول الاستعمارية للاستحواذ على ثروات العراق عددا من الحقائق الهامة التي نرى من المفيد التأكيد عليها :-

- 1- الاستعمار البترولي في العراق هو الصفة الرئيسية لشكل السيطرة الاستعمارية على العراق، فالاستعمار في العراق يعني الاستعمار البترولي في الأساس
- 2- ان العراق شكل مركز ثقل بالنسبة للمصالح البترولية الاستعمارية العالمية , فقد كان بترول العراق احد أسباب قيام الحرب

- العالمية الأولى . وكان محور الصراع الدولي الاستعماري بعد انتهاء الحرب المذكورة , باعتباره القيمة الأساسية للمنتصرين في الحرب .
- 3- ان الحدود التي تفصل بين الشركات البترولية العالمية والحكومات الاستعمارية حدود وهمية , ففي مجرى تطور الصراع الاستعماري على بترول العراق عملت كل من الحكومات الأمريكية والبريطانية والفرنسية , علنا ويذا بيد مع الشركات التي تنتمي إليها , بل ظهر في كثير من الأحيان ان الحكومات ووزارات الخارجية أداة طبعة بأيدي الشركات البترولية الرأسمالية .
- 4- ان شركات البترول الاستعمارية لا تتوزع عن الإقدام على أي عمل , من الخداع إلى الرشوة , إلى التضليل , للوصول إلى أهدافها في انتزاع اكبر الأرباح من ثروات الشعوب المغلوبة .
- 5- ان الشركات الاحتكارية المكونة للكاريتل العالمي للبترول توصلت بعد صراع مرير إلى ان مصلحتها في مجابهة البلدان المنتجة للبترول بجهة واحدة , وإنها تستطيع انتزاع اكبر المغانم عندما تكون موحدة في احتكار الموحد .
- 6- ان خطط الشركات الاحتكارية البترولية للاستحواذ على بترول العراق ليست وليدة الساعة بل ترجع إلى أكثر من نصف قرن من المحاولات والصراع،ومن ورائها جميع الإمكانيات والنفوذ الرسمي للحكومات الاستعمارية وعليه فان خططها في تعزيز بترول العراق خطط طويلة الأمد ,مدروسة بمختلف نواحيها من طمس للحقائق وإخفائها عن أنظار الشعب ، والى إيجاد

**العملاء المكشوفين والمستترين وتربيتهم
وإنشائهم على خدمة مصالح الشركات
الاحتكارية.**
.... وغني عن القول ان الإحداث قد أظهرت
مدى إحكام تلك الخطة الطويلة الأمد) ص 77-79

سمات الاستعمار البترولي:

(المصالح الاستعمارية البترولية هي من
الجسامة والخطورة بمكان بحيث تحتم ان تكون
معركة التحرر من قبضة الاحتكارات البترولية
معركة فاصلة بين المتحرر الوطني وبين
الاستعمار الدولي ، ولقد شهد التاريخ على ان
المعارك الأخيرة ، هي اشد المعارك ضراوة
وأهمية ، باعتبار الحد الفاصل بين الفرق
النهائي والهزيمة القائمة...
إمبراطورية البترول، فما تزال تتحدى التاريخ
وقد خرجت سالمة تقريبا من عدد كبير من
المعارك مع البلدان المستقلة...، وهي تدعم
جبروتها هذا بخبرات واسعة وإمكانات كبيرة
وجيوش ضخمة وكفؤة خفية من العملاء
والعسكريين والسياسيين و((المثقفين))
المتنفذين في أهم مراكز الدول المنتجة ، وحتى
المتحررة منها . وهي في هذا كله تستخدم
أجهزة الدول الاستعمارية الفخمة لمصالحها
الخاصة .

وكذلك يشير الكاتب إلى سمة أخرى من سمات الاستعمار البترولي فيقول:

(ان معركة أي بلد يلد مع الكارتيل الدولي تكتسب منذ البداية طابعا دوليا يؤثر على البلدان المنتجة الأخرى وعلاقتها بالاحتكار البترولي الدولي .

محاولة الشركات الاحتكارية أية محاولة تحررية من قبل أية دولة ، لاعتبار إنها تهدف إلى تحرير بترول الدولة وحدهما وحسب ، بل وباعتبار ان تلك المحاولة تهدد مجموع إمبراطورية البترول.

(لقد عملت الحكومات العملية في العهد الملكي المباد على شل إمكانيات العراق للإفلات من قبضة الاحتكار البترولي بتدمير الزراعة العراقية واتفاق أموال العراق على المشاريع غير المنتجة، وبذل أقصى الجهود لمنع العراق من تدريب الفنيين في عمليات البترول) ص 15.

وها نحن الآن نشهد ان ارض السواد تستورد الخيار والبصل والطماطة والبرتقال والرمان والرقمي والرز والحنطة واللبن .. الخ.

أي نسبة عالية من كل أنواع المنتجات الزراعية والحيوانية من خارج العراق ومن بلدان لا تمتلك مياه ولا سعة اراضيه الخصبة ولا خبراته البشرية!!!؟؟؟

وفي معرض حديثه عن ايجابيات وسلبيات خطوات التأميم الفورية والخطة الطويلة في

تميرير الثروة البترولية العراقية يرى الكاتب :
 (إننا ندعو إلى جعل قضية البترول الهدف الأول
 لأي حكم وطني ديمقراطي يطمح لخدمة العراق
 وتحقيق آمال الشعب العراقي في الحرية
 والحياة النيرة ، وان تكون محور جهوده أولا .

وهذا يعني فيما يعني إعداد خطة تامة لبناء تلك
 الموارد الاقتصادية في العراق التي من شأنها
 تقليص اعتماد العراق على عائدات البترول ، تلك
 العائدات التي تأتي بالمردود السريع نسبيا
 ليكون بمقدور العراق تأمين صناعة البترول عند
 أول فرصة مواتية) ص 156.

نشهد عكس ذلك تماما في وقتنا الحاضر حيث
 حطت على أرضنا طائرات ودبابات ومارينز
 شركات البترول الاحتكارية وبالتعاون مع العملاء
 والمفسدين واللاهثين وراء الربح بأي ثمن،
 ساعية إلى انهيار البنية التحتية الصناعية
 والزراعية في العراق حيث أغلقت أو دمرت
 المعامل والمصانع وفتحت أسواق على
 مصراعيها أمام المنتجات الصناعية والزراعية
 للدول الصناعية المتقدمة في حالة تنافس غير
 متكافئ بالمرّة بين أسواقنا المدمرة والهشة
 وبين قدرات وإمكانيات الأسواق والمنتجات
 للدول الصناعية والزراعية المتقدمة .

والأنكى من ذلك ان حكومتنا مغلوبة على أمرها
 ان لم تكن الكثير من عناصرها تعمل متخادمة
 ومتناغمة بل منسجمة تماما مع النهج
 الاستغلالي للرأسمال العالمي وبالخصوص

الامريكي وعبارة عن سماسة للأسواق
والمنتجات للدول الرأسمالية دون أي شعور
بالمسؤولية الوطنية والعمل على نهوض وبناء
وتطور الاقتصاد الزراعي والصناعي العراقي
تحت ذريعة إلهاب وتردي الوضع الأمني وهي
بذلك إنما تديم ذخيرة وتغذي ماكينة الإلهاب
بالمزيد ممن يدفعهم العوز والبؤس والجهل
بسبب البطالة الخائفة ليرتموا في أحضان
الإلهابين ومشاريعهم السوداء..

وان شركات البترول العالمية ترقص طربا على
أصوات الانفجارات ونيران الحرائق التي تلتهم
أجساد بني الإنسان والمصنع والمعمل والمزرعة
العراقية مادامت بعيدة عن آبار البترول وكما
يذكر احد ممثلي شركة نطق العراق بعد إسقاط
ثورة 14 تموز 1958 وجريان انهار الدم العراقي
على اثر الانقلاب الفاشي المدير من ضل
الاحتكارات البترولية ضد توجهات التأميم
لحكومة عبد الكريم قاسم حيث يقول

(لقد أريقت دماء عزيزة (في العراق) ولكن
شكرا للسماء لم ترق قطرة واحدة من البترول)
الأهرام الاقتصادي 15 أغسطس 1966 القاهرة
(ص) 170 .

ثم يواصل الكاتب القول

(ثورة 14 تموز وماتلاها من انتصارات ونكبات
و.....و..... والدم يجري على ارض العراق
دون انقطاع. وإرباح البترول تجري إلى جيوب
الأجانب دون انقطاع ايضا).

ومن مما تقدم فان المرء لا يستطيع ان يقيض شيئاً على لما ذكره الأستاذ علاوي قبل أكثر من أربعين عاماً ، وان بدا الوضع الراهن هو اسواء مما كان بكثير إذ نزل حماة البترول بطائراتهم وبوارجهم ودباباتهم فوق ارض العراق بالاحتلال واستعمار مباشر بعد ان أنجز الشعب العراقي وقواه الوطنية واليسارية والديمقراطية تأمين النفط العراقي بالكامل على يد حكومة البعث وان ما حدث بعد ذلك كأنه يفك طلاسم وألغاز ما حدث خلال هذه الفترة من حكم البعث وكأنه وحش بجسم عراقي وعقل احتكارات البترول لاستعادة أبار النفط والهيمنة على كل شؤون العراق وثرواته والاستثمار بموقعه الاستراتيجي في المنطقة والعالم وهذه المرة بدعوة تحرير الشعب العراقي من مسخه وصنيعته الدكتاتور الذي أجاد تأدية الأدوار المطلوبة الداخلية والخارجية والاستثمار بالثروة البترولية لتكون أموال البترول المكتسبة نتيجة تأمين النفط ليكون في خدمة الزمرة الحاكمة وأزلامها ولتمكن الدكتاتور وحزبه إحكام قبضته على الشعب العراقي بقوة الحديد والنار واستخدام الثروة البترولية الهائلة لشراء ذمم الساسة أفراداً وأحزاباً وحكومات لمساندة نظامه الفاشي المتسلط على رقاب العراقيين ، وإنهاك الشعب العراقي أفراداً وأحزاباً ،اقتصادياً،زراعياً وصناعياً ليقدمه لقمه سائغة على طبق من ذهب إلى ولية نعمته الامبريالية الأمريكية والاحتكارات البترولية جزءاً وفاءاً لما قدمته له من سند وعون طول أكثر من خمسين

عاما من وجوده على ارض العراق وكان
الدكتاتور في غاية الوفاء لأسياده إلى حد الجود
بنفسه على مذبح الرأسمال العالمي المتوحش
بقيادة أمريكا وحلفائها .

وهاهي الطبقة السياسية الحاكمة والمتنفذة
في الشأن العراقي اليوم يعدون العدة لمنح
الثروة البترولية العراقية كهدية للشركات
الاحتكارية مقابل تمكنهم من اعتلاء عرش
الدكتاتورية المتوارية ليكونوا بذلك خير خلف في
رعاية مصالح الرأسمال العالمي من خلال تمرير
مشروع مسودة قانون النفط والغاز المزمع
التصويت عليه في مجلس النواب العراقي منذ
الصيف الماضي وبدفع قوي مباشر وغير مباشر
من قبل الحكومة الأمريكية لولا إنهم لمسوا
مقاومة قوية من الرأي العام العراقي وبعض
الأصوات الوطنية في مجلس النواب .

ونرى لمن المفيد حقا ان نعرض الفقرة التالية
من كتاب الأستاذ إبراهيم علاوي الذي تكاد تكون
مطابقة تماما لما يمر في الوقت الحالي بعد ان
نضع أمامكم الفقرة التالية من حوار دار بين عبد
الكريم قاسم وشركات البترول الاحتكارية في
17/1/1961.

(عبد الكريم قاسم هذه آباركم باستطاعتكم
استغلالها كما تريدون , واني أسف لأقول لكم
بأننا سنأخذ بقية الأرض بموجب تشريعاتنا
الجاهزة حتى لا يكون ذلك مباغته لكم ,
وأشكركم على حضوركم . فيشير : أشكركم

على إخبارنا بذلك , وسننتظر ما ستكون النتائج .
 قاسم : أية نتائج ((ولم يمر وقت طويل ليعرف
 قاسم إلى أية نتائج كان يشير ممثل شركة
 بترول العراق ((.

وهنا يشير الأستاذ إبراهيم إلى ما حدث في
 انقلاب 8 شباط 1963 الأسود أي بعد اقل من
 سنتين من هذا التهديد لتغرق شوارع عموم
 العراق وخصوصا بغداد بأنهار الدم العراقي
 ولتغص السجون بكل من رفع يده وصوته وقلمه
 وسلاحه بوجه الاحتكارات البترولية في العراق ,
 وكأنها تقيد التجربة الإيرانية بإسقاط حكومة
 مصدق وغيرها من بلدان العالم . وكيف أعادت
 المخابرات الأمريكية الدور لنفس اللاعب القدير
 والممثل الأقدر على رعاية وتنفيذ المصالح
 الأمريكية في 17 تموز 1968 وتحت شعار
 معاداة الأمريكية والاحتكارات هذه المرة والتي
 تعدو ان تكون شعارات إضعاف ان لم يكن
 استئصال كافة القوى الوطنية والديمقراطية
 واليسارية العراقية والعربية المقاومة للنهج
 الاستقلالي للاحتكارات البترولية ومصالحها في
 العراق والمنطقة والساعية إلى تحرير الثروة
 الوطنية العراقية من هيمنة الاحتكارات العالمية
 فأجادت سلطة 1968 كما اثبت الوقائع
 والإحداث الماضية أيما أجاده وإتقان لدورها في
 نقل السيطرة الاحتكارية من يد الشركات
 البريطانية والهولندية والفرنسية لتضع كامل
 الثروة النفطية والسيادة الوطنية العراقية -عبر
 مسلسل متخادم ومتناغم من الحروب

الدوغمائية ((الثورية)) والشعارات الزائفة- في سلة الاحتكارات البترولية الأمريكية ومهدت حيزا كبيرا من القبول للمار ينز الامريكي على الأرض والعقل العراقي نتيجة لهمجية وفاشية وتعسف النظام الدكتاتوري بحق الشعب والوطن وهذا ما حدث بالفعل في 9 / 4 / 2003 .

ان الاحتكارات الأمريكية تضع الشعب العراقي في خيار صعب بين التنازل عن ثروته البترولية وبين حفاظه على حياة أبنائه وسيادة بلده ولها في إحداث شباط الأسود خير دليل على صدق الوعيد و بربرية الفعل لمن يقف في وجه أطماعها البترولية.

بعد ما تقدم نعود إلى ما ذكره الأستاذ إبراهيم حيث يقول (من دور عائدات البترول الاقتصاد العراقي , وكيف شوه عن طريق إهمال الزراعة وإنفاق الأموال المتأتية من الإنتاج المتزايد من البترول العراقي على مشاريع غير إنتاجية وفتح باب الاستيراد على مصراعيه , كل ذلك لجعل العراق أكثر اعتمادا على عائدات البترول حتى يظل تحت رحمة الاحتكارات الاستعمارية , ان استمر هذا الوضع ليس تهديدا خطيرا لاستقلال العراق بل نقضا صريحا لهذا الاستقلال (ولا حاجة لنا لنذكر كيف أصبح الاستغلال وهما ليس فقط بعد الاحتلال المباشر للعراق في 8 / 4 / 2003 وإنما منذ

ان سمح الدكتاتور ومهد لدخول فرق التفتيش عن السلاح ولحد الآن) فالشركات قادرة على

إرباك مجموع الاقتصاد العراقي بمجرد إيقاف الإنتاج أو الامتناع عن دفع العوائد إلى الحكومة العراقية , الأمر الذي يؤدي في الأوضاع الحالية إلى إيقاف مشاريع الأعمار وتقليص الاستيراد ونقاد الموارد الأساسية للدولة) ص 172 .

ويشير الأستاذ إبراهيم علاوي إلا ان (استيراد العراق بلغت نحو (146) مليون دينار عام 1961 وان (35) مليون دينار أو 24% منها كانت لاستيراد مواد غذائية .. وفي حساب بسيط ظهر ان نحو (70%) من المواد الغذائية التي استوردها العراق عام 1960 , 1961 يمكن ان تنتج محليا ويمكن ان يصدر منها إلى الخارج) ص 77 .

إما الآن فما عسى الأستاذ إبراهيم ان يقول ففي الوقت الذي بلغت فيه ميزانية العراق لعام 2008 أكثر من 48 مليار دولار وقيمتها الأعظم طبعا من إيرادات الصادرات البترولية الخام فان ما يزيد على (12) مليار دولار على اقل تقدير كما تشير تصريحات الكثير من مسئولوي وزارة التجارة مطلوبة لاستيراد مفردات البطاقة التموينية من الغذاء أي ما يعادل (25%) من ميزانية الدولة العراقية والتي يمكن للعراق ان ينتج ويصدر اغلب هذه المواد والمفردات بدلا من استيرادها من دول الجوار أو عبر البحار من دول العالم القصية وبأسعار ناهضة وبنوعيات اغلبها رديئة أو مغشوشة وغير صالحة للاستهلاك البشري و ما حصل للطحين والشاي والسمن النباتي والمعجون والاجبان والرز لايحتاج إلى برهان أو بيان.

ناهيك عن الاستيراد المسعور والغير مخطط
 للسيارات الخاصة والكهربائيات والالكترونيات
 الكمالية والأعجب من ذلك استيراد البنزين
 والغاز والنفط الأبيض كمن يطفو على مياه نهر
 عذب عظيم ولا يروي عطشه الا بشراء الماء من
 مستنقع الجيران الآسن!!

نقول اليوم لايشبه البارحة الذي تحدث عنه
 الأستاذ إبراهيم فقط وإنما هو أكثر قتامة
 وتعاسة وسوادا منه بما لا يقاس.

ولا يفوتنا ان نشير ان الأستاذ إبراهيم درس
 بعناية واقع الصناعة العراقية وخصوصا
 البتروكيمياوية وواقع الزراعة في العراق
 وكذلك درس تجارب الشعوب في تحرير ثرواتها
 وحماية استقلالها من قوى الاستغلال والاحتكار
 العالمي بما يستوجب الوقوف عندها لأهميتها
 البالغة بالنسبة للعراق اليوم لأنها صادرة من
 عقل عراقي مشهود له بعلميته وعمليته
 وشموليته ووطنيته كتجربة وخبرة مناضل وعالم
 ومفكر قدير.

*المهندس إبراهيم علاوي \ سكرتير الحزب
 الشيوعي العراقي - القيادة المركزية .

((خلال فترة اختفائه ايام انقلاب شباط الدموي بدء
 بالتخطيط للعمل على دراستين، الاولى حول النفط
 ونشرت ككتاب تحت عنوان "البتروال العراقي والتحرر
 الوطني"، والثانية حول تاريخ الفكرة القومية العربية
 في مصر.

ان انقلاب شباط النفطي الفاشي كان رد الشركات النفطية على القانون رقم 80 الوطني، وعليه يادر الراحل كتابة هذا الكتاب الطليعي والذي يهدف كما اكد الفقيه في مقدمته: "الى وضع قضية البترول في العراق في المكانة التي تستحقها من مجموع القضايا الوطنية التي تجابه الشعب العراقي... وان من اولى مهام الحركة الثورية في العراق بث الوعي النفطي بين صفوف الشعب عامة بل وبين فئات الطليعة نفسها... ورسم طريق الخلاص من سيطرة الاحتكار النفطي العالمي" وهي مهمة ما زالت تكتسب نفس القدر من الاهمية المحورية في وقتنا الحاضر.)) من مقالة ماجد علاوي في موقع تلسقف بتاريخ 3-شباط\2015 بعنوان ((لمحات من سيرة الفقيه أبراهيم علاوي))

أضواء

على

((براعم الربيع العربي))

دراسة تحليلية حول :-الاسباب ، الواقع الحالي
وأفاق التطور

(ما حدث هو أكثر من مجرد انتفاضة أو ثورة
يعود بعدها المجتمع إلى ما كان عليه قبلها، هو
أكثر من حركة احتجاج لكنه أيضاً أقل من
ثورة)

سمير أمين

يشهد عالمنا العربي كما يسميه بعض الكتاب
والمفكرين والمحليين السياسيين بالربيع
العربي، نتساءل هنا

نعم إننا شاهدنا براعم وزهور هذا ((الربيع)) وان
كان بعضها بلا رائحة، في حين لازال الوقت
مبكرا لنحكم :-

هل هي مثمرة أم لا؟؟؟

وان كانت مثمرة هل ثمارها نافعة او غير
نافعة؟؟؟

هل ان هذه الثمار معدلة جينيا أم لا؟؟؟

هل هذه الثمار مركبة او لا؟؟؟؟

هل هذه الثمار منتجة للاستهلاك المحلي او
للتصدير؟؟؟؟

هل هذه الثمار محرمة او غير محرمة وفي أي
شرع وشرعية تم تحريمها من عدمه؟؟؟؟



بعد سبات طويل ، وصمت كصمت القبور ،
انطلقت جموع المهمشين والساخطين على
الأنظمة المستبدة وكانت هذه الشرارة تحمل
رائحة اللحم المشوي المنبعثة من جسد
البرولتاري الرث (الخريج الجامعي) البائع
المتجول محمد بو عزيزي في تونس..... ثم
توالى الأحداث في مصر والبحرين واليمن

وسوريا ولا ندري أين سيسير تسونامي التغيير في العالم العربي لأنه ، بكل دوله وإمارة تقع ضمن خط الاستبداد والفساد ، يلاحظ المتابع هذه الفعاليات الجماهيرية ، إنها لم تنتظم تحت لافتة محددة تشير الى هويتها السياسية وانتماءها الايدولوجي كما هو حاصل في الانتفاضات والاحتجاجات السابقة، تنتظم تحت لافتة يسارية او دينية او قومية او مهنية ، وإنما هي انتظمت تحت لافتة اللا انتماء، انتظمت تحت لافتة الرفض لافتة الذي لا يريد:- الفساد ، لا يريد القهر السياسي ، لا يريد الإقصاء والتهميش.. ، يريد رحيل السلطة السياسية الحاكمة ولكنه لم يحدد ولا يدري ماذا يريد ولا ما هو البديل للمُرَحَل.. هذا الوصف لمثل هذه الانتفاضات او ((الثورات)) اكسبها إمكانية التواصل والتراس وعدم الاختلاف واكسبها القدرة على كسب المزيد ممن لا يريدون الأنظمة القائمة لمختلف الأسباب... ولكنهم لم يجهدوا الفكر حول توضيح رؤيا هم للسلطة القادمة البديلة ولا ما هو نهجها وبرنامجها وطريقة حكمها. فقد شغلهم انغماسهم في التواصل الشوارعي اليومي والعمل على إدامته وتواصله ، وهي لم تشأ ان ترتدي عباءة أيا من الأحزاب والحركات السياسية التقليدية صاحبة التاريخ الكفاحي التقليدي الطويل ضد السلطات الاستبدادية ، الأقصائية وضياع عناوين هذه الأحزاب والحركات ضمن البحر الجماهيري الهائج المضطرب متعدد الألوان وحجم ومستوى

ارتفاع أواجه... إنها انهمكت بالعمل ولم تهتم بالتنظير للمستقبل... الجمهور يعرف طريقه

استجابة لمطلب الرحيل ضمن الهتافات الجماهيرية الهادرة ارحل .. ارحل ... رحل الخط الأول والرأس في هذه الأنظمة بعد ان فقدت أجهزته القمعية ضبط الشارع او السيطرة عليه، وبسبب تخلي حلفائها الدوليين مثل أمريكا وبريطانيا وفرنسا عنها، هذه الدول التي أدركت واقع الموت السريري لهذه الأنظمة المتحجرة لعشرات السنين، الجالسة على كراسيها المنخورة ، فعملت على حزم حقائبها وكنوزها من المال والذهب والجواهر ورحلت لتكون ضيفا ثقيلًا على الأنظمة العربية المشابهة لها، والتي لم تزل ممسكة بكراسي الحكم.

على حين غرة وكأنه أمر غير محسوب وغير متوقع وجدت هذه الجماهير نفسها تعيش فراغا هائلا في السلطة بعد ان أصبح كرسي الحكم شاغرا. كأنها لم تدرك بعد إنها صاحبة السلطة الشرعية وان الملوك والرؤساء والسلاطين هم مستوظفين لديها، كأنها وريث غير شرعي مشكوك في شجرة نسبه ولم يمتلك مفاتيح قصور مورثيه .. هذا الحال الناتج عن طول فترة الحكم الاستبدادي وقهر الجماهير وإبعادها عن تقرير مصير بلدانها والتحكم بثرواتها.....

بواسطة هذه الأبواب المخلوعة الا قفال والمشرعة على دهاليز القصور ، الغائبة عن أنظار قوى التغيير والثروة او تهييها من

دخولها... استطاع الخط الثاني للسلطات المرحلة ان تتحكم في أركان هذه ((القصور)) الحاكمة وتتحكم في أضواءه ومداخله ومخارجه وغرفه السرية محاولة ان تحتفظ ب((الكي ماستر)) في يدها حفاظا على مصالحها وامتيازاتها وبالتالي الالتفاف على مطالب الجماهير المنتفضة وتجبير تضحياتها ودماءها لصالح أسياها الراحلين شكلا وليس مضمونا.



استطاعت هذه القوى ان تلتقط أنفاسها وتحتمي تحت شعارات براءة للتغيير وتبني بعض شعارات القوى المنتفضة لتنظم صفوفها وهي مالكة المال والخبرة والقدرة على المناورة والمحاورة المنافقة المراوغة... وقد استطاعت ان توظف واقع التشكيك ورفض مشورة وعدم الاستفادة من خبرة القوى والحركات السياسية صاحبة التاريخ الطويل في التفاعل الكفاحي مع السلطات الحاكمة...

استطاعت هذه القوى ان تخترق صفوف القوى الساخطة لتجرها الى فعاليات وأعمال غير منضبطة او الى تبني شعارات متطرفة وأفعال

تخريبية غير مبررة.. مما مهد الى ظهور خلافات شديدة بين قوى الثورة سعيا لتشيتت قواها وإلهائها في معارك جانبية... وبالتالي شراء ذمم بعضها او استمالة الاخرى والعمل على إقصاء قوى اخرى لم تستجب لمغرياتها، كما أنها تراهن على زرع روح اليأس والضجر الذي يصيب أعدادا من المنتفضين وبالتالي انسحابها من ميدان المنازلة مع النظام وبقياه.. وهنا لسنا بحاجة الى سرد تفاصيل أحداث من هذا القبيل وبمختلف الأوصاف حدثت في تونس ومصر وليبيا وسوريا والعراق وبلدان اخرى، كالاقتال الدموي بين الأقباط والمسلمين في مصر، وبين قوى الشرطة والجماهير في مصر وتونس.. بين المفاوضين والثائرين في ساحة التحرير العراقية حيث أظهرت هذه الأحداث انحياز قوى القمع الى ساداتها السابقين كوزير الداخلية المدعو بالعدلي في مصر وبعض رموز السلطة في تونس، وقد أفادت وكالات الأنباء ان السلطات أجازت لأنصار النظام السابق بتأسيس حزب باسم ((حزب الحرية)) ولا نعلم أية حرية سيعمل من اجلها هذا الحزب الذي احتضن الاستبداد ودافع عنه لعشرات السنين.

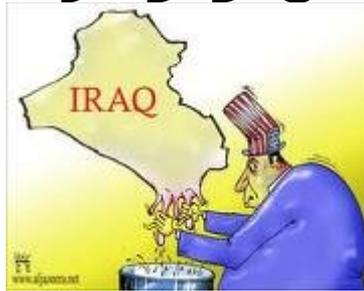


ما هي الأسباب الكامنة وراء استبدال الأنظمة الحاكمة؟؟؟

بعد أفول عهد الاستعمار المباشر وخصوصا بعد نهاية الحرب العالمية الثانية وانقسام العالم لمعسكرين معسكر شرقي ((اشتراكي)) ومعسكر غربي رأسمالي ، اعتلت كراسي السلطة في البلدان حديثة الاستقلال و ((التحرر)) قوى هجينة من الاقطاع والبرجوازية الطفيلية المرضي عليها من قبل القوى الكبرى ففي الوقت الذي سعى فيه العالم الرأسمالي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية إلياس هذه الحكومات لبوس الوطنية والشرعية الانتخابية، فقد أشاعت ثقافة الاستهلاك والاستملاك غير المشروع وكبح جماح البرجوازية الوطنية المنتجة سعيا لبقائها تحت هيمنة وسيطرت رأس المال العالمي والخضوع لإرادته... هذا الحال تطلب بقاء المجتمع راكدا أسنا محافظا على قيم التخلف في ظل سلطان الملوك والسلاطين والرؤساء والقوى الطائفية والعرقية لما قبل حديثة.. ساعد على ذلك هشاشة البنية التحتية الإنتاجية في هذه البلدان وهذا أدى بدوره الى تأليه القائد وتقديسه، وهشاشة الحامل الفكري لثقافة الحرية والديمقراطية والتعددية السياسية الساعي لبناء دولة الحدثة المدنية الدستورية التي ستستمد

شرعيتها من صناديق الاقتراع الشفافة النزيهة،
بمعنى تأييد حالة المجتمع الما قبل صناعي
يخدم الطبقة السياسية الحاكمة وراعتها وولية
نعمتها الرأسمالية العالمية
... يمكن ان تثرينا تجربة العراق منذ ولادة
الدولة العراقية بعد الاحتلال الانكليزي حيث
تميزت الطبقة المختارة من قبل التاج
البريطاني ب:-

1- إثبات عجز أهل العراق عن اختيار حاكم
دولتهم المزعومة فتم استيراد الملك فيصل
من الحجاز ليكون ملكا للعراق، رغم بروز
زعامات عراقية ارتأت إنها الأحق والأقدر
في حكم البلاد، وقد نجم هذا بسبب الصراع
العنيف داخل ((القطوازية)) العراقية -أي
الخليط الغير متجانس من بقايا الاقطاع
والبرجوازية الطفيلية الغير منتجة - لنيل
منصب الملك وليكون على رأس السلطة
وهذا بالطبع ناجم عن وجود أزمة مزمنة



في الهيمنة الطبقيّة داخل الحراك
الاجتماعي في العراق، الناتج عن القطع
القهري لتطور الطبقة البرجوازية الوطنية
المنتجة في العراق باعتباره بلدا ذو اقتصاد
ريعي معتمد على إيرادات الثروة البترولية

وقبل ذلك اعتماد الإمبراطورية التركية والعربية الإسلامية على إيرادات الخراج وليس على ما يدفعه دافع الضرائب لأصحاب رؤوس الأموال أي القوى المنتجة للثروة - حيث اعتبرت الثروة الطبيعية في مثل هذه الدول ليس ملكا للأمة أو الشعب بل ملكية للخليفة أو السلطان أو الملك أو الأمير يتصرف بها حيث يشاء يمنحها لمن يشاء ويمنعها عن من يشاء- مما همشها وأضعفها، فظلت ساحة الصراع الاجتماعي والسياسي تحت هيمنة ((القطوازية)). وقد كرس الاستعمار بالتخادم مع عملائه الطائفية والعرقية في العراق بين سنة وشيعة ومسيحيين وعرب وأكراد واشوريين وتركمان الخ وأبقى فتيل الفتنة مشتعلًا أو معدًا للاشتعال في كل حين لتفتت وحدة العراقيين وتهديد وحدة البلاد بالتقسيم وكما تذكر الدكتورة فيبي مار((إذا كان في مقدور المرء ان يتحدث عن دولة عراقية ، فليس بمقدوره لحد الآن الحديث عن امة عراقية، فحدود العراق الحالية تضم مزيجا متنوعا من الشعوب التي لم تنصهر بعد بمجتمع سياسي موحد له حس مشترك بالهوية ، وقد تواصلت عملية التكامل والاندماج بصورة مطردة منذ بدء الانتداب، لكنها لم تستكمل على الإطلاق)) تاريخ العراق المعاصر العهد الملكي ترجمة مصطفى نعمان احمد ط 1 2006 بغداد المكتبة العصرية

2- نتيجة لما سبق وتفاقم أزمة الهيمنة الطبقية كانت ((ثورة)) الرابع عشر من تموز 1958 بقيادة حفنة من الضباط ((الأحرار)) الذي ينتمي اغلبهم الى الاقطاع العشائري او الى الطبقة الوسطى الجديدة المصنعة - أي إنها لم تكن وليدة تطور العمل المنتج وحاجاته كما حدث في بريطانيا مثلاً ، وإنما صنعت هذه الطبقة من قبل السلطات الحاكمة لتيسير أمور الدولة وأجهزتها المختلفة وليس العكس مما جعلها تابعة للسلطة والحكومة فيما يفترض ان تكون الحكومة مستوظفة من قبل الطبقات المنتجة دافعة الضرائب وصاحبة الثروة- صعد العسكر للسلطة مصطحبين معهم أمراض طبقتهم ونزعة أطرافها للهيمنة والتسلط والانفراد بالحكم، مما أشعل بينهم فتيل الصراع الدموي العنيف المدعوم من قبل قوى داخلية وخارجية إقليمية وعربية وعالمية ، خصوصاً بعد قرار التأميم الجزئي للثروة النفطية، والهلع الذي أصاب العالم الغربي ومؤازريه من قوة وكثرة وعلو الرايات الحمراء في بلد النفط والعلم والموقع الهام.

3- على الرغم من الالتفاف الجماهيري الواسع بقيادة اليسار العراقي ((للثورة)) وزعيمها، إلا ان الزعيم صاحب النوايا الحسنة وصاحب مبدأ عفا الله عما سلف ، وخوفه من هدير صوت الجماهير في مظاهراتها المليونية التي طالبت بان يكون له شريك

في الحكم أفرعه، فانقلب على ممن نظم هذه الجماهير ومن قادها ، فكان ما كان في إبعاد الشيوعيين واعتقال ومطاردة بعضهم مستغلا تطرف وأخطاء وتهور بعض عناصرهم او من المندسين بين صفوفهم، ومن الطرف الآخر أصيب الزعيم بمرور الجمع الهادر باسمه واوحديته فلم يحترز ولم يحاسب القوى التي تعمل على وأد الثورة ومعها رأس الزعيم ومناصريه مدعومة من قبل قوى الرأسمال الاحتكاري العالمي، بالتحالف مع الاقطاع والبرجوازية الطفيلية في الداخل وهذا ما حصل خلال الانقلاب الفاشي في 8 شباط 1963، ومازالت هذه اللعنة المستدامة للقنطازية تشعل حروب الانقلابات والحروب الداخلية والخارجية حتى بعد ان جاءت محملة ثانية على دباباته في 9-4-2003 ليشرف بنفسه على إدارة وإدامة أزماته ليطلق عمر احتلاله واستغلاله ، ويستمر تدفق دم أبناء العرق وتستمر معاناتهم ، ويستمر نهب ثرواتهم وتنتهك سيادة بلادهم ، وكأننا نعود الى ما قبل تموز 1958 ، ولكن بما هو اشد قسوة وضراوة، ربما سيؤدي الى تقسيم البلاد وتأييد استغلال ثرواته الطبيعية ، لاشك عند ((بايدن)) الخبر اليقين.

يقول سمير امين بهذا الصدد مايلي:-

((ان النظم البورجوازية الوطنية الجذرية ((الشعبوية)) هي المسئولة عن الكارثة التي

تلت انهيارها، فهي التي ضربت اليسار وكسرت القواعد الشعبية التي كان هذا اليسار قد سبق ان بناها في ظروف صعبة، فهي التي ألغت الديمقراطية مهما كانت محدودة.... فألغت الناصرية في مصر الفكر الليبرالي البورجوازي، كما ألغت التعبير الحر لنقده من اليسار، وبذلك هيأت العودة الى الفكر السلفي المسئول عن تخلفنا التاريخي)) ص 269 في مواجهة أزمة عصرنا ط 1 1997

إذا كان الامر كذلك فما هو المحرك للكتل
الثائرة في بلداننا وما هو أفق انتصارها:-

ما اوضحناه سابقا يقود الى الاستنتاج تأييد حالة
من الركود والسكون وتعفن المجتمع بينما
تتكاثر بالانشطار وبالحث والإيحاء عن بعد
المزيد من الطفيليات و الاثنيات في هذه البرك
الاجتماعية الأسنة....

لكون الرأسمالية العالمية تحمل بين ثناياها تنا
قضاتها وعوامل هدمها وتقويضها لبنيتها. فهي
بالأساس ازدهرت وتطورت وفق فكرة الحرية
والديمقراطية وحرية التفكير والتدبير وقد دخلت
هذه البلدان وفق هذه الشعارات والادعاءات،
مما جعل محاكاتها في



طبيعة نظامها وطبيعة حياة الإنسان في ظلها
طموحا وأملا تسعى إليه شعوب بلداننا الراححة
تحت نير الظلم وحظر الفكر وخنق الحرية ، مما
عزز هذا الأثر عند شعوبنا نزعته الثورة والتمرد
والسعي لبلوغ حلم موعود وتمثل نموذج
مشهود.....

الامر الثاني ان طبيعة الرأسمال وسعيه للتطور
العلمي المطرد والمتسارع تحت ضغط التنافس
على الأسواق واختزال المكان والزمان من اجل
زيادة الربح واختزال الكلفة، كذلك العمل على
تصنيع المنتج المبهر وتصنيع المستهلك
المنبهر...

مما فجر ثورة هائلة في عالم التكنولوجيا في
شتى مجالات الحياة وبالخصوص عالم الاتصالات
والمواصلات وفي ذروته القنوات الفضائية
عابرة القارات، والشبكة العنكبوتية وتجدها
الدائم في جعل العالم مفتوحا.. هدم الحدود
وحطم القيود كما هو واقع حال الدولار
الأمريكي رمز رأس المال وهو يتنقل بخفة
ورشاقة وسرعة فائقة بين بلدان العالم كأنها
غرف دار أبيه.

أي ان الإنسان العربي أصبح يعيش افتراضيا
وسط عالم الحرية والانفتاح ولكنه مكبل بقيود

حكامه مما ولد لديه ردة فعل كبيرة دفعته للتمرد وكسر قيوده والتخلص من ارتهاناتها.. خصوصا وانه يتظاهر ويتمرد أمام أنظار العالم الذي يراقبه ويصفق له ويتحسس فعله وانفعالاته، ولى العهد الذي كان الإنسان يقتل او يقبر في غياهب السجون دون ان يعرف مصيره احد، اختزال أساليب ووسائل التواصل في الإرادة والفكر الى جهاز صغير ساحر -كومبيوتر و موبايل- فكان وسيلة هامة جدا في إنضاج نوايا التمرد وتحويلها الى فعل مؤثر في الشارع ، لا تعادله آلاف المنشورات السرية التي كان أبونا يضحون بحياتهم ووقتهم من اجل إيصالها للناس في ظروف غاية في الصعوبة لأشعارهم او إنذارهم بفعل ، مما سهل عملية اللقاء والحوار واتخاذ القرار بعيدا عن عيون رجل الأمن او الحزب المباشرة على اقل تقدير. لقد اختطفت التكنولوجيا الحديثة بوسائل اتصالاتها المتطورة جدا الجمهور من الأحزاب السياسية التقليدية ومن مراقبة أجهزة قمع السلطة وفرض سيطرتها عليه

((أي ان تفرض سيطرتها على المادة التي كانت وما تزال تشكل عصب حياة الحزب ، ومصدر وجوده التاريخي الايدولوجي والسياسي والاجتماعي))3 فاضل الربيعي - الجماهيريات العنيفة ونهاية الدولة الكاريزمية في العراق ص 72 ط 1 2005 مطبعة الأهالي سورية

هذا الإحساس لم يكن منبعثا من ذات أخذت تعي ذاتها ضمن حراك اجتماعي يدور بين مختلف

طبقاته الاجتماعية ، الطبقة التي تنشأ الحرية والانطلاق صوب حيز أوسع للحرية لأفكارها ومشاريعها العلمية والعملية لتطوير عملية الإبداع والاختراع والاكتشاف والتسويق والبناء لسد حاجات السوق، وتوفير ظروف عيش أفضل للإنسان، وأحكام سيطرته وهيمنته على قوى الطبيعة،.

هذا النهج تبنته الطبقة البرجوازية المنتجة في البلدان الرأسمالية المتطورة مثل هولندا وبريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية وفرنسا وألمانيا... الخ مما جعلها تتمرد وتثور على إزاحة أي معرقل أو معوق يعترض طريق تقدمها ، وقد كان هذا المعوق ممثلا بالطبقة الإقطاعية وطبقة النبلاء والملكية المطلقة والكنيسة، هادفة من وراء ذلك بناء دولتها الديمقراطية دولة المؤسسات والدستور أي دولة الحداثة والمدنية التي كان وسيظل شرطها الأساس الحرية الفردية وحق المواطنة المتساوية، فعملت على هدم المؤسسات المتخادمة مع الاقطاع وأنساقه الحياتية ومنها الكنيسة الكاثوليكية ، التخلص من فتاوى رجال الدين على سلطة الدولة، كان هذا الباعث والمولد للبروتستانتية وليدة رحم البرجوازية الصاعدة المتنورة وجعل الفتوى بيد القوى المنتجة ومتطلبات العمل والإنتاج والربح المستمر والمتزايد دوما. كما ذكر الأستاذ طالب الخفاجي:-

((أن التجديد الفقهي أو اللاهوتي ممكن وليس مستحيلاً كما يزعم أولئك الجامدون والمحنطون المذنبين يعتقدون بأنهم ختموا العلم منذ مئات السنين، وأنه لا جديد تحت الشمس فيما يخص الشؤون العقائدية والدينية وأنه لا مجال للمس بثوابت الأمة وهذا يعني أن ما كفره القدماء قبل ألف قرن، ونلعنه مليون سنة أخرى حتى يرث الله الأرض ومن عليها)) 4جريدةالصباح في 11-2011-5

ان هذا الحراك الموصوف أعلاه هو تربة غاية في الخصوبة لاندثار ومحو القيم والأعراف والقوانين المعيقة للتطور ، في حين هو مجدد ومصنع هائل للحامل الفكري للحدثة وما بعد الحدثة في المجتمعات الصناعية المتطورة، إذن فمتطلبات الحياة الفعلية العملية هي مولدة وموجبة وباعثة الفكر المجدد وليس العكس ، في البدء كان العمل فكانت الفكرة والكلمة وهذه الأولوية للبدء استطلاع التطور العلمي والتكنولوجي الهائل ان يقصر الهوة بينهما أي بين الكلمة والعمل، فتحول الفكر الى منتج هام جدا في تطوير وتشوير العمل، إذ أصبحت براءات الاختراع أي حزمة الأفكار الجديدة المجددة لطرق ووسائل وأدوات العمل من أهم منتجات عصر التكنولوجيا الحديثة.....

((ونسأل - كما سأل قبلنا - هاشم صالح ، لماذا خرج المسيحيون من أسر لاهوت القرون الوسطى والفتاوى الكنسية التي كانت تدين الإسلام واليهودية وكل الأديان الأخرى ، بل

كانت تدين حتى المذاهب المسيحية غير
 الكاثوليكية)) 5مقالة الدكتور طالب مهدي
 الخفاجي في جريدة الصباح بتاريخ 2011-5-11

ضمن هذه المنظومة والمسيرة التطورية للعالم
 الأول نستطيع ان نضع أيدينا على الأسباب
 الكامنة وراء حالة الفوضى وعدم الوضوح
 والتمرد الغير واعى والغير مدرك لما يدور في
 مجتمعاتنا، فبالنسبة للطبقة السياسية المهيمنة
 على السلطة السياسية ((القطوازية))... اجبرها
 التطور العالمي للعلم والتكنولوجيا وبحكم
 ارتباطها بالعالم الرأسمالي الأول لم تستطع ان
 تحجب المفاهيم والأفكار وأساليب الحياة
 الحداثية في حياة الناس اليومية.. وهذا يتطلب
 بالضرورة نبذ الأحكام الما قبل حداثية، أي
 يتوجب موتها وترك كرسي الحكم لبدليها
 الحداثي لإدارة شؤون البلاد عبر الممارسات
 الديمقراطية آليات وثقافة وإزاحة كلما هو
 متخلف ومعيق لهذا التحول الهام.

وهنا يتبادر السؤال التالي:-

ما هو وصف البديل المفترض او البديل الحداثي
 في بلداننا؟؟؟

انَّ القطع القهري لنمو وتطور البرجوازية
 المنتجة في العالم العربي واغلب بلدان العالم

**((الثالث)) والذي تكاتف على إدامته عامل محلي
مجسدا في ا:-**

**الإمبراطورية الإسلامية ، كونها دولة تعتمد
الخراج في تصريف شؤون الحكم وليس على
إيرادات دافعي الضرائب من ذوي المهن
والمصالح في الزراعة والصناعة والتجارة، أي
إنها دولة ريعية... وبذلك لم تكن تهتم بنمو
وتطور الإنتاج الصناعي والزراعي ، أدى الى
تهميش وضعف أفكار وأراء وتصورات الطبقة
المنتجة في المجتمع على القوى صاحبة القرار
في هرم السلطة السياسية المرتدية لرداء الدين
في نفس الوقت...**

**يقرؤنا التاريخ بوضوح كامل ما آلت إليه حركة
المعتزلة وأخوان الصفا وكيف حوربت ووادت
لأنها حكمت العقل وأجلسته على العرش
المفترض لإدارة شؤون الحياة، مما اوجد حالة
تناقض حاد مع طبيعة هرم السلطة الوراثي
السلالي المبني على المقدس المتوارث وليس
على خيارات العقل والاختيار، أي ان إرهابات
نمو ونفوذ برجوازية منتجة خنقت في المهد
سواء بقوة المقدس او بقوة السيف....**

**كذلك يرينا التاريخ حالة الفشل والانكسار الذي
كان مصير الحركات والثورات التي قامت به
الطبقات الاجتماعية المهشمة الأوسع- مثل
حركة القرامطة وحركة الزنج والبابكية وغيرها..
لأنها لم تكن تعبر عن حالة وعي ذاتي لهذه
الشرائح والطبقات لكونها شرائح مختلفة**

الأطراف والمستويات ، لم تستطع ان تنتج نظريتها المعرفية الثورية لتكون القوة الموجهة والهادية لها بل اعتمدت نفس أفكار وأساليب وأطروحات مضطهديها وكأنها حركة تسعى لاستبدال عمامة سوداء بأخرى بيضاء او حمراء، لا تسعى الى استئصال روح الاستبداد والاستعباد والتسلط وإنما تبادل المواقع، أي تحويل العبيد الى سادة والسادة الى عبيد عبر الاستيلاء على كرسي الحكم ، لم تكن تدرك الأساس الاقتصادي لأسباب الاستبداد والاستعباد وبالتالي العمل على اجتثاث الأسباب والمسببات... لإيجاد حالة من التوازن في الحكم وتقسيم الثروة.. مما أدى الى فشلها بعد حين سواء طال ام قصر ومهما كان حجم الأذى الذي ألحقته في هيكل الطبقات الحاكمة التي تستولي على كراسي الحكم ضمن أسرها حصريا، وهذا دليل فشل وخيبة ثورة الزنج بقيادة سبارتاكوس وثورة الزنج في العراق وانتفاضات الفلاحين في القرون الوسطى ومن ضمنها فشل ((ثورة 1920)) في العراق في بداية القرن العشرين.

أي إنها تفتقر الى التعريف العلمي للثورة في الممارسات الثورية - لكي لا يقترن هذا المفهوم بالعنف او الانقلابات كما هو متداول - وما هي متطلباته وما هي أدواته وكيف يمكن انجاز هذه الثورة ، اثبت تاريخ الثورات والسيطرة على كرسي الحكم عبر العنف او المؤامرة الانقلابية، فشله في اغلب أنحاء العالم

فمنه من احتضر ومنه من يعاني ومنه من يحاول ان يجد سبلا جديدة للحياة.

في العقد الأول من الخمسينات من القرن الماضي حدثت في العالم العربي العديد من ((الثورات)) الانقلابات العسكرية ، منها ((ثورة)) 23 يوليو في مصر ((وثورة 14)) تموز في العراق ضد ما أسموه بالحكومات الرجعية والعميلة لم تستكمل عملية التحرر الوطني الديمقراطي، كانت هذه الثورات تحمل الصبغة الاشتراكية او ما سمي بالديمقراطية الشعبية في الحكم مستندة على الشرعية الثورية .. باعتبارها مرحلة انتقالية نحو الشرعية الدستورية ، هذه الديمقراطية التي لم تتيح للمواطن العربي ممارستها وان ممارستها فهي شكل مخفف في ممارسات الشرعية الثورية.. هذا الحال نابع من كون الطبقة التي هيمنت على كرسي الحكم بعد الانقلابات ((الثورات)) ، هم خليط من بقايا الاقطاع والبرجوازية الطفيلية والتجارية ، الطبقة المتوسطة المشوهة المصنعة حكوميا وليست وليدة حراك طبيعي، غلب عليها ،هم الاحتفاظ بالكرسي على هم الاحتفاظ برضي الشعب الذي ساندهم وقدم التضحيات من اجلهم ، فهذه الطبقة كما وصفنا ذلك في تجربة العراق ، ظلت حبيسة طبيعتها المترددة المتذبذبة فهي لا تستطيع ان تمضي قدما في طريق الثورة ونقل السلطة للشعب ، وقد رفعت شعار لا شرقية ولا غربية ، وهي فاقدة القدرة على اجترار طريق ثالث

للتطور ، مما احدث شرخا في العلاقة بينهما وبين جماهيرها التي بدأت تتململ ومن ثم تحاول الانتفاض وإدارة ظهر المجن لهذه الحكومات، ما دفع هذه الحكومات الى اعتماد العنف ((الثوري)) لقمعها وإعادتها الى ((رشدتها)) كما تدعي ، كما أن هذا التردد وفقدان المنهج الفكري لقيادة الدولة واختلاف المصالح داخل هذه الطبقة أدى الى حدوث تصفيات دموية عنيفة بين رفاق الدرب وقادة الثورة، هذا الحال ادخل النسيج الاجتماعي فايروس العنف الطائفي والعرفي والعشائري، بالإضافة الى استشراء حالة المحسوبية والمنسوبية، والرشوة والفساد المالي والإداري، توقف او على الأقل تهالك وتردي عملية الإنتاج المادي والثقافي، تعيد الحياة والنشاط لقيم المجتمع الأهلي الما قبل حدثي ، زحف الريف على المدينة ، والخرافة والهرطقة على العلم والمعرفة.. أي جرت عملية تجريف للقيم والأعراف ((الكونفورميا)) الايجابية ، عملية هدم القيم أكثر خطورة من هدم الأبنية والمصانع والعمارات ، فان توفرت إمكانية ترميم وإعادة بناء المنشآت فمن الصعوبة بمكان إعادة ترميم وبناء القيم المفقودة والمجرفة، كما إنها تعتبر المعيق الأكبر لعملية البناء الحضاري والثقافي في البلد المعين.

القصد ان مشاريع الإصلاح وبناء دولة المؤسسات آلت الى نشوء وتسلط أنظمة ديكتاتورية تسلطية فاشية، كملت الأفواه ،

كبلت الأيدي ونصبت نفسها قيمة على الأفكار والسلوكيات ، هيئت كل الظروف والوسائل لتصنيع القائد الملهم والقائد الضرورة، المخلص محبوب الشعب ، فحل الفحول وجامع العقول....(عبد الناصر)،(حافظ الأسد)،(صدام حسين)،(معمار القذافي)،(زين العابدين بن علي)،(محمد زياد بري)،(علي عبدالله صالح) ناهيك عن الملوك والأمراء والسلاطين خلفاء الله على الأرض. وهنا يجب ان لا ننسى الدور السلبي الذي لعبته الجماهير او الكتل البشرية غير الواعية في إنتاج ودعم مثل هذه الديكتاتوريات وإسنادها وحين يتحدث فاضل الربيعي عن دور الجماهير في الثورة الإيرانية يقول :-

((كيف ان القسم الأعظم من هذه الجماهير كان في الواقع مغرقا في الرجعية، وقد أعاد إنتاج الاستبداد من خلال اندماجه في مؤسسات السلطة القمعية الجديدة التي يهيمن عليها رجال الدين، وبالفعل فقد تحول الجزء الأعظم من هذه الكتلة الهلامية، أي، الجماهير، الى مصدر جديد من مصادر تهديد فكرة الديمقراطية والتحديث في المجتمع، هذه المرة لم يعد القادة الدينيين والتقليديين وحدهم مصدر التهديد؛ بل أصبحت هناك كتلة كبيرة من الجماهير تعيش في قلب مهمتها التاريخية والوحيدة تأسيس الاستبداد باسم حماية الثورة)) 6ص 177 فاضل الربيعي

وهنا لم يكن ((المخلص)) الخارجي بعيدا عن هذا الواقع الاستبدادي ، لا بل كان احد صناعه مع ((المخلص)) الداخلي من اجل إعطاءه المبررات الكافية للتدخل المباشر العسكري ، وغير العسكري في شؤون هذه البلدان ، هذا ما حصل في العراق وما يحصل الآن في ليبيا وفي سوريا وفي اليمن.....

ان رغبة التغيير يتبناها طرفان طرف يعمل من اجل بناء مستقبل ديمقراطي مساواتي متنور ، وطرف آخر يسعى الى استعادة ماضٍ مفقود كما يذكر ذلك سمير أمين وهو يرى أهمية وجود طوباوية تدفع الجماهير على مواصلة الكفاح وتمده بالعزم للسير قدما لتحقيق أهدافه ولكنه يرى ان في هذا النضال ضد الواقع الرأسمالي المريع طريقان يختلف احدهما عن الآخر اختلافا جذريا حيث يرى محقا ان :-

((هناك من يرفض الواقع الرأسمالي من زاوية مستقبلية فيريد ان يتجاوزها، وهناك من يرفضها(كليا او جزئيا) من زاوية ماضوية يريد ان يرجع بالمجتمع الى نموذج عصور سابقة...، ولن اخفي إنني اعتبر ان الأسلوب الأول يمثل طوباوية بالمعنى الايجابي للمفهوم، بينما الأسلوب الثاني يمثل طوباوية بمعناها السلبي))

7 ص 297

مما جعل الناس تنظر بحنين بالغ الى العهود السابقة ((الرجعية)) وتوجه الأنظار الى مخلص

خارجي بعد ان فشلت كل محاولات التغيير الداخلي، هذا الفشل الذي لم يكن المخلص في أفغانستان والعراق وتونس ومصر وسوريا وليبيا وغيرهم على الطريق... لتدخل هذه الشعوب دائرة الأزمات المستدامة، حيث يجد المخلص الخارجي ((أمريكا)) صعوبة بالغة في تصنيع طبقة سياسية موالية لها تحكم البلاد بأساليب ((عصرية)) قادرة على ارتداء ثوب الديمقراطية لستر عورتها وعجزها وتخلفها لأنها من مكونات مجتمع أهلي (طائفة وعشيرة وعرق) بسبب عدم وجود او ضعف وهزالة الطبقة البرجوازية الوطنية المنتجة وبالتالي الطبقة العاملة وحلفائها باعتبارها المتبني الموضوعي والشرعي للديمقراطية كما أوضحنا / مما جعلها تدخل في حلقة جهنمية من الفوضى ((الخلافة)) والحروب الداخلية، وديمومة أزمة هيمنتها الطبقية وهذا الحال لا يخدم سوى قوى الرأسمال الخارجي ((المخلص)) والقوى العرقية والطائفية والعشائرية ((القطوازية المخلص الداخلي))... وكما يرى سمير أمين ان قوى الرأسمال:-

((ينظر بوقاحة الى ان تحل "نظم إسلامية" محل النظم الحاكمة حاليا إذا لزم الامر، إذ ان هذه النظم ((الإسلامية)) المزعومة لن تمثل خطرا الا على شعوبها... ان خطاب الحركة الإسلامية المتطرفة (والتطرف يزداد كلما قلت الانجازات الحقيقية) يعطي فرصة للاستعمار للمبادرة في عمليات عسكرية تدميرية شاملة

(بما فيها محو الحياة في أقطار او مناطق بكاملها) إذا رأى ان ذلك "مفيدا" ((8 ص 285

وهذا طبعا ناتج كما سبق وان ذكرنا ، عن تغول وهيمنة البرجوازية الطفيلية المستهلكة المتخادمة مع الرأسمال الخارجي التي يقول عنها سمير امين في مصر وكذا مثيلاتها في بقية البلدان العربية:-

((البرجوازية فى مصر تابعة واستفادت فعلاً من الاندماج فى العولمة كما هى أي عولمة تابعة للولايات المتحدة والاستعمار المهيمن، وبالتالي هذه القوى رجعية على طول الخط))9

تسعى لخنق البرجوازية الوطنية المنتجة وبالتالي قتل الحامل الموضوعي للديمقراطية والبرالية الا وهي البرجوازية الوطنية والطبقة الوسطى والطبقة العاملة وكل شغيلة اليد والفكر..... فبدا العمل من اجل دولة ديمقراطية حديثة بقيادة ((القطوازية)) كمن يريد ان يطلق صاروخا الى الفضاء الخارجي محمولا على ظهر حمار هزيل!!!!!!!

نلاحظ ان أمريكا الرأسمال والاستغلال اتخذت قرارا ضمن خطة استراتيجية محسوبة يضمن هيمنتها على بلدان البترول وطرق التجارة ، ومضايق البحار ففي الوقت الذي أنهت دول الاستعمار التقليدي نفوذها وتواجدها العسكري المباشر، وخصوصا بريطانيا وفرنسا ونقل الهيمنة للولايات المتحدة الأمريكية، ساندت الأخيرة ودعمت الأنظمة الموالية لها بغض

النظر عن طبيعة حكمها وظلمها وتسلسلها على شعوبها، خصوصا أيام الحرب الباردة وقبل انهيار المعسكر الشرقي بقيادة الاتحاد السوفيتي كي لا تقع هذه البلدان تحت الهيمنة الشيوعية كما تدعي ، فصنعت منظمات وأحزاب وتكتلات بمختلف المواصفات وتحت مختلف الشعارات -اشتراكية قومية ، دينية لمقاومة المد الشيوعي، ولكن بعد انتهاء الحرب الباردة أخذت الولايات المتحدة تصاب بالقلق من عدم نجاح وعدم قدرة هذه القوى الحاكمة من الاحتفاظ بالسلطة والولاء للولايات المتحدة خصوصا في بلدان الطاقة والموقع الاستراتيجي ربما تذهب السلطة الى القوى الإسلامية المتطرفة او الى العدو الأخطر الذي بدت تدب فيه الروح والتوازن القوى اليسارية بمختلف أطرافها، هذا مما أدى بها الى تشجيع او غض النظر عن تنامي قوة المعارضة الجماهيرية العربية التي نزلت الى الشارع للاطاحة بعروش الطغاة، ولكنها أخذت تعد الخطط وترسم السيناريوهات كي لا تفلت سيطرت مؤيديها ان لم نقل عملاءها على السلطة المقبلة برداء ديمقراطي براق ، فاخذت تثار المشاكل العرقية والطائفية والعشائرية بوجه ((الثورات))، هذه الانتفاضات التي بدأت سلمية سرعان ما تحولت في بعض البلدان - حسب تعاملها مع طبيعة القوى المنتفضة ونسبة راديكاليتهما وقربها وبعدها من المعسكر الرأسمالي - تحول النزاع الى نزاع مسلح سينهك الطرفين ويسلم قياده في نهاية الامر للعقل الكوني المدبر

((المحرر)) الرأسمال الأمريكي وحلفاءه ؛ فرنسا وبريطانيا



وإسرائيل وتركيا، وهذا ما نلحظه في ليبيا وسوريا بشكل جلي واضح، مسنودا من قبل شركات واحتكارات إعلامية عملاقة في كل العالم ومنه العالم العربي حيث الجزيرة والعربية وقنوات وفضائيات اخرى....وقد كان المفكر الكبير سمير امين على حق تماما حين يقول :-

((ويدخل ضمن هذه اللعبة الخبيثة استخدام الإرهاب والقاعدة لإبقاء الأوضاع على ما هي عليه. باسم "محاربة الإرهاب" ومنع الانتفاضات والحركات الشعبية من إنجاز تغييرات محسوسة بتحويل الرأي العام إلى قضايا أخرى. ولعله سوف نعلم بعد خمسين عاما أن أسامة بن لادن كان مقيماً في الولايات المتحدة وأنهم يخرجوه من وقت إلى آخر وفي اللحظة المناسبة لإلقاء البيانات التي تعطيها تبريرا للتدخل العسكري هنا أو هناك! لا ينفى ذلك سير بعض الناس المضللين وراء هذه الشخصيات او الحركات وهو أمر طبيعي في الحركات من هذا النوع. لكن القيادة في الطرفين، الولايات المتحدة من جانب، والحركات السلفية المتجمدة من الجانب

**الآخر، واعية تماما بما تفعل)) 10 الحوار
المتمدن**

**الم يحصل هذا السيناريو في العراق ما بعد
الاحتلال ، فالولايات المتحدة الأمريكية ربما
تميزت بميزة ربما لم تكن لأي من الدول
الاستعمارية في العالم من قبل، حيث جلبت
معها با لاضافة الى العدد والمعدات ومؤازريها ،
كذلك جلبت -القاعدة وما شاكلها من منظمات
القتل والسلب والنهب -معارضتها المسلحة
المصنعة على مقاسها والمبرمج عقلها حسبما
تريد وترغب ، من اجل خطف خيار الشعوب
للمقاومة الحقيقية بعد أن لوثت هذه الصنيعة
القدرة سمعة المقاومة ، فقد وضع المحتل
الخيطة الابيض والأسود في غرفة حالكة الظلام
مقفلة الأبواب فتعذر الحكم والتمييز!!!**



**نصب ثورة العشرين في مدينة النجف ، هدم
مؤخرا(2010) لغرض انشاء جسر بمحله!!!**

**لحين التاريخ نفتخر بما بذله أجدادنا وآبائنا في
الكفاح والثورة- ثورة 1920 - ضد الاستعمار**

الانكليزي، ولكننا ننظر بعين الريبة والشك وحتى الرفض والعداء لمن يدعي المقاومة للاحتلال في الوقت الحاضر، هذا المستعمر الذي رفض ان يسمى نفسه محررا بل محتلا، ووفر لنا مبررات المقاومة، وهو حق لكل شعب يتعرض للاحتلال، ان هذا حدث لان المقاومة الاولى انبثقت من رحم الشعب العراقي بمختلف قواه وأطيافه، فلم يشهد تاريخ هذه المقاومة للاستعمار الانكليزي، قتل الأبرياء وتفجير الساحات واختطاف او اغتصاب النساء وووو مما يحدث الآن من قبل ((المقاومة)) المصنعة المجلوبة على ظهور الدولارات الامريكية والريالات الخليجية .

لذلك يتوجب عدم الانجرار الى العواطف والانجرار وراء الإعلام المظلل والانخداع بالدور التحرري للولايات المتحدة الأمريكية وحلفاؤها، وهذا لا يعني أيضا الخضوع والخنوع للحكومات الاستبدادية الديكتاتورية المتسلطة بل نتمسك بشعار واضح ((لا احتلال ولا ديكتاتورية))، الرفض المطلق للتدخل العسكري والمخابراتي لأمريكا وحلفائها لنقع في المحذور كما هو الحال في العراق وأفغانستان ، لا يمكن ان نهرب من شرور الكلب الهائج لنحتمي بعين الذئب المسعور..... في حديثه عن مستقبل الثورة في مصر يقول سمير أمين:-

((أعتقد وربما أكون متفائلاً في ذلك أن هناك نوعاً من التعاطف التلقائي بين الشبان ومجموعات اليسار لأن هؤلاء الشباب يساريون

في نهاية الأمر بإيمانهم بالديمقراطية الصحيحة وعداءهم للاستعمار وتوجههم الاجتماعي إن لم يكن الاشتراكي. ولذلك أرى أن التفاهم بين اليسار الراديكالي والأغلبية الكبرى من الشباب يمثل جوهر وأساس مستقبل الثورة لأن المستقبل بيد هؤلاء الشباب.)) 11 الحوار.

وواضح هنا ان سمير أمين يعول كثيرا على قدرة اليسار الجديد في كسب ود الشباب الثائر والذي بحكم تطلعه للحرية والعدل الاجتماعي فهو يساري النزعة والتوجه...



نعم ثورة مصر في خطر والثورة في تونس في خطر أما ليبيا فهي قد دخلت في مأزق خطير ثمنه حريتها واستقلالها ودمار اقتصادها، وقد تنحى سوريا نفس المنحى الليبي ان لم تفلح القوى اليسارية والديمقراطية في تحقيق تغيرات جوهرية في بنية النظام من خلال مؤتمراتها الحوارية الحالية وبذلك تقطع الطريق على القوى المتطرفة او حاملة الأجندات الخارجية ، وإجبار النظام لإعطاء التنازلات وتأمين طريق سلمي للانتقال للديمقراطية، وربما لبنان ووووو انه عالم متشظي قابل لكل الاحتمالات..

هل نستكين و ننتظر التبدلات والتحويلات في
العالم الأول((المخلص الخارجي))؟؟؟

وفق ما سبق عرضه سيكون الاستنتاج المنطقي ان لاجل لأزماتنا دون ان تحل أزمة مخلصنا الخارجي ((العالم الرأسمالي)) المتطور وخصوصا الولايات المتحدة الأمريكية وحلفاؤها، وهذا الامر يبدو ليس قريبا في الوقت الحاضر... فهل يعني هذا ان تستسلم شعوبنا لقدرها وتنتظر الفرج من خلال رحيل سلطة الاستغلال والاحتلال من العالم الأول ، وهذا التغيير الذي لا يأتي عن طريق صحوه الضمير المفاجأة لطبقته السائدة النهمه للمال والسيطرة والاستغلال ، وإنما يفترض ان يكون هناك حراك جماهيري للأغلبية المسلمة والمخدرة والمخدوعة في العالم الرأسمالي حين تمتطي صهوة شوارعها وميادينها وتنادي برحيل هيمنة الطبقات الاستغلالية من على كراسي الحكم والسيطرة وذلك عن طريق التغيير الجذري للخيارات في الأوراق الانتخابية، فالانتخابات أصبحت الطريق الأوحده والأسلم للوصول

للسلطة والحكم ، هل سيأتي الفرج حين تتم عملية عزل الحزب الديمقراطي والحزب الجمهوري كخبة الطبقات الرأسمالية والاحتكارات في الولايات المتحدة الأمريكية وصعود رموز وأحزاب جماهيرية جديدة تمثل الطبقة الوسطى وطبقة شغيلة اليد والفكر متضامنة مع القوى العقلانية المتنورة الراضة للاستغلال الرأسمالي ولما تنتجه الرأسمالية الفجة من دمار وخراب للطبيعة والبيئة والثقافة ، مما يهدد العالم بالدمار الشامل لسكان الأرض عموماً.. فتنتصر للشعوب المتخلفة والمقهورة، تمد لها يد العون التكنولوجي والمالي وتنتشلها من مستنقع الاستهلاك المدمر الى عالم الإنتاج المثمر..

هل ننتظر ان تكون الأمم المتحدة برلمانا عالميا للشعوب وليس للحكومات وخصوصا صاحبة (الفيديو) لتتحول الى قوة فاعلة لتشريع القوانين بما يخدم سلام البشر ورفاههم وأمانهم دون تمييز على أساس الدولار والعرق او القومية والطائفة والجنس.

وهذا لا يكون الا ان تكون البرلمانات الوطنية والإقليمية والقارية تعبر تعبيرا حقيقيا عن إرادة الشعوب والطبقات الأكبر وليس بنخبة تحرص على تمثيل أقلية أصحاب الثروة والنفوذ ورعاية مصالح أصحاب رؤوس الأموال....

تبدو هذه الآمال والطموحات غاية في الصعوبة او إنها أحلام طوباوية في ظل الواقع العالمي

الحاضر بقيادة القطب الواحد هذا الذي يدور دون بناء مجتمع إنساني متكامل متضامن متصلح ، ولكنه في الوقت نفسه هو احد عوامل تسريع تفجر الأزمات التي تعصف بالعالم ويطالب بإيجاد الحلول والبدائل.. ان العالم الآن يدور ويمور في أزماته الاقتصادية والمالية واشكالياته وكوارثه البيئية والطبيعية ، وهو يفتش عن بديل يجنب العالم الخراب والانهييار التام....

إنَّ حل هذه الأزمة في بلداننا يتطلب وجود حركة وطنية سياسية تعي لواعيها المتضمن مفاهيم وسلوكيات التخلف، بسبب موضوعه التخلف ، فتطرد أشباحه وإيحاءاته الما قبل حدثية، فتعمل على تبني الأساليب والآليات الديمقراطية الواعية في الحكم وتملك القرار المتبنى من قبل الأغلبية الشعبية في تفعيل حالة القطع مع المهيمن الرأسمالي الاحتكاري ((المخلص الخارجي)) في الوقت الذي تقوم بالرعاية والعناية والدعم للطبقة البرجوازية المنتجة وتخليص قوة العمل من حالة الشردمة والتفتت لتكون طبقة منتجة، وبذلك تعمل على خلق مجتمع منتج وليس مستهلك مستفيدة الى أقصى حد من العقلانية والتدبر الاقتصادي الرشيد من موارد البلد المالية وخصوصا الثروة النفطية الوطنية الكبيرة، لتسد بذلك احد عوامل التقدم الصناعي الا وهو توفر المال الذي باستثماره عبر توظيف قوة العمل الماهرة والمتيسرة الى رأسمال منتج، وهنا لا تغفل

الاستفادة من الدعم الغير مشروط من قبل الدول الصناعية المتطورة في النهوض بالواقع الصناعي والزراعي والخدمي والثقافي وخصوصا الدول التي لا تتطلع لاستعمار الشعوب مثل الصين والهند واليابان واغلب بلدان أوروبا الشرقية والغربية، خصوصا وان هذه البلدان هي بأمس الحاجة الى البترول ، وهي تمر الآن بأزمة اقتصادية خانقة يمكن ان تحصل بلداننا وخصوصا العراق على أفضل الخدمات والخبرات والتكنولوجيا المتطورة بأنسب الأسعار وبأيسر الشروط للإعادة وتجديد بنائه التحتية..... وكما ذكر سمير أمين :-

((لن يخرج الوطن العربي من هذا المأزق المقبض الا إذا تكون قطب ثالث قوي، موجود فعلا في الساحة، مستقل عن قطب الحكم وعن قطب المعارضة ((الإسلام السياسي)). فإعادة تكوين اليسار بهذا الشكل أحياء مجتمع مدني صحيح يمثل ركنا أساسيا في عودة الوطن العربي الى مسرح التاريخ واستعادته طابع الفاعل على المسرح)) 12 سمير أمين ص 285

هذا الامر يتطلب وعيا شعبيا جمعيا وطنيا داعما ومساندا ومتفهما لتوجهات الطبقة السياسية الحاكمة، وقبل ذلك يملك الإرادة والقوة في إيصال هذه الطبقة ((التكنوقراط الوطني)) لسدة الحكم عبر صناديق الاقتراع وعدم التفريط فيها لصالح القوى الطفيلية والا وطنية المتخلفة، وهذا بدوره يتطلب في جزء كبير منه ان تكون هذه الطبقة بمستوى مسؤوليتها

وتمتلك القدرة على الإقناع عبر البرامج الواضحة التي تصب في مصلحة الوطن والمواطن، تمتلك عقلا سياسيا مقتدرا ومتمكنا من اتخاذ القرارات والخطط الناجحة والفاعلة المتبناة من قبل قاعدتها الشعبية العريضة ، المستفيدة الاولى من التحولات والإجراءات السياسية والاقتصادية والثقافية في البلد المعني.... وان تأخذ زمام المبادرة من تيار الدين السياسي الذي لا يملك خططا وبرامج علمية وعملية لانجاز عملية بناء دولة الحداثة والمؤسسات الديمقراطية على فرض ان قسما لا يستهان منه يسعى لذلك بحكم ضغط جماهيره الفقيرة المهشمة العاطلة عن العمل والمقصية عن دور العلم والمعرفة، حيث ان هذا التيار لا يحمل سوى منابره كمنصات يطلق من خلالها صواريخه الأخلاقية التي ينتهي مفعولها فور إغلاق ميكرفونه لتتساقط هذه الصواريخ عند أقدامه، بسبب قوة جذب النزعات الاستهلاكية ومصداتها السحرية الفاعلة ضد أي تحول في فكر وسلوك مستعبيها في عالم الإغراء والاحتواء لمن تقذفه آلة العمل المنتج خارج منطقة تغطيتها..... مما يستوجب ان تدرك قوى الثورة بكافة أطرافها على الاستمرار بالثورة وحماتها من أعدائها وهي الآن على مفترق طرق كما يذكر الأستاذ غازي لصوراني:-

((في مجابهة أجهزة النظام من ناحية، وفي مجابهة عناصر وقوى الثورة المضادة وفي هذا السياق نحذر من أن الانتفاضة العربية عموماً ،

وفي تونس ومصر خصوصاً ، تتعرض لمفترق طرق يهدد حاضرها ومستقبلها ، ما يؤكد على أنه ليس أمام هذه الانتفاضات وقياداتها الوطنية الديمقراطية ، سوى الاعتماد على الجماهير وتأطير صفوفها وتحشديها من أجل إثبات إرادتها وتحقيق أهدافها ، وذلك يتطلب الآن مزيداً من التظاهر والاعتصامات الدائمة الأسبوعية والبلطجية الذين افرزتهم الأنظمة ، خاصة النظام البائد في مصر ، ومن هنا أولوية المبادرة الفورية لتأسيس وبلورة الائتلاف الديمقراطي في إطار جبهوي يضم جميع القوى الديمقراطية إدراكاً من الجميع ان مستقبل شعوبنا يكمن في تكريس النظام الحر الديمقراطي سياسياً واجتماعياً ، فلا مستقبل لكل من يتعارض او يتناقض مع هذه الرؤية))13 الحوار المتمدن.

وبالتالي يمكننا ان نقول ان ما يحدث في الوطن العربي الآن هي((ثورات)) وليست ((ثورات)) كما يطلق عليها الآن ، تجذرهما لتصبح ثورة او تدهورها لتصبح ردة للخلف مرهون بطبيعة فعالية الطبقات والشرائح الاجتماعية الداخلة في حلبة الصراع القائم، مما يصعب الآن التكهن بنتائجه وتحولاته ... لكن المؤكد ان إشكال الحكم السابقة لا يفتح لها الباب ثانية ، وان عادت او تعود بوجوه او أساليب شتى فهي لا يمكن ان تنعم بالاستقرار والثبات على كرسي الحكم، ولاشك ان لكل قطر عربي خصوصيته في طريقة وشكل تطور الأحداث الدائرة فيه.

ويجب العمل على حشد كل القوى المؤمنة بالديمقراطية وتسعى لبناء الدولة المدنية الحائثة لمواجهة المخاطر القائمة والمقبلة التي تحاول سرقة ثورات او انتفاضات الجماهير كما ذكر ذلك الأستاذ غازي لصوراني في إجابته عن سؤال ما العمل ((ان النضال من اجل إسقاط رؤوس وأنظمة الاستبداد وبناء النظام الديمقراطي الخالي من كل أشكال الاستغلال هو في اللحظة نفسها نضال من اجل إلغاء علاقات ومظاهر التبعية للنظام الامبريالي وحليفه الصهيوني، وإذا كان الأمر كذلك، فان من واجبنا أن نطرح مجدداً السؤال التقليدي : ما العمل؟ ... ما هي العملية النقيض لذلك كله؟ إن الإجابة عن هذا السؤال تستدعي مسارعة كافة القوى الديمقراطية من يسارية ووطنية وليبرالية وعلمانية ، المعنية بتحقيق الأهداف الكبرى للانتفاضة ، الى المبادرة لتأسيس " جبهة ديمقراطية " تضم كافة الأحزاب والتيارات والائتلافات الشبابية والمهنية تحت شعار إسقاط رؤوس و أنظمة الاستبداد والقمع والاستغلال ، وتأسيس النظام الديمقراطي الجديد من خلال " هيئة تأسيسية " تجسد الشرعية الثورية، وتبدأ بمحاكمة رموز النظام ، ومحاكمة كل من أسهم وشارك في قتل الثوار ، وتطهير شامل وموضوعي لكل مؤسسات وأجهزة حكومة النظام المخلوع وكافة الأجهزة والمؤسسات المنبثقة عنه في المجتمع))14

الحوار المتمدن 3421 في 2011-7-9

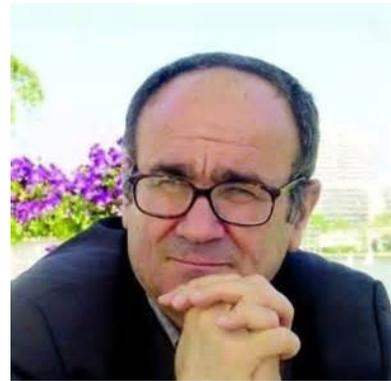
وهنا نعود لنختتم إطلالتنا على ربيعنا العربي
 نتمنى ان يكون عطره عبقا، وثماره وفيرة ،
 وأشجاره ظليلة...

المصدر:-

- 1- ا.د طالب مهدي الخفاجي في جريدة الصباح
 في 11-5-2011.
- 2- سمير امين في مواجهة أزمة عصرنا ص
 269 ط 1 1997.
- 3- فاضل الربيعي - الجماهيريات العنيفة
 ونهاية الدولة الكارزمية في العراق ص 72
 ط 1 2005 مطبعة الأهالي سوريا.
- 4- ا.د طالب مهدي الخفاجي الصباح 11-5-
 2011.
- 5- نفس المصدر أعلاه.
- 6- فاضل الربيعي ص 177 الجماهيريات العنيفة
 ونهاية الدولة الكارزمية في العراق..
- 7- سمير أمين ص 297 كيف نواجه الأزمة.
- 8- نفس المصدر ص 285.
- 9- نفس المصدر.
- 10- سمير امين الحوار المتمدن 3423 في 11-
 7-2011 ثورة مصر وما بعد.
- 11- نفس المصدر.
- 12- سمير امين ص 285 كيف نواجه الأزمة.
- 13- غازي الصوراني الحوار المتمدن 3421 في
 9-7-2011.
- 14- نفس المصدر.

ربيع الطحالب
دراسة ل كتاب ((الانتفاضات العربية على ضوء
فلسفة التاريخ)

للاستاذ
هاشم صالح



أسئلة لا بد منـها
كتب الكثير حول الحراك الشعبي واسع
النطاق في الوطن العربي، هناك من اطلق
عليه وصف الثورة وهناك من قال
انتفاضة ، ومن قال ربيع الشعوب العربية

الديمقراطي ومن يرى بأنه خريف عاصف
اقتلع الاخضر واليابس ...

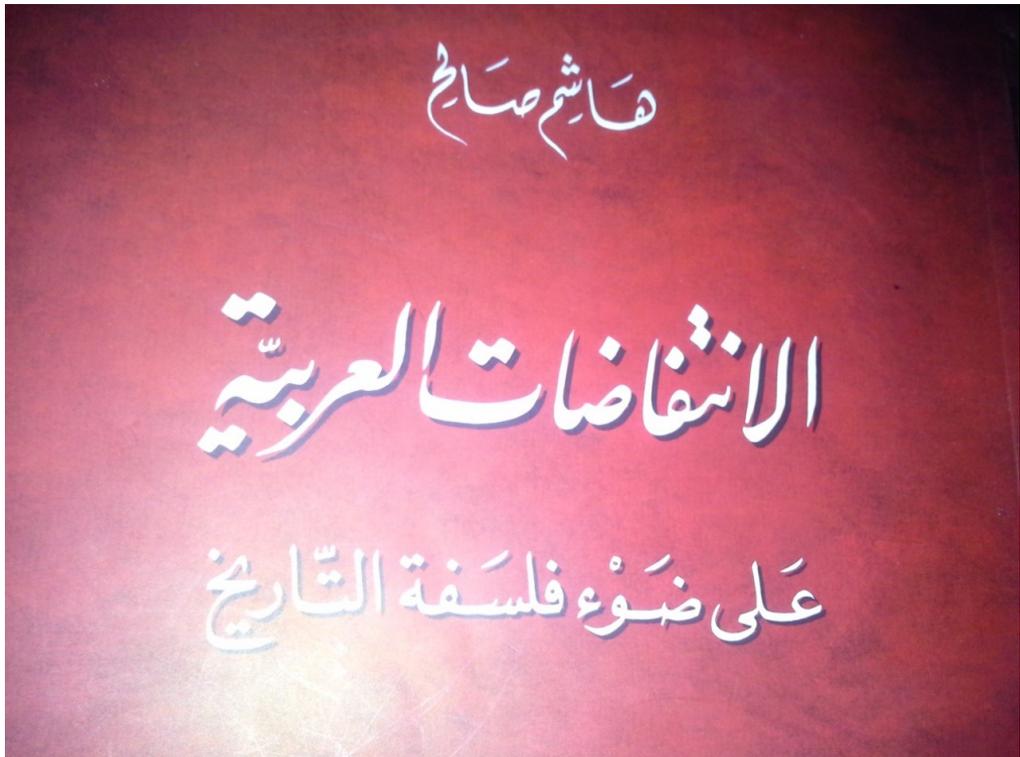
ولكن الملفت للنظر حقا ان اغلب ما نقرأه
من مقالات ودراسات تسهب في توصيف ما
يجري حاليا من افعال وأقوال قوى الحراك
الاجتماعي ، وفي توصيف جرائم ونواقص
الانظمة الديكتاتورية الاستبدادية العربية
الساقطة او التي في طريقها للسقوط ... في
حين إن المواطن العربي خصوصا في امس
الحاجة الى تعريف الظواهر ، تعريف طبيعة
الحراك ، بواعث ما كان وما سيكون ، الاسباب
الكامنة وراء ما يجري ، ما هو سر هذا الانفجار
الهائل الذي يبدو مفاجئا وغير متوقع ، ...

هل احرق ((بو عزيزي)) مراحل التطور ، او
احرق يأسه وإحباطه ، هل كان يدرك ان
سيكون الشرارة التي ستحرق اكواما من
القش اليابس ، هل كانت نيران جسده اوصلت
الحراك الاجتماعي الى درجة الاتقاد ؟؟؟؟

ما هي الاسباب الكامنة وراء قدرة المركب
الاسلاموي في ركوب الموجة ، ماذا وراء
استحواد قوى الاسلام السياسي على طبخة
الثورة المطهية بنيران اجساد شباب الثورة
من اليساريين والبراليين ، ما الذي ابدل قبعة
جيفارا بعمامة القرضاوي ؟؟؟؟

ما لذي حصل لتصدر ((الثورة)) من مستودع
قوى التخلف والاستبداد في قطر
والسعودية ؟؟؟

سنحاول في دراستنا هذه ان نلقي الضوء على هذه الطاهرة من باب التعريف لا التوصيف استكمالا لدراستنا السابقة قبل اكثر من سنتين بعنوان ((اضواء على ((براعم الربيع العربي)).... وستكون هذه الراء عبر حوار موضوعي مع الاستاذ القدير ((هاشم صالح)) وكتابه ((الانتفاضات العربية على ضوء فلسفة التاريخ)).



من يولد _____؟؟

يقول الأستاذ هاشم صالح :-

ان اساس المشكلة فكري وليس سياسيا ،
وبالتالي اذا لم نحسم المسالة فكريا فلن
تحسم سياسيا ولو بعد مليون سنة ((1) .

ولكننا هنا نتوقف قليلا مع الاستاذ هاشم مع
اننا نتفق معه تماما الى ما ذهب اليه في
تشخيصه هذا فلا حرية دون فكر حر متنور ،
ولكننا نسأل عن كيفية وجود وحضور
وهيمنة هذا الفكر التنويري الحر ، هل هو
وحي سماوي ، هل ارحام امهاتنا الاسلاميات
والعربيات غير قادرة على انجاب المفكرات
والمفكرين المتنورين ، هل القدرة على
التفكير والتنوير خاصة بالأمهات الغربيات دون
سواهن من نساء العالم؟؟

كما انه شخص فقدانا هاما في العالم العربي
والإسلامي للفلسفة حيث يقول :

((ان لا حرية من دون فلسفة ، وليس غريبا
اذن ان تكون الحضارة العربية الاسلامية قد
ماتت بموت الفلسفة وتكفير الفلاسفة))(2)

ويتساءل استاذنا الفاضل حول واقع
مجتمعاتنا العربية الاسلامية وغبابة ما يجري
ولا عقلانيته حيث يقول :-

((يبدو ان قوانين التطور التاريخي لا تنطبق
على العالم العربي الاسلامي او قل انها
تنطبق عليه بالمقلوب)) (3)

كما يقول ((الامور تسير بالمقلوب في العالم الاسلامي او العربي ، اقصد الثورات السياسية تحصل قبل الثورات الفكرية))(4)

ان مثل هذه التوصيفات توقع المتلقي للفكر في متاهات كبيرة وحيرة يظل يدور في فلكها دون قرار ، حيث يغطس في لجة بحر التوصيف دون التعريف في اسباب ومسببات هذا الوصف وسبب تأييد ظاهرة التخلف الفكري والحضاري وهل هو نقص وعجز جيني عرقي او ناجم عن ظروف اقتصادية اجتماعية ثقافية وبيئية محددة ادت الى هذا التعقيم او الخفاء الفكري المعرفي عند الاغلبية الساحقة من شعوبنا العربية الاسلامية

اشار الاستاذ هاشم صالح الى الثورة التونسية قائلا :-

((ان تونس هي الاكثر تقدما في علمائيتها ، فانها الاكثر تقدما حتى في اصوليتها! او قل ان اصوليتها هي الاكثر استنارة والاقبل ظلامية من بين كل الاصوليات العربية))(5)

وقبل ان نلقي الضوء على الواقع الاجتماعي التونسي نوكد مقولة الاستاذ هاشم صالح حول الثورة الفرنسية حيث يقول :-

((ان الثورة الفرنسية كانت مضادة بعنف لرجال الدين ، ولم ترفع صورهم في التظاهرات الحاشدة التي نظمتها في باريس ،

بل رفعت بالأحرى الصور المضادة لهم ، اي
 صور فلاسفة التنوير ، وبالأخص ((جان جاك
 رسو)) وفولتير)) (6)

وقبل ان نلقي الضوء على الواقع الاجتماعي
 الاقتصادي لتونس ، كنا نأمل ان ينورنا
 الاستاذ هاشم صالح بالأسباب الكامنة وراء
 هذا النضج العالي والمطلوب للثورة
 الفرنسية ، ونسبته في تونس مقارنة بما
 يحدث الان في عدد من بلدان ((الربيع))
 العربي كليبيا والعراق ومصر والعراق
 وما هي الاسباب الكامنة وراء حمل الجماهير
 المنتفضة لصور الرموز الدينية من مختلف
 المذاهب وحسب طبيعة البلد والمذهب السائد
 في المجتمع ، وما هو سبب تصدر هذه
 الرموز الدينية والقبلية للانتفاضات في مصر
 وسوريا والعراق الان ؟؟؟؟؟

فلو اننا القينا نظرة على الواقع الاجتماعي
 والاقتصادي التونسي وغطسنا في نهر
 معطياته الاحصائية المختلفة لتمكنا من التقاط
 المفتاح المفقود القادر على فتح مغاليق
 مستودع الاسرار الكامنة وراء تخلف
 مجتمعاتنا ودخولها في كهوف الفوضى
 والظلام والعنف ...

تونس يعتمد اقتصادها على العمل المنتج في
 مختلف القطاعات الصناعية (34%) والزراعية
 (26%) والسياحية الخدمية (40%)... وان نسبة

البطالة لاتزيد عن 12% ونسبة السكان تحت خط الفقر (2%)..

يتوقع ان ترتفع نسبة الطبقة الوسطى في تونس الى 82% وان نسبة التعليم تتجاوز ال 77% من مجموع السكان ، وان متوسط دخل الفرد التونسي يعتبر الافضل حتى من بعض الدول البترولية

ولو قارنا ما ذكرنا اعلاه مع بلدان الربيع العربي كالعراق مثلا حيث تبلغ ايرادات البلاد المالية بنسبة اكثر من 95% من النقد الاجنبي من وارادات البترول ، ويبلغ دخل الفرد العراقي 3,800 دولار مقارنة ب 4,600 دولار للتونسي في حين تبلغ نسبة منهم تحت خط الفقر 23% من السكان وان حوالي ربع السكان اكثر من ((6)) ملايين عراقي امي ابجدي

ولو اجرينا مقارنة بين حجم ونوعية الطبقات الاجتماعية المنتجة قياسا للقوى العاطلة والمعطلة عن العمل او القوى المستهلكة لكانت تونس في مقدمة هذه الدول العربية الاسلامية في حين تاتي المغرب ومصر وسوريا وليبيا والعراق في التدرج تنازليا في عدد قواها المنتجة وضعف وتردي واقع الطبقة الوسطى والطبقة البرجوازية والطبقة العاملة المنتجة في كل بلد من هذه البلدان ..

ولو عدنا الى المثل الفرنسي وكيف كانت الثورة تقودها البرجوازية الفرنسية المنتجة حاملة لواء التمدن والحدثة ضد قوى التخلف والاستبداد الارستقراطي الامبراطوري المتخلف المتخادم مع رجال الدين ورجال الكنيسة التي كان لابد من اعادتها الى اديرتها وكنائسها ونبذ تدخلها في الشأن السياسي وهكذا كان

من خلال ذلك نستنتج ان درجة نضوج الحراك الاجتماعي تتناسب طرديا مع حجم ودرجة نضج الطبقات الاجتماعية المنتجة وفي مقدمتها البرجوازية الوطنية والطبقة الوسطى والطبقة العاملة وهنا نؤكد مقولة الاستاذ هاشم صالح حيث يؤشر استاذنا القدير بحق الى الطبقة الاجتماعية حاملة الفكر التنويري ، فكر الحدثة والمدنية في اوربا إلا وهي الطبقة البرجوازية المنتجة في اوربا حيث يقول :-

((لقد تمكنت البرجوازية بفضل ديناميكيته الحيوية الرائعة من قلب الطبقة الارستقراطية الاقطاعية وتحل محلها كطبقة قائدة للمجتمع... ينبغي ا لا ننسى ان البرجوازية هي الطبقة التي تبنت فلسفة التنوير ، ولولا ذلك لما استطاعت تشكيل دولة مدنية حديثة بكل المقاييس ، لولا ذلك لشكلت دولة اصولية تماما كثورات الربيع العربي (الحالية)) (7)

ولكنه وغيره من الكتاب لا يكونون بهذا
الوضوح عند تحليلهم لواقع الحراك
الاجتماعي وتوصيف قواه الفاعلة في
مجتمعاتنا العربية وخصوصا واقع غياب او
تهميش او ضعف الطبقة البرجوازية المنتجة
في مجتمعاتنا وليست فاعلة ومهيمنة كما
في المجتمعات الغربية ذات التطور
الطبيعي الغير معاق من قبل قوى داخلية او
خارجية كما في المجتمعات العربية
الاسلامية

وقد لاحظنا هذا ليس عند الاستاذ هاشم
صالح في كتابه موضوع المناقشة بل من
قبل كتاب اخرين مثل الاستاذ ((جيبليبر
اشيقر)) في كتابه ((الشعب يريد)) والاسستاذ
نضال حمادة في كتابه ((الوجه الاخر للثورات
العربية)) ومقالات ودراسات اخرى
عديدة ونحن نقول كما قال الاستاذ
خليل احمد خليل :-

((اذا اردنا ان نبحث عن ينابيع النيل في
الارض ، فلا بد لنا ان نتبع مجرى النهر ، اما اذا
كنا نعتقد كالمصريين القدماء ان مياه النهر
متأتية من دموع الهة فالمسالة تكون قد حلت
نفسها)) (8) .

نلاحظ ان المجتمعات العربية الاكثر تخلفا
وتطرفا وانقيادا للقوى الدينية هي
المجتمعات الاستهلاكية في البلدان الريعية
الغير منتجة كما هو الحال في العراق وليبيا

وبلدان الخليج العربي ولو اننا تتبعنا حركة التنوير الفكري عبر التاريخ العربي الاسلامي لشهدنا ازدهار الفلسفة والفكر التنويري قد واكب نمو حركة الانتاج وبداية ارهاصات نشوء برجوازية تجارية وزراعية وصناعية بدائية في العصر العباسي الاول حيث يقول حسين مروة :-

((مجيء المأمون الى سدة الخلافة بعد صراع دموي بين زعامات القوى الاقطاعية وأمرائها التي كانت تؤيد اخاه الامين وبين القوى الاخرى الممثلة لاقتصاد المدينة ومجتمعها التجاري الربوي، الحرفي ، بالاضافة الى حملة الافكار الحرة من مثقفيها ، قوى المدينة هذه كانت تساند المأمون في سبيل اعتلائه عرش السلطة المطلقة))(9)

هذا الوصف للإنتاج في عهد المأمون هو ما أفرز حركة الاعتزال والمعتزلة التي تبنت التفكير العقلاني التنويري وأعتاد العقلانية في التفكير والتغيير فقد

((كانت افكار المعتزلة تمثل طموح المدنية بمختلف فئاتها ، الى مراكز اجتماعية وسياسية كانت احتكارا لنبلاء الارض)) (10) .

فولادة حركة الاعتزال من رحم الفكر الاسلامي انذاك تناظر ولادة وظهور البروتستانتية في العالم الغربي كحركة فكرية نابعة من رحم المسيحية لتكون سندا قويا للطبقة البرجوازية الناهضة انذاك في

ارهاصاتها الاولى في مقاومة الطبقة
الارستقراطية الاقطاعية في اوربا لإبعادها
عن سدة الحكم والحلول محلها متزعمة حركة
التنوير والتثوير لقيادة عملية الحدائة المدنية
المبنية على حرية الفكر والعقيدة والعمل
والتنظيم وهو ما يتوافق مع طموح البرجوازية
الناهضة وحلفائها من شغيلة اليد والفكر في
التطور والمنافسة والتجديد ونبذ التقليدي
المعيق لحركة التطور والإنتاج والتجارة الحرة
وكما قال د. محمد الدروبي :-

((مع تطور اشكال الملكية وتمركز الثروات
بايدي محددة بدأت مصادر القوة الأجتماعية
تنتقل رويدا رويدا من الكنيسة الى المصنع ، من
صاحب الأيمان الى صاحب المال ، من الرهبان
الى أصحاب رؤوس المال والإنتاج المادي
وبالتالي نشبت معارك ما بين الطرفين حول
أحقية أيهما في لعب دور المشرع))(11) .

وبناءً على ذلك شجعت البرجوازية حركة
التعليم وتحصيل المعرفة والقضاء على الأمية
الابجدية ناهيك عن الأمية الثقافية وهنا يمكن
أن تتم الاستجابة لشرط وجود الحامل الفكري
لليمقراطية والحدائة في المجتمع كما يقول
الأستاذ هاشم صالح :-

((قبل أن تعطي حق الديمقراطية للشعب
ينبغي تثقيفه وتهذيبه وتعليمه ومحو الأمية
الى أقصى حد ممكن لكي يمشي على هدى
من أمره ويعرف ان يقرأ البرامج الانتخابية

ويميز بين الأمور وينتخب على بصيرة)) ((12 .

وهنا نرى إنَّ أساس المشكلة ليس فكرياً بالأساس بل أساس المشكلة في تخلف وجمود القوى المنتجة في المجتمعات العربية مما نجم عنه كنتيجة موضوعية حالة من الركود الفكري التنويري وليس العكس وكما ذكر الأستاذ خليل أحمد خليل :-

((نلاحظ غياب الظروف الاقتصادية كالثورة الصناعية والعلمية والتقنية ونمط الإنتاج الصناعي العالمي ، مقابل نمط إنتاج رعي/زراعي \ رعي ، غير منتج في العالم العربي لنشوء جمهور واع ، قادر على حكم نفسه بنفسه ...)) (13).

كما الديمقراطية لا تعطى كما قال الأستاذ هاشم صالح بل يجب أن تأخذ عبر صيرورة إجتماعية إقتصادية إجتماعية ثقافية لتكون حاجة ومطلباً شعبياً على أوسع نطاق تطابقاً لما يتطلبه تطور وتقدم العمل المنتج على مختلف المستويات مما يشير إشكالاً كبيراً حول مقولة الأستاذ هاشم صالح :-

((إنَّ أساس المشكلة فكرياً وليس سياسياً وبالتالي إذا لم تحسم المسألة فكرياً فلن تحسم سياسياً حتى ولو بعد مليون سنة)) (14)

الأمر كما نرى لا يتعلق بعشرات او مئات أو ملايين السنين بل في القدرة على بعث روح العمل المنتج والتخلص من ثقافة الأستهلاك في الدول الريعية ، ولوراجعنا تاريخ ظهور وعلو نجم المفكرين والفلاسفة والعلماء لوجدناه متزامناً مع نهوض الطبقة البرجوازية المنتجة ونقيضها وازدهار الطبقة الوسطى هذه الطبقة المشعة فكراً ونظراً وتحضراً في كافة الاتجاهات صوب الطبقة المهيمنة ونقيضها دافعة كليهما نحو التحرر والتقدم والتجديد في مختلف مجالات الحياة الاقتصادية والثقافية والفكرية وقد دفع البعض منهم حياته من أجل إثباتها كما حصل ((لبرونو)) و((غاليلو)) وغيرهم كثير ، وبالتالي السياسية لتكون رافعة مشتركة للتطور الشامل للمجتمع نحو الأفضل والأكمل والأشمل وكما ذكر حسين مروة :-

((العلاقة التاريخية المتميزة التي كشف حدوثها بين المعتزلة وسلطة الدولة العباسية في خلافة المأمون وأستمرت في خلافتي المعتصم والواثق فهي مسألة بقت حتى الآن تدرس على أساس نظرة مثالية ذاتية))(15) .

ما هي العوامل المعيقة لولادة طبقة برجوازية منتجة في العالم العربي الاسلامي؟؟

والأجابة هنا تعيدنا الى التاريخ لنطلع على طبيعة الدولة العربية الإسلامية وعلى طبيعة

مصادرها وإيراداتها المالية لتسيير أمور الدولة
وتغطية نفقاتها

نجد إنَّ المصدر الأهم كان يأتي من الغنائم
التي تحصل عليها الدولة منذ الخلافة
الراشدية والأموية والعباسية وما بعدها من
الغزوات والفتوحات ومن إيرادات الجزية
المفروضة على غير المسلمين ومن فيء
الخراج المفروض على ملاكي الأراضي
ومستغليها ، مما يجعلها غير مهتمة بتطوير
وسائل وطرق وقوى الإنتاج وبقائه على
تقليدية ورتابته في الحصول على الثروة
والمال بعيدا عن السعي للأبتكار والتطوير
والتغيير وهذا يأتي منسجماً تماماً مع
طبيعة الطبقة الحاكمة بالتوريث للخلافة من
الأب الى الأبن ثم الحفيد وهكذا ، لبقى
صولجان الحكم بيد العشيرة أو القبيلة نفسها
كما هو الحال مع قريش التي استأثرت
بالسلطة دون بقية قبائل العرب الاخرى ،
مما جعل الصراع يدور بين مختلف بطون
قريش وأفخاذها حول احقيته بالخلافة من
الامويين والعباسيين والعلويين.....

ففي الوقت الذي كان فيه المأمون بحاجة الى
من يدعمه لتثبيت حكمه عبر صراعه مع أخيه
الأمين تبنى حركة الاعتزال وشجع على ازدهار
حركة الترجمة لكتب الفلسفة والعلم والفكر
بما يتناسب مع طموحه في إزاحة مناوئيه
ومنافسيه التقليديين في الحكم ، ومن تلك
الأجراءات تقريبه للعلويين وعلى رأسهم

الأمام الرضا ((ع))، مستجيباً لطموح الطبقة
المتنورة المسندة من قبل الطبقة التجارية
الناشطة آنذاك أستجابة لمتطلبات
الأمبراطورية العباسية وحالة الرفاهة والثراء
التي عمت قصور الخلفاء والأمراء وحواشيهم
في السلطة ، وظهور متطلبات جديدة
ومتجددة دوماً لذوي الثروة والمال المتزايد
بأطراد مع توسع الفتوحات وكذلك مع عملية
تطور الإنتاج الزراعي والحرفي الواسعة في
بلاد النهرين وما حولها و((أستجلاب)) العبيد
من أفريقيا وأستغلال الموالي والرقيق في
عملية أستصلاح الأراضي وزراعتها بمساحات
شاسعة تلبية لمتطلبات الأستهلاك
المتزايد ...

ومن العوامل الأخرى التأثير الذي عكسته
الأمبراطوريات المنهارة على أساليب حياة
وتفكير الخلفاء العرب كالأمبراطورية
الفارسية وماسواها ، وما تطلبه توسع
الأمبراطورية العباسية من عقول تدير عمليات
الخراج وتنظيم الجيوش والتجارة مما
شجع على تبني أساليب عمل جديدة غير
معروفة من قبل لدى العرب

كل هذا عزز من حجم ودور ونفوذ الطبقة
التجارية ونمو براعم البرجوازية المنتجة في
التأثير على الخليفة العباسي صاحب القرار
في حكم البلاد وكما قال حسين مروة :-

((إنَّ الموقع الطبقي في مجتمع القرن الثالث الهجري كان يستطيع أن يحدد الى قدر ما بعض المواقف السياسية في ذلك المجتمع ، وقد ظهر ذلك في مساندة مختلف تلك الفئات الاجتماعية في المدينة لفكرة إيصال المأمون الى عرش الخلافة العباسية)) (16)..

فقد كان التركيب الطبقي للمجتمع العباسي كما ذكرت أميرة رضا فرحات كالآتي :-

((

- الطبقة الأقطاعية :- تمتلك الاقطاعيات الواسعة ، وترتبط مصالحها وأوضاعها الاجتماعية بالخلافة عمليا .
- الطبقة التجارية :- وتتألف من التجار الذين توفرت الأموال بين أيديهم بصورة استثنائية في هذا العصر ، حيث عرفت التجارة الإسلامية ازدهارا كبيرا ، وهؤلاء التجار وظفوا أموالهم في الزراعة ، من طريق امتلاك الأراضي .
- الطبقة العامة :- وتتألف من الكادحين الذين يقطنون المدن ، الى جانب القبائل التي كانت لا تزال قريبة عهد البداوة ، والفلاحين البعيدين عن مركز الحياة السياسية .)) (17) .
- نستنتج من أعلاه مدى قوة الطبقة التجارية الطامحة بالتطور ، وأن يكون لها حضوراً مميزاً في ديوان الخلافة والخليفة ، وتعاطفها المصلحي المصيري مع الطبقة الثالثة الطبقة العامة باعتبارها

الطبقة المنتجة في المجتمع ، لتكون
 حليفها في صراعها ضد هيمنة ونفوذ
 الطبقة الأقطاعية المعيقة لحركة التطور
 ولعجلة الإنتاج والتحضر ، وهنا لا غرابة أن
 نشهد

شيوع فكرة الحرية وسيادة العقل بأعتبره
 المفتي الأول في تدبير وتفكير مختلف شؤون
 الحياة وإنَّ العقل قادر على فهم وإيجاد
 الحل لكل الأسئلة والإشكاليات المطروحة
 عليه في حياته الواقعية المعاشة ، ادى الى
 إستشعار بالخطر من قبل حملة صولجان
 الخلافة بالتوريث - فالعقل يقول بغير ذلك
 ويفترض أن يكون صولجان الحكم بيد من هو
 اكفاء وأقدر على ادارة شؤون البلاد والعباد
 بغض النظر عن إنتمائه القبلي والعشائري أو
 القومي في دولة الأسلام الذي قال رسول
 الله ((لا فرق بين عربي وأعجمي إلا
 بالتقوى)) والتقوى غير محصورة في بني
 أمية أو بني العباس أو العلويين من قريش
 ولا في أبنائهم وأحفادهم ، ((وقد بلغ هذا
 النقد درجة أخاف الخلافة حتى أمر المعتضد
 أمراً بتحريم كتب الفيلسفة عام 279 هجرية
 حيث يذكر الطبري (خَلَفَ الوراقون إلا يبيعوا
 كتب الكلام والجدل والفيلسفة))(18) .

... ففي عهد المأمون كما في بداية الدعوة
 العباسية كان لغير القرشيين ولغير العرب
 دوراً كبيراً في الإعداد للثورة على الأمويين
 وإسقاط حكمهم حكم الأرسقراطية العربية

المستبدة .. وأمر أبو مسلم الخراساني
والخلال وغيرهم من القادة البارزين من غير
العرب في ذلك الوقت والذين تمت
تصفيتهم في مراحل مختلفة من حكم
العباسيين كما حدث للبرامكة وسواهم
وللعلوين من بني هاشم

هذا الخطر الفكري الداهم أستوجب قلب
ظهر المجن للمعتزلة وإقصائهم بمختلف
الطرق والوسائل بما فيها العنف الاعتباري
والجسدي وقد شنت حملة شعواء على كل من
يدعو الى سيادة العقل والعقلانية كما دعت
اليه المعتزلة ... كما حوربت الفلسفة
والفلاسفة بشدة وهمجية وأستحدثت تهمة
الزندقة والتزندق لمن يعارض ويتفكر
ويتفلسف وبذلك كان الواد الأول لحركة
الفكر والنهضة الفكرية التنويرية في الإسلام
وما جرى بعدها من ردع وكبح للثورات
المتوالية للبابكية والخرمية وثورة الزنج وثورة
القرامطة وثورات وأنتفاضات العلويين
بمختلف أطيافهم وأنتمائاتهم طبعا هذا
الكبح رافقه كبح لإرهاصات الطبقة التجارية
والبرجوازية الناشئة وسد الطريق أمام
تطورها وتقدمها لأنها لا يمكن أن تتطور
وتتقدم دون حرية الفكر والإبداع والأبتكار
ضمن العلوم التجريبية المادية والعقلية
المستنيرة ومما مكن الدولة من تحقيق ذلك
هو وجود مصدر تمويل لنشاطات الدولة عن
طريق الجزية والخراج ونهب ثروات الشعوب

عبر الفتوحات والغزوات بدلاً من اعتماد أموال
 دافعي الضرائب من أصحاب الثروة أبناء
 الطبقة المنتجة من التجار والزراع والصناع ،
 كما حصل في الغرب الرأسمالي فيما بعد ،
 فأبعدت هذه الطبقات عن مركز القرار كما
 يبعد المصباح المنير عن باحة الدار فيعم
 الظلم والظلام ويؤمن تكاثر ووجود
 الحشرات والطفيليات والهوام ، فنشطت
 الحركات المعادية للأعتزال إذا لم نقل للعقل
 من قبل المرجئة والحنابلة وغيرها من
 المذاهب الأخرى المتخادمة مع السلطان
 ومنتجة وعاضه ومريديه والداعين له
 بالخلود والعزة ودوام الحكم وما زال هذا
 الصراع قائماً لحين التاريخ وسيبقى مادامت
 عملية الإنتاج متوقفة ومادامت البرجوازية
 الوطنية معاقة ومهمشة وما زالت الطبقة
 الوسطى مستعبدة ومشلولة وكما ذكر ذلك
 الأستاذ هاشم صالح قائلاً :-

((منذ اندلاع الصراع بين المعتزلة والحنابلة
 أيام المأمون ، ثم بين الغزالي وأبن سينا ، ثم
 بين ابن رشد والغزالي الى تهافت الفلاسفة
 مقابل تهافت التهافت ألف سنة ولم يستطع
 العرب أن يحسموا المعركة .. هل يعقل أن
 تستمر معركة مقيتة مدة ألف سنة ؟ كم
 سيكون رهانها عظيماً؟ ولأن عادت الى المربع
 الأول ، الى نقطة الصفر ...)) (20) هاشم
 صالح ص 287.

ونحن نقول نعم أستاذنا الفاضل معقول جداً أن لا تحسم المعركة لأن احد طرفي الصراع الطامح بالتغيير والحامل لمشعل الحرية والتنوير ما زال مشلولاً إن لم يكن يعاني من الموت السريري في واقعنا الراهن وكما قال محمد أركون :-

((لقد بتر المسلمون أنفسهم وبترو تراثهم وتاريخهم اذ منعو منعاً باتاً نظرية المعتزلة عن القرآن المخلوق ونحن لانزال ندفع حتى اليوم ثمن هذا البتر دماً ودموعاً))(210) .

إننا يجب أن نسمي الظواهر بأسمائها وننسب السلوكيات الى أصحابها وفاعليها فأن نقول العرب أو نقول المسلمين هذا إطلاق وتعميم خاطئ علمياً وعملياً ، إن علينا أن نشخص الطبقات والفئات والشرائح الاجتماعية المعيقة للتطور والتحرر والتقدم وأن نشخص الطبقات والفئات والشرائح الاجتماعية الساعية نحو التغيير والتحرير والتنوير ... وهنا نقول لأستاذنا هاشم صالح إن قوانين التطور سارية المفعول على كل المجتمعات البشرية دون استثناء مع الأخذ بنظر الاعتبار خصوصية كل شعب وكل مجتمع في كل مرحلة من تاريخه .. لما تقدم تبطل مقولتكم :-

((أن قوانين التطور التاريخي لا تنطبق على العالم العربي الإسلامي أو قل إنها تنطبق عليه بالمقلوب))(21) .

فأنَّ شلل وموت الطبقات المنتجة أدى بالضرورة الى موت الفلسفة والفكر الحر وليس العكس صحيح ... وقد رميت الفلسفة بالزندقة ((من تفلسف تزندق)) وبذلك ماتت الحضارة العربية الإسلامية بموت الفلسفة ، بموت المسائلة الفكرية ، بموت التفكير في أصل الظواهر الكونية والحياتية في إثارة أسئلة مشاكسة ومستفزة للواقع المعاش الراكد وهنا نتفق تماماً الى ما ذهب اليه الأستاذ هاشم صالح :-

((إنَّ لاحرية من دون فلسفة ، ولاديمقراطية من دون فلسفة ، ولا حضارة من دون فلسفة)) (22) .

ولكننا طبعاً لا نتفق معه في كون موت الفلسفة سبباً بل هو نتيجة موضوعية لموت الطبقات المنتجة سواء أكانت للثروات المادية أو الفكرية مع سبق الأولى على الثانية تماشياً مع حقيقة أسبقية المادة على الفكر والقول القائل ((الحاجة أم الاختراع)) والحاجة أم الاسئلة ومولدها والحاجة ام التطور

إنَّ ما ذكرناه وأستعرفناه أعلاه ينطبق تماماً على حال البلدان العربية الإسلامية في مختلف دول الخلفاء والسلاطين والإمبراطوريات الإسلامية وقد أستمر الحال بوضع أكثر سوءاً في عصر السيطرة الاستعمارية الوحشية على عالمنا العربي

والإسلامي من قبل الأمبراطورية الفارسية
والعثمانية والبريطانية والفرنسية والطليلية
والأمريكية الان في عصر عولمتها الرأسمالية
المتوحشة لتعود بنا الى عصور الأستعمار
التقليدية الأولى لذلك :-

((إئنا لم نعد الى الورااء بل الورااء هو الذي
عاد الينا لأننا لم نتجراً في أي يوم من الأيام
على مسائلته أو مناقشته ، فضلاً عن نقده
وتفكيكه))(23).

ولا أدري كيف يتصور الأستاذ هاشم صالح أن
يتساءل من فقد القدرة على النطق وفقد
القدرة على الفعل منذ أكثر من ألف عام أي
منذ وأد حركة الأعتزال ... متناسيا إنَّ الرحم
العربي الإسلامي قد عقم قهريا من قبل
سلاطين الماضي وسلاطين الأمبريالية في
الوقت الحاضر

فالسؤال بحاجة لمن يتبناه والفكر بحاجة لمن
يحملة ويؤمن به وإنَّ عالما العربي
والإسلامي ظهر بين ظهرانيه العديد من دعاة
التفكير والتنوير والإصلاح دفع العديد منهم
حياتهم ثمنا لأفكارهم ومعتقداتهم ولازالوا
ولكن صرخاتهم وأفكارهم تذروها رياح الجهل
واللامبالاة في ظل مجتمع مستهلك مادياً
وروحياً مجتمع راكد أسكرته الرأسمالية
العالمية ببهرجها المغربي ، وصنعت عقول
الأغلبية ضمن مقاسها ومصالحها كجماعات
مستهلكة وليست منتجة بمختلف الأساليب

الثقافية والدعائية وصولاً الى التصفية
الجسدية لمن لا يريد أن يسكت ولا يريد أن
يبأس وقد صدق قول الأستاذ هاشم :-

((قلة من المجانين المتهورين سوف يظلون
متعلقين بمشروع التنوير الذي يخترق كل
الطوائف والمذاهب ويتجاوزها ، وحدهم هؤلاء
سيرفضون العودة الى بيت الطاعة الطائفي
الضيق ، او الأنصياح لمنطق القطيع)) (24)

وهم الآن يمثلون الحركات والأحزاب
الشيوعية واليسارية ونخبة النخبة من
المثقفين والأدباء والمفكرين .. الذين
يشعرون بالأغتراب وقلة الحيلة في أختراق
هذا الأسمنت التخلفي السائد ... وهذا بالضبط
ما نريد قوله كونه السبب الأهم وراء ضمور
وضعف وشلل فكر التنوير والتغيير في مثل
هذه المجتمعات نظراً لغياب الحامل الفكري
لهذا الفكر العلمي والعملية عابر القومية
والإسلاموية والطائفية والقبلية خصوصاً
وإنَّ هذا الصراع هو صراع مجتمعي شامل
صراع طبقات تتبنى مبادئ وبرامج وطموحات
وتوجهات لا يمكن أن تعدل من هيجان بحر
الحراك الاجتماعي الذي تتحكم فيه عوامل
موضوعية حاکمة وليس رغبات وأمنيات
شخصية فردية مع تقديرنا لأستاذنا هاشم
صالح حيث يقول :-

((مشكلتي مع رجال الدين مشكلة شخصية لا
حل لها في المدى المنظور ... إني أعتبرهم

أخطر فئة على وجه الأرض، بل وأخطر من
المخابرات لأنهم هم انفسهم مخابرات
ألهية!، هذا ان لم أقل شيطانية ((25)).

أن نقرأ للأستاذ هاشم صالح كل هذه
الصراحة والإطلاق يبرره واقع ما يجري
من مجازر وحرائق وخنق للحريات نابعة من
أدعياء الدين وجوهر الدين الحق منهم براء ،
هؤلاء من أجبروا السماء على قبول ولايتهم
وقيمومتهم على الأنسان هذا الذي حرم
الله ايذائه أو قتله وخلقه على أحسن تقويم
وأرجع اليه مصيره يوم الحساب وعلمه الأسماء
كلها ... فأراد هؤلاء القتلة أن يقيموا القيامة
على الأرض قبل يوم الحساب ليعفوا الله عز
وجل من يوم القيامة الموعود ، فهم أنجزوا
المهمة بالنيابة عنه

وهنا نقول أن سطوبة وقوة هؤلاء لا تكمن
في ذواتهم ولكن في جمع القطيع البشري
الذي ياتمر بأوامرهم وينفذ فتاويهم .. هذا
القطيع الذي لا يفقه من أمور دنياه ولا من
أمر آخرته شيئاً ، غيب الله وأستبدله بهؤلاء
الأقزام القتلة الجهلة ... هذا القطيع الذي
أعتزل العقل والعقلانية وأتبع التقليد الأعمى
دون بصر ولا بصيرة وقد أعتزل المعتزلة
ليأتمر بأمر الجهلة فساد الظلام والجهل
والتخلف وكما ذكر حسين مروة :-

((لو سادت تعاليم المعتزلة في ... سلطان
العقل وحرية الإرادة ... بين المسلمين من

عهد المعتزلة الى اليوم لكان للمسلمين موقف آخر في التاريخ غير موقفهم الحالي وقد أعجزهم التسليم وشلهم الجبر وقعد بهم التواكل (((26) .

وهذه ال ((لو)) هي أداة أمتناع لوجود علينا فهم هذا الوجود المانع القامع ولا نسرف في وصفه فقط ... فمعاناة الأنسان وقهره وعذاباته ستدفعه غريزياً لنشدان الراحة والخلص و ((إِنَّ غريزة الأنسان هي أصل تدينه ، فمن التعب الأجماعي ، مثلاً ، يولد البحث عن آخر لا يتعب ، آخر مدبر ، يسقط تدبير التعب - بمعنى سياسته ومسؤوليته - عن كاهل المتعبين ، فيتكلون على آخر ، بدلاً من الأتكال على أنفسهم)) (27) .

وإذا علمنا إنّ أ ضطهاد المعتزلة وخنق الفكر الأعتزالي كما الفكر الفلسفي ناتج عن ضعف الحامل الفكري لهذا الفكر وكون دولة الخلافة الإسلامية دولة الريع والخراج ... فما هو المخرج أذن من هذا الواقع المتخلف؟؟؟

لنأخذ بلدنا العراق مثلاً ونموذجاً الى ما نريد أنء نصل إليه من أستنتاجات ، فالتاريخ يذكر لنا ما حل ببغداد عاصمة الرشيد بعد أن تم خنق الفكر الحر وأتهم مفكر ومعارض ومشاكس ومتسائل للتقليد والتأليه بالزندقة وهي تهمة تعادل تهمة الشيوعية في عصرنا الراهن من قبل الأنظمة الأستبدادية ... فقد قتل الحلاج والسهر وردي

وأبن المقفع ومثل بهم وأحرقت مؤلفاتهم
 وأجسادهم واضطهد ابن رشد ونظرائه
 وأحرقت مؤلفاته ... فتدهورت الخلافة
 وسادها الترك والخصيان والجواري والقيان ...
 وأخذت تتناوب على حكم بغداد التتر والفرس
 والأتراك ثم جاء دور الانكليز ومن ثم
 الامريكان في هذا الزمان

كون دولة العراق الحديثة اعتمدت على
 البترول كمصدر رئيسي لا يرادتها ، اهتمت
 الصناعة والزراعة بشكل كبير وخطير ،
 وبذلك تم خنق أي طموح للطبقة البرجوازية
 الوطنية المنتجة ونقيضها الطبقة العاملة في
 حين تم تصنيع طبقة وسطى تابعة للسلطة
 منفذة لإرادتها مخلقة على مقاس طبقاتها
 السياسية الهجينة الحاكمة التابعة للرأسمال
 العالمي رغم ما تدعيه من عداة للامبريالية
 العالمية وزيف دعواها بتبنيها للاشتراكية ...
 وهي في واقع الأمر صنعت خصيصا في
 مطابخ المخابرات الغربية لضرب ومعاداة
 وتصفية الأحزاب الاشتراكية والشيوعية في
 المنطقة بأكملها كما فعل حزب البعث
 وسلطته بقيادة صدام حسين من تصفية
 لكل القوى اليسارية والديمقراطية والبرالية
 لأنها هي القوة القادرة فعلا على قطع
 التبعية للرأسمال العالمي والعمل على
 بناء اقتصاد عراقي قائم على الإنتاج
 والتطور وليس على الأستهلاك والميوعة
 فحصل موت الأمة العربية وموت الحرية

والأشترابية بموت الطبقة البرجوازية المنتجة والطبقة الوسطى وخنق حرية الفكر وحصره بالحزب القائد والقائد الضرورة ضرورة حفظ النظام وليس ضرورة بناء الوطن والدولة ورفاه وحرية الشعب

فإذا كانت حركة المجتمع راكدة لا تنمو في برکہا غير الأشنات الضارة والطفيليات ... فهل من خلاص لبلداننا من حلقة التخلف ولعنة الأستهلاك والأزمات التي لا تنتهي؟؟؟

إِنَّا إِذْ نَرَىٰ إِنَّ الْعَمَلَ الْمُنْتَجِ هُوَ الْمَفْتِي وَهُوَ الْبَاعْثُ عَلَى التَّفْكِيرِ وَالتَّنْوِيرِ عِنْدَ الْإِنْسَانِ ... فما دامت عجلة العمل متوقفة تماما في المدن والريف ، أما العمل الذي نراه فهو عمل مستهلك يستند على الاستيراد من :- ((الحذاء الى الطائرة)) حيث تم تخصيص الف وسبعمائة وأربعة عشر مليار وثلثمائة وثلاثة وعشرون مليون دينار (1714323000) للقطاع الصناعي من أصل موازنة تبلغ تقدر إيرادات الموازنة العامة الاتحادية للسنة المالية / 2013 بمبلغ (119296663096) الف دينار(مائة وتسعة عشر الف ومئتان وستة وتسعون مليار وستمائة وثلاثة وستون مليون وستة وتسعون ألف دينار

(

فلا يعدو العاملون سوى وكلاء صغار في خدمة المنتج الرأسمالي العالمي ، نمو وتضخم طبقة برجوازية تجارية طفيلية ، ركنت كل مبادئ الوطنية والديمقراطية ومبادئ الأنسانية الى سيدها الأكبر الدولار هذا الساحر العاهر العجيب مولد الثروة

والرفاه والبؤس والشقاء وعابر الحدود
ومحطم السدود في حين تعيش كتلة
كبيرة من البشر تحت كابوس الجهل - 7
مليون أمي أبجدي والبطالة - أكثر من نصف
المجتمع عاطل عن العمل أو واقع تحت هيمنة
البطالة المقنعة - تدهور مؤسسات الصحة
والتعليمية تدهور الزراعة - أستيراد الطماطم
والبصل والرقمي والبطيخ - من دول الجوار
(2684995000) (الفان وستمئة وأربعة
وثمانون مليار وتسعمائة وخمسة وتسعون
مليون دينار)

المخصص للقطاع الزراعي - إستيراد الماء
من دول الصحراء من السعودية والكويت
تدهور مريع للثروة الحيوانية وأستيراد المنتجات
الحيوانية من دول الجوار ومن ما وراء البحار

هذا الواقع المتردي للعمل الطفيلي أنما يولد
البلادة والتبعية والغيبية والقدرية ... فساد
الفكر الديني المسيس ، وحكمت فتاوى
(المراجع)) وحورب الفكر التقدمي التنويري
العقلاني الحر ...

أخذ يتضاءل عدد ونوع الفئة المثقفة الواعية
الطامحة بالحرية وبناء دولة الحداثة المدنية
العلمانية في بلد متعدد القوميات ومتعدد
الأديان والطوائف ، الحالمة بتحويل المجتمع
الى مجتمع منتج ، مستغل قدرات البلد المالية
الضخمة من إيرادات البترول المتزايدة

وازدهار نمو الطبقة الوسطى بعيداً عن
 هيمنة السلطة وتبعيتها ... عندها ينتعش
 الفكر التنويري الحر المنتج وتذوي نجومية
 الأحزاب الطائفية والقومية المعتاشة على
 التخلف الفكري للمجتمع ... في حين تسري
 روح الحياة والنشاط والحيوية في جسد
 النقابات المهنية والديمقراطية والأحزاب
 اليسارية الديمقراطية والبرالية لتكون هي
 المهيمنة بدلاً من القبيلة والعشيرة والطائفة
 أي سيادة مكونات المجتمع المدني بدلاً من
 مكونات المجتمع الأهلي الما قبل حدثي ...

يبدو إنَّ هذا حلماً وريداً غير سهل المنال
 على المدى القريب لإيقاف حالة التدهور
 الخطير وأندثار البلاد صوب التقسيم الى
 أقطاعات طائفية وقومية متقاتلة
 ومتحاربة مع بعضها وكذلك بين الفصائل
 نفسه الطائفة الواحدة والقومية الواحدة
 للحصول على الثروة والمال والوجاهة خصوصا
 إنَّ هذا التوجه تعمل من أجله قوى الرأسمال
 العالمي الأمريكي على وجه الخصوص
 ول((بايدن)) شهادة في هذا الأمر قبل
 وقت قصير حيث يرى حل الأحتقان الحاصل
 في البلاد عبر التقسيم العراق الى ثلاثة
 أقاليم وهذا ما يجعل البعض يذهب
 بعيداً في هذا الشأن معلقا الأمل الأكبر في
 الخلاص على التطورات المرتقبة للحراك
 الأتماعي في بلدان المركز وخصوصاً لقوى
 اليسار الجديد في هذه البلدان لتكون المساعد

النزیه علی نمو بلدان المحيط المستقل
لتنهض اقتصادياتها وتخليصها من قوى التطرف
والإرهاب ... وهذا طبعاً حلماً ما زال بعيداً
أيضاً بسبب قدرة الطبقات الأستغلالية
الحاكمة علی تجديد نفسها واحتواء أزماتها
والإمساك بمقود التحولات الأجتماعية وتصنيع
العقول المساندة لتأبيد سلطتها وهيمنتها
علی مقدرات الشعوب عبر مسرحيات
أنتخابية وهمية ممثليها من نفس الطبقة
ولكن بأزياء مختلفة ، خصوصاً كونها طبقة
تعاني من أزمة خطيرة وقد تجاوزت
الرأسمالية مرحلة الأمبريالية كونها أعلى
مراحلها كما وصفها لينين ، لتدخل طور
الأرهابية باعتبارها أعلى وآخر مراحل
الأمبريالية كما نرى ذلك ، وهي بذلك إما أن
تجر العالم الى خراب محقق في واقعه
النووي وتطوره التقني الهائل وخصوصاً
لوسائل الدمار ، أو أن تستسلم لخيار قوى
التغيير والبديل الأنساني العقلاني لمليارات
من البشر للعيش بسلام وأمان وعدالة علی
مستوى العالم بقيادة قوى اليسار والبرالية
الجديدة ، وهذا طبعاً يعتمد علی مدى قوة
وقدرة وحنكة كل من الطرفين في توجيه
الحراك الشعبي علی مستوى عالمي

إذن أن نوجه اللوم الى ذاتنا أو الى شعوبنا ،
أن نجلد أنفسنا أو نجلد شعوبنا كما نلاحظ ذلك
في كتابات ومقالات العديد من المنظرين
والمفكرين العرب خصوصاً ومنهم الأستاذ

هاشم صالح ... أمر خطير وغير علمي وغير عملي لأننا بهذه الحال تأسرنا الظواهر وتبعدنا عن التفتيش عن الأسباب الحقيقية الكامنة وراء موتنا وتخلفنا وتخلف شعوبنا

ان المطلوب لم شمل وتحالف وتآلف القوى الوطنية الديمقراطية واليسارية التي تعي لا وعيها لتجاوز واقعها المتردي وتجاوز الموضوع المتخلف لبناء وتفعيل الذات الواعية والعمل على تعبئة وتوعية الجماهير بمصالحها الحقيقية ونزع عصائب التضليل والتجهيل عن عيونها ، عبر قدرتها على أجتراح أساليب كفاحية جديدة عملية وواقعية لتحقيق ذلك وبالتعاون والتنسيق الكامل مع قوى اليسار والديمقراطية العربية والاقليمية والعالمية لتحقيق أهدافها الواحدة في الحرية والسلام والسعادة في كل أرجاء العالم بالضد من أرادة ومخططات كقوى الرأسمال العالمي وحلفائه من قوى التخلف والأستغلال والأستبداد

وقفة قصيرة عند الوضع في سوريا

هانحن نشهد المطاولة في المقاومة من قبل ((النظام)) السوري والجيش العربي السوري لمواجهة ((المعارضة)) التي سرعان ما رمي لها السلاح من قوى اقليمية وعالمية لتحويل الحراك الشعبي السلمي المشروع الى صراع مسلح بقيادة قوى ظلامية

متطرفة كما حدث بالضبط في ليبيا وبسرعة أكبر نظراً لطبيعة التوازنات الدولية في حالة ليبيا عنه في سوريا الآن

وهذه المقاومة العنيدة للمخطط المرسوم بمخالب الرأسمال العالمي والمؤطر بأطار عربي تابع ، ناجم عن قوة وتماسك الطبقة المنتجة في سوريا ووعيها بما يخبئ لها هذا ((الربيع)) الأسود من خريف قاتل سيجرها الى كهوف الظلم والظلام المسكونة من قبل قوى القاعدة والنصرة وكل قطعان التكفير الاسلاموي المرعب

زواج سفاح بين الرأسمال العالمي وال((قطوازية)) العربية

بعد ان ادرك المركز الرأسمالي المأزوم ان زمن التحولات اخذ يقترب من النضج وموعد الانفجار الشعبي يقترب في هذه البلدان التابعة نتيجة ما تعانيه من فقر وبؤس واضطهاد وحشي من قبل الانظمة الديكتاتورية ، كان لابد من تدبير عملية التفاف لخطف الثورة المرتقبة من ايادي صناعها الحقيقيين وخصوصا القوى اليسارية والديمقراطية والبرالية الوطنية صاحبة المصلحة الحقيقية في التغيير ، لتكون هذه الثورات في ايادي قوى ممكن ترويضها ان لم يكن مروضه اصلا ومرتبطة بطريقة أو باخرى بمخابرات المركز وقواه الفاعلة وبالتالي

سيكون التغيير شكليا وسيؤمن بقاء الطبقة السياسية الحاكمة لها وبما هو اكثر قوة من سابقتها المتعفنة والتي انتهى دورها مع انتهاء الحرب الباردة وانهيار المعسكر الاشتراكي

انَّ من أهم أساليب حرف هذه الثورات هو العمل على تفجيرها قبل ان تتبلور قيادتها وقبل ان يتبلور برامجها وكمطالبها ((الشعب يريد تغيير النظام)) نعم ولكنه لا يدري ماذا يريد بعد تغيير النظام اي لم تتم بعد صياغة برامجها وقبل ان تتمكن من صياغة تكتيكها واستراتيجيتها المطلوب ... حيث تحولت الشعارات من شعارات مطلبية محددة الى مطلب الرحيل للحكام اللذين عجزوا من احتواء موجة الحراك الشعبي المتفجر بل سلكوا طريقتهم التقليدية القمعية البوليسية في مواجهة الجماهير الهائجة ، فأغرقها طوفان الهيجان الشعبي خصوصا بعد ان تخرى عنها اسيادها الامريكان وبقية قوى الرأسمال في المركز وبعد من ضمن ولاء قوة صنعتها للقفز على موجة التغيير إلا وهي قوى الاسلام السياسي بمختلف توجهاتها ضمن زواج سفاح بين الرأسمال العالمي الصهيوني و ((القطوازية)) العربية المتمثلة بالسلفية الاسلاموية لاستيلاء مسخ ديمقراطي كبديل للأنظمة المنهارة ... هذا المسخ الاسلاموي هو القوة المختارة من قبل المركز لأنه لا تسعى إلا الى الهيمنة على كرسي الحكم ولا

يتقاطع على اي مستوى من المستويات مع
الرأسمال العالمي ان لم تسع الى ترسيخ
هيمنته على شعوب وثروات المنطقة

((اعطيت الاوامر للسفراء الغربيين في تونس
والقاهرة وسواها من العواصم لكي يستقبلوا
قادة الاخوان المسلمين متى شاءوا، ولكي
يزروهم في مقارهم ، وأصبحت العلاقة بين
الطرفين احلى من العسل))(28) .

متخادمة معها للحفاظ على مصالحها الطبقية
الاستغلالية بالنسبة لقوى المركز الاستغلالي
وتحت شعار المحافظة على ((بيضة الاسلام))
من قبل القوى المتاسلمة وكل هذا خوفا
من تصاعد حضور المد اليساري والديمقراطي
الوطني في عقول الجمع الجماهيري في
الشارع الهائج مما يمكن قوى اليسار
والديمقراطية من الوصول الى السلطة
وبالتالي حدوث القطيعة مع قوى الاستغلال
الرأسمالي المبنية على النهب والاستحواذ على
ثروات الشعوب والذي لا يمكن ان تؤمنه لها
سوى ((القطوازية)) المتمثلة بالنيولبرالية
والبرجوازية الطفيلية المتمركزة عقائديا وفكريا
في منظومة التطرف الاسلاموي كالقاعدة
والنصرة والإخوان وماشاكلهم من قوى
الاسلام السياسي وعلى مستويات مختلفة ،
وقد كان موقف قوى الرأسمال واضحا
في تسهيل وصول وقيادة الخميني والتيار
الاسلامي للثورة الشعبية في ايران والعمل
على تحجيم قوى اليسار الايراني ومن ثم

استبعاده تماما رغم تاريخه النضالي الكبير
وتضحياته المشهودة من اجل اسقاط حكم
الشاه ... وكما يذكر الاستاذ هاشم صالح
موضحا دور المخابرات الامريكية في
استغلال هيجان الشارع العربي وخصوصا
الشبابي :-

((هذه الحالة من الغضب الاجتماعي للشبيبة
العربية استغلها الاستراتيجيون الامريكان لقلب
الانظمة وتجديد الطبقة السياسية العربية ،
وقطع الطريق على الديمقراطية الحقيقية
والعدالة الاجتماعية الحقيقية)) (29) .

.... وهنا نريد ان نؤكد نقطتين هامتين :-

الاولى \ ان قوى القهر الاستبدادي الوطني
منذ عهد السلاطين الى ما بعدها من ملكيات
او جمهوريات متخادمة مع الرأسمال العالمي
الاستعماري بمختلف مظهراته المسلحة وغير
المسلحة انما عملت على اعاقه تطور ونمو
الطبقة البرجوازية الوطنية المنتجة وبالتالي
اعاقه نمو الطبقة النقيض الطبقة العاملة
وشلل وتبعية الطبقة الوسطى هذه الطبقة
التي يفترض ان تكون مشعة فكرا منتجا
تنويريا باتجاه الطبقة البرجوازية وباتجاه
الطبقة العاملة جاذبة ايهما نحو العقلانية
والتوازن والإيمان بالتطور والتقدم ونبذ حالة
الجهل والتخلف والتشجيع على التفكير
والتفلسف والإبداع وبناء الذات المستقلة
التي تأبى التبعية والمسكنة والعبودية كما

تسحبها صوب صناديق الاقتراع ليكون
الطريق الاسلام للوصول للسلطة وتبادلها
سلميا

هذا الحال يؤدي الى هلامية المجتمعات
بوصفها تكتلات بشرية لا تحمل مظاهر
واضحة او مستقرة بل هي حالة من الميوعة
وتحول وتغير دائم مما ينمي سلوكيات
القرذنة والثعلبية والأنانية ويديم ثقافة
الاستهلاك وينشر روح الاتكالية والعدمية
والغيبية بذلك يفقد القوى الوطنية
اليسارية والديمقراطية الحامل الفكري لها
وبالتالي ادامة حالة الاستغلال والاحتلال
الوطني والعالمي وهذا هو ما يحصل بالضبط
في عراقنا اليوم

بما تقدم يمكننا ان نجيب عن علامات التعجب
والاستفهام لمن يتساءل عن السبب الكامن
وراء هيمنة الفكر الغيبي التخلف وسيادة
ثقافة الاقصاء والاختصاص ان لم تكن ثقافة
الافتراس للآخر ضمن كتلة بشرية تعيش في
بيئة تشبه بيئة الغاب

الثانية \ من خلال كارتلات الاعلام العملاقة
المسيطر عليها والمملوكة من قبل قوى
المركز الرأسمالي تم نشر ثقافة الاستهلاك
والاتكالية ومسح الذات الفاعلة مع تحفيز
وتثبيت الذات المنفعلة المنبهرة الخائفة
التابعة ... وقد عملت قوى الخارج والتابعة في
الداخل على اختلاق وتوليد الازمات التي هي

بالأصل مجينة ضمن بنيتها كطبقة مأزومة ،
 تعمل على تفريخ المزيد من الازمات
 وخصوصا العرقية والطائفية من اجل احتواء او
 قتل اية بذرة وعي وطني وطبقي لدى
 الجماهير المسحوقة والمستلبة والمهشمة
 وتحويل مجرى نضالها نحو الصراع الطائفي
 والعرقي والقبلي وحتى المناطقى ضيق الافق
 وابتعادها عن طريق كفاحها الرئيسي الوطني
 والطبقي لبناء الدولة المدنية الديمقراطية
 التعددية دولة المواطن الفرد دولة الحداثة
 المدنية

هنا حينما يتفاعل العامل الاول والعامل
 الثاني يمكن قوى القهر والاستغلال على تأييد
 سلطته وثقافته المدمرة ثقافة المجتمع
 الاهلي المتخلف مما ينتج حالة من التشظي
 السريالي المضحك المبكي بين مظاهر الحداثة
 وما بعدها وبين واقع ما قبل المدني
 القروسطي المتخلف حيث تطالعك
 صورة ((الفانوس)) الى جانب مرسله
 الانترنت ، والستلايت عابر القارات
 والمحيطات وصورة المحراث اليدوي الى جانب
 طائرات آلاف 16 ، صورة الجينز وآخر
 الثقليعات في قصات الشعر الى جانب صورة
 قالب الفحم الاسود الذي لا يرى له وجه ولا
 قفى يدعى امرأة ...

هنا نجد التعريف المنتج لظواهر التخلف
 والتعصب الطائفي والقبلي وانتعاش عصابات

القتل والسلب وظاهرة فساد الطبقة السياسية الحاكمة

المراجع:-

- 1- ص 295 الانتفاضات العربية على ضوء
فلسفة التاريخ هاشم صالح.
- 2- ص 118. = =.
- 3- ص 217. = =.
- 4- ص 146. = =.
- 5- ص 310. = =.
- 6- ص 16. = =.
- 7- ص 192. = =.
- 8- ص 220 سيولوجيا الجمهور السياسي
خليل احمد خليل.
- 9- لمحات مادية - حسين مروة المجلد الثاني
ص 407.
- 10- ص 437. = = = = =.
- 11- وعي السلوك - الكونفورما وأنظمة
الوعي - د. محمد الدروبي ص 79.
- 12- هاشم صالح الانتفاضات العربية على ضوء
فلسفة التاريخ ص 145.
- 13- سسولوجيا الجمهور السياسي الديني
خليل ابراهيم خليل ص 129.
- 14- هاشم صالح الانتفاضات العربية على ضوء
فلسفة التاريخ ص 295
- 15- ص 406 لمحات مادية - حسين مروة
المجلد الثاني .
- 16- (16) ص 49 لمحات ج 2.

- 17- اميرة رضا فرحات الزنج وثورتهم المنسية
، دار الحجة البيضاء ط 1 2011م ص 105
- 18- ابراهيم علاوي كتاب المشترك ص 72.
- 19- محمد اركون - قضايا في نقد العقل الديني
ص 27.
- 20- ص 217 الانتفاضات العربية على ضوء
فلسفة التاريخ هاشم صالح.
- 21- الانتفاضات العربية على ضوء فلسفة
التاريخ هاشم صالح.
- 22- الانتفاضات العربية على ضوء فلسفة
التاريخ هاشم صالح.
- 23- ص 26 الانتفاضات العربية على ضوء
فلسفة التاريخ هاشم صالح.
- 24- ص 192 الانتفاضات العربية على ضوء
فلسفة التاريخ
- 25- الانتفاضات العربية على ضوء فلسفة
التاريخ هاشم صالح ص 217.
- 26- ص 374 لمحات مادية - حسين مروة
المجلد الثاني ج 2.
- 27- سسويولوجيا الجمهور السياسي الديني
خليل احمد خليل ص 215
- 28- الانتفاضات العربية على ضوء فلسفة
التاريخ هاشم صالح ص 121 .
- 29- الانتفاضات العربية على ضوء فلسفة
التاريخ هاشم ص 131.

حكايا العم تعبان في مضيف الحاج وجدان
اكو ناس لا تخاف ولا تستحي وما عده ضمير

دخل العم وجدان وهو بحالة لاتسر الصديق متعبا ،
لاتفارق السيكرة فمه ، وهو يردد عمي تره
مايصير هجي ، ((الله)) و ((القانون))
وال((سواني)) ضد المره !!!

ساله من في الديوان شنو القضية عمي
وجدان شبك اليوم ، وشبيه المره ؟؟

عمي من يريد واحدنه يزوج ابنه يتعنه لبيت ابن
حلال ويطلب ابد بنته لبنه ، وياه حشد من أهل
العمائم والعگل مشايه وهم يطلبون موافقة
ولي أمر البنيه على زواج بنته من ابنهم ،
ويسووله الهور مرگ والزور خواشيگ وأم
الولد تحير شتسوي حتى تحصل موافقة أم
البنيه والبنيه ...

لكن بعد ما يطيح الفاس بالراس ، تشتغل
المشاكل بين البنيه العروس الجديدة وبين العمه
والحماه وما داير مادايرها والعريس صور
الله عليه مثل الاثول مايدري شيسوي ، يصير
ويه مرته لا هاي عيب فشله والمره شنه قيمته ،
عليه تخدم وتتحمل الالهانات والرزاله بطيب
خاطر ، وماتفك حلگه ويه العمه والحماه ، واذا
ما عجه تولي تروح لهله ، لو سويله خط طلاگه
وسرحوهن بالمعروف عله گولت أهل العمائم
الگاعدين بصف سور المحكمة متحضرين
لكسر ارگاب المسكينات وإصدار حجج طلاگ
ويسمي نفسه مجاز من المحكمة
الشرعيه!!!

وبها الوضعيه تكون البنيه هي وبزرته
الضحيه ...

لا المجتمع يرحمه وينتصرله ويكول يا عالم تره
هذا ميصير حرام

واهل العمائم يگلك عمي هذا ابغض الحلال ...
بس هاي هيه العصمه بيد الرجل واذا ماراد يطيه
المعجل والمؤخر اقساط حسب المقدره وتروح
لهله وياه خلفته !!!

والقانون هم من راي الدين والشريعة ، يگلك
العصمه بيد الرجال خالص ماايريده يطيه حاضره
وغايه حسب امكانيته ، ويجر نفقه فلسات
للزعاطيط !!!

عمي من سود الله وجوهكم هاي المسكينه بيش
مطلوبه وتتحمل كل هذا الظلم ، يگضي وطره
وياه ويخلف ويوديه لهله مكسورة الجناح
والخاطر ، ويرح اجيله امه مره جديده

والله لالعين ابو هيچ شريعه لابو هيچ سواني لابو
هيچ قانون ...لكم هذا ظلم وكفر ومو
انسانينه ، وما يورث غير السقوط والفساد
والضياع لكل الاطراف ...

... عمي وجدان وانته شجايبك عله الموضوع
الحارگ اعصابك ???

والله عمي الحارگ اعصابي هذا الي گاعد
نشوفه ونسمع بيه ونقراه عن مايصير
بمجتمعنه هالايام ، منا نسمع فلان وفلانه
ازوجوا وبعد فتره تسمع فلان وفلانه
اطلگوا لان اهل الولد ما يريدون البنيه ، لا
يمنعهم شرع ولا سواني ولا قانون !!!!

وهاكم اقرؤوا هذا الكتبه ابن
الاجاويد(((فيصل العايش))) بجريدة الزمان في

16-2-2017 حول حالات الطلاق ومصايبه بهل الأيام

((ولعل دوائر القضاء الإداري كانت محقة عندما أعلنت عن زيادة غير معهودة في نسب الطلاق بمجتمعنا قد تفوق ربما حالات الزواج ، فهل يعقل إن شهراً واحداً يشهد أكثر من خمسة آلاف حالة طلاق وتفريق بين زوجين ، حين استشرى الخلل الأخلاقي في صفوف الكثيرين من الشباب واستسهال الطلاق عوضاً عن معالجة الأمور لكي لا يقع ابغض الحلال ويعيش الصبية الذين هم نتائج هذا الزواج حياة مأساوية لا تنفع معها أية حلول.

ما ذنب طفل رضيع لم يتمكن بعد من السير على قدميه أو طفلة مازالت في الصفوف الأولى من مدرستها إن تكون ابنة لأبوين مطلقتين غير عابئين بمصيرها وبمستقبلها ودون التفكير بما يمكن إن يؤول إليه حال هؤلاء الأطفال من أبناء المطلقات، فلو حسبنا إن نصف هذا العدد من المطلقين لهم أبناء وبنات فأن هذا يعني إنتاج جيش كامل من الأطفال فاقد الأبوين تأخذهم الحياة دون رحمة الي دروبها الوعرة وفي مسالكها الشائكة ويكونون ن آخر المطاف عالة على المجتمع الذي لاستطيع إن يوفر لهم شيئاً مما ينبغي إن يتوفر لهم من التعليم والرعاية الطبية والسكنية والغذائية)).

زين برأيك شنهو الحل حتى على الأقل نحد من هاي الظاهرة الخطيرة فعلا :-

أولا :-عمي لازم ما نمشي به خطاب لبنت الناس الا نكون كفلاء لحق الطرفين مو

نشرب الشربت ونذبنه حچایتین وفیمانلاه ،
ونکل للعايل عايل اضبط روحك هاي الشغله
مو لعب زعاطيط . وائته رجله لازم تصير
رجل بحق وحقيقه وتتحمل المسؤولية وبناء
اسره وبيت ، مو تطبگ ويه امك يو اختك
بالباطل ...

الثانيه \عله ((المومن)) ما يطلگ المرهالا
بحضوره وموافقته ، واذا ما موافقه لازم
عند الطرف طالب الطلاگ عذر مشروع
يحول دون استمرار الحالة الزوجية كالخيانة
الزوجية لا سامح الله مثلا ، مو يوزع خطوط
مقابل كم فلس من هذا يو ذاك ويكسر ارگاب
بنات العالم باسم الشريعه ...

الثالثه \ على القانون إن يكون شديد الحساب
يه الیطلب طلاگ تعسفي غير مسبب
بأسباب معقوله ، واذا أصر عليه تحميل
المخالف مضاعفة المهر المعجل والمؤجل لعدة
أضعاف تصل الي عشرة أضعاف ولا تقل عن
أربعة أضعاف وحسب درجة القهر التعسف
المرافق للقضية . وتدفع فورا تصديق قرار
الطلاق حتى يعرف المتعسف خطورة وكلفة
ما يقدم عليه عسى ان يرتدع ، ولو ان كل
اموال العالم ما تعووض المره وابنه حنان
الوالدين ورعايتهم ولكن شنگدر نسوي
للماعنده ضمير ، والله عمي صدگ
((الكثوليك)) عدهم حگ ...

ويلزم المتعسف براتب شهري للطفل ما يقل
300-500 الف دينار قابل للزيادة والنقصان
حسب الظروف الاقتصادية وصعود ونزول
قيمة العملة حتى لا يضيع الأطفال بسبب لعز
العاطفي والمادي .

عمي هذا الحجي حگ يوباطل ، عمي الظلم
 هسبب كل الصار ويصير ويانه ، وما اكو ظلم
 اشد من ظل الزوجه والام والطفل
 والمطلب من النسوان البرلمانيات إن يضمن
 صوتهن للمرة المظلومة ويشغلن على إصدار
 قانون جديد يضمن حقوق المرأة ويحد من
 هاي الظاهرة السرطانية الخبيثة ، وها
 ليسمونه منظمات حقوق الإنسان إن ما تظل
 ساكتة وملتهميه بالترهات ...

إما رجال الدين فعليهم الوزر الأكبر لان
 مايصير احد أسبابه سكوتهم وتبريرهم
 لتعسف لرجال باسم الشريعة ..

وعله الحكومة إن تسن قوانين حسب
 متطلبات الضعة المتغير ، والبصير ألان
 يتطلب تشريعات جديده تحد من هاي الظاهرة
 الخطيرة ...

عمي الوضع ما ينسكن عليه ابد أبدا

فقال جميع من في الديوان والله عمي
 حبيك ذهب ، ولازم هل القضية يصيرله حل
 وباسرع وقت . لان ماكو شريف وصاحب
 ضمير يرضه يوگع ظلم على ابنه وعله بنته
 وعله جهاله .

ش اطني جداحتك خل اورث جگارتي ، والله
 عمي اكو وادم لاتخاف ولا تستحي .

لكي لا يذهب دم الشهداء هدراً

في عراق اليوم ، تبدو الساحة السياسية غائمة ان لم تكن معتمة ، ومن الصعوبة بمكان التمييز بين أطراف الصراع القائم من حيث ولائهم للشعب العراقي ورعاية مصالحه ، تزامنا مع توسع الحراك الاجتماعي وفوران ساحات المدن العراقية وخصوصا في بغداد ، المطالبة بالغاء المحاصصة العرقية والطائفية ، وكشف ومحاسبة واقصاء الفاسدين والمفسدين من على سدة الحكم حيث بلغ الفساد حدودا غير مسبوقة حتى في تاريخ العالم ، على مستوى البرلمان العراقي او السلطة التنفيذية ، طبعا بالتخادم والتنسيق فيما بينهما

هذا الحراك الذي ضم الكثير من العناصر المثقفة من مختلف الشرائح الاجتماعية ، كما برز من بين قاداته العديد من النشطاء اليساريين والديمقراطيين ، من خارج عباءة اصحاب العمائم ، مما ينذر بتجذر عملية الكفاح الوطني الديمقراطي ليكون صراعا ديمقراطيا راديكاليا ذو بعد اجتماعي واضح ، مما سيساعد ان عاجلا او اجلا الى تمزيق عصائب التضليل والتجهيل الطائفي والعرفي للجماهير الواسعة المنقادة وراء القيادات الدينية بمختلف توجهاتها وعناوينها ، خصوصا وانها اثبتت فساد اغلب رموزها وتكرها لوعودها وهي تتربع على سدة الحكم وفشلت في تحقيق ابسط طموحات المواطن العراقي في العيش الكريم والحرية والسلام ، ناهيك عن الحفاظ على وحدة وسيادة الوطن على ارضه وثروته ...

كما ان استمرار هذا الحراك والعجز البنيوي للطبقة السياسية الحاكمة عن الاستجابة لمطالب الجماهير ، يؤدي في خضم الصراع الى تمتين العلاقات بين مختلف فصائل الحراك والقضاء او على الاقل احتواء الكثير من خلافاتها وشرذمتها ، لتشكل جبهة قوية مترابطة ، تقترب يوما فاخر لتكون امل الشعب المقهور للخلاص من كابوس الارهاب والفساد والطائفية المقيتة

ان الوصف اعلاه ليس بعيدا عن عيون ومخططات الطبقة السياسية الحاكمة واسيادها من مختلف الالوان والاشكال ، مما يستدعي العمل السريع لتلافي تطور هذا الحراك الاجتماعي الواعي ومنعه من الوصول لاهدافه ، خصوصا بعد ان فشلت اساليب القمع المباشر من كبه وايقاف تطوره ، فسارعت الى لعب

كافة اوراقها الظاهرة والمستترة لتفكيك هذا الحشد الجماهيري وحرفه عن مسيرته فكانت الخطوة الاولى بتصنيع جبهة اصلاح داخل قبة البرلمان -

((افسد مؤسسة في التاريخ الانساني))* - من قبل مجموعة من النواب والمنتهمين طبعاً الى القوى السياسية الحاكمة ، والذين بعد أن صالوا وجالوا واثاروا عواصف من الهرج داخل قبة البرلمان وفي الفضائيات ، مع حالة غريبة من المد والجزر في عدد اعضائه ، فما كان من هذه الكتلة ((العابرة للطائفية)) التي انبثقت من مستنقع الطائفية بقدرة قادر لتمثل ((خضراء الدمن)) داخل قبة البرلمان ، نقول فما كان منها الا اختزال مطالبها باقالة رئيس البرلمان ((سليم الجبوري)) خليفة ((المشهداني)) الذي اخرج من رئاسة البرلمان في حركة مشابهة فكان الخليفة اسوء من سلفه ... وهكذا كان موقف ((اصدقاء الشعب)) داخل قبة البرلمان مما ادى الى شخصنة المطالب وحصرها بشخص الجبوري والتعظيم على المطالب الهامة للشارع العراقي. المطلوب حل هذا البرلمان ، وانتخاب برلمان جديد ، بقانون انتخابات جديد ، لانتاج برلمان اقل عددا واشمل تمثيلا واصدق تعبيراً عن طموحات العراقيين .

ثانياً \ دخل على خط التظاهرات احد اطراف العملية السياسية ومن ابرز اطراف التحالف الوطني ((الشيعي)) ، ليتربع على زعامة الحراك الجماهيري في ساحة التحرير والساحات الاخرى في مختلف المحافظات ، وما ادت اليه من دخول والخروج من قبة البرلمان والمنطقة

الخضراء بانتصار موهوم ومظروف غير معلوم
 لن يؤدي الى اية نتيجة تذكر ...

كما برزت شعارات غير متوقعة من قبل حفنة
 من المتظاهرين بالضد من إحدى الدول
 الاقليمية والمفترض أن تكون صديقة ومساندة
 للحكومة العراقية في صراعها ضد الارهاب ، مما
 اظهر لبساً كبيراً في طبيعة هذا الحراك واهدافه
 ومرامييه وخطوطه الحمراء او الخضراء ، زرع
 بين صفوفه البلبلة وضبابية قيادته ومن هي
 الجهات المنظمة والموجهة له ، وقد حمل اعضاء
 البرلمان من اطراف السلطة ((قنفتهم))
 المهانة على رؤوسهم كدليل ادانة للمتظاهرين
 ودليل فوضويتهم وهمجيتهم وكانهم يتمثلون
 ((حملة قميص عثمان)) لادانة الحراك
 الجماهيري والمطالبة بالافتصاص من رأس
 التظاهرة التي كسرت رأس ((القنفذ)) ...
المطلب :-

اعادة النظر في اسلوب وطريقة وقيادة
 وشعارات التظاهرات بعيدا عن هيمنة قوى
 السلطة واحزابها الحاكمة ، لتكون فاعلة ومنتجة
 وتحقيق مطالب الشعب .

رغم كل ذلك فان القوى صاحبة القرار في حكم
 العراق الظاهرة والمستترة قررت ان تضرب
 عصفورين بحجر واحد ، بفتح جبهة تحرير
 الفلوجة من قوى الارهاب الداعشي وهي معركة
 كبيرة مؤجلة لسنوات عدة ، ومما يستدعي ان
 يكون ((كل شيء من اجل المعركة)) ، وتاجيل
 كل ماعدا النصر على الدواعش ، ومن ضمنها
 ايقاف الحراك الجماهيري والمطالبة بالاصلاح
 الجذري للعملية السياسية ، ومحاسبة الفاسدين
 والمفسدين وقد ظهر السيد رئيس

الوزراء)) (وجلهم من الفاسدين والفاشليين))
وهو يلوح براية النصر على ((دواعش الصحراء))
في الفلوجة ، موفيا بعهد التحرير ، ولكنه لم يف
طبعا بوعدته بالتغيير واصفا منتقديه ب((دواعش
السياسية)).... !!!!

وهكذا كان وما زال احتراب واقتتال الطائفيين
سواء دواعش الصحراء أم دواعش الخضراء فيما
بينهم ، واستغلال حالة الرفض الجماهيري
القاطع لدواعش الصحراء ، وكذلك رفض
وكرهية ((دواعش الخضراء)) .

حيث ان الجماهير الواعية تدرك تماما ان كل
منهما يولد الثاني، وهما وجهان لعملة واحدة
هي عملة العرقية والطائفية المقيتة العفنة ولا
خلاص للعراقيين الا بالقضاء عليهما معا وبناء
عراق دولة المواطنة بغض النظر عن القومية
والسنيين والجنس والعرق .
فهل صرخة العبادي بمحاربة دواعش الصحراء
ورفع راية النصر في الفلوجة ، والتي رفعت
بقوة سواعد احرار العراق سترفع حتماً على كل
شبر من ارض العراق ، لابد ان تمتد لتشمل
((دواعش الخضراء))، لتكون هبة الشعب
العراقي مجدية ومنتجة لاستئصال الارهاب
والطائفية والفساد وبناء دولة العراق المدنية
الديمقراطية ، دولة المواطن ، والمسؤول النزيه
الكفوء الوطني المخلص ، والا دون ذلك فسوف
تظهر لنا نسخ مستحدثة من الدواعش ، وتذهب
دماء الشهداء من ابناء العراق هدرا ، وتتقسم
ارضنا ويتشردم شعبنا فرقا شتى ، وتتحكم
بمصائرنا دول الجوار ودول ما وراء البحار ..
• ما نشيت جريد ((الديلي ميل)) البريطانية .

كثيرا يختلف السراق فيما بينهم ويعلو صراخهم
ويصل خصامهم حد الاقتتال ولكن اجل اي
شيء يتخاصمون ، هل من اجل اصلاح سيرهم
والتحالف من اجل الكف السرقة وترك طريق
الصوصية ..؟؟؟؟

طبعاً لا انما يختلفون من اجل اعادة عن توزيع
السرقات وابتكار اساليب جديدة للسطو
والسرقة ، وابتداع طرق واساليب غير مطروقة
سابقة من اجل تضليل واصطياد وايهام الضحية

.....

-: الشاهد من قولي هذا
الطبقة السياسية الحاكمة في العراق
وباعترافها بانها زمرة من السراق والحرامية ،
فان اختلفوا او تخاصموا فمن اجل المزيد من
السرقة والدجل. والحرامية ، القويم بل

والطامة الكبرى انهم يتهمون صاحب الدار
بانتهاك حرمة داره التي اسكنهم هو فيها ،
والانكى من ذلك انهم يتهمون بسرقة وتحطيم
اثاث الدار

..... فافهوا واسمعوا وعوا يا اولي الالباب فلا
يغرنكم خصامهم وعراكمهم داخل بيت الشعب
المغتصب او خارجه ، انما هم يتبادلون الادوار ،
يمثلون الاختلاف على كل .مكاسيهم ورواتبهم
ومناصبهم فهي محل اتفاق وخطأ احمر لا يمكن
تجاوزه

قبضنا على المقتـول والقاتل هرب

سبق للقاعدة ان وعدت بعمليات نوعية في العراق تزامنا مع شهر رمضان لأنه من الاشهر الحرم لأنهم يرون ان الاشهر الحرم هي الاشهر الحمر ... حيث الدم .. دم كائن من يكون ويفضل ان يكون دم الفقراء والأبرياء وليس بالضرورة ان يكون دم اعدائهم الفكريين او السياسيين لأنهم بالتأكيد يريدون ان يحافظوا على عدوهم حاضرا وموجودا في كل حين وإلا فما هو موجب وجودهم ولمن سيدخرون اسلحتهم سيوفهم ورماحهم وعبواتهم وأحزمتهم الناسفة ، كذلك فان غياب عدوهم وضعفه سيحرمهم من العشاء مع رسول الله ((ص)) وهكذا نفذت القاعدة ما وعدت به فشهدت مدن العراق وخصوصا العاصمة بغداد انهارا من دماء الابرياء وتشبع هوائها برائحة شواء اللحوم البشرية التي شرحت صدور ((المجاهدين)) وحملتهم عواصف الدخان الى جنان الرحمن

وآخر غزوة للمجاهدين الانتحاريين والانفجاريين المسعورين هجومهم ((المظفر)) على قلعة

القلاع الاهو سجن ابو غريب وسجن التاجي
 وتمكنهم من تهريب اكثر من الف سجين وقتل
 العشرات من قوات الامن والشرطة دون ان
 تتمكن منهم القوات الامنية المرابطة ولا
 المستنصرة التي اظهرت شجاعة فائقة في قتل
 المدرب الرياضي الكر بلاني وكسر انف
 الاخر!!!!!! نخاطب الحكومة المظفرة
 ونواظيرها الاشاوس اين انتم هل انتم نيام ام
 ان اغلبهم مشغول بالغزل في ((موبايله))
 سواء مع الله او مع حبيته؟؟؟

اين انتم ايها المخبرون السريون واين انتم يا
 رجال الاستخبارات اللذين تتباهون بمسدساتكم
 امام الناس ، هل انوفكم مزكومة واذانكم بها
 وقر فلم تروا ولم تسمعوا ولم تشموا خبر هؤلاء
 القتلة؟؟؟ ما هي نتيجة المعركة اذا كنتم تلقون
 القبض على عشرة وهم يطلقون سراح الف من
 سجون مركزية ، تدعون انها قلاع لا تقتحم؟؟؟؟

اين انتم يامن شهرتم سيوفكم وتفنتم في
 اقبال المقاهي والنوادي وادعيتم انكم تمتلكون
 ادق المعلومات عن مرتاديهها ، هل اصاب عيونكم
 العمى عن تدبير هذه الكلاب المسعورة؟؟؟

يا قادة العراق ((الديمقراطي)) بمن تقتنون؟؟

تناقلت وكالات الإنباء ان القائد الاشتراكي المنتخب أول القرارات التي أصدرها عند صعوده لسدة الرئاسة اصدر قرارا بتخفيض راتبه ورواتب جميع أعضاء حكومته بنسبة 30% وهي نسبة غير قليلة طبعاً ، الجميل في الأمر ان هذا القرار لم يكن وعداً من وعود الرئيس الفرنسي عند خوضه الانتخابات الفرنسية بمعنى انه لم يكن التزاماً من قبل الرئيس الفرنسي أمام ناخبيه ، فوفى به بعد فوزه ، هذا القرار جاء بعد الفوز مباشرة إي انه لم يكن محاولة لكسب ود معارضة أو قوى غاضبة تهدد شعبيته ، ولم يكن القرار عشية إجراء انتخابات جديدة . بمعنى انه قرار نابع من قناعة تامة بان المسؤول يجب ان يكون خادماً لشعبه وان لا يراكم امتيازاته وثورته على حساب فقر أو معاناة عموم الناس . وهذه طبعاً سابقة رائعة تسجل للرئيس الفرنسي المنتخب وتؤكد بالفعل سمته الاشتراكية ، لم يسبقه فيها سوى الرئيس الكوري الذي تبرع براتبه طيلة فترة رئاسته

في الوقت نفسه نقرأ ونسمع ان رئيس البرلمان العراقي طالب أمين بغداد بتخصيص قطع أراضي سكنية مساحة كل منها ((600)) متراً على شاطئ دجلة والأمر طبعاً يشمل حتى أعضاء مجلس الحكم ، أسوة بالسادة الوزراء.... وهذا يعني عملياً مصادرة شاطئ نهر دجلة بالكامل نظراً للعدد الكبير للسادة النواب

الحاليين والقادمين ، ومن له خبرة في أسعار العقارات سيصاب بالذهول لضخامة السعر التقديري أو سعر السوق ل آل ((600)) مربع هذه ... النواب يتقاضون عشرات الملايين كرواتب بالإضافة للمخصصات والايغادات والمنح والمخصصات ولا شك ان الرأي العام العراقي يعرف تماما ان هؤلاء الأعضاء أو الوزراء يملك كل منهم أكثر من دار وأكثر من عقار في داخل وخارج العراق ... في حين يسكن آلاف المواطنين العراقيين وعوائلهم في الخرائب والزرائب ، أو في بيوت مؤجرة تثقل كواهل من لهم عمل فكيف بالعاطلين عن العمل ... قنوات التلفاز تعرض يوميا حالة الفقر والبؤس وانعدام ابسط الخدمات للعائلة العراقية فلا ماء صالح للشرب ولا كهرباء ولا طرق مبلطة ولا لالالالا... وان بعض هذه العوائل تسكن في المقابر حيث عرضت قبل فترة قناة البغدادية عائلة مع أطفالها تسكن في مقبرة وادي السلام في النجف!!؟؟؟؟؟؟

لا نريد لزعماء وقادة العراق ان يتشبهوا بسيرة الإمام علي أو بسيرة عمر بن الخطاب أو سلمان المحمدي أو الغفاري ولا بهوشي منه أو جيفارا ووووو ولكن ليتهم يقتدون بالرئيس الفرنسي أو الرئيس الكوري ولا اعتراض ان تمثلتم بالرئيس الصيني أو الرئيس الأمريكي أو الرئيس الإيراني ، فيمن انتم تتمثلون ولمن انتم تتشبهون يا قادة الديمقراطية في العراق؟؟؟؟

صوت أزيز السياط اجمع الناس على تنفيذ رغبة
الشيخ تيمنا بعتبة المضيف ورغبة
من الشيخ في استعراض أبناء القبيلة وهم
يمرون على قنطرة الشيخ في الرواح
والمجيء والتبرك بتقبيل يد المحفوظ وبعد ان
اعتاد أهل القرية على هذا الأمر فقد
اصدر الشيخ أوامره الى عبده بضرورة اخذ مبلغ
من المال ممن يريد العبور الى
الضفة الأخرى وأخذت هذه الإتاوة بالارتفاع
تصاعديا بين حين وآخر وتقابل بلغط
ونفرزه مؤقتة سرعان ما تتلاشى ويخضع
الجميع لأوامر الشيخ ولم يكتف الشيخ
بذلك بل أمر عبده بان يضرب كل من يريد
العبور بالخيزرانة على عجيزته في
الرواح والعودة ؟؟؟!! وكالعادة حدث شئ من
اللغط وعلامات الاحتجاج والتظاهر
برفض الالهانة خصوصا وأن لاحد مستثنى من
هذا الأمر و وجوب عرض عجيزته
لتلقي الضرب كبيرا كان ام صغيرا رجلا كان او
امرأة ولكن رغم ذلك فقد انبرى
بعض ((حكماء)) القرية تهدئة الخواطر وافهموا
الناس ان للشيخ في ما يأمر به حكمه
لصالح أبناء قومه لا يدركها الا وهو وحده ولا بد من
الانصياع لإرادته وعدم

معارضته خدمة للصالح العام في حين ارتأى
 البعض ان في هذا الفعل الصحة
 والعافية والتخلص من شر الإنس والجان؟؟
 وبذلك تم ترويض أهل القرية وأصبح الأمر عاديا
 وعادلا بفرضه على الجميع
 بالتساوي فليس هناك من عجيزة أفضل من
 عجيزة ولاحصانة الا لعجيزة الشيخ
 وأبناءه وأهل بيته وعبيده !!!؟؟
 وعندما سال الشيخ وجهاء القوم وهم في
 مضيغه المكتظ بابناءها إذا كانت لهم
 شكوى من إجراءٍ أو أمر من أوامر الشيخ وأفعال
 عبيده فأجابوا بصوت واحد:-
 الحمد لله وأطال الله عمر الشيخ رمز عزتنا
 وكرامتنا ((فلا حياة بلا شمس ولا
 كرامة بدون الشيخ)) حفظه الله ورعاه ان أبناء
 قريتك يرفلون بالعز والكرامة
 والرفاه سوى إنهم يطلبون من الشيخ اعزه الله
 ان يأمر بزيادة عديد عبيده وترويدهم
 بالجريد ان لم يتوفر على الخيزران وقد اقترح
 بعض كبارنا ان نرفع تكلفة الخيزران
 عن الشيخ فكل منا يجلب عصاه معه من بيته
 ليتولى العبد المبروك بضربه بها حتى
 لانضطر للوقوف طويلا في الطابور عند رقبة
 القنطرة في الرواح والمجيء ليتلقى

ضربة عصى الحكمة وبذلك نقضي على مشكلة
الشحة في الخيزران!!؟؟.

عندها ضحك الشيخ منشرحا وممتدحا أصحاب
المقترحات وأمر بزيادة العبيد

والجريد ونام ليلته ملأ جفنيه مطمئنا على دوام
حكمه في حياته ولأبنائه حيث طمان

ولده ان يكون مطمئنا فمثل هؤلاء القوم
لايعصون امرا ولا يهددون قصرا من بعده

بعد تم تدجينهم الى هذا الحد وقناعتهم بحكمة
الشيخ وعصاه التي تذكر العابرين إليها

والقادمين منها بسلطان الشيخ وعدم التأثير
بعادات وسلوكيات المدينة ومايشاع بين

سكانها حول الديمقراطية وحقوق الإنسان وغير
ذلك من الرطانة والهديان!!؟؟.

نورد هذا الحديث ونحن نسمع ونقرا في وسائل
الإعلام العراقية ان السلطات في

مدينة البصرة عممت كتابا على كافة المطابع
في مدينة البصرة بعدم طباعة أية

جريدة اومجلة في مطابعهم غير مزودة بكتاب
من السلطات المسؤولة يجيز إصدارها

لانريد طبعا ان نقيم المطبوعات وهي بالتأكيد
كثيرة ولاتعد بالإضافة الى كونها ذات

مستويات ومضامين وأهداف ومناهج مختلفة
وهذا ماكفله الدستور العراقي في حرية

التفكير والنشر وضمن الحدود الدستورية
المسموح بها، إما ان تجتهد الجهات الأمنية
لان تكون البوابة التي يخرج منها المطبوع فهذا
أمر خطير و نذير بالعودة الى مقص
الرقابة للسلطات الدكتاتورية السابقة وخنق
لحرية الرأي والكلمة والذي لاينسجم
بالمرة مع مشروع الدولة الدستورية
الديمقراطية التعددية .

إننا ندعو كافة من يهمهم الأمر بصورة مباشرة
وغير مباشرة بالتصدي لمثل هذه
السلوكيات وهذه الإجراءات منعا لتغولها
وسيادتها خشية من ان تكون حالة عامة
وليس سلوكا شاذا يجب رفضه وشجبه ونبذه ،
فان حالة اللامبالاة تجاه مثل هذه
الممارسات ستجر الى ما هو اكبر منها وأكثر
خطرا .

الا يكفي مثل هذه السلطات دماء الكتاب
والصحفيين التي تسيل يوميا على مذبح
الحرية والديمقراطية بحيث وضع العراق في
مقدمة الدول في قتل الصحفيين
والمفكرين والاكاديمين والأخصائيين ،فتتاول
مثل هذه الأيادي لخنق وليد الكلمة
الحرية المطبوع وسيلتها للوصول الى القارئ
العراقي عن طريق الجريدة والمجلة

والكتاب . فتحت أية مادة قانونية أباحت هذه
القوى لنفسها إصدار مثل هذه
(الفرمانات) التسلطية .

نقول يجب رفع هذه الأيدي عن الكلمة لتبقى
حرة طليقة في عالم الفكر والأدب والفن
والسياسة . وعدم التماذي في اتخاذ مثل هذه
الإجراءات اللاديمقراطية
واللادستورية.

وان على كل الكتاب الأحرار ان يرفعوا أيديهم
لإدانة وشجب ومنع مثل هذه
الممارسات والا فليجلب كل منا عصاه معه
لتلقي ضربة ((الحكمة)) بخاطر
طيب؟؟؟!!.

هتافوا عصر العولمة

يتكلم الكاتب الشهير (عبد الله القصيمي)
بإسهاب عن ظاهرة الصراخ والكلام كونها الأكثر
رسوخا وممارسة

للعربي على أي شعب آخر في العالم خصوصا
في كتابه (العرب ظاهرة صوتيه) يرى ان هذا
الوصف حقيقة

وطبع راسخ في الوعي والسلوك العربي يمارس
من قبل الحاكم والمحكوم والظالم والمظلوم
على حد سواء

ويبدو ان هذا الأمر موعلا في القدم في التاريخ
العربي ولنا في المعلقات وما بعدها وما قبلها
ومهرجان سوق

عكاظ وغيرها من المهرجانات الخطابية بمناسبة
أو بدونها.

وقد تميز الزعماء والقادة العرب في إلقاء
الخطب الرنانة المدوية المثقلة بالوعود والعهود
وما إليه من قوائم

الأمجاد والانتصارات وقد تدوم هذه الخطابات
ساعات والوسط صراخ وردح الهتافة المستأجرة
أو المستغفلة

المعتادة على التصفيق والتعيق قد يتكرر نفس
الصراخ تحت منبر من يطيح به و نقيضه في
الحكم وبذلك فان

ظاهرة الصراخ تجدد نفسها في الأفراح والأفراح
في الهزائم والانتصارات.

شاهد حديثنا انَّ أحد أبنائي عاطلٌ عن العمل منذ
ان أكمل دراسته الجامعية فقد أغلقت بوجهه
كل أبواب

الوزارات دون أمل الحصول على فرصة عمل
في دوائر الدولة بطريقة نظيفة أي بدون
ما أصبح يسمى

بالتوريق والذي كان يسمى ب (التخرخش) أيام
العملة المعدنية حيث كانت تعطى كرشوة لأبو
إسماعيل أيام
زمان.

ان لولدي عدة زملاء ايضا يعيشون نفس مشكلته

ولكن قبل أيام اخبرني ان بعض أصدقائه قد
وجدوا عملا مريحا ومجزيا فاستبشرت وقلت
نحمد الله لقد

ظهرت سريعا مردودات إقرار الميزانية المليارية
لحكومتنا، وتمنيت للشباب التوفيق في عملهم
لخدمة شعبهم

ووطنهم من خلال ممارسة اختصاصاتهم ولم
تذهب جهودهم سدى.

فبانت على محيي ولدي ضحكة ساخرة لم
أعهدا من قبل وهو يقول:-

انك ذهبت بعيدا يا والدي فانَّ عمل أصدقائي
بعيدٌ كل البعد عن تصورك فان عملهم هتافين
لصالح احدي القوى السياسية .؟؟

قلت ماذا لا أفهم ماتقوله؟؟

فأجاب:- هتافين يا والدي ومفردها هتاف!!!

أوضح ماذا تعني بهتاف ولصالح من وكيف؟؟
فلم أسمع بحياتي عن مهنة بهذا العنوان!!!

قال :- ان بعض الأحزاب والقوى السياسية
تحتاج إلى من يردد شعاراتها ويمجد رموزها
وقادتها في

المناسبات المختلفة لكي تتحفز الجماهير وتردد
وراءه هتافاته وشعاراته التي يتم تلقينه بها
مسبقا وهناك

مكافأة للهتاف تبعا لإجاده لدوره وقدرته على
تحفيز وتحريك الجماهير وإلهاب حماسها.

علما ان عمله ليس روتينيا أو مكتبيا بل حسب
الطلب والحاجة ويكون في أوجه أوقات
الانتخابات

والمناسبات، ومن يدفع اكثر سيحصل على اكبر
عدد من الهتافين الأكفاء المجريين والمتأقلمين
مع مختلف

المواسم والمراسم ومختلف الحركات والإرادات
والزعامات لايهم ان تكون حمراء وخضراء أو
سوداء

أوصفراء أو عديمة اللون، يمينية أو يسارية، دينية
أو علمانية.

وان هناك سماسة خاصة للقيام بهذه الخدمة
لمن يطلبها وقد يكلف بعضهم بالعمل لاستمالة
وكسب هتاف

جدير محسوب لأحد القوى المنافسة وضمه إلى
فريق الهتافين للحزب أو للزعيم والنيل من
الرصيد

الجماهيري للمنافس و لا عيب من التنقل من
عنوان إلى آخر ومن حزب إلى آخر أو من هتاف
وشعار إلى

مضاده ومعاكسه فلا فرق بين اليعيش واليسقط
إلا بما تدره من مال ، وهل هناك عيب ان يبدل
الإنسان عمله

فمرة نجار ومرة صانع ومرة سمسار أو ان يبدل
ملابسه !!!؟؟

فأمرته بالسكوت حيث أصابني الغثيان والدوار
والقيء وكأني في عالم آخر لا اعرف أو لم
استطع تصويره.

أين الناس من عقود العشرينات وما بعدها من
سنوات الشباب والحماس الوطني والطبقي
والقومي حيث كانوا

يواجهون هراوات وطلقات رصاص الشرطة وهم
يرددون الشعارات والهتافات الوطنية، قد يدفع
المرء حياته

ثمنا لمثل هذا العمل ، بالإضافة إلى تحمل
المطاردة والتعذيب والسجون والنفي والحرمان
ومع ذلك فهم

يدفعون اشتراكات وتبرعات للحزب والحركة أو
للجهة التي ينتمي لها الفرد أو يؤيدها ويتعاطف
معها .

أما أن يوظف الإنسان كهتاف وباجر، فانه أمرٌ
لأغرب من الغريب حيث يبدو ان لاغريب في
عصر العولمة

الرأسمالية على طريقة الأمريكية أنهم بحق
(قرود العولمة) هؤلاء(هتافو عصر العولمة)
ومن شاكلهم!!!

وكأني اسمع عزيز علي منشدا:-

عشنا وشغنا وبعد نشوف

قرينا الممحي والمكشوف

ماظل فد شي مومعروف

عيش وشوف عيش وشوف

رسائل الصحفي الطائر

اختلط لدي الحلم بالواقع وأنا أراقب طائرا صغيرا يرفرف بجناحيه وينقر على نافذتي عند الصباح الباكر , ولم يسبق مشاهدة طائر بهذا الوصف حيث يبدو رأسه كبير الشبه بخارطة العراق وجناحية كأنهما دجلة والفرات , ألوانه ريشه بألوان الطيف العراقي الزاهية أنها ألوان تتكلم . تخيل لي إن الطائر يطلب النجدة مني ويريد دخول الغرفة ففتحت النافذة ثم جلست وراء منضدتي , استقر الطائر العجيب بحركة رشيقة فوق منضدتي واقفا قبالي فارشاً جناحيه وبدا لي أن ريشاته عرض ملون فتحت في صدره لتعرض إخبارا وقصصا وحكايات وصور من قلب الأحداث في عراقنا الجريح يصاحبها عزف يأسر الألباب يردده الطائر يتناغم حزنا أو فرحا بكاء أو رقصا مع طبيعة ومضمون ومغزى الموضوع المنشور ومع شكل الصورة وما تقول . أدهشني شكل وسلوك الطير وما شاهدته من هذا الطائر الغريب وكأنه عراق طائر

كمن يعترض على حياتي وشورور فكري وأخذ بالتنقل قافزاً من قمة رأسي على كفي يدي ثم على الورق المسطور أمامي ثم عاد إلى وقفته أمامي ليبدأ ما كتب على صدره بالصوت والصورة والنغم . أمسكت قلمي لأنقل ما أراه على شاشة الطائر الصغير للورق أحسست إن ما بادرت إليه أفرجه كثيرا فأخذ يزقزق فرحاً وكأنه يلثم حروفي بقبلات من منقاره الجميل . هذا الفعل أوصلني إلى الأستنتاج بان الذي أمامي روح إنسان بجسم طائر , فأخذت أسأله وأتلقى إجاباته سطورا كلوحات الأخبار والأعلانات الضوئية عرفت أنه يدعى عصفور العراق الزاجل أختار أن يعمل كمراسل صحفي طائر يجوب أرض وسماء العراق ملتقطاً الأخبار

والصور والمشاهد كما يلتقط الطير الجائع
الحبوب وعدني أن يمدني بما حصل عليه
لأسطره على الورق شارطا الأمانة والصدق
وعدم التزوير والتحويل وستكون القطيعة بيننا
إن لمس وأحس غير ذلك .

هل جليك قدرتي أيها الصحفي الطائر لتقودني
إلى حتفي طالبا مني قول الحقيقة وسط
قطعان كل لصوص وذئاب الأرض .

اطرق قليلا عازفا لحنا شجيا يقطع نياط
القلوب قائلا إنني كنت مثلك وان أعلنت لك
اسمي لعرفتني فورا وقد وقد خسرت حياتي
البشرية ثمن صدقي ولكن كما ترى فان
قذائفهم ورضاصهم وسكاكينهم قد حررتني من
ارتهان حياة البشر لأسبح في فضاء الحرية ,
فإما أن تكن كما كنت إنا أو إن ترفع من
مطبوعك اسم وشعار (الحرية) فان الصدق هو
مهر وصداق واجب الدفع لمن يعشق الحرية .
مسح على رأسي بجناحيه مودعا إلى لقاء فجر
جديد قائلا :-

افتح نافذتك أو اقلعها بوجهي جوابا لقبول
شرطي أو رفضه . وأنا بدوري أوجه سؤالي
إليكم فما تقولون؟؟

هل افتح نافذتي واكتب مايقول؟؟ وان تحولت
إلى صحفي طائر مثله كم منكم يفتح لي
نافذته؟؟

أم أغلقها لأتمتع بمنحة وراتب ومكرمة الحكومة
للصحفيين ولاستمتع بهواء (السبلة) البارد
الليل بعد 2013 حينما يحل موعد معافاة

الكهرباء الوطني ويصبح انقطاع التيار الوطني
في خبر كان؟؟؟!!

مقامة الديك!!!!!!؟؟؟

بعد إن دال الزمان وتهدمت دولة المستبدين
الرعيان , وقد خسر عبد الله المؤمن الرهان,
فاختار جحر الجرد والفئران, متواريا عن أنظار
أولياء نعمته الأمريكان, فأصبحت موحشة بغداد
الأنس والغيد الحسان, منارة العالم في كل ارض
ومكان .استوطنتها سرايا العفاريت والأشباح
والجان وغطى سماءها الرحب الدخان ملأت
شوارعها جثث النساء والأطفال والفتيان وغاب
عنها الأمن والأمان وسكن الدور والحواري
والقلوب الشيطان واستبيح دم ومال الإنسان ,
الكل يقتل ويمثل ويذبح باسم الرحيم
الرحمن!!!!!!

اقتتل الإخوة ورحل الجيران واحرق الإنجيل
والقرآن, فلا حرمة لشهر حرام ولا لرمضان.

اختلط الأصل بالفرع, ومات الزرع والضرع, ساد
على السلوك النفع والانتفاع, وسلط على رقاب
الناس الرعاع, فصار المبدأ والدين قناع, وأصبح
الحق غريبا مضاع.

يوم ساد فيه أصحاب (العمائم) وذوي المحابس
والقلائد والتمائم وكثر الحديث بحلول الساعة
وقرب ظهور القائم.

فقد أعاد الأمريكان علينا ملوك وخلفاء وأمراء
العصور الغابرة بعمائمهم الملونة وسيوفهم
وحراهم ورماحهم المستننة بين سلطان حاكم
قابض و (مقاوم) متمرد معارض. يتوضئون يوميا
بدماء الأبرياء ويأذنون ويصلون ويكبرون وسط
الأشلاء.

فقد طال بهم المقام وهم يقومون بدور وعاظ
السلاطين , فقد أن الأوان ليكونوا أمراء
للمؤمنين, فقد جاء الفرج ووضع طوع أمرهم
التاج' فأزال السدود والقيود, وحررهم العم سام
وجنبهم الخجل والإحراج. وأصبح الشيطان الأكبر
صبوحا صديقا حميما مطهرا.

ثارت لديهم غرائز الملك والتملك, وخلعوا قناع
الزهد والتنسك, زينت أصابعهم بأنواع الخواتم
وأثقلت رقاب نسائهم بالقلائد والتمائم وتحقق
حلم البيوت الفسيحة, والنساء والجواري
المليحة, ذلت لهم ظهور دواب البر وطيور الجو
من السيارات والطائرات فا اقتنوا ما صعب على
العد من الأنواع والماركات.

كان لهم ماشاؤا من الجواري والغلمان والخدم،
فسبحوا بحمد(برا يمر) لما من عليهم من
العطايا والنعمة.

لا يريد احدهم أن يكتفي بما غنم ولا يرضى بحكم
حكم، فأزبد وأرعد واتهم وتوعد :- أن أوان
إنصاف الطائفة وسحق كل الطوائف المخالفة
فتشتت شمل المصالح المتآلفة؟؟!! يتقاتلون
قتال الديكة دون ملل،، على منافع الشعب
يختلفون لانجاز منافع العامة يعترضون، وعند
مصالحهم بالإجماع يصوتون، وعند الولايم
والعزائم يتضحكون ويتسامرون(إنا لله وإنا إليه
راجعون).

أجادوا خطب وبلاغات الاستنكار والإدانة وتنكروا
لكل العهود وخانوا الأمانة أتقنوا طرق الصراخ
والنواح والרטانة'حازوا على أعلى المراتب في
كل أنواع المفاسد والمصائب فهم الأول في
كنز الأموال والغنيمة وهم الأول في النفاق
والشفاق والنميمة.

فلا نيران الحرائق تؤلمهم ولا أشلاء الضحايا
تعذبهم، فهذا قدر العراقيين وإنما يريد الله أن
يختبر صبر المؤمنين!!!!

يعملون بربع وزارة ولا يعرفون معنى الخبرة
والمهارة لا يحفظون ولا يجيدون غير البسملة
والحوقة وموسم الحج والزيارة.

فليتعلم الناس الصبر ويتأقلمون مع الخطر لا
يعتادون حياة الترف والبذخ والرفاهة والبطر.

فالناس في ظلهم بنعيم بين معزوم مع
الرسول، ومقطوع الرأس مرميا في المزابل
والحقول وكلاهما لاشك من الشهداء فقد مهدوا

لهم (أهل الفتوى) طريق الشهادة وجنبوهم
متاعب الحكم والمسؤولية والسيادة.

وانأ في عز المنام زارني ملك الغيب والحلال
والحرام.

سألته مولاي متى يمن الله بالأمن والسعد
والرفاه على الشعب المضام؟؟؟

تأوه وتفوه وهو شحيح الكلام

اسمع يا بني وافهم ما أمليه عليك:-

مادتم على هذا الحال فقد عز عليكم المنال
وحق عليكم المقال انظر الفرج في يوم وشيك،
يوم يدر الثور حليبا ويوم يبيض الديك؟؟؟؟!!!!

عندها صحوت من المنام وغاب عني محدثي
في (همره) في غياهب الظلام .

فصليت على محمد وذهبت أتفقد قفص الديك
السعيد عسى أن يتحقق الوعد والوعيد!!!!

المثقف الأسفنجي!!!

غالباً ما نراه متأبطاً حقيبة أنيقة في يد ويمسك مجلة او جريدة او كتاب في اليد الاخرى لعدم استيعاب الحقيبة لمراجعته ومصادره وأوراقه.

تتدافع في جيبه عدة أنواع وإشكال من الهويات تمثل مختلف الصفات والنشاطات وعضوية العديد من المنظمات معلقة على جدران مكتبه الفخم والأنيق عدد من الشهادات والتشكرات والمشاركات في مختلف الشؤون والفنون من أدب وفلسفة وسياسة و

اقتصاد وصحافة ورياضة فهو ضليع بكل شيء، يقرأ ويلخص ويكتب دون ان يناقش أو يعدل أو يعترض او يشطب، انه مثقف الأمتصاص ثم الامتصاص حد الانتفاخ متبخترا مزهوا بامتلاء خزانته بالأسماء والأرقام والملاحق والإحصائيات والاستشهاد، يلتهم كل شيء وأي شيء دون تميز أو نظر ودون الإحساس بالحبور أو الضجر.

حينما يكتب يكثر ويسطر الآراء والأقوال لفلان وعلان دون ان يقول شيئاً يستشهد لخليط من الأعلام من المفكرين والفلاسفة والعلماء والأدباء والكتاب والسياسيين دون أن يكون له رأي.

غالباً ما يدور رأسه بين أفواه المتكلمين متعلمين وغير متعلمين دون أن يعترض أو يساند ويدعم أحداً فليس لديه شك ولا يقين.

يدعي التقدمية مع التقدميين ويؤمن بالنهاية والثار مع الرجعيين ،ورغم قراءته وحفظه لنصوص ماركس فهو عشائري طائفي شوفيني ، لا يسأل من يلتقيه عن مهنته أو تحصيله العلمي أو توجهه الفلسفي والسياسي بل سرعان ما يبادرك بالسؤال :- أنت من يا عماد وأنت من أية طائفة ومن أي قومية .يفكر كأبي عجز قروية أمية متخلفة فلا يرى للمرأة من مكان غير المطبخ وفراش الزوجية على الرغم من انه تتلمذ على أيدي النساء ومعرفته ب تاتشر وكوندا وميركل وبناطير بوتو و غاندي وبلقيس وزنوبيا ...و...،

يحفظ نظرية دارون ومندل وجدول مند ليف إلا أنه لا يقر بصعود الإنسان على سطح القمر وعند كسوفه تأخذه الرجفة وينهق مع الناهقين (ياحوت البلاعة هدي كمرنه بساعة)ويسفه عقل غاليلو فلا يمكنه ان يؤمن بدوران الأرض وإلا لشعر بالدوار وهذا ما لا يقره شيخ(فلان) ولا يؤمن به أمله(علان).

ليس هناك طغاة ومستغلين إنما هو أمر الله ولا راد لأمره لاعنا ماركس ولينين وكل من قال بالصراع الطبقي واتهم الناس بالاستغلال والضلال.

إنَّ حال هذا المثقف كحال الأسفنجة التي تمتص ما عرض لها من السوائل لتزداد انتفاخا دون ان تتمثل أيا من محتوياتها لتأخذ الصالح وتطرح الضال والطلال كما هو حال كل الكائنات الحية من نبات او حيوان وعلى رأسها الإنسان المتميز عنها جميعا بامتلاكه المنظومة الا شاربه الثانية (اللغة) وإمكانيته المكتسبة اجتماعيا والمحتضنة والمتيسرة بايلوجيا في التحليل والتركيب والاستنتاج والقبول والرفض تبعا لقدرة قشرته المخية وتجاربه الحياتية. بعكس الاسفنجة التي تخزن ما تمتصه بين ثنايا مساماتها لتطرحه سائلا عفنا نتيجة لركوده وأصبح وسطا جيدا لنمو الفطريات والاشنيات والطفيليات تحت تأثير أي زحزة أو حركة ضاغطة أو رافعة. أو كحال الجرد الذي يقرض الكتب وهو يتنقل بين رفوف مكتبة عامرة بشتى عناوين و مواضيع الكتب ليفرزها على شكل براز أسود كرية اللون والرائحة.؟؟!

فهو لا يمتلك القدرة على تفسير وتفكير المعلومة وهل هي متطابقة مع مخزونه المعرفي المدرسي والأكاديمي أو الاجتماعي أولا بل هو يسلم بما هو موجود أمام ناظره ومسموعا بأذنيه في ساعة التلقي.

وهو بذلك يشبه الشيخ الصغير الذي حاول والده (الروزخون) القدير أن يعلمه على الخطابة وقراءة التعزية ليحل محله ، وعندما صعد الشيخ المتدرب المنبر ليقص على الحضور قصة المباراة التي حصلت في معركة الخندق بين

الإمام علي عليه السلام وعمر بن ود العامري المشهورة قائلاً:-

وعندما جرى النزال واشتبك الفارسان ماكان من الإمام علي إلا أن عاجل ابن ود العامري بضربة على فخذة فسقطت لحيته!!!!

لم يتمالك الحضور انفسهم فضج ضحكهم ودهشتهم وأستغرابهم للأمر والا كيف يضرب الشخص على فخذة فتسقط لحيته؟؟

وعندما استفسروا من الشيخ أجاب وبكل ثقة ان المعترضين والمشككين بما يقول جهلة وأمين ولا يجيدون القراءة والكتابة فهو قد قرأ هذه القصة في الكتاب والكتاب لا يكذب وأخرج لهم الكتاب قارئاً عليهم النص وداعياً من يعرف القراءة إلى قراءته معه فظهر بالفعل انّ الكتابة كانت كما روى الشيخ ولكن ذلك جاء بسبب خطأ مطبعي لم يستطع ان يدركه أو يتداركه الشيخ رغم عدم معقوليته وتناقضه مع واقع الحدث حيث ورد النص كالاتي فما كان من الإمام علي عليه السلام إلا أن عاجله بضربة على فخذة فسقط لحيته) وليست لحيته حيث أضاف المطابعي خطأ نقطة إلى النون فأصبحت تاء!!!

فما أشقانا وقد ابتلينا بعدد لا يستهان به من (المثقفين) الأسفنجيين من أمثال هذا ألمله الصغير.

من يحل عقدة الحكم في العراق؟؟؟

تروي إحدى الحكايات أنَّ إمبراطورا عند محاولة دخوله لأحد البلدان ،صادفه في مدخل الباب عمود لف حوله حبل تتوسطه عقدة كبيرة في غاية التعقيد وقد كتب بجانبها إن من يستطيع أن يحل هذه العقدة قادر على حكم هذه البلاد، وقد روى العديد من شيوخ البلدة للإمبراطور وقادته كيف عجز الكثير من الغزاة والولاة من فك هذه العقدة العجيبة مما أدى بهم للهزيمة والفشل في حكم البلاد أو السيطرة عليها،فما كان من الإمبراطور إلا أن يستل سيفه ويهوي على العقدة بضربة قوية فتناثرت خيوطا متطايرة وسط عجب واستغراب أهل المدينة وجيش الإمبراطور فأشار الإمبراطور لجيشه

بدخول المدينة آمنة وفرض سيطرته على هذه البلاد والذي لا نعلم من أعاد عقد عقدة جديدة استعصى على من بعده حلها فيفقد زمام السيطرة في حكم البلاد.

في عراقنا اليوم وخصوصا بعد انهيار السلطة والدولة بعد ضرب عقدة رقبة الدكتاتور بسيف إمبراطور العصر (بوش)، الذي قاده ذكائه وفطنته وخبرته الاحتلالية والاستفادة من تجارب إسلافه في إمبراطوريات الاستغلال والاحتلال عبر التاريخ، إن يضع عقدة يضعها أمام من أجلسهم على كرسي الحكم في العراق لتديم ضعفهم وتشتتهم وعجزهم وتلهيهم في مشاجرات ومشاحنات لها بداية وليس لها نهاية وتنسيهم المبادئ والشعارات التي كانوا يرفعونها يوم كانوا في صفوف المعارضة للنظام المنهار وقدموا لتخليص الشعب من شروره، فادخلوا البلاد في فوضى غير مسبوقة من الفوضى في مختلف جوانب الحياة .

إن هذه العقدة (البوشية البرايمرية) الخبيثة هي عقدة المحاصصة الطائفية والعرقية التي أصبحت بمثابة قيود بأيادي من يريد ان يرسى دعائم دولة دستورية ديمقراطية مستقلة وعراق حر وشعب مرفه، وكمامات تغلق الأفواه و عصائب تضليل تغشي العيون وتعمي الأبصار لتغط في مستنقع المحاصصة الطائفية والعرقية.

إن قوى الرأسمال والاحتلال بقيادة إمبراطور العصر (أمريكا) كانت بدرجة من الذكاء والخبث حين عملت على تخليق واستيلاء وزرع وتنمية بذرة الطائفية لسد الطريق بوجه من يريد الانعتاق من هذا الشرك المحاصصي الخطير والعودة إلى أصلته الوطنية العراقية وبهذا الفعل أثقلت الأقدام وشلت الأذرع والأكف ولجمت الأفواه بأثقال خطيرة من خلال توريطها في جرائم الفساد المالي والإداري والاقتيال الطائفي والعرقى هذا الانزلاق الخطير لأغلب رؤوس القوى المتصدية للعملية السياسية وجعلها ترقد في صالة عمليات الإمبراطور تحت مفعول مخدر متجدد الفعل بشكل اتوماتيكي مستأنسة هذه القوى دوام مفعوله كي لا تصحو على واقع صحوة وطنية واعية تضعها في قفص الاتهام وتحت طائلة الحساب والعقاب حيث يعود المجتمع العراقي كغيره إلى مكوناته الحقيقية عمال وفلاحين وتجار ومثقفين وذوي اختصاص في مختلف مجالات الحياة وليس (سنة وشيعة وايزيديه وصابئه ومسيح و...و...).

إما من لم يكن ضمن وصف العرق والطائفة ان وجد، وانغمس في العملية السياسية الاختلالية فقد شلت حركته وابتلعت مبادئه دفاتر الدولار والكراسي السلطوية الدوارة والقصور الفارهة الذي لم يكن يتصورها حتى في الأحلام، مما جعله يسخر ويستخف بعقول من يطالبوه بالإيفاء بوعوده وشعاراته التي فقد المئات

والآلاف من العراقيين حياتهم وزهرة شبابهم
وأملآكهم ووظائفهم من آجلها.

هانحن نشهد كيف تطبق هذه العقدة على خناق
أهم هيئة تشريعية ورقابية في البلاد ألا وهو
مجلس النواب العراقي بعد إن استقال أو أقيل
رئيسه (محمود المشهداني) لأسباب ظاهرة
وأخرى مستترة ففاحت رائحة المحاصصة لتركم
الأنوف بعفنها وتكشف زيف من يدعون إنهم
يسعون للخلاص منها، فكل منهم يدعي إن
مطرفة المشهداني ثقيلة الوزن الدولارى هي
من حصته، فتعطل إقرار ميزانية 2009 التي قد
يكون التصويت عليها ساحة جديدة للمساومة
كسابقتها بين أطراف المحاصصة على
طريقة (شيلني وشيلك) و(سترلي وسترك) بعيدا
كل البعد عن مصلحة عموم الشعب العراقي
وهومومه، كذلك تم تعطيل تشريع أكثر من (50)
قانون تعتبر عصب الدولة العراقية وهيكلها
العظمى المطلوب اكساءه بلحمة الوطنية
العراقية ودمها بعيدا عن عفن الطائفية
والعرقية.

هل أن إرادة الشعب العراقي المتطلع للحرية
والخلاص من كل قوى الاحتلال والاستغلال
وتوابعها بعد تخلصه من حالة التشتت والاستكانة
والتهميش، وليس إرادة ديكتاتور جديد يصنع في
دهاليز مخابرات الدول الطامعة في السيطرة
على العراق أرضا وشعبا وثروات هي التي
ستحل هذه العقدة وتنبذ من ابتدعها ومن آخذ
بها الى الأبد؟؟

أسئلة ستجيب عنها مجريات الأحداث ومجريات الحراك الاجتماعي والسياسي القادم.

من الإجابات الواضحة أنانية وفشل ((القطوازية)) الحاكمة، الصراع المرير الذي جرى في مجلس النواب حول تشريع قانون الانتخابات البرلمانية لعام 2010، هذا القانون الذي أتى أسوأ من سابقة حول تثبيت وشرعنة الطائفية والعرقية في العراق ، بإضافة كوتا الطوائف الاثنية والدينية، وتقسيم العراق الى عدة مناطق انتخابية وليست منطقة انتخابية واحده، عدم وضع آليات عملية لتمثيل المرأة في البرلمان خارج عفن الكوتا وبقاء المرأة كتابع ورقم غير مؤثر في البرلمان ضمن القوائم والكتل البرلمانية الكبرى، معادلة توزيع الأصوات الفائضة على الكتل الأكبر، وعدم سن قانون الأحزاب السياسية، وعدم وجود إحصاء رسمي لسكان العراق..

كل ما ذكر أعلاه إنما كان يصب في نهر المحاصصة الطائفية والعرقية المتعفن، فجاءت نتائج الانتخابات مطابقة لمنهج تأييد الطائفية وأجندات دول الجوار والاحتلال، لتدخل البلاد في أزمة سياسية خانقة فتحت الأبواب على مصراعيها لتمتد كل الأيدي غير العراقية من اجل هندسة الطبقة السياسية الحاكمة في العراق لتكون مأمورة بأمر هذه الدول وليس بأمر الشعب العراقي ومصالحه..... فها هي الأشهر تمر سراعاً دون ان تتفق رؤوس((القطوازية)) المتقنعة بقناع الطائفية

والعرقية على تشكيل الحكومة الجديدة، بعد ان استنفذت الرئاسات الثلاث السابقة فترتها الدستورية وأصبحت بلا غطاء دستوري تحت بدعة الجلسة البرلمانية المفضوحة والمفتوحة على الفوضى والخراب والاحتراب.

أن غضب الشعب العراقي مرجل يغلي بسبب انعدام الأمن والأمان وابطس الخدمات، دون أية بارقة أمل لمبادرة تنقذ البلاد من ويلات جديدة لا يمكن التكهن بمدى خطورتها على وحدة العراق الوطن والعراق الشعب.

كما ان على قوى الظلام والفاشية السابقة واللاحقة ان تعي تماما :- ان بريق شعاراتها وصراخها المزيف ضد الاحتلال لا يمكن ان تنطلي على أحرار العراق وجماهيره التي خبرت حيل ووسائل هذه القوى للقفز الى سدة الحكم لتكون بديلا ربما اشد وحشية وخسة من أسياده ومرضعيه المحتلين بمختلف أشكالهم وألوانهم وصفاتهم

وقد برهنت الجماهير الكادحة بمختلف أديانها وقومياتها وأجناسها في البصرة والناصرية والعمارة والنجف وكربلاء وواسط وبابل وبغداد الانبار والسليمانية وكل المحافظات العراقية برهنت على وعيها المتقدم بنبذ الطائفية والعرقية والقومية وأدعاء القومية والاسلاموية ولابسي قناع المقاومة، ورض صفوفها من اجل تحقيق مطالبها الحياتية بتوفير الخدمات الأساسية كالماء والكهرباء

والعمل والتعليم و الصحة والسكن والأمن والأمان ورفض كل معاهدات الإذلال والارتهان لقوى الرأسمال والاستغلال وتمزيق كل ما بصمته أصابع الديكتاتورية السابقة والقوى المنصبة اللاحقة في التجاوز على ارض ومياه وسماء وسيادة العراق وشعبه، والتخلص من كل قوى الفساد والإفساد وعصابات السلب والنهب المحلية والأجنبية ، انه بركان الغضب الشعبي العراقي الذي سيكتسح كل عفن قوى الاحتلال والاستغلال ويمزق أقنعتها ويحرق بنار وعيه ووطنيته **عقدة المحاصصة** القذرة في حكم العراق .

ان على قوى الاحتلال ان تحمل معها كل عملائها ومعاهداتها ومخططاتها الإجرامية وأطماعها في ارض وثروة العراق عند الرحيل ان صح فعل هذا الرحيل ،ولا يقتصر حملها على دباباتها وطائراتها وهمراتها الملطخة بدماء العراقيين، ان انتفاضة الكهرياء المعمدة بدم عمال العراق وكادحيه هي البداية للانتفاضة الشاملة من اجل قيام عراق حر مستقل موحد ودولة تعددية ديمقراطية علمانية دستورية ، دولة المواطن العراقي الحر المرفه السعيد بغض النظر عن جنسه وقوميته ودينه ومعتقده الفكري والسياسي.

ذكاء قـرود العولمة

لاشك إن الكثير منا قرأ وسمع قصة رداء
الإمبراطور الغرور , حيث استطاع عقل نساج
يمثل ذ

كاء وفطنة الشعوب في تحدي وكسر غرور
وخيلاء وجبروت الطغاة والمستبدين وكشف
غباؤهم مهما بلغت درجة غطرستهم وسطوتهم
هم وحواشيهم.

استطاع هذا النساج إن يستغل نزعة الغرور هذه
ليعرض للإمبراطور عن قدرته على نسج رداء
من خيوط الذهب الخالص لا كان ولا يكون مثله
ولم يرتديه أو يحلم بمثله لآمن الغابرين ولا

القادمين من ملوك وسلاطين الزمان حيث يتميز
هذا الرداء بميزة فريدة فلا يمكن أن يراه إلا
الأذكىاء.

فاستجاب الإمبراطور لكل طلبات النساج من
خيوط الذهب والخدم والجواري فاعتزل له من
القصر جناح وبدء بالنسج كأمر نساج يعمل ليل
نهار.

في يوم مشهود اصطف الوزراء وقادة الجيش
والأمراء ليشهدوا إمبراطورهم بردائه المعجزة
حيث اطل على الميدان وسط الحرس والخدم
والجواري والغلمان وقد امسك وزير الميمنة
ووزير الميسرة بطرفي الرداء المزعوم فسار
الإمبراطور مزهوا مفاخر الملوك والسلاطين
من

الروم والفرس وفي الهند والصين متميزا
عليهم أجمعين . فدوت هتافات الانبهار والإعجاب
من

الحاشية والوزراء والحجاب حتى انكشف الستر
وبان زيف رداء التبر فجاء كلام الصدق على
لسان طفل صغير ساخرا وفاضحا عري وقبح
جسد الإمبراطور الحقير وكان ما كان وفاز
الشعب

بالصدق والفطنة وكسب الرهان ومرغ بالمهانة
وجه السلطان.

إنما نروي هذه الرواية لتكون على بينة من ما يدعي ((قرود)) العولمة من بطانة وزبانية وتبع الرأسمالية بقيادة الولايات المتحدة وهم يهللون ويكبرون ويمجدون مذهبولين أمام الديمقراطية الأمريكية رداء الرأسمالية المتوحشة البشع والمنسوج بخيوط خيالهم المريض هذا الرداء الذي

لا يمكن أن يراه إلا ذكي وفطن ومتحضر ومتطور وهي أوصاف لا تنطبق إلا عليهم ((قرود العولمة))، ومن لا يراه فهو لابد أن يكون من فصيل المتخلفين والجهلاء وغير المتطورين من بقايا اليساريين والقوميين و الوطنيين الأحرار...و...وممن حال غباؤهم دون مشاهدة رداء

الإمبراطور بوش!!!

فهاهم الأذكىاء يسرون خلف الإمبراطور الإمبراطور الأمريكي رافعين أطراف ديمقراطيته

الذهبية محمولين على ظهور البوارج والطائرات والدبابات ومئات الآلاف من الجنود والحشود وسط انفجارات القنابل ونيران الحرائق وتناثر أشلاء الموتى ينثرها جنود الزفة الديمقراطية الأمريكية كما تنثر الحلوى فوق رؤوس العرائس.

بعد كل هذا الوصف فما أغبى من لا يرى ولا
يستمتع بجمال وكمال ومهابة وبريق رداء
الديمقراطية الأمريكية المعجزة وإمبراطورها
العظيم بوش العظيم؟؟؟؟!!!

إلا يرون كيف عمر وحرر هيروشيما وفيتنام
وجمهوريات الموز وكوريا وشيلي والعراق

وأفغانستان والصومال وأفريقيا الأدغال, وهاهو
يسعى ليجعل من العراق ثلاث دول بدل دولة
واحدة فالعراقيون يستحقون أكثر من دولة
ديمقراطية !!! ((وإذا أعطيت فأكرم))!!!

وكل دولة لاما نع أن تنشظى إلى دويلات تمشيا
مع عدد الشيوخ والمراجع والولاءات
والعصابات والمافيات وهذا ينسجم مع
الديمقراطية المشهودة ودول الرفاه الموعودة
وقدوتنا في

ذلك دولة الإمارات(صلوات)؟؟؟؟!!!

وينثر عليهم دولارات البترول بالعدل والإنصاف
كما وزعت كلابهم السود الرصاص على

العراقيين العزل, بالعدل في ساحة النسور,
متحملة شركاته بدافع إنساني طبعا ولوجه

الديمقراطية... مصاريف استخراجة وتسويقه
بدلا عنهم فما اسعد العراقيين بهذه
الديمقراطية

المعجزة.!!!

فليرقص ((قرود)) العولمة في العراق وغيره
فأنهم خير من يرى ويصف ويتهج برداء
إمبراطورة العصر أمريكا المال والاستغلال
والوحشية والاحتلال!!!

قول على قول (ابوكاطــــــــــــــــع)

مناضلو عصر العولمة!!!

نتيجة لعدم شفافية وقانونية وديمقراطية
الأنظمة المتعاقبة على كرسي الحكم في
العراق ولعدم حصول المواطن العراقي على
حقوقه بالاساليب والطرق القانونية المشروعة
على اعتبارها حقا من حقوقه الواجب رعايتها
من قبل الدولة كحق العمل والتعليم والرعاية
الصحية والسكن والتي يجب أن تكون مضمونة
دستوريا وليس مكرمة وهدية وصدقة من
المسؤول يهديها ويمن بها على من يشاء ووقت
مايشاء حسب درجة قربهم منه وولائهم له
والذي غالبا مايترجم من قبل بعض الناس إلى
سلوك يتميز بالقرذلة والثعلبية والتسول الأخلاقي
والتملق الفج والتزلف للمسؤولين وحواشيهم
في مثل هذه الدول وحسب درجة المسؤول
ومكانته في سلم السلطة ومدى إمكانياته لمنح
المكافآت والمغانم والألقاب والأنواط
والرتب.....في مثل هذه الأوصاف التي لاشك

إنها السائدة في أنظمتنا العربية والإقليمية والعراقية خصوصا (مثل العيديات والإكراميات والحقائب والمسدسات للوجهاء والشيوخ على طريقة الدكتاتور السابق الذي اخذ بعض مسئولينا يقلدونه في معظم أفعاله وأقواله).....وطبعاً لاينعم بالجاه والثروة والسلطة والحظوة الاوضيع رقيق متقرن وصولي انتهازي مبتذل فهو دوما تحت يد وقدم ونظر المسئول أدام الله ظله!!!

مما يدفع مثل هذه النماذج التي لا تفتقر للفتنة والحكمة والذكاء حيث توظف كل هذه الصفات والمواصفات والمواهب من اجل ان تحضى بالرضى والاستحسان من لدن المسئول.. سالكا في ذلك أحط الأساليب والطرق من مال وغلal وارض وعرض وكرامة؟؟!! وغالبا مايلجأ مثل هذا النموذج إلى العمل على نسج وصنع تاريخ مزيف من التضحية والبذل والعطاء ليكون في صف (المناضلين أو المجاهدين أو الشيوخ والملاي والمجاهدين) وفي مقدمة المقاتلين في صفوف الحزب الحاكم مالك مفاتيح الثروة ونياشين الرفعة وخصوصا عندما يكون الحزب مسيطرا وممسكا بمقاليد السلطة حيث تتناسب انتهازية وقردنة هذا (المناضل) المزيف طرديا مع هذه القوة وهذا الجاه.

والذي سرعان ما يستبدل وجهه ويتخلى عن قناعه القديم عندما يشم رائحة الضعف والهوان والخسران وقرب زوال وفقدان السلطة الراهنة ليلبس قناعا ووجها جديدا يتناسب مع المرحلة الجديدة المرتقبة ويأخذ بتسطير الأساطير ويخلق القصص عن مدى كرهه ومقاومته وتضحياته ضد العهد البائد من اجل نصره وسيادة ورفعة العهد الجديد السائد .

في عراقنا اليوم يمكن للمراقب أن يعثر على الكثير من هذه النماذج في دواوين ومجالس ومستشاري ومقريي وأمناء سر الكثير من مقرات وقيادات الأحزاب الحاكمة والمتنفذة في الأنظمة السابقة والحالية مما يجعلك تقف مذهولاً امام حريته وقدرته التمثيل والتبديل لمثل هذه النماذج, حيث رأته بالأمس هاتفاً بحياة الحاكم المباد وموت وفناء الحاكم الحالي وهاهو الآن يفعل عكس ما فعل بالأمس وزاد عليه.

لم تكن مثل هذه النماذج غائبة اومستترة عن عين المناضل شمران الياسري(ابوكاطع) في رباعيته المشهورة فقد وصفها وصفاً دقيقاً وحدد ملامحها وطرقها ووسائلها في ظل الحراك الاجتماعي والسياسي العراقي المتحرك والمتبدل صعوداً ونزولاً وكيف تتمكن هذه (القرود) من القفز على الجبال المتبدلة والمتغيرة مهما تعددت ألوانها وأشكالها وكيف تحوم حول العناصر القيادية النزيهة أينما وجدت لغرض إفسادها وحرفها عن مبادئها وتآكل مناعتها وقدرتها على مقاومة الإغراءات المادية والمعنوية والتزلف والتطرف وخصوصاً في الظروف القلقة والانتقالية والاستثنائية التي تمر بها الدولة ومؤسساتها لإزاحة القديم وبناء الجديد. ومن أمثال هؤلاء(عبيد المنتاز و صالح أبو لبينه)راعي غنم الشيوخ الإقطاعيين أعداء (الثورة) في 1958 وهو يحاول أن يشتري لقب المناضل في عهد المد الثوري الأحمر ليتدرع به للمحافظ على قطيع الغنم الذي صار بحوزته بعد تدهور الإقطاع وتمنياته على بقاء الفوضى وعدم الاستقرار على ما هو عليه فلا الثورة منتصرة ولا الإقطاع راجع حيث يروي لنا أبو كاطع قائلاً على لسان ابولبينه(خلع كوفيته ورفع وجهه إلى

السماء. مد ذراعيه إلى أعلى ثم دعا ربه في سره:- الهي بحق أنبيائك وأوليائك. بحق السماء والأشرف...اجعل الثورة تراوح في مكانها.. فلا تراجع إلى وراء وعندها يفوق الشيخ من ذهوله..ولاتقدم إلى أمام فيزداد الفلاحون هوسا. إن هذا الحد الذي بلغته الثورة يحقق النفع لكل العباد -يارب العباد) كما هو حال العديد ممن انتفع من انهيار السلطة السابقة فأثرى بشكل غير مشروع لاستيلائه على الكثير من أسلابها المعروفة والمخفية حين كان من أزماتها المقربين فهو بين حالين لا يريد أن تعود الحياة للنظام السابق لأنه سيجرده ويحاسبه على ما استولى عليه وهو لا يريد الاستقرار للنظام الجديد واكتمال مؤسساته خشية أن يكشف أمره ويُفتضح سره وهاهم يصرخون كلا للاحتلال ويتمسكون بأذياله ويطالبون بالنظام والقانون وفي الوقت نفسه يسعون لتخريب وإفساد مؤسسات الدولة يدعون للأمن والأمان ويسورون أنفسهم بالمليشيات والحمايات خارج سلطة الدولة. وهاهو (صالح أبو لبنه) يرسم الخطط للإيقاع بالملا نعمة المناضل ذوو التاريخ النضالي المجيد أيام المد الشيوعي وصدور قانون الإصلاح الزراعي قائلًا **(غداً أملاً جيبي بالدنانير... ألوح له بحزمة من أمهات الخمسة ولنسمع مايقول... اهي مخلفات الاستعمار والإقطاع؟؟ أم من تركة الرجعية العميلة؟؟ ليتني أصارحه- لحظة يدس الدنانير في جيبه!! هذه هي خيرات الإقطاع والرجعية يا حضرة الملا!! وسوف أخطو خطوة ثانية... فاشتري بحزمة دنانير أخرى لقب(المناضل) صالح أبو لبنه)**

وكان أبو لبنه بعد أن عجز عن شراء ملا نعمة وفسدت نقوده (وسائله) بعد أن أفقدتها

الجمهورية شرعتها من شراء ذمة الرفيق في ذلك الوقت قد تمكن وبنجاح أن يحصل على درجة مناضل وبامتياز في عصر العولمة في عراق اليوم وكأنه يخاطب الرفيق أبو(.....) بعد إن أصبح من تمسك بمبادئه وحصانته كما فعل المناضل ملا نعمة متخلفا ولا يفهم ضرورات ومتغيرات المرحلة وبعد أن ملأ الرفيق جيوبه بالدولارات الأمريكية، وهو يخاطبه هاي أفلوس ودولارات الامبريالية الأمريكية عدوة الشعوب هاي فلوس بقايا الدكتاتورية الصدامية يارفيق وان آلاف الدولارات التي في جيبك مغموسة بدماء رفاق الكفاح ضد الرأسمالية الجشعة أم انك قد حلتها وخمستها وزكيتها وباركها وحللها لك أصحاب السماحة الجدد بعد أن أصبح شيطانهم الأكبر ملاكا صالحا!!!!

هنيئا لآل (**الـبو لبينة**) من مناضلي عصر العولمة في عراق اليوم عراق الديمقراطية الأمريكية وفي ظل رأسمالية الرفاه كما وصفها الرفيق أبو لبينه (العصر) من على شرفته في البيت(الأخضر)!!!!

جِکَمُ الحاج ((وجدان)) في ديوان
((مردان)).....

((ذيل الحصان)) (1)

اقبل الحاج ((وجدان)) كعادته الى الديوان ،
ليرتشف القهوة في مضيف الحاج مردان ،
وليتداول الحديث مع ابناء قريته في شؤون
الانسان

السلام عليكم

نهض جميع من في الديوان لاستقبال الحاج
((وجدان)) مهللين مرحبين بقدومه الذي
يترقبونه كل يوم بلهفة كبيرة ، اخذ مجلسه
كعادته بجانب الحاج مردان

صباح الخير حجي

صبحكم الله بالخير والامان جميعا رحم الله
والديكم اخذ فنجان القهوة من يد
الكهوجي ، زاده بواحد اخر

احسنت خدمناك عريس

ممنون حجي والى عافيه ، هني ومري انشاء
الله

أخرج حجي وجدان مسبحته من جيب سترته ،
 واخذ يدعك حباتها بين كفيه وقد طاف ببصره
 مستعرضا وجوه الحاضرين وكأنه يحثهم على
 الطلب منه بالحديث منتظرين جديده كما
 هي عادته في كل يوم

-أي حجي وجدان اشوف عندك سالفه تريد
 تسولفه ، هاي الزلم كله مستنبطه تريد
 تسمع ...

أي والله حكيمنه بروح والديك انتة ابو الحكمه
 وعودتنه على حجاياتك الحلوه هكذا نطق
 جميع الجالسين بصوت واحد مؤيدين قول
 الحاج مردان

تنحج الحجي وقد أخذ نفساً قوياً من
 جكارته وقال :-

اليوم اني عندي سؤال واريد جوابه
 تفضل حجي النعرفه نكوله وانتة ابو
 المفهوميه
 السؤال :-

ليش الحصان يموت من يبترون ذيله ؟؟؟
 سرت الهمهمات بين الحضور ، بين مستغرب
 وبين مستفهم ، يرى ان الحكيم اليوم مو عله
 بعضه !!!!

حجي وجدان احنه نعم نعرف كلنه بتر ذيل
 الحصان تكتل الحصان سبحان الله لكن ليش ما
 ندري.....

انبرى الحاج مردان للإجابة قائلا :-

حسب معرفتي ان سنسول الحصان ممتد الى ذيله ، واذا كطعنه الذيل انقطع السنسول يلي ممتد بيه الحبل الشوكي ، واذا انقطع هذا الحبل يموت الحيوان ...صح لو موصح ؟؟؟

نعم حجي مردان صح ونص وخمسههههه

ضحك الجميع وقد كانوا مسرورين لاجابة حجي مردان وانقاذهم من الاحراج ...

لكن حكيمه شنو قصدك بهل السؤال ، انته ما تنشده جي نشده اله عندك هدف ، خو ما جاي تمتحنه

والله يابه انتم اكبر من الامتحان وكلكم مفهوميه ، لكن هل التشوفون الوادم تتظاهر وتهوس ضد الحكام الظلمه وضد الارهابيين ومن ضمنهم الدواعش واطرافهم وحواشيهم ، وليفش امريكا التندعي بالديمقراطية والسلام والحرية والرفاه للشعوب ما تسقط هاي الحكومات الظالمة وما تقضي عله داعش وحواشيه ؟؟؟؟

عمي تره هاي امريكا وربعه مثل الحصان ، وهذوله الحكام الظلمه والدواعش والارهابيين ذيله ، واذا انقطع ذيله تموت وامريكا ما تريد اتموت بالتاكيد ... صح لو موصح

والله حجي كلامك صح ونص وخمسه
يبين هاي الوادم تخوط بصف الاستكان

رحم الله والديكم بس عمي الوادم
قسم ما تعرف وما تريد تتعلم ، وقسم هذا
الحال خادمهم من حيث اهمه شعرات
مجلبه بذيل الحصان

هكذا حتم ((وجدان)) حديثه مادا يده
للكهوجي قائلا :-

شواطني بويه فتجان كهوة رحمه على
والديك والف نعله عله ابو الحصان وابو
ذيله .